



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث
العلمي والعلاقات الخارجية
قسم أصول الدين

جامعة الحاج
لخضر باتنة (01)
كلية العلوم الإسلامية

حفظ الصحة بين الهدى النبوي والعلم الحديث

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص كتاب وسنة

* إشراف الأستاذ الدكتور:
مصطفى حميداتو

* إعداد الطالب:
العيد بلالي

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الجامعة | الصفة |
|-----------------|-----------------|------------------------|--------------|
| صالح عسكر | أستاذ | جامعة باتنة-1 | رئيسا |
| مصطفى حميداتو | أستاذ | جامعة الوادي | مشرفا ومقررا |
| العربي بن الشيخ | أستاذ | جامعة باتنة-1 | عضوا |
| خالدي ذويبي | أستاذ محاضر (أ) | جامعة باتنة-1 | عضوا |
| نصر سلمان | أستاذ | جامعة الأمير - قسنطينة | عضوا |
| يوسف عبد اللاوي | أستاذ | جامعة الوادي | عضوا |

الموسم الجامعي: 1440 - 1441 هـ / 2019 - 2020 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الوالدين الكريمن برا وإحسانا...
إلى الإخوة والأخوات محبة وامتنانا...
إلى عائلة بلالي بأصولها وفروعها...
إلى زوجتي الوفية عزيزة وقرة عيني أولادي
خالد-رائد-حمزة-أمير-إشراق...
إلى جميع الأصهار والأصدقاء والإخوان...
إلى من يحب العلم وأهله...
أهدي هذا الجهد العلمي

شكر وتقدير

أشكر الله على توفيقه وإعانه وتيسيره وأفضاله لإنجاز هذا العمل...

أشكر والديّ وأساتذتي الذين أناروا لي دروب العلم والمعرفة...

أشكر الأستاذ الدكتور الفاضل مصطفى حميداتو على إشرافه

وتوجيهاته وحرصه من أجل بلوغ هذا الجهد العلمي تمامه وغايته...

أشكر الدكتورة الأفاضل في لجنة المناقشة الذين تفضلوا بتقييم هذا

العمل وبذل النصح والتوجيه لصاحبه خدمة للبحث والطالب...

أشكر إدارة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة

على المساعدة والتوجيه من أجل تمام هذا البحث العلمي وختامه...

أشكر عائلتي على سندها ودعمها لي من أجل الوصول إلى هذه

الغاية رغبة في مزيد العلم وخدمة الدين الإسلامي والأمة والوطن...

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، أنعم علينا بنعمة الإيمان ، وموفور الصحة والمعافاة ، أسبغ علينا النعم ، وأدام علينا المنن ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، البشير النذير ، والسراج المنير ، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، وبعد: فمن المعلوم عند جميع المسلمين أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع وذلك أمر ثابت بالكتاب والسنة ، ففي القرآن أمر الله بطاعة النبي ﷺ ، واتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ﷺ ، قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر:7) ، وجاء في السنة النبوية بيان من النبي ﷺ أن سنته وحى من عند الله عز وجل وأنه أوتي القرآن ومثله معه ، قال ﷺ (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) (أبو داود) وقد جاء في السنة النبوية أحاديث صحيحة متعلقة بهديه ﷺ في حفظ الصحة والطب، والعلاج ، والتداوي ، قال الإمام السيوطي (ت911 هـ) : (الأحاديث المأثورة في علمه ﷺ بالطب لا تحصى وقد جمع منها دواوين) (إتمام الدراية لقراء النقاية ، ص 154) ، وهذه الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ في الطب والعلاج والتداوي ، تسمى -اصطلاحاً- (الطب النبوي) ، خصوصاً عند الأئمة المتأخرين من علماء الحديث، كالإمامين ابن القيم (751هـ) والذهبي (748هـ) ، وغيرهما، ويقصد بها الأحاديث النبوية التي تتعلق بهديه ﷺ في حفظ الصحة ، والتداوي والعلاج ، وتوجيهاته ﷺ في الوقاية والاحتراز من الأمراض والأسقام .

ومن الجدير بالذكر أن الهدي النبوي الصحي ، أو الطب النبوي -باصطلاح المتأخرين- اختلف أهل العلم فيه من المتقدمين والمتأخرين- من حيث قبوله أو ورده إلى قولين ، أو فريقين ، وسبب اختلافهم يرجع إلى اعتبار مصدرية الأحاديث النبوية الواردة عن النبي ﷺ في موضوع الطب ، والتداوي والعلاج ، بين رأي موافق لها ، يقول بأنها-الأحاديث النبوية الطبية- وحى من عند الله عز وجل، دالة على صدق النبي ﷺ ونبوته ، ولذا فلا يجوز إنكارها أو مخالفتها ، وبين رأي آخر مخالف للرأي لأول، يرد حجية تلك الأحاديث الواردة في الطب ، باعتبارها اجتهادا بشريا خاصا ، وليست من قبيل الوحي الإلهي الواجب تصديقه واتباعه . وانطلاقاً من تباين تلك الآراء في المسألة المذكورة آنفاً ، وتعمقا في دراستها ، وتحريها ، أحببت أن أطرق هذا الموضوع من خلال بيان هدي النبي ﷺ في حفظ الصحة ، ودعوته المسلمين للتداوي والعلاج ، وطلب الشفاء ، ومكافحة المرض والعدوى ، حماية للفرد والمجتمع المسلم. وبالمقابل بيان حفظ الصحة للفرد والمجتمع ، في العلم الحديث من خلال

التعريف بالقواعد والأسس العامة ، التي تحفظ الصحة الشخصية والاجتماعية ، والتي توصل إليها العلم والطب الحديث ، كثقافة صحية ينبغي للفرد والمجتمع تطبيقها والعمل بها ، لضمان الصحة وتحقيق السلامة للجميع . وإن من الواجب التذكير به والتأكيد ، والتنبيه عليه - بين يدي هذا البحث- أن موضوع حفظ الصحة في العلم الحديث ، ليس من اختصاصي العلمي ، ومجال دراستي العلمية الأكاديمية في الجامعة ، بل هو من اختصاص الأطباء ، والمختصين في العلوم الطبية ، ولكنني تناولت موضوع حفظ الصحة ، واجتهدت في دراسته من: (الجانب العلمي الطبي الحديث) من باب ذكر وبيان القواعد العامة التي تحفظ الصحة ، ومقارنتها بالهدي النبوي الصحي ، ومعرفة مجالات التوافق بين هدي النبي ﷺ في الوقاية والتداوي والعلاج ، مع ما اكتشفه العلم والطب الحديث . وكذلك بيان ما اختص بخبرة وبيئة النبي ﷺ من أدوية وعلاجات ، وأثبت العلم والطب الحديث تعلقها بمكان أو زمان مخصوص، خصوصا في عصرنا مع تقدم العلم والاكتشافات في صناعة الأدوية، وظهور المخابر والأجهزة الكاشفة الحديثة. لذلك اجتهدت وعقدت العزم للمضي والبحث في هذا الموضوع الذي وسمته ب: **حفظ الصحة بين الهدي النبوي والعلم الحديث** سائلا الله العون والتوفيق والسداد.

أولا- أهمية البحث: الحديث عن السنة النبوية من حيث أنها مصدر تشريعي من الأهمية بمكان ، ويندرج تحت ذلك معرفة المكتسبات والخصائص الشخصية النبوية ، وهي ما صدر عنه ﷺ بمقتضى الخبرة الإنسانية والحذق والتجارب في الشؤون الدنيوية من تجارة أو زراعة ، أو تنظيم جيش أو تدبير حربي ، أو وصف دواء لمريض ، وما أشبه ذلك ، فمعرفة ما يصدر عن النبي ﷺ في هذا المجال أمر ضروري لكل مسلم مكلف ، أهو تشريع صادر عن وحي وبوصفه رسولا ﷺ أم أنه من الأمور العادية وليس من الشرعيات ، أي ليس صادرا عن وصفه رسولا وإنما هو صادر عن بشريته ، وخبرته ﷺ وتقديره الشخصي ، ومن ذلك موضوع بحثنا ، وأحاديثه ﷺ الواردة في الهدي النبوي الصحي والطبي ، فأين يقع تصنيفها من مسألة التشريع النبوي ، مع الإقرار بوجود أحاديث صحيحة كثيرة في السنة النبوية ، تدخل في باب النظافة والصحة ، والوقاية والحماية الغذائية ، كأحاديث مشروعية التداوي ، وطلب العلاج ، وأحاديث الرقية والدعاء وطلب الشفاء ، ونحوها فتلك الأحاديث ، لا تخضع للتصنيف المذكور في باب التشريع ، على أنه قد يستأنس بها -الأحاديث النبوية المذكورة- في حياة الإنسان وسلوكه لما نعلم من أنه ﷺ قد أوتي من العلم والحكمة ما لم يؤت غيره ﷺ. ولكن -بالمقابل- يوجد أحاديث نبوية مروية ، متعلقة بقضايا وأمور ، لها خصوصية تشريعية ، أو بشرية ، أو لها علاقة بتطور البيئة والزمن ، فيرجع في فهمها ، وحكم العمل بها ، في ذلك

إلى أهل الخبرة والاختصاص ، للنظر فيها بما يحقق المصلحة ، من عدمها بحسب تقسيم الأصوليين للسنة النبوية ، تشريعية ، وغير تشريعية ، فأهمية الموضوع تكمن في كونه متعلقا بتلك القضايا المطروحة ، والمطروقة ، فالموضوع متعلق بتصرفات النبي ﷺ ، ومدى حجية الأحاديث الواردة عنه ﷺ في الشؤون الصحية وغيرها ، وفي أي قسم يمكن حصرها ، من حيث الأحكام الشرعية ، والسؤال المطروح عند علماء الأصول ، هل نستفيد من هذه الأفعال تشريعا أم لا .

ثانيا- إشكالية البحث: إن الإشكال الرئيسي ، الذي يسعى البحث والدراسة للإجابة عنه ، يتمثل في التساؤل التالي: إلى أي مدى قد استوعبت السنة النبوية ﷺ أصول وقواعد حفظ الصحة ، وهل يصح القول ، بأن الطب النبوي ، قد تبنى شخصية الطبيب - بمفهومه الحديث- ليشخص الأمراض ويصف للمرضى الأدوية والعلاج ؟ هذا هو السؤال الرئيس وإلى جانبه أسئلة فرعية أهمها:

- 1- ما مفهوم الهدي النبوي الصحي والطبي في السنة النبوية ، وما مدى صحة القول ، بوجود منهج كامل وشامل لحفظ الصحة ، والطب النبوي ، في هدي وسنة النبي ﷺ ؟ .
 - 2- ما هي الأحاديث الطبية النبوية التي يحتج بها ، وثبتت صحتها وثبوتها ، وتعتبر تشريعا نبويا يدخل ضمن تصرفات الرسول ﷺ وأقواله ؟ وهل هناك أحاديث نبوية لا يحتج بها مع صحتها وثبوتها ، وذلك بناء على التمييز بين ماهو تشريع وليس تشريع في السنة النبوية؟
 - 3- ما مدى توافق الهدي النبوي الصحي مع الإكتشافات العلمية والطبية الحديثة؟ .
 - 4- هل يجوز القول بوجود أخطاء منهجية في أبحاث ما يعرف بأحاديث الطب النبوي، وهل تخالف الأبحاث العلمية الحديثة وما قيمة نتائجها؟
- ثالثا- أسباب اختيار البحث:** هناك أسباب ذاتية، وأخرى موضوعية، أذكرها فيما يلي:

1- الأسباب الذاتية. فتعود إلى الآتي:

- أ- إرادتي الذاتية المتوجهة، حيث توجهت رغبتى، نحو اختيار موضوع أو قضية من القضايا المعاصرة التي تمسّ واقع الناس مباشرة، فوجدتُ في هذا الموضوع ما يتوافق مع إرادتي؛ إذ أنني سأتعامل أثناء البحث مع مسائل يحتاجها عدد مُعتَبَر من المسلمين في هذا العصر.
- ب- الأسئلة التي يطرحها عدد من الناس على المشتغلين بالعلوم الشرعية والطب البديل، عن حكم التداوي بالعسل، والحبة السوداء، واستعمال الحمامة والكي، ونحو ذلك. وما يثار من أسئلة، ونقاشات حول سلامة وصحة العديد من العلاجات بالأعشاب النباتية، ووصفات (الطب النبوي) وما صحة فوائدها الطبية ، وآثارها العلاجية، في منظور وضوء العلم الحديث.

2- الأسباب الموضوعية. فتمثل في الآتي:

أ- ندرة الكتابات الأكاديمية فيما اطلعتُ عليه من بحوث ودراسات جامعية - إذا ما قورنت بأبحاث علوم السنة المختلفة - حول أبحاث الطب النبوي من منظور شرعي وعلمي، فالكثير من الباحثين في العلوم الشرعية ممن عرضتُ عليهم مشروع بحثي - ثم بعد تأملهم له- استحسونه وشجعوني للبحث فيه إثراء للبحث ووصولاً إلى معرفة الراجح من الأقوال في مسائله و أبحاثه المختلفة.

ب-رغبتي في دراسة هذا الموضوع لبعده الوظيفي والواقعي ، وارتباطه بحياة الناس عامة ، والمسلمين خاصة ، وقد وقع إختياري عليه -أيضاً-لأنه وافق رغبة في نفسي، وميلاً وتحمساً لمثل هذا اللون من الدراسات الموضوعية ، في ضوء السنة النبوية ، ولأنني أعتقد -بحسب اجتهادي- أن كثيراً من الموضوعات المتعلقة بالدراسات العلمية الأكاديمية التراثية ، قد درست ، وبمحت موضوعاتها من كثير الأساتذة والباحثين المتخصصين ، وقدمت حولها رسائل جامعية كثيرة .ولذلك توجهت رغبتي بالبحث والدراسة نحو الموضوع المذكور ، وتمنيت أن تتاح لي فرصة البحث العلمي الأكاديمي للتعلم في دراسته وانجازه بعون الله وتوفيقه.

ج-استجابة لنداء بعض المتخصصين في العلوم الشرعية ، والمشرفين على الرسائل الجامعية ، فإنهم يطالبون الطلبة الباحثين ، باختيار مواضيع لها أبعاد وظيفية وتعالج القضايا العصرية التي يحتاجها الناس ، خصوصاً مثل هذه المواضيع المتعلقة بالهدي النبوي الصحي والطبي ، فالبحث استجابة لتوصية من بعض الباحثين المتخصصين الشرعيين ، في عصرنا ، بضرورة البحث المعمق في أحاديث الطب النبوي على ضوء معطيات العلم الحديث ودراستها دراسة حديثة وأصولية وطبية ومخبرية من باحثين مؤهلين مع ضرورة التكامل والتعاون العلمي بين علماء الشريعة والطب في فرق بحثية متخصصة ومتفرغة لتحقيق الغاية المرجوة على أكمل وجه . وهذا من واجبنا نحو سنة نبينا ﷺ ومن أهم أبواب الذب عنه والدعوة لدينه بالبراهين العلمية والعقلية المقنعة ، ثم هو من السبل التي تكشف لنا عن كنوز السنة ومكنوناتها التي نستفيد منها ونستثمرها في علاج أمراضنا البدنية والنفسية ووقايتها من أخطار الأمراض والأوبئة .

د-ولعُ الناس بالطب الغربي الحديث ، الذي يعتمد على الأدوية والعقاقير الكيميائية ، والتي لا ينكر أحد فوائدها الصحية والعلاجية ، إلا أن آثارها الجانبية ظاهرة غير خافية وواضحة ولموسسة ، فمنظمة الصحة العالمية تثبت كل يوم ضرر نوع من تلك الأدوية ، بإبطال استخدامها ، حتى اختفت أدوية كثيرة استعملت قبل سنوات ، وسيختفي العديد منها بالتدرج ، ويبقى الأطباء

والمرضى في حيرة مع هذه الأدوية بين حسن الدعاية والترويج لفائدتها عند تصنيعها ، والتحذير منها بعد سنوات لثبوت ضررها ، وبالمقابل زهد الناس في الطب القديم الذي يعتمد على استخدام المواد الطبيعية و الأعشاب النباتية في التداوي والعلاج والتي قد يكون استخدامها في بعض الأحيان أفضل وأرجى للشفاء من استخدام الأدوية المصنعة ، فيزهد الناس فيها ، بدعوى أنها لا تصلح لعصر التقدم والتطور والتكنولوجيا ، فالتقدم الصناعي الذي حدث في عصرنا ، جعل الناس يبنذون كل قديم -ولو كان صالحا ونافعا- ويتعلقون بكل جديد و حديث رغم آثاره السيئة ، خصوصا في مجال العلاج والدواء.

ه- وجود مادة علمية متعلقة بالطب النبوي متناثرة في ثنايا الكتب التراثية: الحديثة والطبية تحتاج إلى أن تُجمَع في موضع واحد تسهياً للإطلاع عليها ولأخذ الفوائد منها خصوصا التي لم تتطرق لها كتب التراث العربي والإسلامي.

و- ما يُلاحظ من اختلاف في آراء العلماء من أهل الحديث والطب المعاصرين المتعلقة بالطب النبوي، وهذه الأقوال والآراء مبثوثة في كتبهم أو مقالاتهم المنشورة في المجلات أو على المواقع المختلفة على شبكة الأنترنت؛ إذ إنهم بين مُيسِّرٍ ومُشدِّدٍ، الأمر الذي يجعل الباحث الموضوعي يقارن بين هذه الأقوال والآراء وتأصيلاتها الشرعية؛ حتى يصل إلى الراجح منها.

رابعا- أهداف البحث: أجزأها فيما يلي:

- 1- الإسهام في تأصيل التراث الإسلامي بالدراسات الموضوعية في ضوء السنة النبوية، ولا سيما الأحاديث النبوية المتعلقة بالصحة والطب، خدمة للسنة النبوية.
- 2- تنبيه المشتغلين في مجال الصحة والطب، إلى بذل الجهود للتعريف بفضل المسلمين خصوصا الأوائل على الطب من خلال المناهج التعليمية، خصوصا في مواد الطب والعلوم والاحياء، والسعي لإنتاج أدوية إسلامية ، من المواد والأعشاب الطبيعية ، بدل الاعتماد على الأدوية الكيميائية الحديثة
- 3- معرفة الموقف الشرعي الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه المسلم تجاه التعارض الحاصل مع العلم، وأحاديث الطب النبوي.
- 4- التنبية إلى بعض الأخطاء المنهجية المصاحبة لمدعي المشتغلين بالطب النبوي والرقية الشرعية التي تترتب عليها آثار سلبية على الصحة والأخلاق العامة.
- 5- بيان بعض من أوجه الإعجاز العلمي في السنة النبوية الصحيحة ؛ وذلك من خلال وصف النبي ﷺ بعض الأدوية التي تبين أن لها آثارا إيجابية مفيدة على الجسد والروح.

6- التأكيد على واقعية الإسلام؛ إذ إنه جعل للمسلم مجالاً للعلاج والتداوي وطلب الشفاء.
7- المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية الطبية بهذه الدراسة، من خلال ربط حاضر المسلمين بماضيهم المشرق، وتوجيه المستقبل نحو الأفضل بعون الله وتوفيقه.

خامساً - حدود دراسة البحث: موضوع حفظ الصحة في السنة النبوية ، وفي العلم الحديث واسع جداً، ولذا فهو يحتاج إلى جهد جماعي ، وعمل فرق بحث ، لإستقراء كل مدونات ومصنفات السنة النبوية ، لإستخراج الأحاديث النبوية التي تمثل الهدى النبوي الصحي ، وفي الجانب المقابل يصعب الإحاطة بكل ما توصل إليه العلم الحديث ، من معارف وعلوم ، ونظريات وقوانين ، لخدمة الإنسان وحفظ صحته وحياته ، وبناء على ذلك إقتصر البحث على بعض القضايا ، بغرض التأسيس لهذا الموضوع ببيان معناه وبعض أسسه ، وبيان مسالكة العامة ومن ثم إعطاء أمثلة لبيان مبانيه، وأخيراً بيان معالمة في السنة النبوية.والعلم الحديث، كما أن موضوع البحث يدور في نطاق النصوص النبوية ودلالاتها ، ولكن لا يمنع ذلك من الإستشهاد بالآيات القرآنية على أن لاتستقل بعناوين خاصة، إضافة إلى ذلك ، أقوال وأراء العلماء المختصين من أهل العلم الحديث حول موضوع حفظ الصحة من الجانب العلمي ، وقاية وعلاجاً.

سادساً - الدراسات السابقة للبحث: بعد البحث في دليل الرسائل الجامعية لم أجد -حسب بحثي وإطلاعي- من تناول موضوع (حفظ الصحة بين الهدى النبوي والعلم الحديث) تناولاً مركزاً وشاملاً، أو من بحثه بحثاً علمياً معمقاً، في حين وقفت على بعض عناوين الرسائل التالية:

1- مقاصد الشريعة في حفظ الصحة البدنية في الفقه الإسلامي في بابي العبادات والأسرة دراسة فقهية مقارنة للباحثة فاطمة بنت عويض الحربي، إلا أنه يُلاحظُ على هذه الدراسة عنايتها ببيان الآثار الصحية لبعض العبادات والمعاملات في الشريعة، من دون التطرق لموضوع البحث المدروس.

2- حجية الأحاديث النبوية الواردة في الطب والعلاج ل: أحمد بن عمر بازمول، وهو بحث مختصر في حجم المقالة تطرق مؤلفه للتأكيد على وجهة نظر واحدة ولم يستوعب آراء ومواقف العلماء الأخرى المخالفة والمتعلقة بعناصر البحث المختلفة.

3- عناوين لكتب عديدة متعلقة بهديه ﷺ في التداوي والعلاج والرقية والدعاء وهي كثيرة منها: موسوعة الطب النبوي للحافظ أبي نعيم الأصبهاني دراسة وتحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي - الهدى النبوي في الطب - عبد الله بن جار الله آل جار الله - الطب النبوي لابن القيم الجوزية ، وهي كتب عنيت بجمع الأحاديث النبوية كوصفات طبية نبوية للأمراض المختلفة.

4- كتب ودراسات خصصت لإبراز جوانب الإعجاز النبوي في أحاديث الطب النبوي من دون طرق للمسائل المتعلقة بحجية تلك الأحاديث ووضعها في ميزان النقد الحديثي والعلمي، وهي كتب كثيرة منها: الإعجاز العلمي في السنة النبوية ل: د/ صالح بن أحمد رضا - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ل: يوسف الحاج أحمد التابع لرابطة العالم الإسلامي. ونحو ذلك من كتب الإعجاز النبوي.

5- كتابي الوقاية الصحية في السنة النبوية الصادر عن دار الحامد الأردنية الطبعة الأولى 2018م

6- مقالاتٌ لكاتبين مختلفين منشورةً على شبكة الانترنت، منها: "أحاديث الطب النبوي هل يحتاج بها " ل:د محمد سليمان الأشقر، "أحاديث الطب النبوي واختلافاتها " ل: د عمار الحريري " الطب النبوي رؤية نقدية "ل:معتز الخطيب. وقد اقتصرت تلك الأبحاث والدراسات المقالات على استعراض بعض الأحاديث والآثار والتأكيد على وجهة نظر صاحب المقال ولم تستوعب كل الآراء والمسائل. هذه أهم الدراسات التي اطلعت عليها، ويأتي هذا المشروع لزيادة التفصيل والتفريع والتأصيل، وكذا إعطاء الرأي الراجح في سائر المسائل المتعلقة بالموضوع المقترح من منظور شرعي وعلمي.

سابعا- أهم المصادر والمراجع المعتمدة في دراسة البحث: إعتمدت في دراسة موضوع بحثي على عدد من المصادر والمراجع كونت في جملتها عمدة وأساس البحث ويمكن تقسيمها كمايلي:

1- القرآن الكريم وتفسيره.

2- كتب السنة وشروحها.

3- كتب اللغة والمعاجم.

4- كتب الطب، والتاريخ الإسلامي.

5- كتب الإعجاز العلمي في السنة النبوية .

6- كتب الثقافة الصحية، والعلم الحديث

كما إستعنت ببعض الأعمال المتخصصة التي نشرت في المجلات العلمية والدوريات المحكمة والإنترنت

ثامنا- منهج دراسة البحث: اعتمدت واستخدمت في دراسة موضوع البحث المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: وهذا عند تَتَبُّعِ النصوص الحديثية الدالة على الهدى النبوي الصحي، وكذا

عند تَقْصِي آراء علماء الحديث فيها، وأقوال أهل العلم في فهمها وتفسيرها في حدود الدراسة.

2- المنهج المقارن: وهذا عند مُقَابَلَةِ آراء العلماء في مسائل الطب النبوي المختلفة بعضها ببعض،

وكذا عند مقابلة نظرة الشريعة الإسلامية لها بنظرة علوم الطب الحديثية والمعاصرة.

3- المنهج التحليلي النقدي: عند دراسة آراء العلماء في مسائل الطب النبوي والعلم الحديث

، من حيث كَيْفِيَّةُ ترجيح الآراء باستخدام الأدلة العلمية، وأقوال أهل العلم والاختصاص الراجحة.

تاسعا- منهجية البحث: أستعرض فيما يلي أهم عناصرها:

1- جمع الأحاديث الواردة في الموضوع وتصنيفها ووضعها في المباحث و المطالب.

2- إستخراج الفوائد الحديثية من الأحاديث التي تشير للمنهج الصحي النبوي.

3- مقارنة الفوائد الصحية الحديثية مع ما ثبت من حقائق علمية طبية معاصرة.

4- تخرّج الآيات يكون في المتن بالطريقة الآتية: (اسم السورة: رقم الآية)

5- تخرّج الأحاديث يكون في الهامش بالطريقة الآتية: (صاحب المصنف الحديثي وعنوانه، الكتاب،

الباب، رقم الحديث إن وجد، الجزء والصفحة، ودرجته عند اللزوم).

6- إعتمدت في التهميش لأول مرة، وفق الترتيب الآتي: المؤلف، المؤلّف، التحقيق إن وجد، رقم

الجزء إن وجد، رقم الصفحة، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر، وعند إستعمال

المرجع في مواضع أخرى من البحث إكتفيت بذكر: المؤلف، المؤلّف، رقم الصفحة.

7- إعتمدت الرمز التالي، () في: الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، النصوص المقتبسة

8- ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في متن البحث وممن رأيت ضرورة البحث تتطلب ترجمتهم،

ما إستطعت إلى ذلك سبيلا، ولم أتعرض لترجمة من أغنت شهرته عن ترجمته.

عاشرا- صعوبات البحث: هناك بعض الصعوبات التي واجهتني عند اعداد هذا البحث منها:

قلة الدراسات العلمية الأكاديمية والتي تجمع بين علوم السنة النبوية ، والعلوم الحديثية ، ومنها الطب

الحديث ، وصعوبة الجمع والتوفيق بين آراء العلماء في مسائل الإختلاف المتعلقة بموضوع البحث ،

ومنها: حجية السنة النبوية في التشريع ، حجية الأحاديث الطبية النبوية ، توقف العلم الحديث

في إستيعاب بعض القضايا الواردة في الطب النبوي ، كحديث الذباب ، وحديث أبوال إبل ،

والحجامة والكي ، ونحو ذلك .

حادي عشر - خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصولٍ وخاتمةٍ، وفهارس فنية، وفيما يأتي عَرَضٌ مُوجِزٌ لها:

المقدمة: وفيها بيانٌ لأهمية الموضوع، وطرحٌ لإشكاليته، وذكرٌ لأسبابِ اختياره، والأهدافِ المرجوةِ منه، والدراساتِ السابقة له، والمنهجِ المتَّبَعِ في دراسته، وعَرَضٌ لخطَّته النهائية، ووصفٌ عامٌّ لأهمِّ مصادره ومراجعته.

الفصل الأول: بعنوان التعريف بمصطلحات الدراسة، وموقف العلماء من تقسيم حجية السنة النبوية، يحتوي على مبحثين، الأول: خصصته للتعريف بمصطلحات الدراسة، السنة النبوية، الهدي النبوي، الصحة، العلم. والمبحث الثاني بينت فيه موقف العلماء من تقسيم حجية السنة النبوية، وتناولت فيه مذاهب العلماء في تقسيم حجية السنة النبوية وما صدر عن النبي ﷺ بإعتباره وحياً وتشريعاً ، وما صدر عنه ﷺ بمقتضى الخبرة الإنسانية.

الفصل الثاني: بعنوان حفظ الصحة في التراث الإنساني والإسلامي. ويحتوي أربعة مباحث، المبحث الأول خصصته لدراسة: حفظ الصحة في الحضارات القديمة، وتناولت فيه حفظ الصحة عند قدماء المصريين والبابليين، وعند الهنود والصينيين، واليونانيين والرومان. والمبحث الثاني خصصته لدراسة حفظ الصحة عند العرب قبل الإسلام، تطرقت فيه لحفظ الصحة في العصر الجاهلي، وأشهر أطباء العصر الجاهلي. والمبحث الثالث خصصته لحفظ الصحة في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين ، تناولت فيه نماذج من العناية والرعاية الصحية في العصرين، وأشهر الأطباء والطبيبات في عصر النبي وعصر الخلفاء الراشدين. والمبحث الرابع تناولت بالدراسة حفظ الصحة في العصر الأموي والعباسي.

الفصل الثالث: بعنوان حفظ الصحة في الهدي النبوي، ويحتوي ثلاثة مباحث، المبحث الأول خصصته لدراسة حفظ الصحة في الهدي النبوي الوقائي ومظاهره في السنة النبوية. والمبحث الثاني تناولت فيه حفظ الصحة في الهدي النبوي العلاجي ، بينت فيه مفهوم الهدي العلاجي النبوي ومشروعيته ، وقواعده ، ثم درست الغذاء والدواء في الهدي النبوي. والمبحث الثالث ، درست فيه مذاهب العلماء في حجية أحاديث الطب النبوي ، بينت مذهب القائلين ، وغير القائلين بحجية الطب النبوي ، ثم ذكرت قواعد أساسية في التعامل مع الأحاديث النبوية الطبية.

الفصل الرابع: بعنوان حفظ الصحة في العلم الحديث، ويحتوي ثلاثة مباحث، خصصت الأول لدراسة حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث، بينت مفهوم الصحة والوقاية في العلم الحديث، والمستويات والإجراءات الصحية الوقائية المطبقة للوقاية من الأمراض في العلم الحديث. والمبحث الثاني، تناولت بالدراسة فيه حفظ الصحة في العلم العلاجي الحديث، بينت مفهومه، ثم تطرقت لدراسة ثلاثة مطالب رئيسة ، وهي: المرض - الدواء - الغذاء ، في العلم الحديث. وتناولت في المبحث الثالث بيان ودراسة الهدي النبوي الوقائي والعلاجي الصحي في ضوء العلم الحديث، وعلاقة الأحاديث النبوية الطبية بالعلم التجريبي الحديث.

الخاتمة والتوصيات: وفيها حَصُرَ لأهم النتائج التي تَوَصَّلَ إليها البحث، والتوصيات المقترحة التي تزيد في خدمته.

الفهارس: وتشمل فهرس: (الآيات القرآنية - الأحاديث النبوية - المراجع والمصادر - الموضوعات - الأعلام المترجم لهم)

الفصل الأول

التعريف بمصطلحات الدراسة

وموقف العلماء من تقسيم حجية السنة النبوية

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: تعريف الهدي النبوي في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف الصحة في اللغة والاصطلاح

المطلب الرابع: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: موقف العلماء من تقسيم حجية السنة النبوية

المطلب الأول: مذاهب العلماء في تقسيم حجية السنة النبوية

المطلب الثاني: ما صدر عن النبي ﷺ بوصفه نبيا ورسولا

المطلب الثالث: ما صدر عن النبي ﷺ بصفته البشرية وخبرته الإنسانية

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة. وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح:

أولاً-تعريف السنة في اللغة:لفظة مشتقة من مادة (سَنَ)، هو جريان الشيء سهولة¹، وهي السيرة حسنة كانت أو قبيحة:، ومنه: فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راضٍ عن سنة يسيرها⁽²⁾ وقيل هي مأخوذة من السنن، وهو الطريق، والسنة تعني الطريقة المحمودة المستقيمة.³ وتطلق السنة على الشيء الجديد:، وكُلُّ مَنْ ابْتَدَأَ أَمْرًا عَمِلَ بِهِ قَوْمٌ بَعْدَهُ قِيلَ: هُوَ الَّذِي سَنَّهُ، ومنه: كَأَنِّي سَنَنْتُ الْحَبَّ، أَوَّلَ عَاشِقٍ... مِنَ النَّاسِ، إِذْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي⁴

ثانياً- تعريف السنة في الإصطلاح:اختلفت اصطلاحات العلماء في تعريف السنة تبعاً لاختلاف فنونهم وأغراضهم، فهي عند المحدثين غيرها عند الأصوليين والفقهاء، وفيما يلي بيان ذلك.

1-السنة في إصطلاح المحدثين: تعرف بالسنة النبوية، بأنها: (ما أثير عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها)⁵.

2-السنة في إصطلاح الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي⁶.

3-السنة في إصطلاح الفقهاء:عرفها الفقهاء:(ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض، ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وتطلق عندهم على ما يقابل البدعة)⁷

¹ ابن فارس (291هـ)، معجم مقاييس اللغة(3/ 60)، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (ط 1979م)،

² ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، ج13، ص225. دار المعارف، القاهرة

³ ابن منظور، لسان العرب، (ص 2125).

⁴ ابن منظور، لسان العرب، فصل السين المهملة، ج 13، ص 225

⁵ د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 65، المكتب الإسلامي، لبنان، ط3 1982 م

⁶ الدكتور محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ص 16، الناشر: دار الفكر، ط5، 1985م

⁷ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص66.

ومما سبق من تعريفات يتبين أن إصطلاح المحدثين أوسع التعريفات ، فيشمل أقواله ﷺ ، وأفعاله التي نقلها إلينا الصحابة رضي الله عنهم في جميع أحواله كأداء الصلوات، ومناسك الحج ، وغير ذلك ، ويشمل تقريراته ، وهي ما أقره ﷺ من أفعال صدرت من بعض أصحابه ، إما بسكوته ، مع دلالة الرضا أو بإظهار الإستحسان ، وتأييد الفعل، ومثال ذلك: إقراره ﷺ لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة الأحزاب حين قال لهم النبي ﷺ: (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي ، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ)¹، فقد فهم بعض الصحابة هذا النهي على حقيقته فأحرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم أن المقصود منه حثهم على الإسراع ، فصلاها في وقتها، وبلغ النبي ﷺ ما فعل الفريقان فأقرهما ولم ينكر عليهما.

ومن الثاني: ما رواه البخاري عَنْ عَنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِضَبِّ مَشْوِيٍّ ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِيَأْكُلَ ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ ضَبٌّ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحْرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَاْفُهُ فَأَكُلَ خَالِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ)²، وتشمل السنة في إصطلاح المحدثين صفاته الخلقية ، وهي هيئته التي خلقه الله عليها وأوصافه ﷺ الجسمية والبدنية ، وما جبله الله عليه ﷺ من الأخلاق والشمائل ، وتشمل كذلك سيرته ﷺ وغزواته وأخباره قبل البعثة وبعدها³.

ويختلف معنى السنة في إصطلاح العلماء بحسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، فهي عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء، ولذلك نرى مدلولها من خلال أبحاثهم⁴.

¹ صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ، ج 5 ، ح 4119 ، ص 112 ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ

² صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الشواء ، ج 7 ، ح 5400 ، ص 72

³ يوسف القرضاوي وآخرون، مصطلح الحديث للمرحلة الثانوية للمعاهد العلمية، ص 10، صنعاء، اليمن ، 1988.

⁴ محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ص 10 ، بيروت، دار الفكر، 1980.

- فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ القدوة والأسوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا.
- وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده وبيّن للناس دستور الحياة، ولذلك عنوا بأقواله وأفعاله وتقديراته التي تثبت الأحكام وتقررهما.
- وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذي تدل أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا أو إباحة أو غير ذلك.

ثالثا: أقسام السنة: تنقسم السنة إلى ثلاثة أقسام¹:

- 1- السنة القولية:** وهي الأحاديث التي قالها النبي ﷺ في مختلف الأغراض والمناسبات ، مثل قوله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)² ، وقوله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار)³ ، وغير ذلك.
- 2- السنة الفعلية:** هي الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ مثل أداء الصلوات الخمس بهيئتها، وأركانها وأداء مناسك الحج، وقضائه بشاهد واحد وبميين المدعي.
- 3- السنة التقريبية:** وهي ما أقره الرسول ﷺ مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو إظهار إستحسانه، مثل ما روي عن أبي سعيد الخدري، قَالَ (خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا، ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ فَأَعَادَا أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ وَمَ لَمْ يُعِدِ الْآخَرَ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: أَصَبْتَ السُّنَّةَ وَأَجْرَاتُكَ صَلَاتُكَ وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَعَادَ: لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ)⁴ .

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 36، مكتبة الدعوة شباب الأزهر، ط8 دار القلم

² صحيح البخاري - بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، ج 1 ، ح 1 ، ص 6

³ موطأ الإمام مالك - كتاب الأفضية - القضاء في المرفق ، ج 1 ، ح 2758 ، ص 1078، مؤسسة زايد بن سلطان آل

نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات ، ط1، 2004م

⁴ المستدرک علی الصحیحین - کتاب الطهارة - كيف يفعل من احتلم وبه جراحة ، ج 1 ، ح 637 ، ص 178، وقال الحاكم

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَافِعٍ ثِقَةٌ .

المطلب الثاني: تعريف الهدى النبوي في اللغة والإصطلاح.

أولاً: تعريف الهدى في اللغة: الهدى في اللغة: الأول تقدم للإرشاد، والآخر بعثه بلطف، فالأول قولهم: هديته الطريق هداية أي تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد، تقول: هديته هدى¹. وعرفه الفيروز آبادي (815هـ): والهدى: بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد و الدلالة، والطريقة والسيرة². ثانياً: مفهوم الهدى النبوي في السنة النبوية: جاء لفظ "الهدى"، في عدة أحاديث منها:³ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ (إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ)⁴. وجاء في الحديث الثاني قوله ﷺ: (قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ، سَدَادَ السَّهْمِ)⁵، فالحديث الأول يرشد إلى أن أفضل طريقة لتحقيق الهداية ونفي الضلال هي إتباع ما جاء به محمد ﷺ من تعاليم و شرائع. والحديث الثاني: يشير إلى سؤال الهداية و السداد من الله عزوجل، (وهداية الطريق هي هداية فطرية من الله تعالى لجميع مخلوقاته يبين ويحدد لها كيفية سلوكها وتصرفها في هذا الكون، أي يبين لها الطريق التي تسير عليه، لتقوم بالدور الذي حدده لها وتحقق الغاية من أجلها، وجعل للإنسان الخيار في أن يقبل هذه الهداية أو يحد عنها)⁶.

ويتضح مما سبق ذكره أن الهدى النبوي في السنة النبوية، يتضمن عدة معان منها السيرة والهيئة والطريقة، الدلالة والرشاد والبيان، اللطف والعصمة والتوفيق، فتلك المعاني دلت عليها الأحاديث النبوية، وهي تحقيق الغاية التي خلق من أجلها الإنسان وهي العبادة بمفهومها العام، وإتباع طريق وسبيل النبي ﷺ ولأنه الطريق الأقصر والأصوب والأسلم الذي يوصل إلى الأهداف والغايات لتحقيق الهدى والهداية، ونفي الضلال والإضلال.

¹ أحمد بن زكريا، ابن فارس، مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، 201م، ص 1027

² مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيت الأفكار الدولية، عمان، ص 1796

³ ابن الأثير (606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص 255، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م

⁴ صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب في الهدى الصالح، ج 8، ح 6098، ص 25

⁵ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ج 8، ح 2725، ص 83

⁶ ابن القيم، بدائع الفوائد ج 1، ص 35-36، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

المطلب الثالث: تعريف الصحة في اللغة والإصلاح

أولاً: تعريف الصحة في اللغة: الصِّحَّة في اللغة: ذهاب السقم، والبراءة من كلِّ عيب ورَّيب يُقَال: صَحَّ يصحُّ صحَّةً¹ ، ويُقَال: مَصِحَّةٌ بِكَسْرِ الصَّادِ. وَأَرْضٌ مَصِحَّةٌ: لَا وِبَاءَ فِيهَا، وَلَا يَكْثُرُ فِيهَا الْعَلَلُ وَالْأَسْقَامُ. وَأَصَحَّ الْقَوْمُ إِذَا صَحَّتْ مَوَاشِيَهُمْ مِنَ الْجَرْبِ وَالْعَاهَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لَا يُورَدَنَّ مَرَضٌ عَلَى مَصْحٍ)² ويقال (أصح) الرجل زالَ مَا كَانَ بِهِ أَوْ بِمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ عَاهَةٍ أَوْ عَيْبٍ وَنَحْوِهِ ، وَيُقَالُ تَصَحَّحَ بِالِدَوَاءِ وَنَحْوِهِ تَدَاوَى وَاسْتَصَحَّ مِنْ عِلَّتِهِ³ .

ثانياً: تعريف الصحة في الإصطلاح: اختلف العلماء في تعريف الصحة⁴ بحسب حالة الإنسان ومعافاته البدنية و النفسية ، ف جاء التعريف الأول للصحة: وهي خلو الإنسان من الأمراض ، ثم استدرك العلماء على التعريف الأول ، وعرفوها بقولهم الصحة: هي أن يخلو الإنسان من الأمراض البدنية و النفسية. ثم لاحظ العلماء أن الشخص قد يكون صحيحاً بدنياً ونفسياً، ولكنه يعاني من إعاقة تمنعه من التمتع بالصحة الكاملة ، ف زاد العلماء على التعريف السابق للصحة بقولهم: الصحة هي أن يخلو الإنسان من الأمراض البدنية و النفسية ولا يعاني من إعاقة⁵.

وقد اعتمدت منظمة الصحة العالمية التعريف التالي للصحة، هي: (حالة تكامل الجسم من الناحية البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية وليس مجرد خلوه من الأمراض والعاهات ، والصحة المعافاة الكاملة بدنياً و نفسياً واجتماعياً وروحياً لا مجرد إنتفاء المرض أو العجز)⁶.

¹ محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ، تهذيب اللغة باب الحاء و الصاد ج 3، ص 260 ، تحقيق ، محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى، 2001م

² صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا هامة ، ج 7 ، ح 5771 ، ص 138

³ المعجم الوسيط باب الصاد ج 1، ص 507 ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة ، مصر

⁴ تقنية البيئة ، مبادئ الصحة العامة ، ص 3 ، المؤسسة العامة للتعليم الفني و التدريب المهني ، المملكة العربية السعودية

⁵ المصدر السابق، ص 03

⁶ د محمد هشام الخياط، صحة البيئة في ميزان الإسلام، ص 1، منشورات منظمة الصحة العالمية ، 2011.

وقد جاء في تعريف الصحة عند أطباء الحضارة الإسلامية، فعرفها الطيب الفقيه ابن رشد بقوله: (الصحة هي حالة في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له)¹، وعرفها ابن النفيس: (الصحة هيئة بدنية تكون الأفعال بها لذاتها سليمة، والمرض هيئة مضادة لذلك)². وقد أدرج ابن سينا في حفظ الصحة العوامل التالية: (الأهوية وما يتصل بها، والاستفراغ والاحتقان، والبلدان والمسكن، وما يتصل بها، والحركات والسكونات البدنية والنفسانية ومنها النوم واليقظة، والاستحالة في الأسنان (الأعمار)، والاختلاف فيها وفي الأجناس، والصناعات، والعادات)³. وقد أضاف إلى ذلك علي بن العباس الرياضة والدلك، والإستحمام، والجماع وقال عن هذه الأسباب: (وذلك أن هذه الأمور متى استعملت على ما يجب أن يستعمل، وعلى حسب الحاجة إليها في كل واحد من الأبدان في الكمية والكيفية والوقت والترتيب، حفظت الأمور الطبيعية على حالها، ودامت بذلك صحة البدن)⁴.

ويمكن القول: أن حفظ الصحة يعتمد على مجموعتين اثنتين: الأولى: البيئة وعناصرها، وتضم الماء، والهواء، والغذاء، والمفرغات، وعناصر تختص بكل فرد على حدة: كالمسكن والصنعة⁵. و الثانية: هي السلوك المتعلق بالصحة أو العادات، وهي أنماط الحياة المتبعة في الأكل والشرب، والنوم، واليقظة، والرياضة أو الدعة، والكريات أو المرفهات، والعزلة أو الاجتماع يقول علي بن العباس: (ينبغي أن يستعان في سائر أبواب حفظ الصحة بالنظر في العادات، إذ النظر فيها باب كبير في حفظ الصحة ومداواة الأمراض)⁶. وقد أطلق الأطباء في العصر الحديث عبارة (تعزيز الصحة) على الوسائل المتخذة لتقوية وتنمية الصحة، فمن ثقلت موازينه الصحية فهو في خير صحة وعافية، وأما من خفت موازينه الصحية فهو فريسة للأمراض والأسقام⁷.

¹ المرجع السابق، ص 3

² المرجع السابق، ص 2

³ ابن سينا أبو علي الحسين ابن علي، القانون في الطب، ج 1، ص 158، دار نوبليس - بيروت لبنان ط 01، 2006م

⁴ الدكتور محمد هيثم الخياط، الهدى الصحي، ص 04 منشورات منظمة الصحة العالمية، 2011.

⁵ المرجع السابق، صفحة 05

⁶ المصدر السابق، نفس الصفحة

⁷ المصدر السابق، نفس الصفحة

المطلب الرابع: تعريف العلم في اللغة والإصلاح.

أولاً: تعريف العلم في اللغة. كلمة العلم مشتقة من علم يعلم علماً ، نقيض جهل ، وما علمت بخبرك ، أي ما شعرت به ، وأعلمتك بكذا ، أي أشعرته وعلمته تعليماً¹. وقال ابن فارس: العلم العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره من ذلك العلامة ، نقيض الجهل ، وتعلمت الشيء: إذا أخذت علمه². وعند ابن منظور العلم: نقيض الجهل ، علم علماً ، وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته ، قال ابن بري: وتقول علم وفقه أي تعلم وتفقه³ ، فالعلم نقيض الجهل ، وبلفظ قريب هو المعرفة.

ثانياً: تعريف العلم في الإصطلاح. تعددت تعريفات العلم قديماً وحديثاً ، وسبب ذلك تطور مفهومه عند العلماء ، فعند الراغب الأصبهاني هو: (إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء ، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه)⁴. وعند الغزالي هو (معرفة الشيء على ما هو به ، وهو من صفات الله تعالى)⁵. وقد حدد الشوكاني مفهوم العلم بقوله: (هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً ، وقد استقر أغلب العلماء المتأخرين على أن العلم هو: الإدراك الجازم الثابت المطابق للواقع عن دليل)⁶. وعرفه صاحب المعجم الفلسفي بأنه: (هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً يقينياً كان ، أو غير يقيني ، وقد يطلق على التعقل ، أو على حصول صورة الشيء في الذهن ، أو على إدراك الكلي مفهومه ما كان ، حكماً أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع أو على إدراك الشيء على ما هو به ، أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها ، أو على إدراك المسائل عن دليل ، أو على الملكة الحاصلة عن إدراك تلك المسائل)⁷.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص 765-767

² ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ص 663-664

³ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 12 ، ص 417-418

⁴ الحسين بن أحمد الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تح إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ص 384

⁵ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 29 ، دار المعرفة ، بيروت .

⁶ محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول ، ج 1 ، ص 20 ، دار الكتاب العربي . ط 2 ، 2000م

⁷ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، ص 99 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982م.

وعند عزمي طه: (مجموعة من المعلومات النظرية المنظمة والمتسقة والتي تدور حول موضوع محدد ، وتم الوصول إليها عن طريق منهج ملائم في البحث وجرى التحقق من صدقها)¹.

ثالثاً- مفهوم العلم الحديث. تقتزن كلمة "علم" بالمعنى الحديث بمصطلحات أخرى تعبر عن مدلولها في العصر الحديث مثل: العقلانية²، الوضعية العلمية التجريبية³، الحتمية المادية⁴.

وقد ظهرت هذه المصطلحات في مرحلة النهضة الفكرية في أوروبا، لتعبر بذلك عن امتداد للتراث الفكري و المعرفي لتلك المرحلة. بحيث أصبح العقل البشري هو البديل و المرجع الوحيد لتفسير كل ما يحدث في المحيط والواقع الإنساني ، كما إرتبط مفهوم العلم في العصر الحديث بالمنهج التجريبي الذي يردّ كل الأشياء إلى التجربة ويخضعها للدراسة المعملية. وترجع أصول هذا المنهج إلى العلماء الأوروبيين في مطلع القرن السابع عشر⁵، وقد دخلت كلمة عالم "Scientist" إلى اللغة الإنجليزية حوالي 1840م لتمييز أولئك الذين يبحثون عن قوانين تجريبية في الطبيعة عن الفلاسفة والمفكرين⁶.

¹ عزمي طه، الفلسفة ، مدخل حديث ، ص 95 ط1، 2003م، دار المناهج ، عمان .

² العقلانية: مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه. أنظر: مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب والاحزاب ، ص 796 ، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط3 ، 1418هـ

³ الوضعية: مذهب فلسفي يرى أن المعرفة هي الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي. وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولا سيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها. فلا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة و الخبرة. أنظر: مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب والاحزاب ، ص 811 .

⁴ الحتمية: مذهب فلسفي مادي سياسي قائم على القول بأن الحوادث التاريخية حوادث العالم وبخاصة أفعال الإنسان ، مرتبطة ارتباطاً محكماً ، وأن للعالم نظاماً كلياً لا يشذ عنه شيء في الزمان ولا المكان ،. كما أنه من المحال أن اطرا الأشياء ناشتاً عن المصادفة والاتفاق. أنظر: مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الاحزاب ، ص 1043 .

⁵ بعض الباحثين الغربيين يشهدون أن العرب كانوا أسبق من الغربيين إلى ابتداء المنهج التجريبي التقليدي، وكان من رواد ذلك المنهج العلمي جابر بن حيان المتوفى عام 813م، وإخوان الصفا في القرن العاشر الميلادي والحسن بن الهيثم المتوفى عام 1029م. ولم يفت العرب الاهتمام إلى التجربة العلمية ومعرفة دورها في البحث العلمي، فلم يكتفوا بمراقبة الظاهرة وتسجيل حالتها، بل تدخلوا في سيرها ليلاحظوها في ظروف هيأوها بأنفسهم وأعدوها، وفطنوا فوق إلى أن الغرض من هذه الدراسات

التجريبية هو وضع القوانين العامة التي تفسر الظواهر تفسيراً علمياً: <https://www.academia.edu/38298010>

⁶ مفهوم العلم: <https://www.islamonline.net/iol-arabic-/dowalia/mafahem-3asp>

ويشمل معنى هذا المصطلح في استعماله العام أو التاريخي مجالات متنوعة للمعرفة، ذات مناهج مختلفة مثل الدين (علوم الوحي)، والإنسان (علوم الإنسان) ، والفلك (علم الفلك)، والنحو والصرف، والتفسير، والحديث، والمنطق والفلسفة، ... إلخ ، وبتعريف أكثر تحديدا: العلم الحديث هو منظومة من المعارف المتناسقة التي يعتمد في تحصيلها على المنهج العلمي دون سواه، أو مجموعة المفاهيم المترابطة التي نبحث عنها عبر التاريخ، ثم انفصل مفهوم العلم تدريجيا عن مفهوم الفلسفة التي تعتمد أساسا على التفكير والتأمل والتدبر في الكون والوجود عن طريق العقل، ليميز في منهجه باتخاذ الملاحظة والتجربة والقياسات الكمية والبراهين الملموسة وسيلة لدراسة الطبيعة، وصياغة فرضيات وتأسيس قوانين ونظريات لوصفها¹.

والعلم بما سبق تعريفه، يفيد أيضا معنى الإحاطة والإلمام بالحقائق وطريقة التفكير عنها والمنظومة الفكرية التي تنتج تلك الحقائق مشتملة على مجموعة الفرضيات والنظريات والقوانين والاكتشافات المبينة لحقيقتها، بل وكل ما يتصل بها، وهو ما يصطلح عليه الإجليزية بمصطلح (science) مشتقة من كلمة (scientia) اللاتينية الذي تغلب في كينونته شروط "البينة والوضوح"، ويقابله مصطلح "المعرفة" (knowledge) الذي يعنى الدراية والإدراك بالحقيقة العلمية ، وتغلب في طبيعتها نوعية طريقة تفكير أبحاث عن الحقائق أكثر من تمثيله للقوانين الثابتة².

¹ محمد الباقر حاج يعقوب ، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة ، ص 4 ، مجلة الإسلام في آسيا ، العدد الخاص الرابع

، ديسمبر 2011 ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

² المرجع السابق ، ص 5

المبحث الثاني: موقف العلماء من تقسيم الإحتجاج بالسنة النبوية. وفيه ثلاثة مطالب:

السنة النبوية هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، ومعلوم أن أقواله وأفعاله ﷺ، هي البيان والحجة في وجوب التأسى به ﷺ، وفيما يلي أتناول بالدراسة حجية السنة النبوية وتقسيمها عند العلماء.

المطلب الأول: مذاهب العلماء في تقسيم حجية السنة النبوية: إن السنة النبوية، من حيث أثرها التشريعي، وتقسيمها إلى سنة تشريعية وغير تشريعية، قضية شغلت العلماء، قديما وحديثا، وفيما يلي أبرز مذاهب العلماء في تقسيم حجية السنة النبوية، وتقسيمها:

1- الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى 276 هـ)¹: يعتبر أول من نبه إلى تنوع ما جاءت به السنة من المصنفين المتقدمين، يقول: والسنن عندنا ثلاث: **السنة الأولى:** سنة أتاه بها جبريل عليه السلام عن الله تعالى كقوله: أي قول رسول الله ﷺ (لَا تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَّتِهَا، وَلَا عَلَى خَالَئِهَا)²، و(يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)³ و (لَا تُحْرَمُ الْمَصَّةُ، وَلَا الْمَصَّتَانِ)⁴ و(الدية على العاقلة)⁵ وأشباه هذه من الأصول⁶.

¹ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المرزوي، كانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدينور مدة قاضياً فنسب إليها، وكان فاضلاً ثقة، وتصانيفه كلها مفيدة، منها " غريب القرآن الكريم " و " غريب الحديث " و " عيون الأخبار " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث وغير ذلك. وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين، وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل أول ليلة في رجب، وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال، ج 3، ص 43، أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزما المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: 1، 1971م.

² صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، ج 4، ح 1408، ص 135

³ صحيح البخاري - كتاب الشهادات - باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض، ج 3، ح 2645، ص 170

⁴ صحيح ابن حبان - كتاب الرضاع - ذكر الخبر الدال على أن الرضعة والرضعتين لا تحرمان، ج 10، ح 4225، ص 38

⁵ جامع الترمذي - أبواب الدييات عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المرأة هل ترث من دية زوجها، ج 3، ح 1435، ص 83، قال الترمذي، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

⁶ أبو محمد بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 96، ط القاهرة 1996.

والسنة الثانية: سنة أباح الله له أن يسنها، وأمره باستعمال رأيه فيها ، فله أن يتّرخص فيها لمن شاء على حسب العلة والعدر، كتحرّمه الحرير على الرجال ، وإذنه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فيه ، لعله كانت به. وكقوله في مكة: (لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا ، وَلَا يُعْضَدُ شَجْرُهَا ، وَلَا يُنْقَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُعَرَّفٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: إِلَّا الْإِذْخَرَ لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ: إِلَّا الْإِذْخَرَ)¹ ، ولو كان الله تعالى حرم جميع شجرها ، لم يكن يتابع العباس على ما أراد ، من إطلاق الإذخر، ولكن الله تعالى جعل له أن يطلق من ذلك ، ما رآه صلاحا فأطلق الإذخر لمنافعهم. وقال رضي الله عنه في العمرة: (وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لِأَهْلِكَ بِعُمْرَةٍ)² .

والسنة الثالثة: ماسنه لنا تأديبا، فإن نحن فعلناه ، كانت الفضيلة هي ذلك ، وإن نحن تركناه ، فلا جناح علينا إن شاء الله، كأمره في العمامة بالتلحي، وكنهيه عن لحوم الجلالة، وكسب الحمام. ونهى عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، وعن زيارة القبور، وعن النيذ في الظروف. ثم قال (أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي فِيهِنَّ : نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمَعُ الْعَيْنَ وَتَذَكَّرُ الْآخِرَةَ فَرُوزُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنَّ النَّاسَ يُتْحِمُونَ ضَيْفَهُمْ وَيُحَبِّتُونَ لِعَائِبِهِمْ فَأَمْسِكُوا مَا شِئْتُمْ ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيدِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فَاشْرَبُوا بِمَا شِئْتُمْ وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا ، فَمَنْ شَاءَ أَوْكَى سِقَاءَهُ عَلَى إِثْمٍ)³ . قال أبو محمد بن قتيبة: (فهذه الأشياء تدلك على أن الله عز وجل ، أطلق له رضي الله عنه أن يحظر وأن يطلق بعد أن حظر ، لمن شاء ولو كان ذلك لا يجوز له في الأمور ، لتوقف عنها رضي الله عنه)⁴ .

¹ صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الإذخر والحشيش في القبر ، ج 2 ، ح 1349 ، ص 92

ومعنى (لا يختلى خلاها) لا يُخْتَلَى خَلَاهَا الْخَلَا مَقْصُورٌ : النَّبَاتُ الرَّطْبُ الرَّيِّقُ مَا دَامَ رَطْبًا ، وَاخْتِلَاؤُهُ : قَطْعُهُ ، النَّهْيُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الْحَاءِ - ج 2 ، ص 64 . ومعنى (لا يعضد شجرها) يُعْضَدُ شَجْرُهَا أَي : يُقَطَعُ ، النَّهْيُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الْعَيْنِ ج 3 ، ص 251 ، ومعنى (لَا تُنْتَقَطُ لُقَطَتُهَا) وَهِيَ بِضَمِّ اللَّامِ وَفَتْحِ الْقَافِ : اسْمُ الْمَالِ الْمَلْفُوطِ . أَي الْمَوْجُودِ ، النَّهْيُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ اللَّامِ - ج 4 ، ص 264 ، الْإِذْخَرُ بِكَسْرِ الْمُعْرَةِ : حَشِيشَةٌ طَيِّبَةٌ الرَّاحِحَةِ تُسَقَّفُ بِهَا الْبُبُوثُ فَوْقَ الْحَشَبِ ، النَّهْيُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الْمُعْرَةِ - ج 1 ، ص 33

² محمد بن حبان البستي ، صحيح ابن حبان، كتاب الحج، باب ما جاء في حج النبي رضي الله عنه واعتماره، ذكر وصف حجة المصطفى رضي الله عنه ج 9 ، ح 3943 ، ص 250 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 2 ، 1993 م

³ أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، ج 6 ، ح 13691 ، ص 2855 ، جمعية المكنز الإسلامي ، دار المنهاج ط 1 ، 2010 م أخرجه الألباني في صحيح الجامع (4584)

⁴ تأويل مختلف الحديث، ص 196-198

2- الإمام شهاب الدين القرافي (المتوفى: 684هـ)¹: يعرض الإمام القرافي لأقوال وتصرفات النبي ﷺ واختلاف وجهاتها ، ما بين الإمامة والقضاء والفتوى والتبليغ عن الله تعالى، وأثر ذلك في عموم الحكم أو خصوصه، وإطلاقه أو تقييده ، فيفصل في ذلك بقوله: (اعلم أن رسول الله ﷺ وهو الإمام الأعظم ، والقاضي الأحكم ، والمفتي الأعلم ، فهو ﷺ إمام الأئمة ، وقاضي القضاة ، وعالم العلماء ، فجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى إليه في رسالته ، وهو أعظم من تولى منصباً منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة. فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبة ، غير أن غالب تصرفه ﷺ بالتبليغ ، لأن وصف الرسالة غالب عليه ، ثم تقع تصرفاته ﷺ منها ما يكون بالتبليغ و الفتوى إجماعاً ، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء . ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة، ومنها ما يختلف العلماء فيه ، لتردده بين رتبتين فصاعداً، فمنهم من يغلب عليه رتبة، ومنهم من يغلب عليه أخرى. ثم تصرفاته ﷺ بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة فكل ما قاله ﷺ أو فعله على سبيل التبليغ ، كان ذلك حكماً عاماً على الثقلين إلى يوم القيامة ، فإن كان مأموراً به أقدم عليه كل أحد بنفسه، وكذلك المباح . وإن كان منهيًا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه. وكل ما تصرف فيه عليه السلام بوصف الإمامة ، لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام ، اقتداءً به عليه السلام ، ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك. وما تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم، اقتداءً به ﷺ ، ولأن السبب الذي لأجله تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء يقتضي ذلك. وهذه الفروق بين هذه القواعد الثلاث، ويتحقق ذلك بأربع مسائل. وهذه الفروق يتخرج ما يرد عليك من هذا الباب من تصرفاته ﷺ فتأمل ذلك فهو من الأصول الشرعية)² ، فالإمام القرافي قسم تصرفات الرسول ﷺ إلى أربعة أنواع: تصرفات بالرسالة، وأخرى بالفتيا ، وثالثة بالحكم – القضاء –، ورابعة الإمامة.

¹ هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي، نسبتة إلى صنهاجة من برابرة المغرب إلى القرافة (الحلة المجاورة لقبور الإمام الشافعي) بالقاهرة من علماء المالكية . وهو مصري المولد والنشأة والوفاء . له مصنفات جليلة في الفقه والأصول . توفي عام 684 الزركلي الأعلام: (94/1-95)

² أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ) ، الفروق = أنوار البروق في أنواع الفروق ، ج 1 ، ص 209 ، دار عالم الكتب ، بدون طبعة وبدون تاريخ

فتصرف الرسول بالرسالة والفتيا هو تبليغ عن الله عز وجل، وهو في التبليغ بالرسالة (ناقل عن الحق للخلق ، وفي تصرفه تبليغاً بالفتيا مخبر عن الله تعالى بما يجد في الأدلة أنه حكم الله عز وجل. وكلا تصرفيه بالرسالة والفتيا شرع يتقرر على الخلاق إلى يوم الدين، إذ ليس لرسول الله ﷺ في هذا الشأن إلا التبليغ عن ربه الذي هو أصل وظيفته كرسول، فلم ينشئ هنا حكماً برأيه مرتباً على مصلحة معينة، وإنما بلغ ما أوحى إليه أو ما تبين بيقين أنه حكم الله تعالى في أمر ما، ومن أمثلة ذلك الصلاة والزكاة وأنواع العبادات، وكون الملك يترتب على العقود من بيع وهبة وأمثالها)¹.

(أما تصرفه ﷺ بالحكم أو القضاء فهو مغاير لهذين التصرفين بالفتيا أو الرسالة . وهو قاصر على محل وروده، لترتبه على ما ظهر له من البيئات التي نص ﷺ على أنه يقضي بها في الحديث الذي أشرنا إليه سابقاً، وهو صريح أن القضاء يتبع البيئات. ورسول الله ﷺ هنا ينشئ الحكم على المتخاصمين وان كان متبعاً لأمر الله في إنشاء الأحكام وترتيبها بناء على ما يظهر له من الحجج والأسباب)².

(أما تصرفه بالإمامة فهو تصرفه ﷺ في شؤون السياسة العامة للدولة بما تقتضيه المصلحة بعد أن فوضت إليه ومن هذا النوع قسمة الغنائم، وتجهيز الجيش، وتوزيع الاقطاعات من الأراضي والمعادن ، وعقد المعاهدات ، وتعيين الولاة في الأمصار والبلدان البعيدة عن مقر حكمه ، وما إلى ذلك من الأمور³. وهذان النوعان من تصرفاته ﷺ ، أو من سنته ، لا يجوز لأحد أن ينشئ الأحكام بناء عليها إلا أن يكون قاضياً في مثل المقام الذي قضى فيه رسول الله ﷺ ، أو حاكماً على رأس دولته أو جماعته فُوضت إليه مصالحها وشئونها ، وليس ما فعله رسول الله ﷺ في هذين القسمين ملزماً لكل قاض أو حاكم يتبعه ، ويقتضي به في المبدأ الأصلي ، وهو بناء الأحكام في القضاء على البيئات والأسباب ، وبناء التصرفات السياسية على ما يحقق مصالح الأمة ومنافعها، وذلك معنى قوله تعالى (واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف: 158))⁴.

¹ محمد مصطفى شلبي، " الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية " ، نشرته جامعة الاسكندرية 1960 م ، ص 130 – 131.

² المصدر السابق، نفس الصفحة.

³ المصدر السابق، نفس الصفحة.

⁴ د. محمد سليم العوا ، السنة التشريعية وغير التشريعية، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي، ص ، 49، سنة 1974

3- الإمام ابن القيم¹: نَحَجُ ابْنَ الْقِيَمِ نَحْجَ الْقِرَانِيِّ فَيَقُولُ: (وَمَأْخَذُ النَّزَاعِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ هُوَ الْإِمَامَ وَالْحَاكِمَ وَالْمُقْتَدِرَ وَهُوَ الرَّسُولُ، فَقَدْ يَقُولُ الْحُكْمَ بِمَنْصِبِ الرَّسَالَةِ فَيَكُونُ شَرْعًا عَامًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَقَوْلِهِ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)² وَقَوْلِهِ: (مَنْ زَرَعَ فِي أَرْضٍ قَوْمٍ بَعِيرٍ إِذْهُمْ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الزَّرْعِ شَيْءٌ، وَلَهُ نَفَقَتُهُ)³ ، وَكُحْكُمِهِ بِالشَّاهِدِ وَالْيَمِينِ وَبِالشُّفْعَةِ فِيمَا لَمْ يُثَسِّمِ)⁴ .

وَقَدْ يَقُولُ بِمَنْصِبِ الْمُتَوَى، كَقَوْلِهِ ﷺ لَهْدِ بِنْتِ عَتَبَةَ امْرَأَةِ أَبِي سَفْيَانَ، وَقَدْ شَكَتَ إِلَيْهِ شَحَّ زَوْجِهَا، وَأَنَّهُ لَا يُعْطِيهَا مَا يَكْفِيهَا: (خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدِكَ بِالْمَعْرُوفِ)⁵ ، فَهَذِهِ فُتْيَا لِأَحْكَمٍ، إِذْ لَمْ يَدْعُ أَبَا سَفْيَانَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنِ جَوَابِ الدَّعْوَى، وَلَا سَأَلَهَا الْبَيِّنَةَ⁶. وَقَدْ يَقُولُهُ بِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ، فَيَكُونُ مَصْلَحَةً لِلْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَذَلِكَ الْمَكَانِ، وَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَيَلْزَمُ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ مُرَاعَاةَ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي رَاعَاهَا النَّبِيُّ ﷺ زَمَانًا وَمَكَانًا وَحَالًا، وَمِنْ هَاهُنَا تَخْتَلِفُ الْأَئِمَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي فِيهَا أَثَرٌ عَنْهُ ﷺ كَقَوْلِهِ ﷺ (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ) (هَلْ قَالَهُ بِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ، فَيَكُونُ حُكْمُهُ مُتَعَلِّقًا بِالْأَئِمَّةِ، أَوْ بِمَنْصِبِ الرَّسَالَةِ وَالتَّبَوُّةِ فَيَكُونُ شَرْعًا عَامًّا)⁷.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ)⁸ هَلْ هُوَ شَرْعٌ عَامٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ، أَدْنَى فِيهِ الْإِمَامُ أَوْ لَمْ يَأْذَنْ، أَوْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَئِمَّةِ، فَلَا يُمْلِكُ بِالْأَحْيَاءِ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ، فَالْأَوَّلُ لِلشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِهِمَا وَالثَّانِي: لِأَبِي حَنِيفَةَ، وَفَرَّقَ مَالِكُ بَيْنَ الْفَلَوَاتِ الْوَأَسِعَةِ، وَمَا لَا يَتَشَاخُ فِيهِ النَّاسُ، وَبَيَّنَّ مَا يَقَعُ فِيهِ التَّشَاخُ، فَاعْتَبِرَ إِذْنُ الْإِمَامِ فِي الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ⁹.

¹ ابن القيم الجوزية،: محمد بن أبي بكر الدمشقي ، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء . مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذب كتبه ونشر علمه . له تصانيف كثيرة . توفي عام 751هـ . الزركلي: الأعلام (6/56)

² أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب باب إذا اصطلحوا على صلح جور ح 2697 ص 184

³ أخرجه أحمد في مسنده ح 17269 ص 507 من حديث رافع من خديج ، قال ابن الأثير : حديث حسن ، جامع الأصول من أحاديث الرسول ، ح 7714 ، ج 10، ص 204

⁴ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (428/3) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط . ط14 . بيروت الكويت :مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية 1986م

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب باب القضاء على الغائب ح 7180 ص 71

⁶ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (428/3) .

⁷ المصدر السابق ، نفس الصفحة

⁸ سنن أبي داود ، باب في إحياء الموات ح 3074 ص 178 ، صحيح ، جامع الأصول ، ح 133 ، ج 1 ، ، ص 350

⁹ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (428/3) .

4- تقسيم شاه ولي الله الدهلوي¹ (المتوفى 1176هـ): تعرض الدهلوي لهذا الموضوع في كتابه (حجة الله البالغة) فقسم ما روي عن النبي ﷺ ودون في (كتب الحديث) على قسمين²: أولهما: ما سبيله تبليغ الرسالة: ومنه علوم المعاد، وعجائب الملكوت، وهذا كله مستند إلى الوحي. ومنه شرائع وضبط للعبادات والارتفاقات بوجوه الضبط المذكور فيما سبق، وهذه بعضها مستند إلى الوحي، وبعضها مستند إلى الاجتهاد واجتهاده بمنزلة الوحي، لأن الله تعالى عصمه من أن يتقرر على خطأ، وليس يجب أن يكون اجتهاده استنباطا من النصوص كما يظن، بل أكثرها أن يكون علمها الله تعالى مقاصد الشرع وقانون التشريع والتيسير والأحكام، فبين المقاصد المتلقاة بالوحي بذلك القانون. ومنه حكم مرسله، ومصالح مطلقة، لم يوقتها، ولم يبين حدودها، كبيان الأخلاق الصالحة وأضدادها ومستندها غالبًا الاجتهاد، بمعنى أن الله تعالى علمه قوانين الارتفاقات فاستنبط منها حكمه وجعل فيها كلية ومنه فضائل الأعمال ومناقب العمال، وأرى أن بعضها مستند إلى الوحي وبعضها إلى الاجتهاد، وقد سبق بيان تلك القوانين وهذا القسم هو الذي نقصد شرحه وبيان معانيه³.

وثانيهما: ما ليس من باب تبليغ الرسالة، وفيه قوله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)⁴، وقوله ﷺ في قصة تأبير النخل: (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِدُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)⁵ فمنه: الطب⁶.

¹ الدهلوي، هو: أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله. فقيه حنفي من المحدثين من أهل دهلي في الهند. زار الحجاز 1143هـ - 1145 له تصانيف كثيرة. توفي عام 1176 هـ

² الدهلوي، أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم: حجة الله البالغة (1/240-241) بيروت: دار الكتب العلمية. 2001م

³ المصدر السابق، نفس الصفحة.

⁴ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ج 7، ح 2362، ص 95

⁵ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ج 7، ح 2361، ص 95

⁶ يرى الإمام الدهلوي أن الوصفات الطبية المأثورة ليست من باب تبليغ الرسالة، لأن مستندها التجربة، أي إنها ليست من السنة التشريعية، أنظر: حجة الله البالغة (1/241)

ومنه: باب قوله ﷺ (خَيْرُ الْحَيْلِ الْأَدْهَمُ، الْأَفْرَحُ)¹ ومستنده التجربة²
 ومنه ما فعله النبي ﷺ على سبيل العادة دون العبادة، وبحسب الاتفاق دون القصد³.
 ومنه: ما ذكره كما كان يذكر قومه، كحديث أم زرع⁴، وقول زيد بن ثابت، حيث دخل عليه نفر،
 فقالوا: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: (كُنْتُ جَارَهُ ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ أَرْسَلَ إِلَيَّ فَكَتَبْتُ الْوَحْيَ ،
 وَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الْأَخِرَةَ ذَكَرَهَا مَعَنَا ، وَإِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا ، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا ،
 فَكُلُّ هَذَا أَحَدْتُكُمْ عَنْهُ)⁵.
 ومنه: ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ، وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة ، وذلك مثل ما يأمر
 به الخليفة من تعبئة الجيوش، وتعيين الشعار⁶ ، وهو قول عمر رضي الله عنه : (مَا لَنَا وَلِلرَّمْلِ إِنَّمَا رَأَيْنَا
 بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : شَيْءٌ صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرَكَهُ ثُمَّ رَمَلِ)⁷ ،
 ثم خشي أن يكون له سبب آخر .. وقد حمل كثير من الأحكام عليه كقوله ﷺ (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا
 لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ)⁸.
 ومنه: حكم وقضاء خاص ، وهو قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه : (الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ)⁹¹⁰.

¹ أخرجه أحمد في مسنده عن أبي قتادة ح 22561 ص 253 ، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح ، أنظر: جامع الترمذي ، ح 1697 ، ج 3 ، ص 317

² ونحوه حديث " خير ما اكتحلتم به الإثم فإنه يجلو البصر" أخرجه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رقم 2049

³ مثل فعله ﷺ، فقد كان يلبس ما تيسر له دون تكلف، كما ذكر ابن القيم في هديه في اللباس، زاد المعاد ج 3 ، ص 402-403

⁴ هي من الأزواج الإحدى عشرة اجتمعن في الجاهلية، فتعاهدن لتخبرن كل امرأة بما في زوجها، والرواية في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، ج 7 ، ص 5189 ، ص 27

⁵ سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير للطبراني ، باب الزاي ، من اسمه زيد، زيد بن ثابت الأنصاري ، ج 5 ، ص 4888 ص 140 . وإسناده حسن (17/9) ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة

⁶ هو علامة تمييز و تعيين بين المقاتلين، ليعرف بما الموافق من المخالف ، أنظر: النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الشَّيْنِ -

بابُ الشَّيْنِ مَعَ الْعَيْنِ - شَعْرٌ ، ج 2 ، ص 479

⁷ أخرجه البخاري في صحيحه ، ج 2 ، رقم 1597 ، ص 149.

⁸ أخرجه البخاري في صحيحه باب من لم يخمس الأسلاب ج 4 ، ح 3142 ص 92

⁹ مسند أحمد بن حنبل - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه

، ج 1 ، ح 638 ، ص 194 ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1904

¹⁰ الدهلوي، أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم : حجة الله البالغة (1/240-241) بيروت: دار الكتب العلمية. 2001

5- الشيخ محمد رشيد رضا¹: لقد عدَّ الشيخ رضا من السنة غير التشريعية ما كان من أمور العادات كأكل الزيت والادهان به، وأكل البلح بالتمر، وما كان من الصناعات والزراعة والعلوم والفنون المبنية على التجارب والبحث كتلقيح النخل، واختياره مكان النُّزول يوم بدر، وصبغ الشيب بالسواد، ومكان وقوفه في عرفات والمزدلفة، وقال الشيخ رضا في تفسيره المنار، (ولا يدخل في اتباعه فيما كان من أمور العادات، كحديث: (كُلُوا الزَّيْتِ ، وَادَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ طَيِّبٌ مُّبَارَكٌ)²،..... إلخ ، فإن هذا من أمور العادات التي لا قرينة فيها ولا حقوق تقتضي التشريع، بخلاف حديث (كلوا لحوم الأضاحي وادخروا)³ ، فإن الأضاحي من النسك ، والأكل منها سنة فأمر المضحي به للندب وادخارها جائز له ، ولولا الأمر به لظن تحريمه أو كراهته ، لعلاقة الأضاحي بالعيد)⁴ .

(وقد ظن بعض الصحابة رضي الله عنهم أن إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأمور الدنيوية المبنية على التجارب للتشريع ، كتلقيح النخل فامتنعوا عنه فأشاص (خرج ثمره شيصا) أي رديئا ويابسا فراجعوه في ذلك ، فأخبرهم أنه قال ما قال عن ظن ورأي لا عن تشريع ، وقال لهم: (أنتم أعلم بأمور دنياكم⁵)).

(والحديث السابق معروف في صحيح مسلم ، وحكمته تنبيه الناس إلى أن مثل هذه الأمور الدنيوية والمعاشية كالزراعة والصناعة لا يتعلق بها لذاتها تشريع خاص ، بل هي متروكة إلى معارف الناس وتجاربه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين لأولئك الحق فيما اشتبهوا فيه ، ومن ذا يبين ذلك من بعده ، والجامدون من مقلدة الفقه المتشددين في إلزام الأمة التدين باجتهاد الفقهاء لا يشعرون بهذه العقابة السوءى ، ولا يبالون إذا أشعرهم المصلحون)⁶.

¹ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. وهو من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون) من أعمال طرابلس الشام (ثم رحل إلى مصر فلزم الشيخ محمد عبده، ثم رحل إلى الهند وأوروبا وعاد واستقر في مصر وتوفي فيها عام 1935م الزركلي الأعلام (6/126)

² المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، تفسیر سورة النور ، کلاوا الزيت وادهنوا به ، ج 2 ، ح 3526 ، ص 398 ، وصححه ووافقه الذهبي ، أنظر: ابن الأثير ، جامع الأصول ، ح 5568 ، ج 7 ، ص 473 .

³ مسند أحمد بن حنبل ، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ج 5 ، ح 11625 ، ص 2397 ، أنظر: الألباني (1420هـ) ، السلسلة الصحيحة ، ح 3564 ، ج 5 ، ص 1525 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط 1 ، 2002

⁴ رشيد رضا :تفسير المنار (3/909)

⁵ سبق تخریجه ، ص 22

⁶ رشيد رضا :تفسير المنار (3/909) وما بعدها

ثم قال السيد رشيد رحمه الله: (مثال ما شدد به بعضهم من ذلك صبغ الشيب بالسواد ، وهو من الأمور العادية المتعلقة بالزينة المباحة ، إذ لا تعبد فيه ولا حقوق لله ولا للناس ، إلا ما قد يعرض فيه وفي مثله كالزني ، من كون فعله أو تركه صار خاصا بالكفار ، وفعله بعض المسلمين تشبها بهم ، أو صار بفعله له مشابها لهم بحيث يعد منهم، وفي ذلك ضرر معنوي وسياسي معروف عند الباحثين في سنن الاجتماع ، من كون المتشبه يقوم تقوى عظمتهم في نفسه ، من حيث تضعف فيها رابطته بقومه وأهل ملته ،وقد ورد في صبغ الشيب أخبار وآثار يدل بعضها على استحبابه عادة لا عبادة ولو بالسواد، وفهم بعض العلماء منها استحبابه شرعا ،وفهم آخرون من بعض كراهته بالسواد، بل قال المتشددون منهم بتحريمه ،فصار المقلدون لهم ينكرون على فاعله، ويعدون عاصيا لله تعالى، فخالفوا هدي السلف في المسألة، وفي القاعدة العامة وهي عدم الإنكار في المسائل الاجتهادية التي وقع فيها الخلاف)¹.

وبعد أن بسط السيد رشيد رضا الكلام في مسألة صبغ الشيب بالسواد قال: (وقد سبق لنا تفصيل لهذه المسألة وأمثالها كسنن الفطرة في فتاوى المنار، وفي الأصول أن أفعاله ﷺ لا تدل من حيث هي على وجوب ولا نذب شرعي، وإنما تدل على الإباحة ؛لأنه لا يفعل الحرام، وعدم فعله لعادة من عادات الناس أولى بالأدلة يدل على حرمتها ولا كراهتها دينا ،وقد صح أنه نبه الأمة إلى أن بعض أعماله في بعض العبادات لم يقصد بها التشريع كموقفه في عرفات والمزدلفة ،لئلا يلتزمونها تدينا فيكونوا قد شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ، على أن من توخى إتباعه عليه ﷺ في العادات حبا فيه ،وتذكر حياته الشريفة ،بدون أن يعتقد أن ذلك من الدين ،أو يوهم الناس ذلك،أو يتحمل ضررا لا يباح التعرض له شرعا ،ومن غير أن يكون سبب شهرة مذمومة شرعا، فجدير بأن يكون إتباعه هذا مزيد كمال في إيمانه، من حيث إنه بتحري ذلك يزيد تذكره للنبي ﷺ وحبه له وقد انفرد من الصحابة ابن عمر رضي الله عنهما بتتبع أعماله في سفره، ولا سيما سفر حجة الوداع وتحري أتباعه في ذلك كله، ولم يكن سائر الصحابة يفعلون ذلك، لئلا يعده الناس تشريعا)².

ويلاحظ في كلام الشيخ رضا أن التشريع عنده : ما يتعلق به حق لله أو لخلقه ، والذي فيه جلب منفعة أو دفع مفسدة، وما ليس كذلك فهو ليس بتشريع.

¹ المصدر السابق (ج 9 ص 317)

² المصدر السابق ، نفس الصفحة

6- تقسيم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق (ت1393هـ)¹. أول من عبّر عن هذا الموضوع بهذا المصطلح الصريح وهو: تقسيم السنة إلى ما كان للتشريع، وما ليس للتشريع، الشيخ محمود شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة. أما المضمون فقد تحدث عنه كثير من أعلام الأمة قديماً وحديثاً²، فقد عدّ الشيخ شلتوت من السنة غير التشريعية ما يأتي فيقول: (ينبغي أن يلاحظ أن كل ما ورد عن النبي ﷺ ودون في كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته على أقسام: أحدها: ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور، والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية، والشفاعة، والمساومة في البيع والشراء. ثانيها: ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذي ورد في شؤون الزراعة والطب، وطول اللباس وقصره. ثالثها: ما سبيله سبيل التدبير الإنساني أحياناً من الظروف الخاصة، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة، والكمون والكرّ والفَرّ، واختيار أماكن النزول، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة) ثم قال الشيخ شلتوت: (كل ما نُقِلَ من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس مسلك الرسول ﷺ فيها تشريعاً، ولا مصدر تشريع)³.

¹ محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري، ولد في منية بني منصور في البحيرة، وتخرج في الأزهر عام 1918م، وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. سعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة ثم أعيد إلى الأزهر، وكان وكيلاً لكلية الشريعة ومن أعضاء مجمع اللغة العربية، ثم شيخاً للأزهر عام 1958م، وحتى وفاته عام 1963م، كان خطيباً موهوباً وله 26 مؤلفاً مطبوعاً. أنظر: الزركلي: الأعلام (173/7)

² منتصر نافذ محمد حميدان، السنة بين التشريع ومنهجية التشريع، ص45، ماجستير 2006، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

³ شلتوت، محمود: الإسلام عقيدة وشريعة. (ص499-501) الطبعة السابعة عشرة. القاهرة: دار الشروق. 1997م

7- الشيخ الطاهر بن عاشور¹: تناول الموضوع في كتابه (مقاصد الشريعة) ، فيقول: (ولرسول عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة صالحة لأن تكون مصادر أقوال وأفعال منه فالناظر في مقاصد الشريعة بحاجة إلى تعيين الصفة التي عنها صدر منه قول أو فعل، وأول من اهتدى إلى النظر في هذا التمييز والتعيين العلامة شهاب الدين احمد بن إدريس القراني في كتابه: (أنوار البروق في أنواء الفروق)² .

ثم يعقب على ذلك بقوله: (إن لرسول الله عليه الصلاة والسلام صفات وأحوالا تكون باعثا على أقوال وأفعال تصدر عنه ، فحري بنا أن نفتح لها مشكاة تضيء في مشكلات كثيرة لم تزل تعنت الخلق ، وتشجي الخلق ، وقد كان الصحابة يفرقون بين ما كان من أوامر الرسول صادرا في مقام التشريع ، وما كان صادرا في غير مقام التشريع وإذا أشكل عليهم أمر سألوا عنه، ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُعَيْثٌ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى حَجِيَّتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (يَا عَبَّاسُ ، أَلَا تَعَجَبُ مِنْ حُبِّ مُعَيْثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بَعْضِ بَرِيرَةَ مُعَيْثًا ؟) ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (لَوْ رَاجَعْتِهِ . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ : إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ ، قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ)³ . ولم يُتْرَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا المسلمون)⁴ .

ثم يمضي سماحته قائلا: (على أن علماء أصول الفقه قد تعرضوا في مسائل السنة النبوية إلى ما كان من أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم جليبا أنه لا يدخل في التشريع، ثم يقول في تقسيم ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقد عرض لي الآن أن أعد من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثني عشر حالا منها ما وقع في كلام القراني ومنها ما لم يذكره وهي: التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشار، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد)⁵ .

¹ محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس . ومولده ونشأته ودراسته ووفاته فيها . عين عام 1932م شيخًا للإسلام مالكيًا . وله مصنفات عديدة . توفي عام 1973 الزركلي : الأعلام (6/174)

² انظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : مقاصد الشريعة الإسلامية (ص 96- 136 بتصرف) تحقيق الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة . طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / دولة قطر 2004م

³ صحيح البخاري - كتاب الطلاق - باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة ، ج 7 ، ح 5080 ، ص 48

⁴ انظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : مقاصد الشريعة الإسلامية (ص 96- 136 بتصرف).

⁵ المصدر السابق ، نفس الصفحة

ثم يمضي سماحة الشيخ قائلا: (وقد تقرّر في أصول الفقه، أنّ ما كان جبلياً من أفعال رسول الله ﷺ لا يكون موضوعاً لمطالبة الأمة بفعل مثله، وهذا كصفات الطعام واللباس والاضطجاع والمشى والركوب ونحو ذلك، وكذلك ما يروى: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحْصَبِ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ)¹، وفي البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (لَيْسَ التَّخْصِيبُ بِشَيْءٍ إِتْمَا هُوَ مَنْزِلٌ نَزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)²، وكذلك ما روي عن مالك: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ الْحَوَائِطِ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ وَيُلْقِحُونَهَا، فَقَالَ: مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَفْعَلُوا قَالَ: فَتَرَكَ النَّاسَ الْإِبَارَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمْ تَطْعَمِ النَّخْلَ، فَشَكُوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِتْمَا أَنَا بَشَرٌ، فَاعْمَلُوا بِمَا يُصْلِحُكُمْ)³. وقد روي هذا الحديث بألفاظ يقرب بعضها من بعض منها: أنه قال: (مَا أَظُنُّ هَذَا يُعْنِي شَيْئاً وَلَوْ تَرَكَوهُ لَصَلَحَ، أَوْ لَا لِقَاحَ، أَوْ مَا أَرَى اللَّقَاحَ شَيْئاً فَتَرَكَوهُ فَشَيْصَ فَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (مَا أَنَا بِزَارِعٍ وَلَا صَاحِبِ نَخْلٍ، لَقُحُوا)⁴، أو قال: (إِتْمَا ظَنَنْتُ ظَنّاً، وَالظَّنُّ يَخْطِئُ وَيُصِيبُ أَوْ لَا تَوَاحِدُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئاً فَخُذُوهُ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ)⁵. ثم يحتتم رحمه الله بالقول: (وبعد فلا بد للفقهاء من استقراء الأحوال وتوسم القرائن الحافّة بالتصرّفات النبوية، فمن قرائن التشريع: الاهتمام بإبلاغ النبي ﷺ إلى العامة والحرص على العمل به والإعلام بالحكم وإبرازه في صورة القضايا الكلية مثل قول رسول الله ﷺ: (ألا لا وصية لوارث)⁶، ومن علامات عدم قصد التشريع عدم الحرص على تنفيذ الفعل⁷، مثل قول النبي ﷺ في مرض الوفاة،

¹ صحيح البخاري - كتاب الحج - باب طواف الوداع، ج 2، ح 1756، ص 179

² صحيح البخاري - كتاب الحج - باب المحصب، ج 2، ح 1766، ص 181

³ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ح 2360، ج 7، ص 95

⁴ تَلْفِيحُ النَّخْلِ : وَضَعُ طَلْعِ الدَّكْرِ فِي طَلْعِ الْأُنْثَى أَوَّلَ مَا يَنْشَقُّ ، النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَنْثَرُ ، ج 4، ص 262

⁵ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ح 2360، ج 7، ص 95

⁶ أخرجه الترمذي في سننه باب لا وصية لوارث ح 2714 ص 906، قال الترمذي: وهو حديث حسن

⁷ انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية (ص 96-136-بتصرف).

فيما روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (لَمَّا حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرُّوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّعْوُ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُومُوا. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: (إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَلَعْنَتِهِمْ)¹).

8-الدكتور عبد المنعم النمر³: إعتد في بحثه (السنة والتشريع) على ما كتبه القراني والدهلوي وشلتوت، ولكنه بالغ في دعواه حتى كاد يخرج قضايا المعاملات والأحوال المدنية كلها من دائرة السنة التشريعية، فيقول خاصة فيما جاء عنه في المعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم: (فما دام الرسول كان يجتهد ، وما دام هذا الاجتهاد قد شمل الكثير من أنواع المعاملات، أفلا يجوز لمن يأتي بعده أن يدلي في الموضوع باجتهاده أيضا هادفاً إلى تحقيق المصلحة ، ولو أدى اجتهاده إلى غير ما قرره الرسول باجتهاده)⁴ ، ويقول أيضا: (لكن هناك أحاديث كثيرة بمعاملات الناس في الحياة من بيع وشراء ورهن وإجارة وقراض ولقطة وسلم.. هل هذه الأمور تأخذ حكم الأولى في أنها موحى بها من الله... سواء كان الوحي مباشرا، أو سكوتيا أو إقرارا ، أو لها وصف آخر)⁵. ولقد إنتهى به هذا الإلتجاه: (إلى أن حرم برأيه هذا بيع السلم)⁶ ، إذ يقول عن السلم: (وهو بيع معدوم موصوف في الذمة ، ويسير عليه كثير من الناس في الأرياف ، مستغلين حاجات الزراع استغلالا سيئا ، مما يجعلنا نميل إلى تحريمه)⁷ ، وكان أولى بالشيخ أن يقتصر على تحريم الظلم والاستغلال ، ولا يتعدى ذلك إلى تحريم أصل التعامل الثابت بالسنة والإجماع .

¹ صحيح البخاري - كتاب المرضى - باب قول المريض قوموا عني ، ح 5669 ، ج 7 ، ص 120

² انظر :ابن عاشور، محمد الطاهر :مقاصد الشريعة الإسلامية(ص 96-136 بتصرف).

³ عبد المنعم النمر من مواليد سنة 1913م بمصر. تخرج في كلية أصول الدين سنة 1939 ثم حصل علي العالمية وعين مدرسا بكلية اللغة العربية وحصل علي الدكتوراه عام 1972م. عين وزيرا للأوقاف سنة 1979م. توفي عام 1991م.

⁴ أنظر السنة و التشريع، الدكتور عبد المنعم النمر ص 42-43، دار الكتب الإسلامية والكتاب المصري والكتاب اللبناني

⁵ المصدر السابق ، نفس الصفحة

⁶ د. يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، ص 18.

⁷ أنظر السنة و التشريع، الدكتور عبد المنعم النمر ص 42-43.

المطلب الثاني: ما صدر عن النبي ﷺ بوصفه نبيا ورسولا: إن من المتفق عليه عند جمهور علماء المسلمين أن السنة النبوية-سواء كانت أقوالا أم أفعالا أم قرارات-هي للتشريع، ومطلوب فيها الإلتباع للنبي ﷺ الذي جعل الله الهداية في إتباعه قال تعالى: (واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف:158) فالاحتجاج بالسنة الواردة عن النبي ﷺ واعتبارها أحد أصول الشريعة الإسلامية الدالة على الأحكام الشرعية، هو دأب المسلمين قديماً وحديثاً، والذين يعرضون عن اتخاذها كذلك، ولا يعتبرونها عليهم حجة، قوم زائغون منحرفون عن الحق، قال الإمام الشوكاني: (وَالْحَاصِلُ أَنَّ ثُبُوتَ حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ وَاسْتِعْلَاهَا بِتَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ ضَرُورَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا يُخَالِفُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ)¹ ، وقد قرر علماء المسلمين أن المصدر الأساسي للشريعة الإسلامية هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن السنة النبوية وحي من عند الله، لقوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: 43) ، وأن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله لقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر: 7) ، وقوله: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (النساء: 80) ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (لم اسمع أحداً نسبته للناس أو نسب نفس إلى علمٍ يُخَالِفُ فِي أَنْ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِتْبَاعَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمَ لِحُكْمِهِ)².

وقد دلت أحوال الصحابة ، والأخبار المتواترة المنقولة عنهم ، أنهم كانوا يتعاملون مع كل ما يصدر من نبيهم ﷺ على أنه للإلتباع والتأسي ، عملاً بقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) (الأحزاب: 38) ، ومثال ذلك: ما أخرجه البخاري في صحيحه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ حَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي اتَّخَذْتُ حَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ . فَبَدَّهُ وَقَالَ: إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَبَدَّدَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ)³ ، وفي الحديث عن أبي سعيد: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي نَعْلَيْهِ ، فَصَلَّى النَّاسُ فِي نِعَالِهِمْ ثُمَّ أَلْقَى نَعْلَيْهِ ، فَأَلْقَى النَّاسُ نِعَالَهُمْ وَهُمْ فِي الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِقَاءِ نِعَالِكُمْ

¹ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج1

ص، 97، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1999م

² الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (المتوفى: 204هـ) ، جماع العلم ، ج1 ، ص3 ، دار الآثار ، ط1-2002م

³ صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ، ج9 ، ح7298 ، ص96

فِي الصَّلَاةِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ فَعَلْتَ فَمَعَلْنَا . فَقَالَ : إِنَّ جِبْرِئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهَا أَدَى ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ أَدَى ، وَإِلَّا فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا¹ .

وما سنه رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهو مما أنزله الله تعالى عليه، ولهذا قال ﷺ (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)². فكل قول أو فعل منه ﷺ فيما يخص به تبليغ رسالة ربه، والنصح لأُمَّته، فإن ذلك القول والفعل صدر عن معصوم و لحكمة يريد بها الله أن تستبين لعباده، قال القاضي عياض: (قال أبو بكر الصديق ﷺ لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ إِنَّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أُزَيِّعَ)³.

وقد تأتي السنة مستقلة بتشريع الأحكام ، وقد عقد الدارمي في سننه باباً أسماه: (السنة قاضية على كتاب الله)⁴ ، وأورد فيه حديث المقدم بن معد يكرب الكندي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّمَ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ، الْحِمَارَ وَعَغِيرَهُ ، ثُمَّ قَالَ: لِيُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى)⁵ .

وقد وضع ابن حزم هذه القضية بقوله: (كل خبر روي عن رسول الله ﷺ رواية صحيحة مسندة ، فإنه ولا بد زائد حكم على ما في القرآن أو أتى بما في نص القرآن، لا بد من أحد الوجهين فيه والزائد حكماً على ما في القرآن ينقسم قسمين:

- ما لم يذكر في القرآن كغسل الرجلين في الوضوء وكرجم المحصن ونحو ما أخذوا به من إباحة صوم رمضان للمسافر ومن إيجاب لوضوء من القهقهة في الصلاة ومن الوضوء بالنيذ ومن القيء والرعاف

¹ السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الصلاة ، جماع أبواب الصلاة بالنجاسة وموضع الصلاة من مسجد وغيره ، باب من صلى وفي ثوبه أو نعله أذى أو خبث لم يعلم به ثم علم به ، ج 2 ، ح 4153 ، ص 402 ، وأخرجه الألباني في إرواء الغليل (284).

² مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين رضي الله عنهم - حديث المقدم بن معد يكرب الكندي أبي كريمة عن النبي ﷺ ، ج 7 ، ح 17379 ، ص 3816 ، صححه الألباني ، مشكاة المصابيح ، ح 163 ، ج 1 ، ص 57 ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط 3 ، 1985م

³ أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج 2، ص 18، دار الفكر 1988 م

⁴ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الدارمي، ج 1، ص 473، دار المغني، الرياض، السعودية ط 1، 2000م

⁵ سبق تخريجه

-وكتخصيص ظاهر القرآن كعدد ما لا يقطع السارق في أقل منه وما لا يحرم من الرضاع أقل منه فهذا أيضا زائد حكم على ما في القرآن ومثله ما بين مجمل القرآن كصفة الصلاة وصفة الزكاة وسائر ما جاءت به السنن فهو زائد حكم على ما في القرآن)¹.

(فيان الجمل، بالتفصيل أو بالتفسير، وتخصيص العام أو تقييد المطلق ، يعتبره ابن حزم من الزائد حكما على ما في القرآن، ولكنه من القسم الثاني الذي جاء له ذكر في الكتاب ، والسنة تبين مراد الله من الحكم وتفصله ، وقد روى البيهقي عدة أحاديث² ، تثبت هذا المعنى ، وتقرره)³.

وقال السرخسي في أصوله: (حكم السنة هو الإتيان فقد ثبت بالدليل أن رسول الله ﷺ مُتَّبَعٌ فِيمَا سَلَكَ مِنْ طَرِيقِ الدِّينِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ بَعْدَهُ وَهَذَا الْإِتِّبَاعُ الثَّابِتُ بِمُطْلَقِ السَّنَةِ خَالَ عَنِ صِفَةِ الْفَرْضِيَّةِ وَالْوُجُوبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْوَأَجِبِ فِي حُكْمِ الْعَمَلِ عَلَى مَا قَالَ مَكْحُولٌ رَحِمَهُ اللَّهُ السَّنَةُ سِنَتَانِ سَنَةٌ أَخَذَهَا هَدَى وَتَرَكَهَا ضَلَالَةٌ وَسَنَةٌ أَخَذَهَا حَسَنٌ وَتَرَكَهَا لَا بَأْسَ بِهِ فَالْأُولَى نَحْوُ صَلَاةِ الْعِيدِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالصَّلَاةِ بِالْجُمَاعَةِ وَهَذَا لَوْ تَرَكَهَا قَوْمٌ اسْتَوْجَبُوا اللُّومَ وَالْعِتَابَ وَلَوْ تَرَكَهَا أَهْلُ بَلَدَةٍ وَأَصْرُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْلُوا عَلَيْهَا لِيَأْتُوا بِهَا وَالثَّانِي نَحْوُ مَا نَقَلَ مِنْ طَرِيقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِيَامِهِ وَقَعُودِهِ وَلباسه وركوبه وسننه فِي الْعِبَادَاتِ مُتَّبَعَةٌ أَيْضًا فَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ تَرَكَهَا وَمِنْهَا مَا يَكُونُ التَّارِكُ مَسِيئًا⁴). وإن إتيان النبي ﷺ يكون في قوله وفعله ، وأفعاله التي وقعت في معرض بيان الأمر أو النهي أو تنفيذ الحكم واجب علينا اتباعه ، ومحاكاته، لأن بيان الشريعة من جهته ﷺ ترد بالأمرين جميعا، ألا ترى أنه ﷺ قال: (صلوا كما رأيتموني كما أصلي)⁵، وقال: (لتأخذوا مناسككم)⁶.

¹ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج 1 ، ص 117-118، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة، بيروت

² أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج 1، ص 24-25، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1405هـ

³ الدكتور محمد العروسي عبد القادر، أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام ، ص 16 ، دار المجتمع ، ط 2، 1991، السعودية

⁴ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ) ، أصول السرخسي ، ج 1 ، ص 116، دار المعرفة ، لبنان

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الأذان، للمسافر، من حديث مالك بن الحويرث ، ح 631، ص 128

⁶ صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، من حديث جابر، ح 310 ، ص 943

والصلاة، والحج من الأحكام المجملة، وقد حصل بيانها بالفعل ، وأن من اتبعه في فعله كان كمن إتبعه في قوله ﷺ ، وأما أفعاله ﷺ التي جاءت في غير جهة البيان فإنه يندب إلى التأسي بها ، ولا يصح تركها على معنى الرغبة عنها. وقد ترجم ابن حبان في صحيحه لهذا المعنى فقال: (ذكر الزجر عن الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ في أقواله وأفعاله جميعا)¹ ، ثم روى ابن حبان بسنده عن أنس بن مالك (أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنْزَوْجَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا ، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَنْزَوْجُ النِّسَاءِ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)² . وأيضاً بقوله في ترجمته: (ذكر الأخبار عما يجب على المرء من تحري استعمال السنن في أفعاله، ومجانبة كل بدعة تباينها وتضادها)³ . ثم ساق سنده ، عن جابر بن عبد الله، قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرْت عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ نَذِيرٌ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ، وَيَقُولُ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، يُفَرِّقُ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى ، وَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَا لَّا فَلْأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دِينَنَا أَوْ ضَيَعَهُ فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ)⁴ . فالإلتساء به ﷺ ثابت وليس فيه خلاف.

وما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل يقسم عند الأصوليين إلى أقسام⁵:

¹ صحيح ابن حبان ، ج 1 ، ص 190

² صحيح ابن حبان - المقدمة - باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمرًا وزجراً - ذكر الزجر عن الرغبة عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله جميعا ، ج 1 ، ص 14 ، ص 190

³ صحيح ابن حبان ، ج 1 ، ص 186

⁴ صحيح ابن حبان - المقدمة - باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمرًا وزجراً - ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تحري استعمال السنن في أفعاله ومجانبة كل بدعة تباينها ، ج 1 ، ص 10 ، ص 186

⁵ الدكتور محمد العروسي عبد القادر، أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام ، ص 145،

الأول: حركاته وأفعاله الجبلية التي لا يخلو ذو الروح عن جميعها كتصرف الأعضاء، وحركات الجسد كالسكون والحركة، والقيام، والقعود، قال الإمام الجويني: (الأفعال الجبلية التي لا يخلو ذو الروح عن جميعها كالسكون والحركة والقيام والقعود وما ضاهاها من تغاير أطوار الناس فإذا ظهر ذلك فلا استمساك بهذا الفن من فعل رسول الله ﷺ)¹.

الثاني: أفعاله الجارية وفق العادات كأحواله في مأكله، ومشربه، وملبسه، ومنامه، ويقظته كأن يأكل الشعير وأن يبست طاويا يربط الحجر على بطنه. وأن يلبس القطن، أو الأبيض من الثياب، وأن ينام على حصير، أو يتوسد يده. فهذا ونحوه وجميع ما نقل من شمائله ﷺ مما قطع فيه عدم القصد إلى القرية فلا استحباب للمتابعة لأن ذلك لم يقصد به التشريع. ولم يتعبد به².

الثالث: الفعل المرسل، أي المجرد عن قرينة تدل على أن المقصود من الفعل قرينة أو أنه عادة، كجلوسه ﷺ للقيام إلى الثالثة من الصلاة الرباعية وكالاضطجاع بعد الفجر، وكدخوله مكة من كداء ومبيته بذى طوى، ونزوله بالأبطح. فهل هذه الأفعال مقصود بها التشريع، فهي من هيئات وسنن وشعائر الصلاة والحج، أو أنها فعلت لأنها أوفق لرسول ﷺ فكانت بمقتضى العادة.

الرابع: الأفعال التي تتعلق بالقرب والديانات-وهي ثلاثة أنواع: 1- ما يكون بيانا. 2- ما يكون تنفيذا وامثالا 3- ما يكون ابتداء، وينقسم إلى: أ- ما يقع في سياق القرب، ب- ما لا يقع في سياق القرب.

الخامس: الأفعال المخصوصة به ﷺ. كالوصال في الصيام، والزيادة على أربع في النكاح.

السادس: ما يفعله مع غيره عقوبة له، فاختلّفوا في حكمه، قال الشوكاني: (مَا يَفْعَلُهُ مَعَ غَيْرِهِ عُقُوبَةٌ لَهُ كَالْتَّصَرُّفِ فِي أَمْلَاكِ غَيْرِهِ عُقُوبَةٌ لَهُ، فَاخْتَلَفُوا هَلْ يُقْتَدَى بِهِ فِيهِ أَمْ لَا فَقِيلَ: يَجُوزُ، وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ، وَقِيلَ هُوَ بِالْإِجْمَاعِ مَوْقُوفٌ عَلَى مَعْرِفَةِ السَّبَبِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فَإِنْ وَضَحَ لَنَا السَّبَبُ، الَّذِي فَعَلَهُ لِأَجْلِهِ كَانَ لَنَا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ عِنْدَ وُجُودِ مِثْلِ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ السَّبَبُ لَمْ يَجُزْ. وَأَمَّا إِذَا فَعَلَهُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَدَاعِيَيْنِ فَهُوَ جَارٍ بِجَرَى الْقَضَاءِ، فَتَعَيَّنَ عَلَيْنَا الْقَضَاءُ بِمَا قَضَى بِهِ)³.

¹ عبد الملك بن عبد الله الجويني، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)، البرهان في أصول الفقه، تحقيق صلاح بن محمد بن

عويضة، ج 1، ص 183، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1، 1997 م

² المرجع السابق، نفس الصفحة

³ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج 1، ص 104

ومن خلال تقسيم الأصوليين لأقوال وأفعال النبي ﷺ (فإن ما صدر تشريعا لأمته يخص الأفعال التي تتعلق بالقرب والديانات (النوع الرابع: الأفعال الواقعة بيانا) ، فما فعله النبي ﷺ بيانا لحكم مجمل أو تقييدا لحكم مطلق ، فيعتبر حكمه حكم المبين . وحكم البيان أن يعمل به ويصار إليه ولا يترك ظاهره إلا بدلالة ، وما صدر منه ﷺ تشريعا لأمته يتعين على المكلف تمييز حكم صفته عند وقوعه ، لأن وجوب المتابعة يتوقف على ذلك. وأفعاله ﷺ لا تتعدى الأوصاف الثلاث: الوجوب، الندب، الجواز، لأن المحرم يتمتع صدوره منه إجماعا، وكذلك المكروه على الأصح، لأن الفعل الصادر منه ﷺ إنما يفعله لقصد التشريع، فهو أفضل في حقه من الترك، وإن كان فعله جائزا لنا) ¹ .

وأما معرفة الصفات التي يعرف بها كون الفعل بيانا فهي: ²

- 1- أن يأتي نص على كون هذا الفعل يختص بتلك الصفة: (وجوب أو ندب أو إباحة).
- 2- أن يسويه ﷺ بفعل علمت جهته وصفته.
- 3- أن يقع الفعل امتثالا لآية دلت على أحد الأحكام الثلاثة.
- 4- أن يقع بيانا لآية مجملة دلت على إحداها.

وقد تأتي علامات أخرى تدل على تعيين صفة حكم هذا الفعل. فمن العلامات التي يعرف بها الوجوب مثلا: أ- أن يقع الفعل على صفة مقررة في الشرع أنها أمانة الوجوب، كالصلاة بأذان وإقامة.

ب- أن يقع الفعل قضاء لعباده علم وجوبها عليه.

ج- أن يقع جزاء شرط.

د- أن يداوم على الفعل مع عدم ما يدل على عدم الوجوب، لأنه لو كان غير واجب لأخل بتركه.

هـ- ما يفعله ﷺ فصلا بين المتداعيين ، قال ابن حزم: (وإذا ورد أن النبي ﷺ فعل فعلا، فإن كان عرضا منتهكا ، أو دما مسفوحا أو مالا مأخوذا ، علمنا أن ذلك واجب لأنه ﷺ حرم الدماء والأموال والأعراض جملة إلا بحق ، فما أخذه علمنا أنه فرض أخذه ، وأنه مستثنى من التحريم المذكور) ³ .

¹ الدكتور محمد العروسي عبد القادر، أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام ، ص 164

² المرجع السابق ، ص 171.

³ ابن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام، ج 3 ، ص 154.

و- أن يكون الفعل ممنوعاً منه ثم يأتي به ﷺ فيكون دليلاً على وجوبه كالإتيان بالركوعين في صلاة الخسوف، فإن الزيادة في الصلاة مبطلّة غير الخسوف فمشرّوعيتها دليل وجوبها. وأما ما يعرف به المندوب فأمر: منها: قصد القرية مجرداً عن أمانة دالة على الوجوب، فإنه يدل على كونه مندوباً، ويكون قضاء مندوب. ومنها: مداومته على الفعل ثم يخل بتركه، كتركه الجلوس للشهد الأول، وكذلك تركه الوضوء مما مسته النار بعد وجوبه، فيه دليل على أنه كان غير واجب. ومنها: قصد القرية والفعل مجرد عن أمانة دالة على الوجوب، فإنه يدل على كونه مندوباً ويكون قضاء مندوب. ومنها: وجود الدلالة على أنه كان مخيراً بينه وبين فعل آخر ثبت وجوبه، لأن التخيير لا يقع بين واجب وغيره .

وأما العلامات التي يعرف بها أن الفعل مباح¹:

أحدها: مجرد الفعل. وتنتفي ندييته بالبقاء على حكم الأصل، فيعرف أنه مباح.

الثاني: أن ينص الرسول ﷺ على أنه مباح.

الثالث: أن يقع امثالاً لآية دالة على الإباحة.

الرابع: أن يقع بيانا لآية دالة على الإباحة.

الخامس: أن يفعل بعد نهي عنه فيعلم زوال النهي. ومثل له العلماء بأمر الصلاة قعوداً خلف الإمام القاعد، ثم صلى قاعداً، والناس خلفه قيام. وذهب الأصوليون إلى اشتراط اتفاق البيان والمبين في الحكم، وحكمه الوجوب، لأنه ﷺ مأمور بالتبليغ، فالبيان منه ﷺ لكتاب الله تعالى قد يكون لبيان الجمل من المقادير كبيانه لمقدار الزكاة، ووقتها، وما الذي تؤخذ منه من الأموال، وما بينه رسول الله ﷺ بفعله عدد ما فرض من الصلوات، ومواقيتها، وسننها وكيف عمل الحج والعمرة².

والخلاصة أن كل ما صدر عنه ﷺ تشريع عام لقوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: 4)، وقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه حين توقف عن كتابة كل شيء يسمعه من النبي ﷺ لأن قريشاً نهته عن ذلك، بحجة أن النبي ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فقال له: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)³، ولا يخرج شيء عن هذا الأصل إلا ما نص فيه الدليل على أنه من خصوصياته ﷺ أو كان اجتهاداً صدر منه ولم يُقرّ عليه ﷺ من صحابته رضي الله عنهم.

¹ الدكتور محمد العروسي عبد القادر، أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام، ص 174

² المرجع السابق، نفس الصفحة

³ أبو داود كتاب العلم، باب في كتابة العلم (3161)، وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع الصغير (1196).

المطلب الثالث: ما صدر عن النبي ﷺ بصفته البشرية، وخبرته الإنسانية: (يعتبر ابن قتيبة الدينوري (276هـ) أول من لفت الأنظار إلى أن السنة النبوية تنقسم إلى عدة أقسام، من حيث كونها تفيد التشريع الملزم لجميع الأمة، أو كونها وحياً محضاً، أو وحياً مفوضاً إلى النبي ﷺ الترخص فيه، أو كونها للاختيار الباعث على الترقى دون إلزام. وبالرغم من أن بعض ما ذكره ابن قتيبة من أمثلة يمكن أن يكون موضع نظر، فإن أساس فكرته في أن السنة ليست كلها في درجة واحدة من حيث الإلزام التشريعي بها أساس صحيح، لأن من أقسامها ما فوض إلى النبي ﷺ سنة¹.

ثم جاء القراني شهاب الدين (684هـ) فأصل هذه الفكرة وعمقها في كتابه "الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام"، فقد جعل تصرفات النبي ﷺ أربعة أنواع²:

1- تصرف بالتبليغ.

2- تصرف بالفتوى.

3- تصرف بالقضاء.

4- تصرف بالإمامة.

(ولم يفت القراني أن يذكر لنا موضع الاقتداء والإتباع للنبي ﷺ في كل نوع من أنواع تصرفاته ﷺ، فما كان من تصرفاته ﷺ بالرسالة أو الفتيا فهو شرع دائم لجميع المسلمين، وعلى الجميع أن يعملوا به، لأنهم جميعاً مخاطبون به، وأما ما كان من تصرفه ﷺ بالقضاء فإنه لا يعمل به إلا بناء على حكم قاض، وما وصل إلينا من تصرفاته ﷺ بالإمامة فهو موكول إلى أولياء الأمور ينظرون فيه بناء على ظروف عصرهم في إطار المقاصد العامة والمقررات الثابتة في التشريع الإسلامي)³.

ثم وجدنا نفس الفكرة عند ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت751هـ)

¹ أحمد يوسف، تصرفات الرسول ﷺ بالإمامة وصلتها بالتشريع الإسلامي، مجلة بحوث السنة، ص415 العدد 08، جامعة قطر 1995

² شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القراني (ت 684)، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ص 86-90، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1967م

³ المرجع السابق، نفس الصفحة

(وكلام ابن القيم يفهم منه أن السنة التشريعية لا مجال فيها لرأي النبي ﷺ لأنها وحي ، وأن السنة في الأمور الجزئية مبنية على الرأي الصادر من النبي ﷺ ، ولذلك نراه يقسم تصرفات النبي ﷺ إلى نفس الأنواع الأربعة التي ذكرها القرافي¹، فقد ذكر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ هُوَ الْإِمَامَ وَالْحَاكِمَ وَالْمُفْتِيَّ وَهُوَ الرَّسُولَ، فَقَدْ يَقُولُ الْحُكْمَ بِمَنْصِبِ الرَّسَالَةِ فَيَكُونُ شَرْعًا عَامًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)² ، وَقَدْ يَقُولُ بِمَنْصِبِ الْفَتْوَى، كَقَوْلِهِ ﷺ: لهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وَقَدْ شَكَتَ إِلَيْهِ شُحَّ زَوْجِهَا، وَأَنَّهُ لَا يُعْطِيهَا مَا يَكْفِيهَا: (خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ)³ فَهَذِهِ فُتْيَا لَا حُكْمَ، إِذْ لَمْ يَدْعُ بِأَبِي سَفِيَانَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ جَوَابِ الدَّعْوَى، وَلَا سَأَلَهَا الْبَيِّنَةَ. وَقَدْ يَقُولُهُ بِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ، فَيَكُونُ مَصْلَحَةً لِلْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ وَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَيَلْزَمُ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ مُرَاعَاةَ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي رَاعَاهَا النَّبِيُّ ﷺ زَمَانًا وَمَكَانًا وَحَالًا⁴).

(ثم انتقلت هذه الفكرة⁵ إلى شاه ولي الله الدهلوي (1176هـ) الذي وضحها في كتابه الشهير حجة الله البالغة ، وقسم ما روي عن النبي ﷺ ودون في كتب الحديث إلى قسمين⁶: أحدهما ما سبيله سبيل التبليغ للرسالة، من علوم المعاد، وعجائب الملكوت، وهذا كله مسند إلى الوحي وبعضها مسند إلى الاجتهاد ، واجتهاده بمنزلة الوحي ، لأن الله تعالى عصمه من أن يتقرر رأيه على الخطأ. وثانيهما: ما ليس من باب التبليغ للرسالة ، ومنه ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة ، وذلك ما يأمر به الخليفة من تعبئة الجيوش ، وتعيين الشعار...وقد حمل كثير من الأحكام عليه...ومنه حكم وقضاء خاص، إنما يتبع فيه البيئات والأيمان⁷).

¹ د. أحمد يوسف، تصرفات الرسول ﷺ بالإمامة وصلتها بالتشريع الإسلامي، ص ، 417

² صحيح مسلم - كتاب الأفضية - باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، ج 5 ، ح 1718 ، ص 132

³ صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع ، ج 3، ح 2210 ، ص 466

⁴ ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج 3، ص 429.

⁵ د. أحمد يوسف، تصرفات الرسول ﷺ بالإمامة وصلتها بالتشريع الإسلامي، ص ، 419

⁶ شاه الله الدهلوي ، حجة الله البالغة ، ج 1 ، ص 128

⁷ المصدر السابق ، ص 129

(وكلام الدهلوي هنا غاية في الوضوح ، في أن ما كان من سنة النبي ﷺ مما كان بحالة التبليغ أو الفتوى فهو الذي يجب على الجميع في كل وقت وكل مكان الأخذ به ، والوقوف عنده ، وأما القسم الثاني: وهو ما ليس من باب التبليغ ، ويقصد به ما كان من باب تصرفه ﷺ بالقضاء أو الإمامة فيدخل ضمن ما قصد به مصلحة جزئية أي خاصة بزمنه ﷺ ، فهو ليس من اللازم لجميع الأمة (على حد تعبير الدهلوي) ، لأن تصرفات الإمام ، ابتداء من إمامة النبي ﷺ إلى قيام الساعة - شرعا- منوطة بمصالح الرعية)¹.

ومن تطرق لهذه القضية في عصرنا الدكتور يوسف القرضاوي ، فيقول:(ومن اللازم هنا لتحقيق هذا الموضوع أن أبرز حقيقتين ، أحسب أن لا خلاف عليهما، وهما: أولا: أن جمهرة السنة -سواء كانت أقوالا أم أفعالا أم تقريرات- هي للتشريع، ومطلوب فيها الإتيان للنبي ﷺ الذي جعل الله الهداية في إتيانه:(واتبعوه لعلكم تهتدون)(الأعراف:158).

ثانيا: أن من السنة ما ليس للتشريع ، ولا يجب الطاعة فيه ، وهو ما كان من أمر الدنيا المحض ، وهو الذي جاء في الحديث الصحيح:(أنتم أعلم بأمر دنياكم)² ، وهو الذي ورد في تأبير النخل. وإذا كانت هاتان الحقيقتان متفقاً عليهما فإن الخلاف إنما هو في تطبيق هذا المبدأ على بعض الأحاديث مثل الأحاديث المتعلقة بالأكل والشرب ، والملبس ، والزينة ، والإكتمال ، والطب ، ووصف أدوية معينة ، ونحو ذلك: هل هي من (أمر دنيانا) الموكول إلينا ، ونحن أعلم به ، لأن الوحي لم يجيء ليلزم الناس فيه بتكليف بأمر أو ينهى ، أو هو من (أمر ديننا) الذي يجب أن نتلقاه من الوحي، ونلتزم بطاعته فيه ؟ ويكمل هذا ما صدر عن الرسول ﷺ من تشريعات، ليس لها صفة العموم والدوام ، بل قصد بها علاج أوضاع معينة في ظروف معينة . وهو ما يترجم عنه بأنه صدر عنه بوصف الإمامة والرئاسة أو القضاء ، وأصله كالمتفق عليه ، ولكن الخلاف في التطبيق على الجزئيات المختلفة)³.

¹ د. أحمد يوسف، تصرفات الرسول ﷺ بالإمامة وصلتها بالتشريع الإسلامي، ص 420.

² صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا ، ج 7، ح 2363، ص 95

³ الدكتور يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، ص 48، دار الشروق ، مصر، ط 2، 1998،

ثم يقول الدكتور القرضاوي: (إن الصحابة-رضي الله عنهم- كانوا يبحثون الموضوع الذي نتحدث عنه اليوم تحت عنوان: سنة أم غير سنة؟ لا تحت عنوان: تشريع أم ليس بتشريع؟ فهذا نرى: أن ابن عباس رضي الله عنه-وهو حبر الأمة- يرى أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج، منها ما هو سنة تطاع وتتبع، ومنها ما ليس بسنة، برغم ثبوتها عنه صلى الله عليه وسلم.... ومثل ذلك الرمل في الطواف، وهو الإسراع في المشي في طواف القدوم في الأشواط الثلاثة الأولى، فرأي الجمهور أنه سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله وأمر به. وقال ابن عباس رضي الله عنه (ليس هو بسنة، من شاء رمل، ومن شاء لم يرمل)¹، وقد رأينا الصحابة-رضوان الله عليهم-برغم التزامهم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع سنته، يخالفون ما أمر به في بعض الأحيان، أو يفعلون ما نهي عنه، إذا بان لهم من القرائن: أن الأمر أو النهي لا يحمل جزماً وإلزاماً، أو أنه رأي واجتهاد منه عليه الصلاة والسلام في أمر من أمور دنياهم يسعهم أن يناقشوه أو يخالفوه فيه. أو يكون مما صدر عنه بوصف الإمامة والرياسة للأمة والدولة فلا يحمل صفة التشريع العام الدائم لكل الأمة إلى يوم القيامة. وذلك مثل نهيهم عن الوصال في الصوم، ومع ذلك صاموا وواصلوا لظنهم أن النهي كان من باب الرفق بهم. وقد يخطئون في ظنهم في بعض المواقف كإصرار بعضهم على الصيام في السفر، برغم المشقة، فقال عنهم: (أولئك العصاة)² ³.

وقد رأينا⁴ حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يحمل النهي عن أكل لحم الحمر الإنسية أو الأهلية الذي صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم -يوم خيبر- على أنه قصد به مصلحة معينة في ذلك الوقت، وهو حماية الحمر من الفناء إذا توسعوا في ذبحها أو أكلها، مع حاجتهم إلى ظهرها لركوبها. وهو ما ترجمه العلماء والمحققون بقولهم: إنه صدر عنه بصفة الإمامة والرئاسة، لا بصفة الفتوى والتبليغ عن الله تعالى. فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: (لا أدري أنهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان حمولة الناس، فكره أن تذهب حمولتهم، أو حرمة في يوم خيبر، لحم الحمر الأهلية)⁵.

¹ فتح الباري، ج3، ص 551

² أخرجه مسلم في صحيحه، باب جواز الصوم والظفر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ح 1114، ص 785

³ الدكتور يوسف القرضاوي، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، ص 54

⁴ المرجع السابق، نفس الصفحة

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، باب غزوة خيبر، ح 4227، ص 136

ومما يدل على الاحتمال الأول ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أَكَلْتُ الْحُمُرَ ، فَسَكَتَ . ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ : أَكَلْتُ الْحُمُرَ ، فَسَكَتَ . ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : أَفْنَيْتُ الْحُمُرَ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ . فَأُكْفِفَتْ الْقُدُورُ ، وَإِنَّهَا لَتُفُورٌ بِاللَّحْمِ¹) . وروى البخاري في صحيحه بسنده أيضا إلى عمرو بن دينار أنه قال لجابر بن زيد أبي الشعثاء : (يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ حُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ ، فَقَالَ : قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ ، وَلَكِنْ أَبِي ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا) (الأنعام:145))² .

يقول الدكتور القرضاوي: (وإباء ابن عباس هنا ليس رفضا لوقوع النهي، فهو يعترف بصدوره من النبي ﷺ ، ولكنه لا يعترف بصدوره على جهة التبليغ التي تقتضي العموم والتأييد . فهو يراه أمرا أو قرارا من قرارات الرئاسة والإمارة التي تتعلق بتحقيق مصلحة للناس، أو درء مفسدة عنهم في وقت معين، والمصلحة في نظره تتمثل في الحفاظ على حمولة المسلمين أن تفتى بكثرة الذبح والتوسع في الاستهلاك ، ولكن الذي يعيننا من ذلك هنا هو التفات ابن عباس إلى أن بعض النهي ليس عاما ولا مؤبدا، وإنما هو قرار من قرارات ولي الأمر، دفع إليه تحقيق مصلحة في حينه)³ .

وإن المهم أن نعلم أن ما ورد عن النبي ﷺ ليس من شؤون الدين التي يطلب فعلها أو الكف عنها، ابتغاء ثواب الله وطلباً لمرضاته، حتى ما كان منها بصيغة الأمر أو النهي، (فعلماء الأصول يسمونه: أمر إرشاد أو نهي إرشاد. ومثلوا الإرشاد بقوله تعالى في آية المداينة: (وأشهدوا إذا تبايعتم) (البقرة:282) وللإرشاد في النهي بقوله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) (المائدة:101))⁴ .

¹ صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر ، ج 5 ، ح 4199 ، ص 131

² أخرجه البخاري في صحيحه، باب لحوم الحمر الإنسية، ح 5529، ص 96

³ الدكتور يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، ص 56

⁴ المرجع السابق ، ص 65

وفرقوا ما كان للندب وما كان للإرشاد ، فقالوا: (وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرْشَادِ وَالنَّدْبِ أَنَّ النَّدْبَ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْإِرْشَادَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مَصْلَحَةِ الدُّنْيَا وَلَا يَنْقُصُ ثَوَابُ بَتْرِكِ الْإِشْهَادِ فِي الْمُدَايِنَاتِ وَلَا يَزِيدُ بِفِعْلِهِ) ¹ . وهذا يفسر لنا كيف ترك الصحابة رضي الله عنهم بعض ما أمر به النبي ﷺ ، لما لم يروا أنه للإيجاب ولا للاستحباب ، وإنما هو للإرشاد ، إلى مصالح دنيوية يسعهم أن يجتهدوا فيها ، وأن يروا فيها رأيا آخر ² . مثال ذلك: أمره ﷺ بصبغ الشيب ، بمثل قوله: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) ³ ، فوجد من الصحابة من لم يصبغ ، كما ذكر الحافظ في الفتح: (وَتَرَكَ الْخِضَابَ عَلَيَّ وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ وَسَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَأَنَسٌ وَجَمَاعَةٌ) ⁴ . وذكر الحافظ اختلاف السلف في الخضب (الصبغ) وتركه، ثم قال: (وَلَكِنَّ الْخِضَابَ مُطْلَقًا أَوْلَى لِأَنَّهُ فِيهِ امْتِنَالُ الْأَمْرِ فِي مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَفِيهِ صِيَانَةٌ لِلشَّعْرِ عَنْ تَعَلُّقِ الْعُبَارِ وَغَيْرِهِ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْبَلَدِ تَرَكَ الصَّبْغَ وَأَنَّ الَّذِي يَنْفَرِدُ بِدُونِهِمْ بِذَلِكَ يَصِيرُ فِي مَقَامِ الشُّهْرَةِ فَالْتَّرُكُ فِي حَقِّهِ أَوْلَى) ⁵ .

يقول الدكتور القرضاوي: (ومما لا ريب فيه أنه ﷺ كان بشرا من الناس ، ولم يكن ملكا ، وأن رسالته لم تلغ بشريته ، وأن بعض أقواله وأفعاله كانت تصدر عنه بمقتضى البشرية المحض ، فليس لها أي صفة تشريعية ، مثل ما ورد أنه كان يعجبه لحم الذراع من الشاة ، وأنه كان يحب الدباء (القرع) فهذا وذاك أمر جبلي تختلف فيه أمزجة البشر ، كما أنه عليه الصلاة والسلام - بحكم بشريته - يرضى ويغضب ، وقد يصدر عنه في حال الغضب ما لا يقصده من قول أو دعاء على بعض الناس ، فيجب على أهل العلم مراعاة ذلك ، وألا يتجاوزوا هذا المجال إلى مجال التشريع واستنباط الأحكام) ⁶ .

¹ كشف الأسرار ، ج 1 ، ص 107

² الدكتور يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، ص 65

³ صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ج 4 ، ح 3462 ، ص 170

⁴ ابن حجر ، فتح الباري ، ج 10 ، ص 355

⁵ المرجع السابق ، نفس الجزء و الصفحة

⁶ الدكتور يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، ص 73

وعلى هذا الأساس فسر جماعة من العلماء ما رواه مسلم وأحمد وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأن معاوية: (لا أشبع الله بطنه)، والحديث رواه مسلم عن ابن عباس، قال: (كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ فَجَاءَ فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً، وَقَالَ: (أَذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) قَالَ: فَجِئْتُ فَعُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: (أَذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) قَالَ: فَجِئْتُ فَعُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: (لَا أَشْبَعُ اللَّهُ بَطْنَهُ) قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: قُلْتُ لِأُمِّيَّةَ: مَا حَطَّأَنِي؟ قَالَ: قَفْدَانِي¹ قَفْدَةً². فمن العلماء من قال: إن هذا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم غير مقصود بل هو ما جرت به عادة العرب في وصل كلامهم بمثل هذه العبارات، كقوله لبعض نساءه: (عقرى³ حلقى)⁴، وقوله لمعاذ رضي الله عنه برغم حبه له: (ثكلتك أمك يا معاذ)⁵، وقوله: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)⁶ ونحوها⁷. وما جاء أيضا في حديث أنس رضي الله عنه قال: (كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: (أَنْتِ هِيَ لَقَدْ كَبِرْتَ، لَا كَبِيرَ سِنَّكَ) فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكَ؟ يَا بَنِيَّةُ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ لَا يَكْبِرَ سِنِّي، فَالآنَ لَا يَكْبِرُ سِنِّي أَبَدًا، وَقَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تُلُوْثُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا لَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ) فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدْعَوْتُ عَلَى يَتِيمَتِي قَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ) قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبِرَ سِنَّهَا، وَلَا يَكْبِرَ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: (يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرَطِي عَلَى رَبِّي، أَيُّ اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَعُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَعْضَبُ كَمَا يَعْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَرِكَاءً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)⁸.

¹ قَفْدَانِي: الْقَفْدُ: صَفْعُ الرَّأْسِ بِسِنِّ الْكَفِّ مِنْ قِبَلِ الْقَفَا، النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الْقَافِ، ج 4، ص 89

² صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه، ج 8، ح 2604، ص 27

³ وفيه " أَنَّهُ قَالَ لِصَفِيَّةَ: عَقْرَى حَلْفِي " أَي عَقَرَهَا اللَّهُ وَحَلَفَهَا، عَقْرَى أَي: عَقَرَهَا اللَّهُ وَأَصَابَهَا بِعَقْرِ فِي حَسَدِهَا وَحَلْفَى أَي: يُعْنِي أَصَابَهَا وَجَعَّ فِي حَلْقِهَا خَاصَّةً. وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ بِدُعَاءٍ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ فِي مَذْهَبِهِمْ مَعْرُوفٌ، النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الْعَيْنِ -، ج 3، ص 271، - وَحَرْفُ الْحَاءِ - ج 1، ص 426

⁴ صحيح البخاري - كتاب الحج - باب التمتع والإقرا والإفراد، ج 2، ح 1561، ص 141

⁵ مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار رضي الله عنهم - حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، ج 10، ح 22439، ص 5164

⁶ صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الأكفاء في الدين، ج 4، ح 5090، ص 464

⁷ الدكتور يوسف القرضاوي، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، ص 74

⁸ صحيح مسلم، باب مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، أَوْ سَبَّهُ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ، كَانَ لَهُ زَكَاةٌ...، ح 2603، ص 2009

ثم أتبع الإمام مسلم هذا الحديث بحديث معاوية وبه ختم الباب، إشارة منه رحمه الله إلى أنها من باب واحد، وفي معنى واحد، فكما لا يضر اليتيمة دعاؤه ﷺ عليها - بل هو زكاة وقربة - فكذلك دعاؤه ﷺ على معاوية ، وقد قال الإمام النووي: (وَأَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ فِيهِ الْجَوَابَانِ السَّابِقَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ وَالثَّانِي أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ وَقَدْ فَهِمَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ وَجَعَلَهُ غَيْرَهُ مِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءً لَهُ¹ . (ويعني هذا أن ما روي عنه ﷺ ، ليس بوحي من الله إليه ، ولا قصد به التبليغ عن ربه ، بل قاله أو فعله بصفته البشرية ، ولا مدخل للوحي فيه)².

والخلاصة: إن ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، إنما يكون حجة على المسلمين واجبا اتباعه، إذا صدر عنه ﷺ بوصفه أنه رسول الله ﷺ وكان مقصودا به التشريع العام والافتداء ، وأما ما صدر من النبي ﷺ ما ليس تشريعا من أقوال وأفعال ، فمنه³:

1- ما صدر عنه بمقتضى طبيعته الإنسانية من قيام وقعود، ومشى ونوم، وأكل وشرب فهذا ليس تشريعا ، لأنه ليس مصدره رسالته، ولكن مصدره إنسانيته، لكن إذا صدر منه فعل إنساني ودل على أن المقصود من فعله الاقتداء به كان تشريعا بهذا الدليل.

2- وما صدر عنه بمقتضى الخبرة الإنسانية والحدق والتجارب في الشؤون الدنيوية، من إتجار أو زراعة، أو تنظيم جيش أو تدبير حربي، أو وصف دواء لمرض أو أمثال هذا، فليس تشريعا أيضا ، لأنه ليس صادرا عن رسالته، وإنما هو صادر عن خبرته الدنيوية وتقديره الشخصي.

3- وما صدر عن رسول الله ﷺ ، ودل الدليل الشرعي على أنه خاص به، وأنه ليس أسوة فيه فليس تشريعا عاما، كتزوجه بأكثر من أربع زوجات ﷺ .

¹ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج 16، ص 156 ،

دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط 2 ، 1392هـ

² الدكتور يوسف القرضاوي ، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، ص 76

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة

(إن ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال في حال من الحالات الثلاث التي بينها ، فهو من سنته ولكنه ليس تشريعاً ولا قانوناً واجباً اتباعه، وأما في ما صدر من أقوال وأفعال بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين، وقانون واجب اتباعه)¹. ويقول أحمد كمال أبو المجد: (إن كثيراً من أقواله وأفعاله ﷺ قد صدرت عنه بحكم تلك البشرية، دون أن يكون المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده)². (وإن من أقسام السنة غير التشريعية ما صدر من الرسول ﷺ من أفعال بمقتضى جبلته البشرية وطبيعته الإنسانية، مثل حركات الجسم، وتصرفات الأعضاء، أو القيام أو القعود في بعض المواطن ، أو في بعض الأزمنة اتفاقاً)³.

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 44

² (الخيطة الرفيع بين التجديد في الإسلام والانقلابات منه)، مجلة العربي، ص 16، العدد 225، أغسطس 1977م

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة

الفصل الثاني

حفظ الصحة في التاريخ الإنساني والإسلامي

المبحث الأول: حفظ الصحة في الحضارات القديمة

المطلب الأول: حفظ الصحة عند قدماء المصريين والبابليين

المطلب الثاني: حفظ الصحة عند الهنود والصينيين

المطلب الثالث: حفظ الصحة عند اليونانيين والرومان

المبحث الثاني: حفظ الصحة عند العرب قبل الإسلام

المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الجاهلي

المطلب الثاني: أطباء العصر الجاهلي

المطلب الثاني: حفظ الصحة عند الهنود والصينيين

المبحث الثالث: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين

المطلب الأول: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ

المطلب الثاني: حفظ الصحة في عصر الخلفاء الراشدين

المطلب الثالث: نماذج من العناية الصحية في عصر الخلفاء الراشدين

المطلب الرابع: أطباء وطبيبات عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين

المبحث الرابع: حفظ الصحة في العصر الأموي والعباسي

المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الأموي

المطلب الثاني: حفظ الصحة في العصر العباسي الأول

المطلب الثاني: حفظ الصحة في العصر العباسي الثاني

المبحث الأول: حفظ الصحة في الحضارات القديمة.

يعد حفظ الصحة محل اهتمام من الإنسان منذ وجوده في الحياة ، وقد عرفت الشعوب القديمة مظاهرها وصورا للحفاظ على صحة أجسامهم والاتقاء من الأمراض ، وفيما يلي نتعرف على أقدم الممارسات لحفظ الصحة عند الأمم و الشعوب القديمة:

1-المطلب الأول: حفظ الصحة عند قدماء المصريين والبابليين: يعد المصريون والبابليون القدماء من أقدم الشعوب التي مارست الطب، فقد كان الختان شعاراً دينياً في الحضارة المصرية القديمة (ترجع إلى خمسة وثلاثين قرناً ق.م) كما عرف القدماء المصريون العناية بالوليد وتدريبه¹، وكان تناول المسهلات لمدة ثلاث أيام متوالية كل شهر لتطهير الأمعاء من الإجراءات المشهورة لديهم في مجال حفظ الصحة². كما عرف قدماء المصريين التشخيص وحصص الأمراض والتحنيط والتشريح وجراحة الجسم، وهاهي ذي هياكلهم و الموميאות العجيبة العديدة، تحمل آثار عمليات في مختلف أجزاء الجسم، وما تزال كثير من متاحف العالم تحفظ بين كنوزها الكثير من البرديات التي تكشف لنا من ألوان الطب التي مارسوها والأمراض التي خبروها وجعلوا من (أمنحوتب) إلهما للطب³.

وقد كان للكهنه دورا في ممارسة مهنة الطب ،فكانوا يقومون بتطبيب المرضى، ويتقاضون رواتب على ذلك من دخل المعابد ، وكان قدماء المصريين يعتقدون أن المرض هو نتيجة روح شريرة سكنت جسم الإنسان، وكان فن المعالجة يقتضي معرفة حقيقة هذه الروح الشريرة، والإستعانة على طردها بالتعاون والتمايم، وأحيانا بالسحر،وكانت الأدوية والمستحضرات الطبية المستخلصة من الأعشاب والحيوان تستعمل كعوامل مساعدة لطرد هذه الأرواح⁴ . وإجمالا فقد تواتر عن قدماء المصريين أنهم كانوا على علم وبصيرة في فن التحنيط ، وكان لهم باع في تشخيص المريض وعلاجه، وعرفوا أيضا الطرق الجيدة لمنع الحمل والذبحجة الصدرية وأمراض المعدة والإسهال وانجباس البول ، كما عالجوا الكسور والأسنان⁵.

¹ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 48 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- الرباط ، المملكة المغربية، 2011م

² المرجع السابق، نفس الصفحة

³ د.محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص 170. مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1977م-

⁴ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص12 ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، ط1، 2009م

⁵ المرجع السابق، نفس الصفحة

وقد دون قدماء المصريين معارفهم ومعلوماتهم الطبية على أوراق البردي، ومنها: بردية كون التي تكاد تكون خاصة بالأمراض النسائية، وبردية سميث التي تختص بالأمراض الجراحية، وبردية إبيرس التي أكثر موضوعاتها في الطب الباطني والعقاقير الطبية، وتشريح جسم الإنسان، والتعرف على وظيفة القلب¹ كما يلاحظ أن محتويات هذه البرديات الثلاث قد صنفت حسب الاختصاصات الثلاثة: الباطنية والجراحية والنسائية ، وهذا التقسيم نفسه هو المعمول به في هذه الأيام ، ويمكن القول أن المصريين القدماء قد مارسوا الطب والتطبب، على أسس علمية ومنهجية أحياناً، وتقدموا في ذلك بعض الشيء، إلا أن ذلك العلم قد تخلله بعض الطلاسم والتعاويذ والسحر، ولعب فيه الكهنة دوراً كبيراً². وقد عرف المشتغلون بالمهن الصحية في حضارة ما بين الرافدين (ترجع إلى ثلاثين قرناً ق.م) أهمية النظافة في حفظ الصحة ودور العدوى في نقل الأمراض والأوبئة ، فاستعملوا مجاري للمياه القذرة ، ومخازن لتجميعها كما وجدت لديهم حمامات ذات أرضية لا ينفذ منها الماء³. وكان الآشوريون يعتقدون وجود أجسام غير مرئية تدخل إلى الجسم عن طريق جهاز التنفس أو جهاز الهضم أو الجلد وهذا ما يعرف اليوم بالعدوى. وتشير الدلائل إلى أن الآشوريين كانوا يعتقدون أن الجذام معدٍ، وأنهم اتخذوا الوسائل للوقاية منه. وتقضي المادة (278) من شرائع حمورابي⁴ بإبطال بيع العبد إذا ما ظهر به الجذام بعد شهر واحد من بيعه، وقد زيدت هذه الفترة لمائة يوم بعد ذلك⁵. كما عرف البابليون فوائد الحمامات الساخنة والرياضة والتمسيد⁶.

¹ المرجع السابق ، ص 13

² المرجع السابق ، نفس الصفحة

³ أبو الحسن بن علي بن رين الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 48

⁴ A History of Medicine Sigerist Vol: 1 Page:398 Oxford universty Press 1951

(Henry Ernest

⁵ أبو الحسن بن علي بن رين الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 49

⁶ المرجع السابق ، نفس الصفحة

ومثل المصريين القدماء فقد كان الطب القديم عند البابليين يشوبه شيء من الكهانة والسحر، لأن المرض عندهم كان يعتبر عقاباً إلهياً على ذنوب ارتكبتها المريض. ولذلك لم يكن أحد ليحاسب الكاهن أو الساحر على أي خطأ قد يرتكبه في علاج مرضاه، بينما يعاقب الطبيب الجراح الذي يخطئ في علاجه وجراحاته، لأنه يعمل بيديه لا بقوة كهنوتية أو سحرية كما يفعل السحرة والكهنة، فشريعة حمورابي تنصّ على أن الجراح إذا ما استعمل مشرطه وأخطأ في استعماله تقطع يده، وإذا تقاضى أكثر مما يستحق يعاقب بالحبس. ولقد نظمت شريعة حمورابي أسعار الخدمات الطبية وأجور الأطباء، وفرضت أيضاً عقوبة على الحاضنات والمراضع اللاتي يهملن العناية بالرضع¹.

وكان في وادي الرافدين ثلاثة مذاهب للمعالجة²:

1- المعالجة بالنصح (الطب الوقائي).

2- المعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية (الطب المزاجي، الطبيعي).

3- المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي).

هذا وقد نفر الأطباء من تناول المسكرات وعالجوا بالمس (التمسيد)، وعرفوا الجراحة، واستخدموا الحشيش والأفيون للتخدير عند إجراء العمليات. وكان أهل المريض إذا عجز الأطباء عن مداواة مريضهم يضعونه في الأماكن العامة رجاء أن يمر به من كان قد أصيب بمثل ما به، فيصف له العلاج الذي كان قد شفاه³.

وإجمالاً فإن الطابع الغالب على الطب عند البابليين هو الكهنوت والسحر، حيث كان يعتقدون أن الأمراض الشديدة تأتي نتيجة غضب الآلهة أو نتيجة السحر وتأثيره⁴.

¹ عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص 24.

² عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص 74، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

³ المرجع السابق، نفس الصفحة.

⁴ د. راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية، ص 15.

المطلب الثاني: حفظ الصحة عند الهنود والصينيين: بالنسبة للحضارة الهندية (ترجع إلى الألف الثالثة ق.م) فنذكر في مجال حفظ الصحة نصائح شاراك¹ في موسوعته الطبية المعروفة باسمه ، ويعد من أشهر أطباء الهند في القرن الثاني الميلادي. نقل الرازي عنه في الحاوي². ومن هذه النصائح: عدم إيقاف الفضلات إذا تحركت للاندفاع من البدن، وعدم صد شهوة الطعام والحاجة إلى النوم³. وأما كتاب سوسروتا⁴ فيعد أضخم الكتب الهندية التي وصلتنا، وفيه فصل قيّم عن رعاية الحامل ، والعناية بالطفل وتربيته وتغذيته. ونقل عنه الطبري في فردوس الحكمة تعريف الطب بأنه: براء المرض وحفظ الصحة ومعرفة الدواء، وكان طب المشب -الذي هو أحد أنواع الطب الثمانية عند سوسروتا - خاصاً لحفظ صحة الشباب وقوته ، واعتبر الهنود الامتلاء بالمني لا يقل ضرراً عن الامتلاء بالدم ، وأن تفرغته من مقومات الصحة⁵.

وهناك بعض الإشارات التي تفيد أن الهنود استعملوا التلقيح ضد الجدري، كما مارسوا عمليات التجميل، وترقيع الجلد والتوليد عن طريق البطن (العملية القيصرية) ورتق الفتوق، واستخراج الحصى من الإحليل والمثانة، وقذح العين، وبتّر الأعضاء، وتحضير السموم ومضاداتها. واستخدموا لتوقيف نزيف الدم في العمليات الجراحية الضغط والدهون الحارة، واستعملوا الكي لنفس الغرض، وكان لديهم من الأدوات الجراحية ما يزيد على المائة آلة ، ومع كل ما تقدم من معارف الهنود في ميدان الطب البشري، فلم تكن ممارستهم بأي حال خالية دائماً من لمسات خيالية وشعوذة⁶.

¹ شاراك : ويسميه العرب شرك ، من أكابر الأطباء الهند في القرن الثاني الميلادي ، كان معاصراً لجالينوس ، له كتاب باسمه موسوعة في المعارف الطبية ، خاصة بأمراض المعدة ، والقلب ، وحالات الاستسقاء ، وخصي الاحليل والمثانة ، أنظر: د. كمال السامرائي ، مختصر الطب العربي ، ص 58، دار النضال للنشر والتوزيع.

² موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، ج 3، ص 473-بتصرف-، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،

³ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د. محمود المصري ، ص 49

⁴ سوسروتا اسم المؤلف الذي وضع هذا الكتاب حوالي سنة 300م، وهو أضخم كتاب هندي وصل إلى العرب كاملاً ، وقد ترجمه طبيب هارون الرشيد الفيلسوف الهندي منكه إلى العربية (انظر السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج 1، ص 58)

⁵ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د. محمود المصري ، ص 49

⁶ المرجع السابق ، نفس الصفحة

وأعظم إسمين في الطب الهندي (سوشروتا) في القرن الخامس قبل الميلاد و(شاراكا) في القرن الثاني بعد الميلاد، فقد كتب سوشروتا باللغة السنسكريتية مجموعة من أوصاف الأمراض وطرائق علاجها ، وبحث بإطناب في التوليد والطعام الصحي، والاستحمام، وتغذية الرضع والعناية والتربية الطبية¹.
وأما (شاركا) فقد أنشأ (سامهيتا) (أي موسوعة) تشمل علم الطب ، وهي لا تزال مأخوذاً بها في الهند ؛ وبث في أتباعه فكرة عن مهنتهم كادت تقرب من فكرة أبقراط: (لا ينبغي أن تعالجوا مرضاكم ابتغاء منفعة لأنفسكم، ولا إشباعاً لشهوة ما من شهوات الكسب الدنيوية، بل عاجلهم من أجل غاية واحدة هي التخفيف عن الإنسانية المعذبة بهذا تفوقون سائر الناس)². وقد قام المسلمون بترجمة إنتاجهم منذ زمن أبي جعفر المنصور (158 هـ)³.

أما تاريخ الطب في الصين فيرجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، ويعد (واي بويانج) من مشاهير الأطباء الصينيين، أما جل اعتماد الطب الصيني فكان على الأدوية النباتية والكي والوخز بالإبر الذي جعلهم يعتنون بدراسة التشريح⁴. وعرف أطباء الصين بعض الآلات الجراحية البسيطة، وهو ما يعرف اليوم بالكي النقطي ، وأساسه غرز إبر محمية في الجلد، ويلزم محترف مهنة الكي النقطي أن يفهمها ويتعلم أسماءها، ويدري تماماً مواضعها، ويقال أيضاً أن الصينيين عرفوا النبض وما يحصل له من تغيرات بسبب المرض، كما أنهم كانوا يعتقدون أن من أسباب الأمراض وجود الحر والبرد والجفاف والرطوبة ، لذا قدروا أن أمراض الصدر والرئتين تأتي في فصل الشتاء ، بينما الحميات تحصل في الخريف، والصداع والأمراض النفسية تكون في فصل الربيع، أما الأمراض الجلدية فتظهر في فصل الصيف⁵. ويمكن القول أن الطب الصيني إعتد على بعض المعارف التي كانت خالية من الخزعبلات، وإستخدم الوخز بالإبر في علاج معظم المرضى⁶.

¹ ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، الهند وجيرانها ، ترجمة د زكي نجيب محمود ، ج3، ص 242 ، بيروت ، تونس

² ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، ج3، ص 242

³ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص20

⁴ د.محمود الحاج قاسم محمد، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ص: 25-26، الدار السعودية ، جدة، ط1، 1987م

⁵ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص16-بتصرف-

⁶ المرجع السابق ، ص 17

المطلب الثالث: حفظ الصحة عند اليونانيين والرومان: من المعلوم أن اليونانيين ومن بعدهم الرومان أخذوا الكثير من معارفهم الطبية عن قدماء المصريين والبابليين، حيث إهتم أطباء اليونان بنتاج الأمم السابقة عليهم والمجاورة لهم، فدرسوا أعمالهم في مجال الطب عن كثب ، وزادوا على طب الحضارات السابقة الكثير، لأن العقلية اليونانية تميزت بأنها عقلية منطقية نشطة، لذا صار لهم شأن عظيم في ميدان الطب. ويكفي الحضارة اليونانية فخرا أنها أنجبت أبقراط (357-460 ق.م) الذي يعتبر من عمالقة الطب الذين أنجبتهم الإنسانية¹. وقد كان أبقراط (ت حوالي 375 ق.م)² يوصي بوصايا مهمة تتعلق بحفظ الصحة، منها³:

- الإقلال من الغذاء الضار خير من الإكثار من النافع..

- الأفضل أن تملأ المعدة بالماء من أن تملأها بالطعام .

- الشيوخ يتحملون الجوع، ويليهم البالغون، أما الصغار، وكثيري الحركة ، فلا يتحملون مثلهم

- على العليل أن يتداوى بعقاقير أرضه.

- الإقلال من الجماع يحافظ على الصحة.

- إذا جربت العلاج ، ولم تحصل على تحسن في الصحة ، فلا تبدل العلاج قبل تشخيص المرض. ولأبقراط أيضاً في حفظ الصحة كتاب (الأهوية والأماكن والمياه) فقد عالج فيه علاقة صحة الإنسان بالبيئة، وهو في ثلاث مقالات تشتمل على بحوث حول المياه والمناخ و الأمزجة وأثر اختلاف المكان والزمان والفصول، طبياً وجغرافياً وتاريخياً ، وتصنيف طبقات الشعوب ، وعلم التنجيم وأثره في أعضاء الجسم وانتشار الأمراض والوقاية منها ، وله أيضاً كتاب في الأغذية فيه بحث عن التمارين الرياضية وما يؤكل من غذاء وما يشرب⁴.

¹د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص16.

² طبيب يوناني ، ولد سنة 460 ق.م ، من أشرف أهل بيته ، وأعلاهم نسبا، ويعرف بأبي الطب ، وهو من الأطباء الكبار المذكورين الذين استقيليبيوس أولهم ، تعلم أبقراط صناعة الطب من أبيه إيرقليدس ، ومن جده أبقراط ، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب ، له كتب ووصايا ومقالات في الطب منها، كتاب الأجنة ، كتاب طبيعة الإنسان ، كتاب الأهوية والمياه والبلدان...توفي 375 ق.م أنظر:(إبن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج 1، ص 202-218-بتصرف)

³ انظر ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص(49 ، 50).

⁴ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 50

وأما كتابه (حفظ الصحة) فيعتقد أنه أبقراطي العصر ، ويحتوي هذا الكتاب على كثير من أفكار الطب الوقائي، والمحافظة على الصحة تبعاً للظروف المناخية وفصول السنة، وتعليمات في ممارسة الرياضة والاستحمام..وكانت جل المعالجات في عصر أبقراط تعتمد على الراحة والرياضة والتغذية والهواء الطلق والتمسيد والمسهلات والمقيئات والفضد والحجامة ، وقليلاً ما تستعمل الأدوية التي كان غالبيتها من أوراق الأعشاب وزهورها وجذورها¹ .

وقد انتهج أهل اليونان طريقتين: طريق يعالج فيه المرضى بالكهانة والسحر، وكان سدنة هذا التطبيق يتوارثون هذه المهنة، ويضنون بها على عامة الناس، وينسبون الأمراض إلى أعمال الشياطين ، والعلاج إلى أعمال الآلهة، وطريق اشتغل بالطب على أنه فرع من الطب الطبيعي، واهتموا بالتشخيص الوصفي، وكان ذلك هو اتجاه الفلاسفة، ولم يستقل أحد من هؤلاء وأولئك بالبحث فيه، حتى كان أبقراط الذي يعتبر أول من بَوَّب الطب ورتبه وبناه على أسس صحيحة، ولذلك سموه (أبو الطب)². كما يذكر أن أطباء اليونان –وعلى رأسهم أبقراط- يعرفون الطب بأنه قياس وتجربة، وكان أبقراط يعتبر أسباب المرض إما بعيدة أو قريبة، فالأسباب البعيدة للمرض إما أن تكون ناتجة عن عوامل الجو أو الأطعمة المتناولة من قبل المريض، أما العوامل القريبة فتحدث من فساد أو سيطرة واحد من الأخلاط الأربعة التي يتكون منها الجسم(الدم والصفراء والبلغم والسوداء)، لذا كانوا ينادون بضرورة معالجة الأمراض بالوسائل التي تؤدي لإنضاج الأخلاط وإخراجها من الجسم³.

ويعتقد بعض المؤرخين أن الطب يوناني النشأة، والدليل على ذلك تبنيهم شعار أستليبيوس الطبي (العصا والثعبان كرمز للطب)⁴. ويتضح للقارئ أن الطب اليوناني بقي أمداً طويلاً خاضعاً للخزعبلات والتجارب التي لم تكن مبنية قواعد علمية ، وظل الطب سجين المعابد يديره الكهنة حتى بدأ بتحريه أبقراط ، ومن هنا بدأت الانطلاقة للبحوث الطبية المبنية على أسس علمية⁵.

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

² محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص 170.

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة.

⁴ المرجع السابق ، نفس الصفحة

⁵ محمود الحاج قاسم محمد ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ص 27-28.

أما بالنسبة للرومان (100 ق.م - 390 ق.م) فقد إستعملوا طرائق مثالية لإيصال المياه النظيفة إلى البيوت والأماكن العامة، والمجاري النظامية للمياه القذرة والأوساخ¹. واشتهروا باستعمال الحمية والرياضة ؛ والحمامات الساخنة بدل العقاقير المختلفة ، كما استخدموا الموسيقى وبعض المهدئات لعلاج الأمراض العقلية². ومن أطباء هذا العصر روفس الأفيسي³، الذي كتب مقالاً في حفظ الصحة وكتاباً في الطعام الشراب وكتاباً في الباه... وهذه المؤلفات مفقودة ، إلا أن الأطباء العرب نقلوا في كتبهم كثيراً من آرائه⁴. أما جالينوس (ت 201 م)⁵ من أشهر الأطباء في العصور الرومانية ، وقد جمع آثار أبقراط في الطب ، وترجم المسلمون كتبه⁶. قال عنه ابن خلدون في مقدمته: (إمام هذه الصناعة جالينوس ، وتآليفه هي الأمهات التي اقتدى بها جميع الأطباء بعده)⁷ ، ومن مؤلفات جالينوس في مجال حفظ الصحة (كتاب في الحيلة لحفظ الصحة) و(كتاب تدبير الأصحاء) و(الحمية والغذاء) و(كتاب تفسير الفصول) لأبقراط، و(تفسير كتاب الهواء والماء والمسكن) لأبقراط⁸. وقد اشتهر في مطلع الإسلام الطبيب البيزنطي بولص الأجانطي⁹ الذي صنف بالإغريقية دائرة للمعارف الطبية في سبعة كتب. وذكر فيها أهمية الطب والعناية بالطفل والمرضعات والفصول الأربعة والعناية بالرياضة والتمارين الطبيعية والأطعمة والأخلاق وحفظ الصحة¹⁰.

¹ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 51

² محمود الحاج قاسم محمد، الطب عند العرب والمسلمين، ص 36

³ طبيب يوناني ، مقدم في صناعة الطب ، وله كتب في الطب وتدبير الصحة ، (انظر النديم، الفهرست، ص 350).

⁴ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 52

⁵ أصله يوناني ، عاش في العصر الروماني ، مقدم في صناعة الطب ، يجيء اسمه بعد أبقراط علما و شهره ، (أنظر النديم ، الفهرست ، ص 346) و (السامرائي ، مختصر الطب العربي ، ج 1، ص 147-148)

⁶ دكمال السامرائي ، مختصر الطب العربي ، ص 148-بتصرف-

⁷ ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون 732هـ-808هـ ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ج 2 ، ص 268 ، دار يعرب ، دمشق ، ط1، 2004م

⁸ أبو الحسن بن علي بن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ص 52

⁹ يوناني الأصل،عاصر الإسلام،عرف بالجراحة،وكان خبيرا في علل النساء وأمراضهن،حتى سمي بالقوابلي،له كتاب في الطب (ابن النديم،الفهرست،ص 293). أنظر: فؤاد يوسف قرانجي أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين،ص 118.

¹⁰ المرجع السابق ، نفس الصفحة

المبحث الثاني: حفظ الصحة عند العرب قبل الإسلام: مارس العرب التداوي من خلال التجربة والخبرات البسيطة ، إلى جانب طب السحر ، والشعوذة ، ذلك ماستترق إليه فيما يلي:

المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الجاهلي: إن حفظ الصحة في العصر الجاهلي كان معتمدا على التجارب البسيطة ، وإستخدام العلاج بالسحر و الطلاسم والدجل والشعوذة ،ونسبة الأمراض إلى الشياطين ، وإستعمال التمايم والتعاويد ، وكذلك استئصال الأطراف الفاسدة ، وإستخدام المسكرات¹ ، فقد كان يستند في معظمه على استعمال التعاويد والتمايم وتناول المواد الخام القريبة من الأيدي، كالأعشاب الصحراوية وأبوال الإبل، ورماد الحرائق، و دماء الذبائح والطرائد والشمع والعسل إلى ما هنالك². (واستخدموا الأدوية البسيطة والأشربة الطبيعية ، مثل العسل الذي كان يعتبر أساس العلاج لأمراض البطن ، واستعملوا الحجامة والكي والبتير والفصد و الحمية، واستعملوا بعض الأعشاب الطبية التي تنبت في بلاد العرب ، ولذا فإننا لا نجد عندهم معرفة بالطب التجريبي والعقاقير والمعالجات بالضمد ، ولم تكن لهم من المعرفة الطبية غير ما اختزنته ذاكرة الحكماء ودونه الشعراء في قصائدهم ، بحيث يصح القول بأن حفظ الصحة في العصر الجاهلي لم يكن غير (طب) شعبي ينتقل بالممارسة والتعليم شفاها من جيل إلى جيل، وقد أضافت إليه الأعوام خبرة بعد خبرة)³. وكان من يتعاطى الطب عند العرب له مكانة كبيرة في الجاهلية⁴. وكان من أبرز وسائل العلاج عند العرب الكي بالنار ، واستخدموه في علاج أمراض المفاصل ، ووجع الرأس، والقروح. كما استخدموا العديد من النباتات لعلاج بعض الأمراض ، وإستعملوا (القطران) في طلي الحيوان المصاب بالجرب . وإجمالا فإن العرب في الجاهلية إستخدموا طريقتين للتداوي الأولى: (تقوم في العلاج على الكي بالنار واستئصال الأطراف الفاسدة والتداوي بشرب العسل وبعض الأعشاب النباتية ، وطريقة ثانية: تعتمد في علاجها على الحمية وتقديم النصيحة وليدة الخبرة و التجربة)⁵.

¹ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص 27.

² د.رحاب خضر عكاوي ، الموجز في تاريخ الطب عند العرب ، ص 81 ، دار المناهل ، بيروت ، لبنان. بدون ت.س

³ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص 27

⁴ أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 29 ، ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف أ.د سلامة محمد الهرفي البلوي ، جامعة الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، السنة الدراسية 2010-2011م

⁵ د.راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص 26.

المطلب الثاني: أطباء العصر الجاهلي: لم يكن عند العرب في الجاهلية معرفة بالطب كثيرا، ولذلك ظهر فيهم عدد قليل من الأطباء ، الذين عاش بعضهم إلى ما بعد ظهور الإسلام، ونذكر منهم:

1- ابن حذيم: اختلف الرواة في اسمه، فقليل إنه (حذيم)، بكسر الحاء وسكون الذال¹. ومن المعلوم أنه عني بالطب وداوى الناس في العصر الجاهلي ، عن طريق الحجامة والكي خاصة. ، وكان العرب يعبرون عن مهارة أي طبيب بالمثل السائر: (أطب من حذيم)² ، ولحذقه عرف بصنعتة دون اسمه ، وقيل إنه أطب العرب جميعا ، وقد عاش ابن حذيم قبل الحارث بن كلدة³ .

2- لقمان بن عاد: كان يقيم في بلاد الشام، ولقب بالحكيم، وقد جاء في الخبر: (أن لقمان النوبي الحكيم بن عنقاء بن بروق من أهل أيكة، أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها، ثم أعطاه شاة أخرى وأمره بذبجها ويأتيه بأطيب ما فيها، فذبجها وأتى بقلبها ولسانها، فسأله عن ذلك فقال له: يا سيدي لا أخبث منهما إذا خبثا ولا أطيب منها إذا طابا، ومن أقواله المأثورة: ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب عيش ، لا تقلق نفسك بالهموم ، ولا تشغل قلبك بالأحزان ، كل داء حسم بالكي آخر الأمر)⁴.

3- زهير بن خباب بن هبل الحميري: كان لسداد رأيه يسمى كاهنا، وكان طبيبهم، والطب في ذلك الزمن شرف، عاش حتى هرم وذهب عقله، وقيل إنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، كما زعم أن زهير عاش أربعمائة وعشرين سنة⁵.

4- زينب طبيبة بني أود: هي زينب طبيبة قبيلة بني أود، والتي كانت خبيرة بالعلاج والمداواة ، حتى ذكرها الشعراء العرب، فقالوا في طبها: أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على الناي زينبا ويذكر أن بعض النساء اللواتي أدركن الإسلام كن يزاولن مداواة الجرحى وتمريض المرضى ويعتقد أن مهمتهن كانت أقرب إلى التمريض ، وسيأتي ذكر أسماء طائفة منهن ممن عاش في زمن النبي ﷺ⁶.

¹ الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج3، ص 337

² الزنجشيري المتوفى 538هـ ، المستقصى من أمثال العرب ، تحقيق د محمد عبد المعيد خان ، ج 1، ص 220

³ عكاوي ، الموجز في تاريخ الطب العربي ، ص77

⁴ عكاوي ، الموجز في تاريخ الطب العربي ، ص 76

⁵ عكاوي ، الموجز في تاريخ الطب العربي ، ص 77

⁶ المرجع السابق ، ص78

المبحث الثالث: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين :

أسس الإسلام منهجا جديدا ومتميزا في العناية بالصحة والوقاية من الأمراض ، مستمدا من الوحي وتوجيهات النبي ﷺ ووصايا أصحابه من بعده ذلك، ما سنتطرق إليه فيما يأتي:

المطلب الأول: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ: لقد تميز حفظ الصحة في عصر الرسالة بأنه كان يستمد أصوله الثابتة من القرآن والسنة، لتكون هاديا للأطباء المسلمين وعموم الناس، لكي ينجحوا في الوصول إلى تحصيل البرء والشفاء من العلة والمرض ، فكان المسلمون يحترمون القاعدة الشرعية في العلاج والتداوي ، وهي حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالذَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ)¹، فقد منع الحديث النبوي التداوي بكل محرم ، فلم يكن مقبولا أبدا عندهم أن يعالجوا مرضا بخمر أو نجاسة أو بفعل منكر كاللجوء إلى السحر والشعوذة، فلم يلجأوا إلى تلك العلاجات لعلمهم أنها من الكبائر المحرمة شرعا ، ولنهى النبي ﷺ عن استخدامها ، وقد وردت نصوص نبوية صحيحة بيّنة تفتح المجال أمام المسلمين ليتعلموا الطب ، وليتمرسوا فيه ، ومن النصوص النبوية البارزة في التطب وممارسة الطب ما رواه جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)².

وقد بلغت أحاديث النبي ﷺ في حفظ الصحة ، والوقاية من المرض ثلاثمائة حديث³، وقد سميت فيما بعد بالطب النبوي، وقد زاد الاهتمام بحفظ الصحة في عهد الرسول ﷺ ، يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: (يَا أُمَّتَاهُ ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فِقْهِكَ ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالشَّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ : ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ - أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ - وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالطَّبِّ ، كَيْفَ هُوَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ أَوْ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : فَضَرَبَتْ عَلَيَّ مِنْكِيبِهِ ، وَقَالَتْ : أَيُّ عَرِيَّتِهِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمُرِهِ - أَوْ فِي آخِرِ عُمُرِهِ - فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَتَنَعَتْ لَهُ الْأَنْعَاعَ ، وَكُنْتُ أَعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ)⁴.

¹ سنن أبي داود - كتاب الطب - باب في الأدوية المكروهة ، ج 4 ، ح 3874 ، ص 6 ، وهو حديث حسن بشواهده.

² صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2204 ، ص 21

³ انظر علي بن عبد الله الدفاع: رواد علم الطب في الحضارة العربية والإسلامية ص 63.

⁴ مسند أحمد بن حنبل - مسند عائشة رضي الله عنها ، ج 11 ، ح 25018 ، ص 5895 ، صحيح الإسناد.

فمن كثرة ما كانت ترى عائشة رضي الله عنها من وصف الدواء لرسول الله ﷺ ومعالجتها له أصبحت ﷺ خبيرة بالطب. وكانوا يتعالجون بقطع العروق والكي بالنار أحيانا، ففي الحديث عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ طَبِيْبًا فَقَطَعَ مِنْهُ عَرْقًا ، ثُمَّ كَوَاهُ عَلَيْهِ) ¹ ؛ وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضًا قَالَ: (رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ ، قَالَ: فَحَسَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ بِمِشْقَصٍ ، ثُمَّ وَرَمَتْ فَحَسَمَهُ الثَّانِيَةَ) ² . كما كانوا يعالجون الجروح التي تنزف بقطعة حصير تحرق حتى تصير رماداً ثم تلتصق بالجرح فيستمسك الدم ، ففي الحديث عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ قَالَ : (لَمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رِثَاعِيَّتُهُ وَكَانَ عَلَيَّ يَحْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي الْمَجْنِ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُهُ فَلَمَّا رَأَتْ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى الْمَاءِ كَثْرَةً عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا عَلَى جُرْحِهِ فَرَقَّ الدَّمُ) ³ .

وذكر ابن القيم في الطب النبوي : (يُذَكَّرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ عَادَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ: ادْعُوا لَهُ طَبِيْبًا، فُدْعِيَ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَيْسَ عَلَيْهِ بَأْسٌ، فَأَتَّخِذُوا لَهُ فَرِيْقَةً، وَهِيَ الْخُلْبَةُ مَعَ تَمْرِ عَجْوَةٍ رَطْبٍ يُطْبَخَانِ، فَيَحْسَاهُمَا، ففعل ذلك، فبرىء) ⁴ . وقد أمر النبي ﷺ بعدم مخالطة ذوي الأمراض المعدية، بقوله: (وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ) ⁶ . كما أمر ﷺ بالبحر الصحي فهى عن دخول أرض الوباء، فقال: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا) ⁷ ، ونبههم ﷺ إلى الناحية النفسية في الشفاء، ففي الحديث: (إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفَسُوا لَهُ فِي الْأَجْلِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِدُّ شَيْئًا وَيُطَيِّبُ نَفْسَهُ) ⁸ .

¹ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2207 ، ص 22

² صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2208 ، ص 22

³ صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب المجن ومن يترس بترس صاحبه ، ج 4 ، ح 2903 ، ص 38

⁴ أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطب - باب في ثمرة العجوة ، ج 4 ح 3870 ، ص 8 ، عَنْ سَعْدٍ قَالَ : (مَرِيضٌ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْوِدُنِي ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ تَدْيِي حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَهَا فِي فُؤَادِي فَقَالَ : إِنَّكَ رَجُلٌ مَفُودٌ أَتَى الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ أَخًا نَقِيْفٍ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَنْطَلُبُ ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمْرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِيْنَةِ ، فَلْيَجَاهُنَّ بِنَوَاهِنَّ ، ثُمَّ لِيَلِدْكَ بِهِنَّ) .

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي ، ج 1 ، ص 226

⁶ السنن الكبرى للبيهقي - كتاب النكاح - جماع أبواب اجتماع الولاة وأولاهم وتفرقهم وتزويج المغلوبين على عقولهم والصبيان

وغير ذلك - باب اعتبار السلامة في الكفاءة ، ج 7 ، ح 13885 ، ص 135

⁷ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون ، ج 7 ، ح 5728 ، ص 130

⁸ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله ﷺ - باب ، ج 3 ، ح 2087 ، ص 595 وقال، هَذَا حَدِيثٌ غَرِيْبٌ .

ويعلق ابن القيم على الحديث بقوله: (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ جَدًّا مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْعِلَاجِ ، وَهُوَ الْإِرْشَادُ إِلَى مَا يُطَيَّبُ نَفْسَ الْعَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَقْوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ ، وَتَنْتَعِشُ بِهِ الْقُوَّةُ ، وَيَنْبَعِثُ بِهِ الْحَازُّ الْعَرِيزِيُّ ، فَيَتَسَاعَدُ عَلَى دَفْعِ الْعَلَّةِ أَوْ تَخْفِيفِهَا الَّذِي هُوَ غَايَةُ تَأْثِيرِ الطَّبِيبِ)¹ .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: حين أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يجعلوه في خيمة كانت للصحابية رفيدة رضي الله عنها² قريبة من المسجد حتى يعود من قريب ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لَمَّا أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الْخُنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ فِي الْأَكْحَلِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِيَمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ)³ ، والمؤرخون المسلمون يعتبرون هذه الخيمة نواة البيمارستانات (المستشفيات) في الإسلام⁴ ، فقد ثبت أن الرسول ﷺ أمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يأتي الحارث بن كلدة⁵ ، الطبيب العربي المعروف - وهو من قبيلة ثقيف - ليعالج عنده ، مع أن هذا الطبيب لم يثبت إسلامه بعد... ولكن لإتقانه لحرفته وصنعتة ومهارته فيها ، قبل رسول الله ﷺ أن يعالج عنده المسلم⁶ .

(لقد أعلى النبي ﷺ من شأن الممارسة الطبية القائمة على الخبرة والعلم ، وبهذا فتح الباب للطب التجريبي القائم على المعالجة المادية للمرض ، واعتبر العناية بالجسم ضرورية ، وكان رضي الله عنه يشمل هذه الأمور بالتوجيه الخلفي الرباني ، حتى تستعمل لمنفعة الإنسان ضمن الإطار الأخلاقي)⁷ .

وخلاصة الأمر أن النبي ﷺ حرر الطب من الأسطورة والخيال ، والسحر والشعوذة ، ووضع القواعد والأصول الصحيحة ، ليكون الطب في خدمة الإنسان ، مستندا على العلم والتجربة والكفاءة ، ضمن إطار أحكام الدين الإسلامي ، وأخلاق الشريعة الإسلامية.

¹ ابن القيم ، الطب النبوي ، ج 1 ، ص 87

² عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، ج 2 ، ص 239 - بتصرف - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط 2 ، 1995م

³ سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب في العيادة مرارا ، ج 3 ، ح 3098 ، ص 153

⁴ د. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص 11 ، شركة كلمات عربية الترجمة والنشر ، مصر ، 2011م

⁵ الحارث بن كلدة: ثقفى من أهل الطائف ، طبيب العرب في عصره ، ولد في الجاهلية ، وعاش في أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه ، أنظر: (ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج 1 ، ص 162-165)

⁶ د. راغب السرجاني ، قصة الطب في الحضارة الإسلامية ، ص 31

⁷ المرجع السابق ، ص 34.

المطلب الثاني: حفظ الصحة في عصر الخلفاء الراشدين: في هذا المطلب نذكر أبرز توجيهات الخلفاء الراشدين في العناية بحفظ الصحة ،ومعرفة معالم الحياة الصحية في العصر الراشدي.

أولاً: حفظ الصحة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن فترة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (القصيرة) (11-13هـ/632-634م) والتي إشتغل فيها الخليفة أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم ، وقاتل المرتدين من مانعي الزكاة ، وبدء الفتوحات الإسلامية ، لم تتشكل خلالها صورة واضحة ومتكاملة للعناية الصحية والطبية في عصره رضي الله عنه ، إلا أنه يمكن ملاحظة ما يلي¹:

1- حرص الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على صحة الجنود (المقاتلين): فقد كان الخليفة أبوبكر رضي الله عنه يوصي الصحابي القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه - عند توجهه إلى فلسطين ، بالرفق بالجنود ، وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة ، لأن فيهم ضعيف الجسد الذي لا يقدر أن يمشي لأميال طويلة ، حيث أوصاه قائلاً: (وكن والدا لمن معك ، وأرفق بهم في السير ، فإن فيهم أهل ضعف ، والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)².

2- توجيه الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بتزويد الجيوش الإسلامية بالإسناد الصحي والطبي: وذلك من أجل إسعاف الجرحى، وتقديم الطعام ورفع معنويات المقاتلين ، فقد روي عن هند بنت عتبة³ زوجة أبي سفيان قولها: (عضدوا الغلفان⁴ بسيفوكم)⁵ ، وكان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوعاً وأحب مع ذلك أن يرى ولده (معاوية) وحملها معه، ثم أنه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة⁶.

¹ أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 111-بتصرف-

² محمد بن عمر ، أبو عبد الله، الواقدي (ت: 207هـ)، فتوح الشام ، ج 1، ص 14، دار الكتب العلمية ط 1997م

³ هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأما صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بختة بن سليم، توفيت سنة (34هـ/635م) ، انظر ابن سعد، الطبقات، ج 8 ، ص

⁴ وَفِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ: (عَضُدٌ) بِضَمِّ الضَّادِ وَكَسْرِهَا وَسُكُونِهَا. وَ (عَضُدٌ) بِوَزْنِ (فُقُلٍ). وَ (عَضَدَهُ) مِنْ بَابِ نَصَرَ أَعَانَهُ. وَعَضَدَ الشَّجَرَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ قَطَعَهُ. وَ (الْمُعَاوَنَةُ) الْمُعَاوَنَةُ وَ (اغْتَضَدَ) بِهِ اسْتَعَانَ ، انظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) ، مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، ج 1 ، ص 211، المكتبة

العصرية ، بيروت - صيدا ، ط 5 ، 1999م

⁵ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (279هـ) ، فتوح البلدان ، ج 1 ، ص 137 ، مكتبة الهلال ، بيروت ، 1988 م

⁶ المرجع السابق ، نفس الصفحة

3- حرص الخليفة أبي بكر رضي الله عنه على حفظ صحة الجنود: من خلال السماح لمن يريد الرجوع إلى أهله ، وعدم إكراه أحد على القتال ، حيث قال لأحد قادة الجيوش المتجهة إلى فتح العراق وهو عياض بن غنم¹ ، (وائذن لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحن بمتكاره²)³ .

4- رعاية الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لكبار السن: فقد كانت له عناية خاصة برعاية الفئات الخاصة، فقد أخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها، فرصده عمر ، فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى⁴) .

فتلك أبرز معالم وسمات حفظ الصحة في عصر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالرغم من قصر مدة خلافته ، وانشغاله بأمور الأمة المهمة ، كجمع القرآن وقتال المرتدين وفتوح الشام والعراق .

ثانياً: حفظ الصحة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-23هـ/634-644م): شهدت خلافة عمر رضي الله عنه الكثير من الإنجازات الحضارية ، حيث وضع التأريخ الهجري ، وفي خلافته مصرت البصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، ودونت الدواوين ، وفتحت الشام ، ومصر ، والعراق ، وتطورت المؤسسة القضائية والرقابة الإدارية ، وتطورت الرعاية الصحية والطبية ، والتي يمكن إبراز أهم معالمها ومظاهرها فيما يلي⁵:

¹ عياض بن غنم بفتح المعجمة بن زهير بن أبي شداد الفهري ، أسلم قبل الحديبية وشهد فتوح بالشام ، هو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها كان يقال لعياض زاد الراكب لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده وإذا كان مسافراً أثرهم بزاده فإن نفذ نحر لهم جملة، مات بالمدينة سنة عشرين لمزيد انظر العسقلاني، الإصابة ج 4 ، ص 757

² المتراخي الكسول، الذي لا يرغب بالقيام بأي عمل، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 5 ، ص 183

³ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 346 ، دار التراث - بيروت ، الطبعة: الثانية - 1387 هـ

⁴ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، تاريخ الخلفاء ، ج 1 ، ص 65 ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة الأولى: 2004م

⁵ أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ، ص 113.

1- نهى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الإسراف في الطعام والإكثار من أكل اللحوم: فقد روي عنه رضي الله عنه قوله: (إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للسقم مكسلة، عن الصلاة وعليكم بالقصد فيها فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)¹. وروي عنه رضي الله عنه (إياكم واللحم ، فإن له ضراوة كضراوة الخمر)²، ومن المعروف طيباً أن الإكثار من اللحوم ، يؤدي إلى العديد من الأمراض كارتفاع مستوى الكولسترول في الدم ، وهذا ما تحذر منه المنظمات الصحية والطبية في العالم³.

2- حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إتمام رضاعة الأطفال وعدم التعجيل بقطاعهم: يدل على ذلك الحادثة التي وقعت في عهده حينما سمع عمر رضي الله عنه صوت صبيا يبكي ، فتوجه ناحية الصوت وقال لأمه التي تحاول إسكاته: (إتقي الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه فارتفع صراخ الصبي مرة أخرى ، فعاد إلى أمه وقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال عمر رضي الله عنه في ضيق: ويحك إني أراك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت الأم في حزن وفاقة: يا عبد الله قد ضايقتني هذه الليلة إني أدركته على الفطام ، فيأبى، قال عمر رضي الله عنه في دهشه : ولم ؟ قالت الأم في ضعف: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم ، إرتعدت فرائص عمر رضي الله عنه خوفاً ، وقال في صوت متعثر: وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً قال عمر رضي الله عنه: ويحك لا تعجله ، ثم انصرف فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال : يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام)⁴

¹ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) ، الطب النبوي ، ج 1 ، ص 243 ، تحقيق: مصطفى خضر دوغمز التركي الناشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، 2006 م

² موطأ الإمام مالك - صِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما جاء في أكل اللحم ، ج 1 ، ح 3450 ، ص 1369

³ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 113

⁴ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي (774هـ) ، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم ، ج 2 ، ص 479 ، المحقق: عبد المعطي قلعجي ، دار الوفاء ، المنصورة ط 1، 1991م

3- توفير الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطعام للمحتاجين ورعايته اللقطاء وعابري السبيل: كان عمر رضي الله عنه يبعث السعاة والعمال ليزعوا الطعام على الناس في الأماكن البعيدة، وخصوصاً الصدقات على المساكين حيث يخصهم بها، فقد روي أن أعرابية توسمت الناس فجاءته فقالت: (إني امرأة مسكينة، ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً، فلم يعطينا، فلعلك يرحمك الله أن تشفع لنا إليه. قال: فصاح بخادمه أن ادع لي محمد بن مسلمة. فقالت: إنه أبحح لحاجتي أن تقوم معي إليه. فقال: إنه سيفعل إن شاء الله. فجاءه يرفأ، فقال: أجب. فجاء، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فاستحيت المرأة، فقال عمر: والله ما ألو أن أختار خياركم، كيف أنت فائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عيننا محمد. ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه صلى الله عليه وسلم، فصدقناه وتبعناه، فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين، حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر، فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني، فلم ألو أن أختار خياركم، إن بعثت فأد إليها صدقة العام وعام أول، وما أدري لعلني لا أبعثك. ثم دعا لها بجمال فأعطاهم دقيماً وزيتاً، وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإننا نريد لها فائتة بخيبر، فدعا لها بجمالين آخرين، وقال: خذي هذا، فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقة للعام وعام أول¹. وأيضاً لم ينس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأرقاء والموالي، حيث كان حريصاً على إطعامهم مما يطعم منه الناس، وهذا يدل على عدله رضي الله عنه بين الناس، وعدم تفريقه بين غني وفقير، أو بين عبد وسيد، فقد كان عمر رضي الله عنه يتبع المنهج الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالموالي والأرقاء، فعن ابن أبي مليكة، قال: قال أبو مخذوم: (كنت جالساً عند عمر، إذ جاءه صفوان بن أمية بجفنة يحمليها، ففرد عباءة، فوضعها بين يدي عمر، فدعا عمر ناساً مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله، فأكلوا معه، ثم قال عند ذلك: (فعل الله بقوم - أو لحا الله قوماً - يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم). قال صفوان: إنا والله لا نرغب، ولكننا نستأثر عليهم لا نجد من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم².

¹ أبو غبيد القاسم بن سلام (224هـ)، كتاب الأموال، ج 1، ص 712، تح خليل محمد هراس. دار الفكر. - بيروت.

² أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي (المتوفى: 246هـ)، البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره)، ج 1، ص

189، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1419هـ.

وإهتم الخليفة عمر رضي الله عنه بإطعام المنبوذين، واللقطاء الذين لا يعرف أهلهم فخصص طعامًا ومالا من بيت المال. وحرص الخلفاء على رعاية أبناء السبيل، وتوفير الراحة لهم، وإعطاء المحتاج منهم من الطعام والمال¹. وقد حدثت واقعة في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن أبي عؤن الثقفني قال: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى يَقُولُ: (سَافَرَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَزْمَلُوا²، فَزَلُّوا حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَسَأَلُوهُمْ الْقَرَى، فَأَبَوْا، وَسَأَلُوهُمْ الْبُسْرَ³، فَأَبَوْا، فَضَبَطُوهُمْ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ، فَأَتَتِ الْأَعْرَابُ عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَشْفَقَتْ الْأَنْصَارُ مِنْ عُمَرَ رضي الله عنه، فَهَمَّ بِهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه وَقَالَ: تَمْنَعُونَ ابْنَ السَّبِيلِ مَا يَخْلِفُ اللَّهُ فِي ضُرُوعِ الْإِبِلِ وَالْعَمَمِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟ ابْنُ السَّبِيلِ أَحَقُّ بِالْمَاءِ مِنَ التَّالِيِ عَلَيْهِ⁴.

4- تصرف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند انتشار الأوبئة (طاعون عمواس⁵): تعرضت بلاد الشام وماحولها في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه لوباء طاعون عمواس، ومات الكثير من الصحابة، فقام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسؤال ومشاورة بعض الصحابة بشأن هذا الأمر، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرَ ثُمَّ أَنْصَرَفَ⁶). وهذا يدل على أن الخليفة عمر رضي الله عنه سار على نهج النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الوباء، أي أنه حصر المرض في منطقته للقضاء على الوباء بالإمكانات البسيطة عندهم في تلك الحقبة التاريخية⁷.

¹ د. إبراهيم بن عبد العزيز العمري، إستراتيجيات مدنية وعسكرية، الرياض، ص 53 مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2006.

² أزملوه: من أزمل: أزمل القوم: نفذ زادهم، و أزملوه أنفدوه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 296

³ البسر: بسر النخلة و ابتسرها: لقحها قبل أوان التلقيح، المصدر السابق، ج 4، ص 58

⁴ عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: 262هـ)، تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق:

فهيم محمد شلتوت، ج 2، ص 777، جدة: 1399 هـ

⁵ عمواس: رواه الزنجشري بكسر أوله، وسكون الثاني، هي من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ومنها كان إبتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة، رضي الله عنهم، ومن غيرهم، وقيل: مات فيه خمسة وعشرون ألفا من المسلمين وذلك في سنة 18 للهجرة، انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995 م

⁶ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون، ج 7، ح 5729، ص 130

⁷ أسماء يوسف أحمد آل ذياب، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري، ص 117.

5- رعاية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحاب الأمراض المعدية (المجدومين): يروى (أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مقدمه الجابية¹ من أرض دمشق ، مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت)² ، كما روي عنه رضي الله عنه ، كما جاء في الموطأ عن ابن أبي مليكة ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه (مَرَّ بِامْرَأَةٍ مَجْدُومَةٍ³ ، وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، لَا تُؤْذِي النَّاسَ ، لَوْ جَلَسْتَ فِي بَيْتِكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ نَهَاكَ ، قَدْ مَاتَ ، فَاخْرُجِي ، فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَطِيعَهُ حَيًّا ، وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا)⁴. وهذا الموقف يدل على حرص الخليفة عمر رضي الله عنه بعزل المجذوم، وكان رضي الله عنه ينصح باستخدام الخنظل في علاج المريض بالجذام ، وتذكر المصادر أنه رضي الله عنه عالج أحد المسلمين بالخنظل، فتوقف المرض⁵.

6- تقديم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإعانات للجرحى وأسر الشهداء: كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم المساعدات لمن أصيب في الحروب ومن الأمثلة على ذلك ما روي عنه ، قَالَ: (أَقْبَلَ قَوْمٌ عُرَاهُ مِنَ الشَّامِ يُرِيدُونَ الْيَمْنَ ، وَكَانَتْ لِعُمَرَ جَفَنَاتٌ⁶ يَضَعُهَا إِذَا صَلَّى الْعِدَاةَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ يَأْكُلُ فَحَعَلَ يَتَنَاوَلُ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ، وَكَانَ يَتَعَهَّدُ النَّاسَ عِنْدَ طَعَامِهِمْ: كُلْ بِيَمِينِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: هِيَ مَشْعُولَةٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ دَعَا بِهِ فَقَالَ: مَا شَغَلَ يَدَكَ الْيَمِينَ؟ فَأَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ مَقْطُوعَةٌ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: أُصِيبَتْ يَدِي يَوْمَ الْيَزْمُوكِ. قَالَ: فَمَنْ يُؤْضِئُكَ؟ قَالَ: أَتَوَضَّأُ بِشِمَالِي وَيُعِينُ اللَّهُ ، قَالَ: فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْيَمْنَ إِلَى أُمَّ لِي لَمْ أَرَهَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ. قَالَ: وَبَرٌّ أَيْضًا ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَادِمٍ وَخَمْسَةِ أَبَاعِرَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَأَوْفَرَهَا لَهُ)⁷.

¹ بكسر الباء، وياء مخففة وأصله في اللغة الحوض الذي يجي فيه الماء للإبل ، وهي قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان ، أنظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 92.

² البلاذري (ت 279هـ) ، فتوح البلدان، ج 1 ، ص 131

³ المجدوم: الذي أصابه الجذام ، وهو الداء المعروف ، كآفة من جذم فهو مجذوم ، وقيل لأن الجذام من الأمراض المعدية ، وَكَانَتْ الْعُرْبُ تَتَطَيَّرُ مِنْهُ وَتَتَحَبَّبُ ، أنظر: ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر - حَرْفُ الْجِيمِ ، ج 1 ، ص 251

⁴ موطأ الإمام مالك - كتاب الحج - جامع الحج ، ج 1 ، ح 1603 ، ص 625

⁵ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 118

⁶ الجفن ، والجفنة كالقصة وجمعها جفان و جفنت بالتحريك ، . انظر الرازي، مختار الصحاح، ج 1 ، ص 45

⁷ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: 279هـ) ، جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، ج 10 ، ص 312 ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1996

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله بتقوى الله في معاملتهم مع الرعية، من أجل حفظ الصحة النفسية لرعاياه وجنوده، فكان يوصي عماله بعدم إهدار كرامة الناس، ومما جاء في بعض وصاياه: (وَأَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَبْعَثُ عُمَّالِي عَلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَجْسَادَكُمْ، وَلَا يَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ لِيَعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ فَمَنْ فَعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَارْفَعُوا إِلَيَّ أَمْرَهُ، فَوَاللَّهِ لَأُقْصِنَّ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤَدِّبُ رَعِيَّتَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا تَعَدَّى، فَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَفْضُ مِنْ نَفْسِهِ، لَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتَذْلُوهُمْ، وَلَا تَجْمُرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكْفَرُواهُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهُمْ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ)¹. وأمر جنده أن يتفرغوا للجهاد، وخصص رواتب لهم ولأسرهم، وكذلك تكفل رضي الله عنه بإطعامهم وكسوتهم، وكان لا يسمح بتغيب الجندي عن زوجته وأولاده أكثر من أربعة أشهر، لاعتبارات نفسية واجتماعية كثيرة، وكان يحرص على أن يلحق بكل جيش عددًا كافيًا من الأطباء للعناية بصحتهم، كما أنه أقام معسكرات فسيحة في أماكن صحية لراحة الجند في أثناء الطريق².

7 - حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على دفن الموتى وإسعاف الجرحى: كان قادة الجيوش الإسلامية -تنفيذا لوصايا الخليفة عمر رضي الله عنه - يحرصون على مواراة الجثث في التراب، منعًا لانتشار الأمراض³، فعلى على سبيل المثال كلف القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في معركة القادسية النساء بدفن الموتى، وكان سعد يأمر النساء بإسعاف الجرحى، وتقديم الإسعافات للقوات المقاتلة، ونقل السلاح والماء والغذاء لهم⁴.

ثالثاً- حفظ الصحة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه: (23- 35 هـ / 634-646م) كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لا يجد حرجًا من الاستعانة بالأطباء غير المسلمين في معالجة المرضى ، ويذكر أن أحد الأعراب أصابته جراح، فجيء به إلى الخليفة جريحًا فأرسله إلى طبيب نصراني كي يداويه⁵. وقد أولى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه رعايته الصحية والطبية تجاه الرقيق، حيث طالب بعدم تعذيبهم ولا التنكيل بهم، قائلًا: (لَا تُكَلِّفُوا الْأُمَّةَ غَيْرَ ذَاتِ الصَّنْعَةِ الْكَسْبَ ، فَإِنَّكُمْ

¹ المرجع السابق ، ج 10 ، ص 308

² أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 120

³ بدران، شوقي محمد الشؤون الإدارية في المعارك الإسلامية، مجلة الحرس الوطني العسكرية، ع 296، الرياض، 2006/12/1

⁴ هواش، أحمد سعيد، الإعاشة والطب في التراث العربي الحربي، دمشق، مجلة التراث العربي، ع 76، 1999م

⁵ أنظر: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح: عبد السلام

محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ج 2 ، ص 149، ط 4 ، 1997 م

مَتَى كَلَّفْتُمُوهَا ذَلِكَ كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا ، وَلَا تُكَلَّفُوا الصَّغِيرَ الْكَسْبَ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ سَرَقَ ، وَعَقُّوا إِذْ أَعَقَّكُمْ اللَّهُ ، وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ مِمَّا طَابَ مِنْهَا¹ . وكان ﷺ من أوائل الخلفاء الذين إهتموا بصحة الأسنان، فقد روى: (أَنَّ عُثْمَانَ كَانَ قَدْ شَدَّ أَسْنَانَهُ بِالذَّهَبِ)² ، ويبدو أن الخليفة عثمان ﷺ إستخدم معدن الذهب من الناحية الصحية ، وليس الجمالية ، والتعويض عن الأسنان المفقودة³.

رابعاً: حفظ الصحة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (35-40هـ/646-651م): إن المتأمل للتوجيهات الصحية والطبية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يلاحظ ما يلي⁴:

1- العناية بنوعية الغذاء و الرقابة الصحية على الأسواق : كان علي ﷺ يحرص ألا يأكل شيئاً إلا إذا عرف خصائصه، ونوعيته، وجودته، ومن أقواله فيما روي عنه ﷺ: (وَكَانَ يَحْتَمُ عَلَى الْجِرَابِ الَّذِي فِيهِ دَقِيقُ الشَّعِيرِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْهُ وَيَقُولُ: لَا أَحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي إِلَّا مَا أَعْلَمُ)⁵. ومن توجيهاته وأقواله ونصائحه الخاصة بتناول بعض الأطعمة النافعة للبدن، حيث كان يقول ﷺ: (ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه)⁶، وأرشد إلى الطريقة المثلى في أكل الرمان فكان يقول ﷺ: (إذا أكلتم الرمان، فكلوه بشحمه، فإنه دباغ للمعدة)⁷. وتشير المصادر أن علياً ﷺ كان شديد الحرص على مراقبة الأسواق، فكان ﷺ إذا مرَّ بِالْقَصَابِينَ قَالَ: (لَا تَنْفُخُوا اللَّحْمَ فَمَنْ نَفَخَ فَلَيْسَ مِنَّا)⁸. (فنهاهم عن نفخها عند سلخها ، مخافة تلويث اللحم وفساده إذا كان بعض القصابين مصابا بأمراض معدية ، مما يتسبب في وقوع تسمم غذائي بلغة الطب الحديث)⁹.

¹ موطأ الإمام مالك - كتاب الاستئذان - الأمر بالرفق بالمملوك ، ج 1 ، ح 3595 ، ص 1428

² البلاذري ، جمل من أنساب الأشراف ، ج 5 ، ص 485

³ أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 121

⁴ المرجع السابق ، نفس الصفحة

⁵ ابن الأثير (630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام ، ج 2 ، ص 750 ، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 1، 1997م

⁶ أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت 276هـ) ، عيون الأخبار، ج 3 ، ص 293 ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1418 هـ

⁷ المرجع السابق ، ج 3 ، ص 315

⁸ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ) ، الأمالي في آثار الصحابة للحافظ الصنعاني

، مجدي السيد إبراهيم ، ج 1 ، ح 164 ، ص 105 ، مكتبة القرآن - القاهرة

⁹ أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص 122

2- رعاية الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام المرضى من المسلمين: من خلال الحث على عيادتهم، والرفع من معنوياتهم، فقد روي عن ثوير - هُوَ بِنُ أَبِي فَاخِحَةَ - عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي ، قَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُوذُهُ ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا ؟ فَقَالَ : لَا ، بَلْ عَائِدًا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُوذُ مُسْلِمًا عُذُوهُ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)¹.

3- وصايا الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام للأطباء والبياطرة: أوصى علي بن أبي طالب عليه السلام بعدم مزاوله مهنة الطب إلا من مؤهل لذلك ، وحذر من الأخطاء الطبية، وأن الطبيب ضامن،: فَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ : (خَطَبَ عَلِيٌّ النَّاسَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَطِبَّاءِ الْبِيَاطِرَةِ ، وَالْمُتَطَبِّبِينَ مَنْ عَالَجَ مِنْكُمْ إِنْسَانًا أَوْ دَابَّةً فَلْيَأْخُذْ لِنَفْسِهِ الْبِرَاءَةَ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَالَجَ شَيْئًا وَلَمْ يَأْخُذْ لِنَفْسِهِ الْبِرَاءَةَ فَعَطَبَ فَهُوَ ضَامِنٌ)² ، فإذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فعطب إنسان أو حيوان فهو ضامن³. وقد ذكر الشيزري في كتابه نهاية الرتبة قوله: (خُذُوا دِيَةَ صَاحِبِكُمْ مِنَ الطَّيِّبِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ بِسُوءِ صِنَاعَتِهِ وَتَفْرِيطِهِ. فَكَانُوا يَخْتَاطُونَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، حَتَّى لَا يَتَّعَاطَى الطَّبَّ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا يَتَّهَوَّنُ الطَّيِّبُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ)⁴ ، وعن مجاهد أن عليا عليه السلام قال في الطبيب: (إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه)⁵.

¹ جامع الترمذي ، أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في عيادة المريض ، ج 2 ، ح 969 ، ص 290 ، وهو صحيح

² مصنف عبد الرزاق - كتاب العقول - باب الطبيب ، ج 9 ، ح 18047 ، ص 471

³ ضامن :ضمن الشيء، ضمانا كفل به فهو ضامن، أنظر الرازي، مختار الصحاح، ج 1، ص 161

⁴ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو 590هـ) ، نهاية الرتبة

الطريفة في طلب الحسبة الشريفة ، ج 1 ، ص 98 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

⁵ علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي

(ت: 975هـ) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق: بكرى حيايى - صفوة السقا ج 15 ، ح 40202 ، ص 85 ،

مؤسسة الرسالة ، ط 5 ، 1981م

4- رعاية الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام للفئات الضعيفة في المجتمع الإسلامي: ومن أقواله في كتابه إلى واليه على مكة ، قال له عليه السلام: (وأنظر إلى ما إجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا)¹، وإهتم علي عليه السلام بتخصيص طعام ومال لخصومه أو أعدائه من بيت المال، فعن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن كثير بن نمر، قال: جاء رجل لرجل من الخوارج إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين إني وجدت هذا يسبك، قال: فسببه كما سبني، قال: ويتوعدك، فقال: لا أقتل من لم يقتلني، قال علي: لهم علينا قال أبو عبيد: حسبته قال: ثلاث: أن لا تمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا تمنعهم الفياء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقتلونا)².

5- حرص الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام على رعاية الجنود المقاتلين: من خلال الإنفاق بسخاء على أبنائهم، حيث طلب من ولاته رعاية الجنود والاهتمام بهم، إذ قال لواليه على مصر: (ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن ليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه. وليكن أثر رعوس جنك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم همما واحدا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف عليك قلوبهم ، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدرهم)³.

6- المحافظة على نظافة الطرقات والأماكن العامة: أنشأ علي عليه السلام بيوت الخلاء للمسافرين وأبناء السبيل لقضاء حاجتهم، وأيضا ووفر عليه السلام المياه لأبناء السبيل حرصا على نظافتهم ، فعن الشعبي ، (أن عليا كان يأمر بالمتاعب⁴ والكنف⁵ تُقطع عن طريق المسلمين⁶).

¹ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق الشيخ محمد عبده، مطبعة النهضة، دار الذخائر، إيران ج 3 ، ص 228

² ابن سلام، الأموال، ج 1 ، ص 296

³ أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 6 ، ص 24 ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423 هـ

⁴ ثعب : ثعب الماء فجره ، و الثعب مسيل الوادي، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 1 ، ص 236

⁵ الكنف :الكنيف هو الساتر، ، وهي بيوت الخلاء أو المراض انظر، زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس(305هـ/1005م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط2، 2000م، ج5، ص 142

⁶ مصنف عبد الرزاق - كتاب العقول - باب الجدر المائل والطريق ، ج 10 ، ح 18399 ، ص 72

المطلب الثالث: نماذج من العناية الصحية في عصر الخلفاء الراشدين: حرص الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على الرعاية الصحية للمسلمين ، وفيما يلي نذكر نماذج من ذلك¹:

1-مواجهة المجاعات:(عام الرمادة 18هـ./639م)²: سمي عام الرمادة بهذا الاسم ، لأن الأرض صارت سوداء بسبب القحط فتشبهت بالرماد³، ويذكر أنه حدث في السنة الثامنة عشر للهجرة، وهي نفس سنة طاعون عمواس الذي حدث في الشام، ومن الأسباب التي أدت إلى أزمة عام الرمادة الزيادة السكانية في المدينة حيث أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) وشهدت نموا سكانية ، لهجرة الناس إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها، فأدى إلى زيادة الطلب على المواد الغذائية، والذي أصبح يجلب من خارج المدينة⁴. ومن أوائل الأخبار التي تحدثت عن اطلاع عمر رضي الله عنه على سوء أحوال الأعراب وانتشار الجوع بينهم، ما روي عنه أن رضي الله عنه أنه: (أُتِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ أَوْ الرِّبْدَةِ بِقِصْعَةٍ فِيهَا خُبْزٌ مَفْتُوتٌ بِسَمْنٍ، فَدَعَا رَجُلًا كَالْبَدَوِيِّ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَجَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ يَتَّبِعُ بِاللُّقْمَةِ الْوَدَكَ⁵ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: كَأَنَّكَ مُفْقِرٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: مَا أَكَلْتُ سَمْنًا ، وَلَا رَأَيْتُ أَكَلًا لَهُ مُذْ كَذَا وَكَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَحَلَفَ عُمَرُ رضي الله عنه لَا يَأْكُلُ سَمْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَخَيَا النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ مَا أَحْيَا⁶).

لقد كانت هذه المجاعة شديدة لدرجة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر العمال على الصدقات أن يتركوا المشية، وأن لا يأخذوا منهم صدقة ذلك العام حتى تتحسن أحوالهم ، ثم أخذ منهم في العام المقبل بعد تحسن الأحوال زكاة عامين⁷.

1 - أسماء يوسف أحمد آل ذياب ، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص125

2 -الرمادة لغة: أرمد القوم إذا جهدوا، والرمادة:الهلكة، ورمد أرمد إذا هلك، وسمي به لأنهم لما أجدبوا صارت ألوانهم كلون الرماد ، أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص186.

3 - السيف: عبد الله بن محمد، بحث عن عام الرمادة، مجلة العصور، لندن، دار المريخ ، 1990م، ج1، مج5، ص113.

4 - المرجع السابق، ص114.

5 -الودك: ودك: هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص509.

6 -ابن شيه، تاريخ المدينة، ج2، ص740.

7 -د عبد العزيز بن ابراهيم العمري، استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين ، ص65-66

2- تصرف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ولاته للقضاء على المجاعة عام الرمادة: بعد إنتشار الجوع في المدينة: (كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ يَسْتَعِينُهُمْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَسْتَمِدَّهُمْ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَاحِلَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَوَلَاهُ قِسْمَتَهَا فِيمَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا فَرَّغَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ أَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ اللَّهَ وَمَا قَبْلَهُ، فَلَا تُدْخِلْ عَلَيَّ الدُّنْيَا، فَقَالَ خُذْهَا فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِذْ لَمْ تَطْلُبْهُ ، فَأَبَى فَقَالَ: خُذْهَا فَإِنِّي قَدْ وَبَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قُلْتَ لَكَ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتَ لِي فَأَعْطَانِي فَقَبِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَنْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ وَتَتَابَعَ النَّاسُ وَاسْتَعْنَى أَهْلُ الْحِجَازِ¹ وقد روي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (لَمَّا دَفَّتِ² الْعَرَبُ إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ كَتَبَ إِلَى الْعُمَالِ: إِلَى سَعْدِ بِالْكُوفَةِ، وَأَبِي مُوسَى بِالْبَصْرَةِ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ، وَمُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ دَفَّتْ إِلَيْنَا وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمْ بِلَادُهُمْ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَوْثِ ، حَتَّى مَلَأَ الصَّحِيفَةَ قَالَ: فَرُبَّمَا كَانَ فِي الصَّحِيفَةِ مِائَتًا مَرَّةً³ من خلال هذا النص يتضح أن الإجراء الأول الذي قام بها عمر رضي الله عنه في مواجهة عام الرمادة، هو تأمين القوت من الطعام والشراب لسكان المدينة وما حولها ، ونجد ذلك من خلال طلب تزويده بالغذاء من قبل عماله وولاته ، حيث استجاب عماله على الأقاليم لطلبه، فمثلاً⁴:

1- إستجابة يزيد بن أبي سفيان⁵: أحد الأمراء في الشام حيث قال للخليفة عمر رضي الله عنه: (لَبَيْتُ لَبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَاكَ الْعَوْثُ، بَعَثْتُ إِلَيْكَ عَيْرًا أَوْلَهَا بِالْمَدِينَةِ وَآخِرُهَا بِالشَّامِ)⁶.

¹ الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص100.

² دَفَّتِ الدَّافَةُ : الْقَوْمُ يَسِيرُونَ جَمَاعَةً سَيْرًا لَيْسَ بِالشَّدِيدِ . يُقَالُ : هُمْ يَدْفُونَ دَفِيْعًا . وَالدَّافَةُ : قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَرِدُونَ الْمِصْرَ ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، أَنْظَرُ: النَّهَائِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الدَّالِ ، ج 2 ، ص 124

³ ابن شبة، تاريخ المدينة، ج2، ص744.

⁴ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص136

⁵ يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه زينب بنت نوفل بن حلف بن قوالة، من بني كنانة، أسلم يزيد يوم فتح مكة، وولد عمر بن الخطاب دمشق، فلم يزل وليا بها حتى مات في طاعون عموراس سنة ثمانية عشرة، أنظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص450.

⁶ ابن شبة، تاريخ المدينة، ج2، ص743..

2- رد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حيث قال: (أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ عِيرًا تَحْمِلُ الدَّقِيقَ وَالزَّيْتِ وَالسَّمْنَ وَالشَّحْمَ وَالْمَالَ)¹. وفي رواية رد عليه أبو موسى رضي الله عنه قائلا: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْخَلْقَ لَا يَسْعُهُمْ إِلَّا الْخَالِقُ، فَلَوْ أَنَّكَ كَتَبْتَ فِي الْأَمْصَارِ وَوَاعَدْتَهُمْ يَوْمًا، فَأَمَرْتَهُمْ فَخَرَجُوا، فَاسْتَسْقَوْا وَدَعَوْا، فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُهُ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَبَا مُوسَى إِلَّا قَدْ أَشَارَ بِرَأْيِي، فَكَتَبْتُ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَاسْتَسْقَوْا فَسُقُوا)².

3- كما اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إجراء آخرًا للاستفادة من إمكانيات مصر التموينية، وإنقاذ مكة والمدينة وبقية مدن الحجاز من الحاجة، وتوفير الأغذية في تلك المناطق طوال الوقت، حيث إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه - والي مصر - أن يمد خليجًا من الفسطاط قاعدة المسلمين في مصر، إلى البحر الأحمر، وسمي هذا الخليج بخليج أمير المؤمنين)³.

(وقد نجح عمرو بن العاص رضي الله عنه في حفر الخليج، وأخذ يرسل السفن عن طريقه إلى البحر الأحمر، ومن خلاله إلى ميناء الجار قرب المدينة المنورة، فلَمَّا قدمت على عمر وسَّع بها على الناس، ودفع إلى أهل كلِّ بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطَّعام. فوسَّع الله بذلك على النَّاس، فلَمَّا رأى ذلك عمر حمد الله)⁴، كما أن عددا آخرًا من الصحابة، كانوا مساعدين لعمر رضي الله عنه في هذا الأمر، فحين بدأ وصول الطعام قال: (فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَرْقَمِ، فَوَجَّهَ ابْنَ الْأَرْقَمِ إِلَى قَيْسِ وَتَمِيمِ وَطَيْئِ وَأَسَدِ بْنِ جَدِّ، وَوَجَّهَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ إِلَى طَرِيقِ الشَّامِ إِلَى غَطَفَانَ وَأَذْنَى فُضَاعَةَ وَلَحْمِ وَجُدَامِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: افْهَمَا، إِيَّاكُمَا أَنْ تُعْطِيَا الْعَرَبَ الْإِبِلَ؛ فَإِنَّهَا لَا تَنْحَرُهَا، انْحَرَا الْبَعِيرَ فَأَطْعِمَاهُمُ نُحَّةً وَعِظَامَهُ، واجْعَلَا لِحْمَهُ وَشَيْقَةً، واجْعَلَا الْفُرَارَةَ⁵ بَيْنَ عَشْرَةٍ، سيرا في كنف الله)⁶. من هذا النص نستنتج أمرين هما⁷:

¹ ابن شبة، تاريخ المدينة، ج2، ص744..

² المرجع السابق، ج2، ص743

³ العمري، استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص66.

⁴ شهاب الدين النويري (733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج19، ص327، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1423 هـ

⁵ الفرارة: ولد النعجة والماعز والبقرة، وهو من أولاد المعز ما صغر جسمه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص52.

⁶ ابن شبة، المصدر السابق، ج2، ص744.

⁷ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري، ص139

- 1- كيف كان الخليفة عمر رضي الله عنه يتابع تأمين القوت والطعام للقبائل التي تعرضت للمجاعة من شمال الجزيرة العربية ، إلى وسطها ، إلى بلاد الحجاز وجنوبها.
- 2- كان لدى عمر رضي الله عنه سياسية معينة في إدارة الأزمة، حيث طلب من الصحابييين محمد بن مسلمة وعبد الله بن الأرقم رضي الله عنهما إطعام الناس، وعدم الإدخار، لشدة المجاعة، وأكد عليهما أن يجعلوا بين أيديهم طعاما يأكلون منه ليومهم، وأيامهم الأخرى القريبة بما يصنعانه من قديد(لحم مجفف)¹.
- وكان أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قد أرسل أربعة آلاف بعير إلى المدينة محملة بالأطعمة، فأمره عمر رضي الله عنه بتوزيعها ، فلما رجع بعث إليه عمر رضي الله عنه بدنانير مكافأة له²، فقد روي في الحديث : (ثُمَّ دَعَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ ، فَخَرَجَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَجَعَ بَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : إِنِّي لَمْ أَعْمَلْ لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ ، وَلَسْتُ آخِذٌ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ أَعْطَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَشْيَاءَ بَعَثْنَا لَهَا فِكْرَهُنَا ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاقْبَلْهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَى دُنْيَاكَ وَدِينِكَ ، فَقَبِلَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ ³). وكان عمر رضي الله عنه يعمل بنفسه على توزيع الطعام في عام الرمادة، حيث وصف أبو هريرة رضي الله عنه حال عمر رضي الله عنه فقال: (لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَامَ الرَّمَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ جِرَابَيْنِ⁴ وَعُكَّةً⁵ زَيْتٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَيَعْتَقِبُ هُوَ وَأَسْلَمٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: مِنْ أَيْنَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا، فَأَخَذْتُ أَعْقُبُهُ، فَحَمَلْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صِرَارٍ⁶، فَإِذَا صِرْمٌ⁷ نَحْوَ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا مِنْ مُحَارِبٍ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَقْدَمَكُمُ؟ قَالُوا: الْجُهْدُ، وَأَخْرَجُوا لَنَا جِلْدَ الْمَيْتَةِ مَشْوِيًّا كَانُوا يَأْكُلُونَهُ، وَرِمَّةَ الْعِظَامِ مَسْحُوقَةً كَانُوا يَسْتَفُونَهَا، فَرَأَيْتُ عُمَرَ طَرَحَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ اتَّزَرَ، فَمَا زَالَ يَطْبُحُ لَهُمْ حَتَّى شَبِعُوا، ... وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى غَيْرِهِمْ حَتَّى رَفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ)⁸.

¹ العمري، استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ص70.

² - المرجع السابق، ص71.

³ صحيح ابن خزيمة، كتاب الزكاة، جماع أبواب قسم الصدقات وذكر أهل سهمانها ، ج 4، ح 2367 ، ص 117

⁴ -جرايين: جراب بالكسر والجراب وعاء الزاد والعامرة تفتحها والجمع أجرية، انظر الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص42.

⁵ -عكة:عك،العكة بالضم آنية السمن وجمعها عكك وعكاك، المصدر السابق،ج1، ص188.

⁶ -صرار الأماكن المرتفعة عن الماء،الطلقاني(385هـ)،الصاحب الكافي،ج8، ص84عالم الكتب، بيروت، ط 1 1994م.

⁷ -صرم: طائفة من القوم، الفراهيدي (ت175هـ)كتاب العين، تح: د.مهدي المخزومي ، دار الهلال ، ج7، ص121.

⁸ -الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص212.

ومع إنتشار المجاعة في ذلك العام (عام الرمادة)، إنتشرت بعض الأمراض وكثر الموت بين الناس، وخصوصا بين اللاجئين، فعن مالك بن أوس بن الحدثان من بني نصر قال: (لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ قَوْمِي مَائَةٌ بَيْتٍ فَنَزَلُوا بِالْجَبَابَةِ. فَكَانَ عُمَرُ يُطْعِمُ النَّاسَ مَنْ جَاءَهُ. وَمَنْ لَمْ يَأْتِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِاللَّدِيقِ وَالتَّمْرِ وَالْأُدْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَكَانَ يُرْسِلُ إِلَى قَوْمِي بِمَا يُصْلِحُهُمْ شَهْرًا بِشَهْرٍ. وَكَانَ يَتَعَاهَدُ مَرْضَاهُمْ وَأَكْفَانَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ. لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ وَقَعَ فِيهِمْ حِينَ أَكَلُوا الثُّقُلَ¹. وَكَانَ عُمَرُ يَأْتِي بِنَفْسِهِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِمْ. لَقَدْ رَأَيْتُهُ صَلَّى عَلَى عَشْرَةِ جَمِيعًا. فَلَمَّا أَحْيَا قَالَ: اخْرُجُوا مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى مَا كُنْتُمْ اعْتَدْتُمْ مِنَ الْبَرِّيَّةِ. فَجَعَلَ عُمَرُ يَحْمِلُ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ حَتَّى لَحِقُوا بِإِلَادِهِمْ)².

كان عمر رضي الله عنه والصحابة رضي الله عنهم، يدركون أن المنجي من هذه البلاء هو الله عز وجل، ولذلك نجد عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم عمدوا إلى الدعاء وإلى صلاة الإستسقاء، ولقد وردت عدة روايات حول الإستسقاء الذي حدث أيام عمر رضي الله عنه في عام الرمادة، حيث كان الخليفة عمر رضي الله عنه يصلي في جوف الليل، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الرمادة. وهو يقول: (اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِّينَ، وَارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ، يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلِمَةَ³)، وفي رواية: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَى رِجْلِي⁴)، فكان رضي الله عنه شديد التعلق بالله لإنكشاف الأزمة التي نزلت بالمسلمين. وكان رضي الله عنه يتعمد أن يأكل عامة الناس ولا يميز نفسه بشيء عنهم وقد أقسم حينما أحس بالجوع، أن لا يذوق لحما حتى يأكله الناس، فقد روي في الطبقات: (أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِخُبْزٍ مَقْتُوتٍ بِسَمْنِ عَامِ الرَّمَادَةِ فَدَعَا رَجُلًا بَدَوِيًّا فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَهُ. فَجَعَلَ الْبَدَوِيُّ يَتَّبِعُ بِاللُّقْمَةِ الْوَدَكَ فِي جَانِبِ الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: كَأَنَّكَ مُقْفِرٌ مِنَ الْوَدَكَ. فَقَالَ: أَجَلُ مَا أَكَلْتُ سَمْنًا وَلَا زَيْتًا وَلَا رَأَيْتُ أَكِلًا لَهُ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا إِلَى الْيَوْمِ. فَحَلَفَ عُمَرُ لَا يَذُوقُ لَحْمًا وَلَا سَمْنًا حَتَّى يَحْيِيَ النَّاسَ أَوَّلَ مَا أَحْيَا)⁵.

¹ - ثقل: الثقل: الحب، أي يأكل الحب وذلك أشد ما يكون من الشظف، ابن منظور، ج 11 ص 84.

² - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 241.

³ البلاذري، أنساب الأشراف، ج 10، ص 400

⁴ المرجع السابق، نفس الصفحة

⁵ - ابن سعد، المصدر السابق، ج 3 ص 238.

وبسبب المجاعة التي حلت بالناس أخرج عمر رضي الله عنه الصدقة، فعن الحارث بن أبي ذباب الدوسي، قال: (لَمَّا كَانَ عَامَ الرَّمَادَةِ، أَخْرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الصَّدَقَةَ عَامَ الرَّمَادَةِ، حَتَّى إِذَا أَحْيَا النَّاسَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ وَأَسَمَنَ النَّاسُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُصَدِّقِينَ، وَبَعَثَنِي فِيهِمْ، فَقَالَ: خُذْ مِنْهُمْ الْعِقَالَيْنِ: الْعِقَالَ الَّذِي أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ، وَالْعِقَالَ الَّذِي حَلَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَقْسِمَ عَلَيْهِمْ أَحَدَ الْعِقَالَيْنِ وَأَحْدِرِ الْآخَرَ قَالَ: فَفَعَلْتُ)¹. وهكذا قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه درسا عمليا في كيفية مواجهة المجاعات والأزمات من خلال عدة إجراءات تصلح للاستدعاء في كل زمان، والتي منها:²

- 1- الحرص على توزيع الإمدادات الغذائية على الجميع دون إقصاء لأي شريحة من المجتمع.
- 2- إنشاء المطابخ الكبيرة للإغاثة للاجئين والجياع في مختلف المناطق.
- 3- إشراف ولي المر بنفسه على توزيع المساعدات الغذائية القادمة من الأمصار.
- 4- استفسار كل الأقاليم لمساعدة الإقليم المنكوب.
- 5- تقديم نصائح خاصة للنساء في كيفية إعداد الأطعمة الصحية في فترات الأزمات والمجاعات.
- 6- اهتمام بالمرضى في كافة المناطق التي حلت بها المجاعة، والحرص على تقديم الأطعمة الصحية والمفيدة لهم، والصلاة على الأموات منهم.
- 7- الاهتمام بالجانب النفسي للناس في أثناء الأزمات، مع الحرص على نشر الطمأنينة في قلوبهم، من خلال تأخيره للصدقة في هذا العام، وأخذها في العام المقبل حينما يحيا الناس ويسمنوا.
- 8- قوة الإيمان وحسن الظن بالله عنصر مهم في مواجهة الأزمات.

¹ ابن زنجوية، الأموال، ج2، 829.

² الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري، ص144

3- بناء المدن وتخطيط العمران في عصر الخلفاء الراشدين: إن المتأمل¹ لمصادرنا الإسلامية في تاريخ المدن أمثال: تاريخ المدينة المنورة لابن شبه، وتاريخ بغداد للبغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وما ألف في البصرة، والكوفة، وواسط وفارس، والقيروان، وقرطبة، وغيرها يلاحظ أن مؤرخين عابرة كبارا أمثال: ابن خلدون، وابن الأزرقي، قد خلصوا من تلك الدراسات إلى وضع أسس لشروط المدينة الناجحة، وأمدوا الأمة بمعلومات في غاية القيمة بشأن الأماكن المناسبة لإختطاط المدن، ومن المناسب هنا استعراض بعض النصوص عند ابن خلدون وابن الأزرقي المتعلقة بتخطيط المدن، لنكتشف أن هذه الأفكار الرائدة كان لها جذورها تعود إلى العصر النبوي و الراشدي فقد انطلق ابن خلدون من القاعدة الذهبية التي وضعها النبي ﷺ، والتي تنص - أثناء ممارسة الإنسان دوره الحضاري- أن لا يخرج عن القاعدة النبوية، التي يقول فيها ﷺ (لا ضرر ولا ضرار)².

لذا نجد ابن خلدون ينص على أبرز الشروط الواجب توافرها عند إختيار مواقع المدن قائلًا³: (إعلم أنّ المدن قرار يتخذها الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجّه إلى اتّخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والمأوى واجب أن أن يراعي فيه دفع المضار، بالحماية من طوارقها وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر، أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر، أو قنطرة، فيصعب مثالها على العدو، ويتضاعف امتناعها وحصنها، ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية، طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة، أو منافع متعفنة، أو مروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة، وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب، الهواء كثيرة الأمراض في الغالب)⁴.

¹ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري، ص 126

² موطأ الإمام مالك - كتاب الأفضية - القضاء في المرفق، ج 1، ح 2458، ص 1078

³ الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ج 1، ص 433، دار الفكر، بيروت ط 2، 1988 م

⁴ - ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 1، ص 434.

ويواصل ابن خلدون شروط اختيار موضع المدينة بقوله: (إن هذه الأهوية العفنة أكثر مما يهيتها لتعفين الجسام وأمراض الحميات، ركودها فإذا تخللها الري وتفشيت وذهبت بها يمينا وشمالا ، خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات، والبلد إذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله ، فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد ، ويكون ذلك معينا له على الحركة والتموج ، وإذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتموجه وبقي ساكنا راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره ، وأما جلب المنافع والمرافق للبلد ، فيراعي فيه أمور منها: الماء ، بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرة ، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية ، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة، ومما يراعي من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم¹، إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ولا بد لها من المرعي ، فإذا كان قريبا طيبا، كان ذلك أرفق بحالهم ، لما يعانون من المشقة في بعده ، ومما يراعى أيضا المزارع فإن الزروع هي الأقوات ، فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه ، وأقر في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء، فإن مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للإصطلاء والطبخ والخشب أيضا لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورتاتهم وقد يراعى أيضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو إليه ضرورة الساكن)². وأما ابن الأزرق يقول: (أن الذي تجب مراعاته في أوضاع المدن أصلا من مهمان دفع المضار وجلب المنافع: الأصل الأول دفع المضار وهي نوعان: أحدهما أرضية ودفعها بإدارة سياج الأسوار على المدينة ووضعها في مكان ممتنع أمام على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف تحصينها. الثاني سماوية ودفعها باختيار المواضع الطيبة الهواء لأن ما خبث منه يركود أو تعفن لمجاورته لمياه فاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة يسرع المرض فيه للحيوان الكائن فيه لا محالة كما هو مشاهد بكثرة)³.

¹ لسائمتهم: سامت الراعية والماشية، رعت حيث شاءت فهي سائمة، أنظر ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص311.

² المرجع السابق ، نفس الصفحة

³ محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: 896هـ) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق: د. علي سامي النشار، ج 2 ، ص 277 ، وزارة الإعلام - العراق ، الطبعة: الأولى

فقد إرتكز الاثنان في حديثهما عن تخطيط المدن على قاعدة، جلب المنافع ودفع المضار، ويستنتج من النصوص السابقة أن من أبرز الشروط التي يجب مراعاتها عند اختطاط المدن¹:

1-توفر الماء: فالماء شرط أساسي وضروري في اختيار مواقع الأمصار والمدن، فعليه تقوم الحياة، قال الله تعالى:(وجعلنا من الماء كل شيء حي) (سورة الأنبياء: الآية:30)

2- توفير الغذاء: وهو شرط أساسي لنشأة المدن واستمرار الحياة فيها.

3-اعتدال المكان وجودة الهواء: لأن ركود الهواء يساعد على سرعة تعفن الأجسام، وقد ربط القزويني بين جودة الهواء وأثرها على الحالة النفسية للإنسان فيذكر مثلاً عن الطائف أنها: (بلدة على طرف واد، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد الماء بها في الشتاء ، قال الأصمعي: دخلت الطائف وكأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها وطيب نسيمها)² ، وجودة الهواء أو فساده علاقة وطيدة بانحسار الأمراض أو انتشارها، وما يمس مباشرة النواحي الصحية للمجتمع المقيم فيها.

4- القرب من المراعي والاحتطاب: أي خصبة التربة لتوفير الغذاء فيها للإنسان والحيوان معا.

5-الموقع الحصين: أن تكون على مرتفعات، إما على هضبة أو باستدارة بحر، أو نهر بها، أو تكون بمكان ممتنع، بحيث لا يوصل إليها العدو إلا بعبور الجسر أو القنطرة، أو من الناحية المعمارية من خلال تحصين المدينة بالأسوار والأبراج.

إن المتأمل لتاريخ تخطيط المدن الإسلامية في العصر الراشدي، يلاحظ أنها التزمت بمعظم الشروط السابقة، فمثلاً يذكر في سبب إختطاط مدينة الكوفة، أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه شكى إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الجند من وهن وضعف، وأن ألوانهم قد تغيرت، وهزلت أجسامهم وخفت لحومهم، وأصابهم البعوض³. فقد جاء في رسالته يعلمه:(أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك)⁴،

¹ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص128

² - زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ج 1 ، ص 97 ، دار صادر - بيروت

³ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (279هـ) ، فتوح البلدان ، ج 1 ، ص 271-بتصرف، مكتبة الهلال، بيروت: 1988 م

⁴ نفس المصدر والصفحة

فكتب إليه عمر: (إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فارتد لهم موضعا عندنا ولا تجعل بيني وبينهم بحرا)¹، فاختار سعد رضي الله عنه شخصا يسمى عبد المسيح بن ببيعة ، وأشار على سعد بقوله: (أدلك على أرض إنحدرت عن الفلاة ، فدلته على موضع الكوفة اليوم)². ويبين هذا الموقف، مدى إدراك عمر رضي الله عنه بذكائه الفطري المعهود، أهمية العامل البيئي، في اختيار الموضع الذي يصلح لنزول العرب المجاهدين، حتى يظلوا محتفظين بنشاطهم، وقوتهم وحيويتهم، التي خرجوا بها من الصحراء، وأدرك أيضا بثاقب فكره، أنه لا يصلح للعرب إلا جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها. أما البصرة ، والتي تم بناؤها في عام (14هـ/632م)، فقد أسسها عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبدأ بتخطيط المسجد الجامع باعتباره نواة المدينة ، وبجواره عن قرب دار الإمارة³ ، وجاء في وصفها⁴: (وكانت البصرة مدينة قريبة من البحر كثيرة النخيل والأشجار ، سبخة التربة ملحة الماء لأن المد يأتي من البحر)⁵. ومن أجل حل مشكلة تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ، تم حفر نهر الأبله في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قام عبد الله بن عامر بحفر هذا النهر وغيره من الأنهار ، التي زودت المدينة بالماء الصالح للشرب ، ووصلها تجاريا بالأقاليم المجاورة ، ومن ثم تكاملت مواصفات موقع البصرة المثالي من توفر الماء، وخصوبة التربة. أما الفسطاط والتي أسسها عمرو بن العاص رضي الله عنه في عام (21هـ/641م) بأمر من الخليفة عمر رضي الله عنه حيث أراد عمرو رضي الله عنه أن يتخذ من الإسكندرية مركزا له، لكن الخليفة عمر رضي الله عنه أمره بالبناء في موضع لا يفصله عنه ماء، فاختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل ، وبدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع ، وخط في المنطقة به سوقا⁶، وهو من أفضل المواضع من الناحية الصحية⁷.

1 - نفس المصدر والصفحة.

2 - نفس المصدر والصفحة.

3 عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، ط1 ، 1988م، ص57.

4 - عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص58.

5 - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1، ص309.

6 - عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، ط1 ، 1988م، ص61.

7 الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، ص131

3- حماية البيئة لتحقيق صحة الفرد والمجتمع : عني الخلفاء الراشدون بحماية البيئة ، من خلال

القيام بعدة إجراءات أسهمت في خدمة البيئة أبرزها¹:

أ-الحرص على التشجير والزراعة وعدم ترك مساحات دون زراعة ، فقد حذر عمر بت الخطاب رضي الله عنه الناس ، من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبس الأراضي دون زراعتها.

ب-إقطاع الأراضي البور لمن يقوم بزراعتها، فقد ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أقطع أرضا في اليمامة لرجل من بني حنيفة، كما أقطع الزبير بن العوام رضي الله عنه أرضا لاستصلاحها² ، ولقد مشى على هذا النهج بقية الخلفاء الراشدين،فالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قام بإقطاع العديد من الأراضي الموات لاستصلاحها، حيث ظهر تعطل عن زراعة الكثير من الأراضي في البلاد المفتوحة نتيجة ترك أهلها لها، فمنحها الصحابة لزراعتها وتعميرها مما أدى إلى زيادة المنتجات الزراعية بكثرة، ومن ثم أدى إلى تأمين الأقوات للناس، خاصة لفئة الفقراء والمساكين والمحتاجين، وهذه السياسية اعتمدها أيضا الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أقطع العديد من هذه الأراضي لاستصلاحها وخصص إنتاجها صدقة للفقراء والمحتاجين في عهده³.

ج-الحرص على نظافة البيوت، والأماكن العامة وعلى رأسها المساجد، حيث كان الخليفة عمر رضي الله عنه يحث رعيته على النظافة، يروى عن عمر رضي الله عنه: (أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ يَطُوفُ فِي سَكَّهَا فَيَمُرُ بِالْقَوْمِ فَيَقُولُ: قُمُوا⁴ فَنَاءَكُمْ حَتَّىٰ مَرَّ بِدَارِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ قُمُوا فَنَاءَكُمْ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)⁵. وعن عبد الله بن حنطب⁵: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَىٰ مَسْجِدَ قُبَاءَ عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ ، فَصَلَّىٰ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لِخَادِمِهِ: ائْتِنِي بِجَرِيدَةٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ بِجَرِيدَةٍ ، فَاحْتَجَزَ عُمَرُ بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ كَسَسَهُ)⁶، وجاء في تحفة الأحوزي (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُجْمَرُ الْمَسْجِدَ إِذَا قَعَدَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى الْمِنْبَرِ)⁷.

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

² العمري، استراتيجيات مدينة وعسكرية من عصر الراشدين، ص31-.

³ المرجع السابق ، ص33.

⁴ قوما: أصلها قمم، أي قمم الشيء أي كمنسه، أنظر ابن منظور لسان العرب ، ج 12 ، ص 493

⁵ الزمخشري.(ت538هـ)،الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي لبنان، دار المعرفة، ط2، 1994م، ج2ص403.

⁶ مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الصلاة - في كنس المساجد ، ج 3 ، ح 4038 ، ص 337

⁷ المباركفوري (1353هـ) ، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ، ج 3، ص 168 ، دار الكتب العلمية - بيروت

كما أمر ﷺ -عندما دخل إلى فلسطين-، أهل الذمة من النصارى واليهود، إلى جانب المسلمين بتنظيف بيت المقدس و الصخرة المشرفة ، وكنسها ، فعن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: (تَسَخَّرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْبَاطَ أَهْلِ فَلَسْطِينَ فِي كَنْسِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَتْ فِيهِ مَزْبَلَةٌ عَظِيمَةٌ)¹.

4-إسناد مهمة مراقبة النظافة في الأمصار إلى ولاتها، حيث قدم أبو موسى الأشعري ﷺ إلى البصرة ، فعن ابن سيرين قال : (لَمَّا قَدِمَ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرَةَ قَالَ لَهُمْ : فِيمَا تَقُولُونَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ لِأَعْلَمَكُمْ سُنَّتَكُمْ ، وَأَنْظِفَ لَكُمْ طُرُقَكُمْ)² .

5-توفير المياه الصالحة للشرب والري، حيث اهتم الخلفاء الراشدون بشق الأنهار والآبار لاستصلاح الأراضي الموات، حيث قام بعض ولاة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بحفر العديد من الأنهار ، وكان من أشهرهم في هذا المجال عبد الله بن عامر بن كريز³، الذي حفر نهر الأبله بالعراق عام 30هـ ، كما حفر أنهار وآبارا أخرى ، استفاد منها مزارعو العراق وفارس⁴.

وفي عهد علي بن أبي طالب ﷺ سار على سياسية من سبقوه في حفر الأنهار والقنوات، فقد كتب إلى أحد الأمراء أن يهتموا بحفر النهار وتعميرها حيث قال:(أما بعد فإن رجالا من أهل الذمة من عمالك ، ذكروا نورا في أرضهم قد عفا وأدفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم ، ثم أعمر، وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمرها أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا، أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام)⁵.

6- التخلص من الحيوانات السائبة والضارة، ولذا نجد أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما دخل الجابية في الشام، أمر عماله ألا يجاور المسلمون الخنازير، وأمرهم بقتلها، فعن لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ يَأْمُرُهُمْ بِقَتْلِ الْخَنَازِيرِ، وَنَقْصِ أَثْمَانِهَا لِأَهْلِ الْجُرَيْةِ مِنْ جِزْيَتِهِمْ)⁶.

¹ ابن سلام، الأموال، ج1، ص203.

² مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الأدب - باب كنس الدار ونظافتها والطريق ، ج 13 ، ح 26443 ، ص 250

³ عبد الله بن عامر ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن مناف بن قصي الأمير الذي افتتح إقليم خراسان، توفي قبل معاوية في سنة تسع وخمسين، أنظر الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله(748هـ/1347)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب أرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ/1993م، ج3ص18-20.

⁴ عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص58.

⁵ تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 108

⁶ -ابن زنجوية، الأموال، ج1، ص180.

المطلب الرابع: أطباء وطبيبات عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين:

إن معظم أطباء العصر النبوي والراشدي من المخضرمين الذين عاشوا في العصر الجاهلي، وعصر الإسلام، وفيما يلي نتعرف على تراجم أبرز هؤلاء الأطباء والطبيبات ، ونتعرف كذلك على أطباء أهل الذمة الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامي ، وكان لهم دورا بارزا في نهضة الطب الإسلامي:

أولا: أطباء العصر النبوي والراشدي: ومنهم من عاش في العصر الجاهلي ، ونذكر منهم:

1- الحارث بن كلدة الثقفي (670/50): هو طبيب عربي شهير ، من بني ثقيف بالطائف ، نشأ في العصر الجاهلي، وسافر إلى بلاد فارس وتعلم الطب ، و ذاع صيته في الجزيرة العربية ونال شهرة عظيمة كطبيب¹ . وثبت أن النبي ﷺ كان يوصي بالتداوي عنده، ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص (مَرَضْتُ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُوْدُنِي ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ تَدْيِي حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا فِي فُوَادِي فَقَالَ : إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ² اِنَّ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةٍ³ الْمَدِينَةِ ، فَلْيَجَاهُنَّ⁴ بِنَوَاهُنَّ ، ثُمَّ لِيَلِدْكَ⁵ بَيْنَ⁶

2- أبو رمثة التميمي: من بني تميم ، وكان والده طبيبا أيضا⁷. وقد إهتم والده بخاتم النبوة التي كانت بين كتفي النبي ﷺ ، فعَنْ أَبِي رِمْتَةَ قَالَ: (انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبِي: إِنَّي رَجُلٌ طَبِيبٌ ، فَأَرِنِي هَذِهِ السَّلْعَةَ⁸ الَّتِي بَظَهْرِكَ. قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ: أَقْطَعُهَا قَالَ: لَسْتَ بِطَبِيبٍ ، وَلَكِنَّكَ رَفِيقٌ . طَبِيبُهَا الَّذِي وَضَعَهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ : حَلَقَهَا)⁹. والرواية ذات أهمية من حيث دلالتها على أن الأطباء العرب ، كان باستطاعتهم أن يقوموا ببعض الأعمال الجراحية¹⁰.

¹ ابن جليل ، طبقات الأطباء ، ص 54

² المَفْؤُودُ : الَّذِي أُصِيبَ فُوَادُهُ بِوَجَعٍ ، فَهُوَ مَفْؤُودٌ ، النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، حَزْفُ الْفَاءِ ، ج 3 ، ص 405

³ نَوْعٌ مِنْ تَمْرٍ الْمَدِينَةِ يَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ مِنْ غَرَسِ النَّبِيِّ ﷺ النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، حَزْفُ الْعَيْنِ ، ج 3 ، ص 188

⁴ أَي فُلَيْدُقُهُنَّ ، وَهُوَ تَمْرٌ يُبَلُّ بِلَبَنِ أَوْ سَمْنٍ ثُمَّ يُدَقُّ حَتَّى يَلْتَمَسَ ، النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، ج 5 ، ص 152

⁵ اللَّدُّودُ وَهُوَ صَبُّ الدَّوَاءِ فِي الفَمِّ ؛ أَي : لِيَجْعَلَهُ فِي المَاءِ وَيَسْقِيكَ . قَالَ الحِطَّائِيُّ : فَإِنَّهُ مِنَ اللَّدُّودِ ، وَهُوَ مَا يُسْقَاهُ الْإِنْسَانُ

فِي أَحَدِ جَانِبَيْ الفَمِّ ، أَنْظَرُ : عَوْنُ المَعْبُودِ عَلَى سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ - كِتَابُ الطَّبِّ - بَابُ فِي تَمْرَةِ العَجْوَةِ ، ج 4 ، ص 8

⁶ سنن أبي داود - كتاب الطب - باب في تمرة العجوة ، ج 4 ، ح 3875 ، ص 8

⁷ ابن جليل ، طبقات الأطباء ، ص 58

⁸ (سَلَعٌ) غُدَّةٌ تَظْهَرُ بَيْنَ الجِلْدِ وَاللَّحْمِ ، أَنْظَرُ : النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَزْفُ السِّينِ - ج 2 ، ص 389

⁹ مسند أحمد بن حنبل - مسند أبي رمثة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ج 3 ، ح 7190 ، ص 1500

¹⁰ الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي ، تح ، د مصطفى خضر دوفتر التركي ، ص 102

3-ضماذ بن ثعلبة الأزدي: كان من مشاهير أطباء الجاهلية ، ففي الحديث عن ابن عباسٍ (أنَّ ضَمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَرْدِ شَنْوَةَ¹ ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ² ، فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ.فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ. فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ،مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ:فَقَالَ:أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ.فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ:فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ. فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ. وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ³. قَالَ:فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ.قَالَ فَبَايَعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَعَلَى قَوْمِكَ قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ. فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْحَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً. فَقَالَ: رُدُّوْهَا. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضَمَادٍ⁴ ، فالحديث يشهد لضماذ بن ثعلبة بمعرفته بالطب عند العرب.

4-الشمردل بن قباب النجراني فعن قيس بن الربيع، عن الشمردل بن قبات الكعبي، وكان في وفد نجران بني الحارث بن كعب، قال: (فنزل الشمردل بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي، كنت كاهن قومي في الجاهلية، وإني كنت أنطبّب بما يحلّ لي؟ فإنني تأتيني الشابة.قال: فصد العرق، وتحسيم الطعنة إن اضطرت، ولا تجعل في دوائك شبرما، وعليك بالسنا، ولا تداو أحدا حتى تعرف داءه .قال: فقَبِلَ ركبتيه، فقال: والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطبّ مني⁵).

¹ ضَمَادٌ فَيَكْسِرُ الضَّادَ الْمُعْجَمَةَ ، وَشَنْوَةُ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَضَمِّ النُّونِ وَبِعْدَهَا مَدَّةٌ ، أنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - كِتَابُ الْجُمُعَةِ - بَابُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَحْكَامٍ ، ج 6 ، ص 466

² الْمُرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا الْجُنُونُ ، أنظر: شرح النووي- كِتَابُ الْجُمُعَةِ-بَابُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَحْكَامٍ ، ج 6 ، ص 466

³ نَاعُوسُ الْبَحْرِ وَهُوَ وَسَطُهُ وَجَنَّتُهُ ، أنظر: النَّهَائِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، حَرْفُ النُّونِ، ج 5 ، ص 81

⁴ صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج 3، ح 868، ص 11

⁵ ابن حجر (المتوفى: 852هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ج 3، ص 289، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1415 هـ

ثانيا: طبيبات العصر الإسلامي: ومن النساء اللواتي برزن في الطب ومداواة المرضى، نذكر منهن:

- 01-رفيدة الأنصارية وقيل الأسلمية¹:** من الطبيبات المتميزات بالجراحة²، أمرها النبي ﷺ بإقامة خيمة في المسجد تداوي الجرحى³، ولما أصيب سعد بن معاذ بسهم في معركة الخندق عام (5هـ) أمر النبي ﷺ بنقله إلى الخيمة لمداواته، واعتبرها المؤرخون المسلمون نواة للمستشفيات في الإسلام⁴.
- 02-بركة بنت ثعلبة: أم أيمن وتعرف بأم الضباء⁵:** مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، كانت في معركة أحد تسقي الماء وتداوي الجرحى وكان رسول الله ﷺ يزورها وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، توفيت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ⁶.
- 03-سودة بنت مسرح الكندية⁷:** ويقال سودة⁸، مارست مهنة الطب وكانت من قابلات العرب⁹ كانت قابلة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: (كيف هي؟ وقد وضعت إنا فسرته¹⁰، ولفته في خرقة صفراء فقال: أتتني به، فألقى عنه الخرقة الصفراء، ولفه في خرقة بيضاء وتفل في فيه وسقاه من ريقه ودعا له، فجاء علي ﷺ، فقال: ما سميته؟ فقالت جعفر¹¹، قال: لا، الحسن وبعده الحسين، فأنت أبو الحسن والحسين)¹².

¹ أبو عمر يوسف القرطبي (المتوفى: 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، ص 1838؛ لمحقق: علي محمد البحايي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1992 م

² الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (430) الطب النبوي، تح، مصطفى خضير دونمير، دار ابن حزم للطباعة والنشر (بيروت، 2006م) ج 1، ص 104.

³ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص 1838.

⁴ الأصفهاني، الطب النبوي، تح، مصطفى خضير دونمير، ج 1، ص 104.

⁵ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص 1793.

⁶ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، صفة الصفوة، المحقق: أحمد بن علي، ج 1، ص 322، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: 2000م

⁷ ابن الأثير، أسد الغابة، ج7، ص 156.

⁸ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 4، ص 1868.

⁹ كحالة، أعلام النساء، ج2/ص 272.

¹⁰ السر والسرر ما يعلق من سرّة المولود فيقطع، إن منظور (711) لسان العرب، دار صادر (بيروت، د.) مادة (سرّة) ..

¹¹ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 2 ص 1868م؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج/7 ص 157.

¹² ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص 157

- 04- أم سنان الأسلمية¹:** من النساء الجليلات المجاهدات ، ولما أراد الرسول ﷺ الخروج إلى خيبر قالت له: (يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا أحرز السقاء وأداوي المرضى والجرحى إن كانت جراح وإلا تكون فأنصر الرجل؟ فقال رسول الله ﷺ: أخرجني على بركة الله تعالى فإن لك صواحب قد كلمني وأذنت لهن في قومك ومن غيرهم فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا فقالت أم سنان: معك فقال رسول الله ﷺ تكونين مع أم سلمة زوجتي فكانت معها وشهدت فتح خيبر)² .
- 05- أسماء بنت عميس الخثعمية³:** مارست مهنة الطب وكان لها أثرا كبيرا في ذلك⁴ .
- 06- حمنة بنت جحش الأسدية من بني أسد بن خزيمه⁵ :** شهدت أحدا وكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم⁶ .
- 07- أم سليم بنت ملحان الأنصارية الخزرجية:** شهدت يوم أحد وسقت فيه العطشى وداوت الجرحى ثم شهدت يوم حنين وأبلى فيه بلاء حسنا⁷ .
- 08- أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية⁸:** جاءت رسول الله ﷺ مع نسوة من بني غفار، فقالت لرسول الله ﷺ: (إنا نريد أن نخرج معك إلى خيبر فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما إستطعنا فقال رسول الله ﷺ على بركة الله)⁹ . مارست مهنة الطب وعلاج الجرحى ولبراعة عملها فقد (قلدها الرسول ﷺ قلادة وضعها بيديه في عنقها وهي بمثابة وسام حربي تقديرا لجهودها وكانت لا تفارقها أبدا طول حياتها، وأوصت أن تدفن معها عند مماتها)¹⁰ .

¹ كحالة، اعلام النساء، ج/2 ص 262.

² ابن حجر، الأصابة، ج 4 / ص 462 - 463؛ كحالة، اعلام النساء، ج/2 ص 262.

³ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 4 / ص 1784 ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج/7 ص 12

⁴ الحيالي، تاريخ علم الطب، ص 49.

⁵ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 7 ص 71؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج/2 ص 257

⁶ كحالة، اعلام النساء، ج 1 / ص 296.

⁷ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المغافري (213) السيرة النبوية، تح، مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشليبي، مكتبة ابن حجر (دمشق 2005 م) ج 2 / ص 1241.

⁸ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 2/ص 48 ؛ كحالة، اعلام النساء، ج/2 ص 256 ؛ 131.

⁹ كحالة، اعلام النساء، ج 1 / ص 91.

¹⁰ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 7 ص 29 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج/2 ص 1133.

- 09-الربيع بنت معوذ الأنصارية¹**: خرجت مع الرسول ﷺ في غزواته² ، وكانت تقول: (كنا نخرج مع رسول الله ﷺ في غزواته فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة)³ ، توفيت في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين⁴ .
- 10-أم عمارة: هي نسيبة بنت كعب الأنصارية⁵**: شهدت قتال مسيلمة باليمامة وجرحت إحدى عشر جرحا وقطعت يدها وأستشهد ابنها⁶، وكانت تداوي الجرحى وتعالج المرضى وتصنع لهم الطعام⁷ ، توفيت عام (13هـ) في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ⁸ .
- 11-نسيبة بنت الحارث: وقيل نسيبة بنت كعب الأنصارية تكنى أم عطية⁹** : عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ﷺ قالت: (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وكنت أخلفهم في الرجال وأصنع لهم الطعام وأقوم على المرضى وأداوي الجرحى)¹⁰ .
- 12-أسماء بنت أبي بكر الصديق¹¹**: زوجة الزبير بن العوام ﷺ¹² ، كانت تمرض المرضى، فتعتق كل مملوك لها¹³ ، توفيت سنة¹⁴ (73هـ).

¹ كحالة، اعلام النساء، ج/1 ، ص 91 ؛

² الاستيعاب، ج/4 / ص 1837 ؛؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 11 / ص 714.

³ كحالة، اعلام النساء، ج 1 / ص 442.

⁴ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 2 ص 50 ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج/7 ص 108؛.

⁵ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4 / ص.104.

⁶ الأصفهاني، (430) حلية الأولياء، تح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 2002 م) ص 77 .

⁷ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2/ص 45.

⁸ الأصفهاني، الطب النبوي، ج 1 / ص 97؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج/7 ص 704.

⁹ الربيعي ، الطب عند العرب قبل الإسلام، ص 30.

¹⁰؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج/2 ص 51 ؛ كحالة، اعلام النساء، ج5، ص 171.

¹¹ الذهبي، سير أعلام النساء، ج 4 ، ص 388.

¹² الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ، ص 307، 374؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص 644.

¹³ ؛ كحالة، الام النساء، ج 1 ، ص 47 ؛ المزي، تهذيب الكمال، ج 13، ص 691.

¹⁴ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 2 / ص 41 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج/3

13- عائشة بنت أبي بكر الصديق:¹ أشاد بعلمها عروة بن الزبير رضي الله عنه وقال: (ما رأيت أحدا أعلم بفقهِ ولا بطب ولا بشعر من عائشة)²، قال عنها الأصفهاني: (كانت عارفة بالطب وأنواع كثيرة من الأدوية وتحضيرها وتركيبها)³. توفيت عام (57هـ) وقيل (58هـ)⁴.

14- الشفاء بنت عبد الله العدوية:⁵ تعلمت مهنة الطب وطرق المداواة ولاسيما مداواة الأمراض⁶، وكانت مختصة بعلاج داء يسمى النملة⁷ واستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم بمتابعة عملها فقالت له: (يا نبي الله إني كنت أرقى في الجاهلية على النملة وإني أريد أعرضها عليك فعرضتها عليه، فقالت: اللهم اكشف البأس رب الناس فأقرها النبي وطلب منها تعليم حفصة القراءة والكتابة وقال لها: علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتاب)⁸، توفيت عام 20هـ⁹.

15- أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: حضرت وقعة اليرموك سنة (13هـ) فكانت تسقي العطشى وتضمد الجرحى واشتدت الحرب فأخذت عمود خيمتها وإنغمرت في الصفوف فصرعت عددا من الروم توفيت عام 30هـ¹⁰.

¹ ابن الأثير، اسد الغابة، ج 7 ص 8؛ ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (بيروت، 1986 م) ج 1، ص 308.

² الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 307 فما بعدها؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج 2، ص 651؛ الخرجي الأنصاري خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، ص 493.

³ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 7 ص 189؛ تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج 6، ص 412؛ ابن العماد، شذرات ج 1 ص 258.

⁴ - ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 2/ص 24.

⁵ ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ) الأستيعاب في معرفة الأصحاب ج 1 / ص 1885؛

⁶ الأصفهاني، الطب النبوي، ج 1 / ص 104.

⁷ الأصفهاني، الطب النبوي، ج 1 / ص 104.

⁸ النملة: قروح تخرج في الجنين وتسمى نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه. ابن قيم الجوزية، (751) الطب النبوي، تح، الدافي بن منير آل زهوي، دار ابن كثير (بيروت، 2007 م) ص 158.

⁹ كحالة، اعلام النساء، ج 2 / ص 300؛ الربيعي، هديل غالب عباس، الطب عند العرب قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد، بغداد، 2003 م، ص 2.

¹⁰ محمد عبد القادر با مطرف، الجامع، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1977 (ج 1، ص 177).

ثالثاً: أطباء أهل الذمة في العصر الراشدي: إمتاز العصر الراشدي بنبوغ عدد من أطباء أهل الذمة الذين عاشوا تحت حكم دولة الإسلام، ومن أبرز هؤلاء الأطباء الذين صرحت بأسمائهم كتب طبقات الأطباء نذكر منهم مايلي:

1- أثير بن عمرو بن علة بن مذحج السكوني¹ : كبير أطباء الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد رضي الله عنه، قد استقدمهم من سبي عين التمر، كان بصيراً بالطب، عالج علياً رضي الله عنه حينما طعنه ابن ملجم لكنه لم يفلح بسبب شدة أصابته².

2- يحيى النحوي الإسكندراني: من أشهر أطباء الإسكندرية المتأخرين وأكثرهم تصنيفاً، درس الطب وأضحى طبيباً مشهوراً وقام بترتيب مجاميع جالينوس الستة عشر³، ومن أشهر مؤلفاته في الطب: كتاب النبض الصغير، كتاب المزاج، كتاب علل الأعضاء الباطنة، كتاب الأصحاء، كتاب التشريح الصغير، وغيرها من الكتب والمقالات⁴.

3- أهرن بن أعين: طبيب رومي تم ذكره في كتاب أخبار العلماء في أخبار الحكماء لابن القفطي⁵، وهو صاحب الكناش، وهي ثلاثون مقالة⁶، والكناشة التي كتبها أهران أ أو قرن بالسريانية تتحدث عن الرمذ، وقروح العينين ووصفاً عن مرض الجدري⁷.

¹ ابن عبد البر، ابو عمر يوسف القرطبي، 463 الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، عادل مرشد، دار الأعلام عمان، 2002م ج1، ص 540؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت، 748هـ، سير اعلام النبلاء، تح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج3، ص 307 الخزرجي الانصاري، صفى الدين احمد بن عبد الله ت 923هـ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق، عبد الفتاح أبو عزة، حلب، 1971م، ص.49

² الحياي، تاريخ علم الطب، ص 46.

³ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص.(60-61)

⁴ ابن النديم: محمد بن إسحاق أبو الفرج(ت385هـ)، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، 1978، ج1، ص356.

⁵ ابن القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف(ت646هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق الدكتور: محمد عوني عبد الرؤوف، القاهرة، مكتبة الآداب، 2008م، ص56

⁶ نفس المصدر، ج1، ص12

⁷ ابن أبي اصيبعة، طبقات الأطباء، ج1، ص11.

- 4-إصطفن:وهو طبيب يوناني، عاش في مصر وهو من الأطباء الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها¹ ، يقال إنه عاصر الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية ، حيث استقدمه من مصر ليتترجم له كتب اليونان في الكيمياء والطب والفلك².
- 5-الطبيب عيسى بن قسطنطين: ويكنى أبا موسى³، ويدل على سمه أنه من أصل عربي وأدرك الإسلام، وله كتاب البواسير وكتاب الأدوية المفردة⁴.
- 6-بولس الأجنبي:الملقب بالقوابلي عند الأطباء العرب، لأنه كان جراحاً عظيماً قديراً في أمراض النساء، وهو يوناني الأصل من جزيرة أجيثا غربي أثينا، عاصر صدر الإسلام ، ويقال إنه أدرك بعض أطباء المسلمين⁵، وله مؤلفات ترجمت أغلبيتها بالعربية، من ضمنها الكناش وهي موسوعة في الطب بسبعة أجزاء أخذ فيها بكثرة عن جالينوس وأوريبلسيوس، وآتيوس، وكرس الجزء السادس للعلوم الجراحية، تدبير الحبالى، علل النساء⁶.
- 7- أريبلسيوس:طبيب إسكندراني، بعد يحيى النحوي، عاش في الديار المصرية، وكان فاضلاً مصنفاً في صناعة الطب، وله عدة كنانيش⁷ مشهورة بين أهل هذه الصناعة ، ويعرف بصاحب الكنانيش⁸.
- وهناك بعض أسماء لأطباء أهل الذمة ورد ذكرهم في عيون الأنبياء لابن أبي اصبيعة عاصروا الأطباء المذكورين وعاشوا في عصر الخلفاء الراشدين.

¹ المصدر السابق نفسه، ج 1، ص3.

² عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص131

³ ابن أبي اصبيعة، المصدر السابق، ج 1، ص(13-14)

⁴ المصدر السابق نفسه، ج 1، ص13

⁵ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص62

⁶ ابن أبي اصبيعة، المصدر السابق، ج 1، ص(13-14).

⁷ كنانيش: الكناشة الأصول التي تتشعب بها الفروع، وكناش أي جماعة الناس سريانية معربة، انظر ابن القفطي، ص56

⁸ نفس المصدر السابق والصفحة

المبحث الرابع: حفظ الصحة في العصر الأموي والعباسي. لقد كان لوصول التراث الطبي اليوناني إلى العرب في العصر الإسلامي أثراً كبيراً في تطور العلوم الطبية عند العرب، حيث نشطت حركة الترجمة والتعريب من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، بعد الفتوحات الإسلامية؛ وهذا ما ساعد في التقدم الطبي في العصر الإسلامي. وفيما يلي نتعرف على النشاط الطبي في العصرين الأموي والعباسي وأبرز الأطباء الذين إشتهروا في العصرين من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الأموي: نتناول ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: الأعمال الصحية والطبية في العصر الأموي: شهد العصر الأموي إنجازات حضارية وثقافية، وقد بدأت أولى عمليات الترجمة في ذلك العصر، فترجمت كتب الكيمياء والطب بطلب من الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية¹، وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، إستقدم صديقه وطيبه من مصر عبد الملك بن أبجر الكناني ليمارس الطب ويعلمه في مدينة أنطاكية، وأعتبر ذلك أول نقل مبكر للمعارف اليونانية إلى الأقطار الإسلامية² وبالمقابل تم إنشاء (البيمارستانات³)، والمصحات الطبية على اختلاف تخصصاتها في أرجاء الدولة الأموية، وترجمت الكتب الخاصة بالطب، وقام الخلفاء الأمويون بتشجيع طلاب العلم على دراسة الكتب الطبية المترجمة، وكذلك الاستفادة من مراكز العلوم الطبية في العصور القديمة التي ورثها الأمويون بعد الفتح الإسلامي كالألكسندرية، وأنطاكية، وجنديسابور، والرها، وبصرى الشام، ومدرسة الحيرة، ومدرسة حران، حيث إستفادوا من خبرات أطبائها وعلمائها، فكان خلفاء بني أمية من أوائل من أدخل الأطباء الأعاجم إلى حاشيتهم، وأسهم هؤلاء في نقل بعض معارف الطب إلى العربية، مما ساهم في إزدهار الطب ازدهاراً كبيراً⁴.

ويعتبر الوليد بن عبد الملك بن مروان (ت 96هـ/715م) أول من بنى المستشفيات في الإسلام، وكان ذلك في سنة 88هـ/707م، ومن المرجح أن هذا المستشفى الأموي الذي أنشئ في دمشق الأموية كان على نمط البيمارستانات البيزنطية في سورية والألكسندرية في مصر وجنديسابور قرب

¹ النديم: الفهرست، ص354

² السامرائي: السابق 1/254

³ تعرف كلمة البيمارستان: لفظة فارسية تتألف من مقطعين "بیمار" أي مريض او عليل، "وستان" مكان أو دار، أنظر الهوني، فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر، ط 1، 1986م، ص19.

⁴ الصلابي، علي محمد، الدولة الاموية عوامل الأزدهار وتدايعات الأنهار، بيروت، دار المعرفة، ط3، 2009م، ص 240

العراق، وكان مخصصاً للمجذومين بالدرجة الأولى، وأمر الناس بعدم مخالطتهم، كي لا تنتشر العدوى بين الناس، وهذا ما نسميه بالمصطلح الحديث (الحجر الصحي)¹. وقد حرص الوليد بن عبد الملك على تزويد هذه البيمارستانات بالأطباء المتخصصين في علاج المجذومين، حيث ذكرت بعض المصادر وصفات خاصة لعلاج هذا المرض (الجذام)². يقول المقرئزي: (أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك، وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة، وذلك سنة 88هـ، وجعل في البيمارستان أطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، ولم يصل إلينا أي علم أو إشارة عن المكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان)³. وقد بنى الوليد بن عبد الملك العديد من البيمارستانات في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، وأكثرها في بلاد الشام، وكان يقول لأهلها: (يا أهل دمشق إنكم تفخرون على الناس بأربع، بهوائكم، ومائكم وفاكهتكم، وحماماتكم)⁴، ومقولة الوليد بن عبد الملك قد حددت مواصفات البيئة الصحية المثالية التي تتوفر فيها طيب الهواء، والغذاء ونقاء الماء والمرافق الصحية، وهي المواصفات التي تحرص عليها الدول المتقدمة اليوم في بناء مستشفياتها وسلامة صحة سكانها.

ثانياً: أطباء العصر الأموي: إشتهر عدد من الأطباء نذكر منهم:

1- ابن آثال: من الأطباء المتميزين في عصره، اتخذه معاوية بن أبي سفيان طبيباً لنفسه وأحسن إليه، له خبرة بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وكان بارعاً في صناعة السموم والقواتل⁵.

¹ القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت821هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م، ج3، ص346

² الكتابي، التراتيب الإدارية، ج1، ص454.

³ المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني 188

⁴ الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م، ج2، ص294.

⁵ ابن سينا، القانون في الطب، ج4، ص52.

- 2- أبو الحكم الدمشقي: كان طبيباً عالماً بأنواع العلاج والأدوية¹، قال عنه ابن فضل الله العمري: (كان من حذاق العلماء وسباق أهل الطب القدماء وله في علمه حقائق وفي فهمه ما ينفذ صدر الأعمار)². كان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيب الأدوية³.
- 3- الحكم الدمشقي: هو الحكم بن أبي الحكم الدمشقي، عاش في دمشق، كان بارعاً في مداواة الجرحى والوصفات الطبية⁴، ونتيجة لبراعته وكفاءته قربه الخليفة معاوية بن أبي سفيان إليه، وكان يستطبه وجعله طبيب أفراد عائلته عاش أكثر من مائة سنة ولم يتغير عقله ولم ينقص علمه⁵.
- 4- عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبحر الهمداني الكناني الكوفي⁶: كان طبيباً، عالماً ماهراً، سكن مدينة الاسكندرية ومارس مهنة التدريس فيها⁷، وروى الأعمش عن ابن أبحر أنه قال: (دع الدواء ما احتمل بدنك الداء)⁸، وروى سفيان الثوري عن ابن أبحر إنه قال: (المعدة حوض الجسد والعروق تتفرع فيه فما ورد فيها بصحة صدر بصحة، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم)⁹.
- 5- ماسرجويه: فارسي الأصل، قام بتفسير وترجمة موسوعة من كتب الطب اليونانية، تسمى الكناش من عمل القس أهرت بن أعين وهو طبيب اسكندراني¹⁰، له مجموعة من المؤلفات منها: كناشة في الطب، وكتاب الغذاء، وكتاب العين¹¹، توفي سنة (102هـ/720م)¹².

¹ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 157.

² ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 157.

³ ابن سينا، القانون في الطب، ج 4، ص 254؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 157.

⁴ ابن سينا، القانون في الطب، ج 4، ص 524.

⁵ الشطي، مختصر في تاريخ الطب، ص 18.

⁶ ابن حجر العسقلاني، 852 (هـ) تحذیب التهذیب، ج 394/6.

⁷ ابن سينا، القانون في الطب، ج 4، ص 254؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 157؛

⁸ نفس المصدر السابق والصفحة.

⁹ نفس المصدر السابق والصفحة

¹⁰ مرجب، الموجز في تاريخ العلوم، ص 76.

¹¹ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 210.

¹² ابن سينا، القانون في الطب، ج 4، ص 17

- 5- أحمد بن ابراهيم: عاش في القرن الثاني الهجري، طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك ، له عدة مؤلفات منها: كتاب أصول الطب، ورسالة النبات المستعمل في الطب¹.
- 6- برمك: من الأطباء الماهرين ، داوى مسلمة بن عبد الملك بن مروان من علة كانت به².
- 7- مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم السكوني الكندي يكنى أبا سعد³: مارس مهنة الطب في زمنه⁴، توفي سنة (684/65م)⁵.
- 8- تياذوق: كان ليتاذق إسهامات طبية في معالجة الأمراض ، وقد إستعمل أساليب مختلفة، فتارة يداوي بالعقاقير الطبية، وأخرى بالنظافة والوقاية وبتشخيص حالة المريض النفسية⁶. ومن مؤلفاته: (الفصول في الطب)⁷ ، وكتاب صنفه ليكون دليلاً ومرجعاً⁸. وأعتمد عليه الطبيب الشهير الرازي في مؤلفه الشهير كناش الكبير المعروف بالحاوي منها ما يخص أمراض المعدة⁹، وأمراض الرئة وذات الجنب¹⁰، توفي سنة (90هـ)¹¹.

¹ الشطي، مختصر في تاريخ الطب، ص. 22

² الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج / 2 ص. 671

³ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج / 2 ص. 156

⁴ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج / 3 ص. 386

⁵ الزركلي، الاعلام، ج 6 / ص 145.

⁶ ابن ابي اصيبعة، طبقات الاطباء، ص. 176.

⁷ الحيالي، تاريخ علم الطب، ص. 65.

⁸ القفطي، اخبار العلماء، ص، 108.

⁹ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص. 161

¹⁰ الرازي، الحاوي في الطب، تح، محمد اسماعيل، دار الكتب العلمية (بيروت، 2000 م) ج 5 / ص 56، 85، ج 7 / ص 28

¹¹ ابن فضل الله، مسالك الابصار، ج 9 / ص. 355

المطلب الثاني: حفظ الصحة في العصر العباسي الأول: أتناول ذلك من خلال العناصر التالية:
أولاً:-رعاية الخلفاء العباسيين للصحة والأطباء: برز الإهتمام بالعلوم والمعارف ، ومنها الطب ، في العصر العباسي ، فقام المترجمون بنقل كنوز الحضارات السابقة إلى العربية ، ومعظم المؤلفات الطبية في هذه المرحلة مادتها منقول عن الكتب اليونانية والهندية والفارسية¹. وتم إنتقال الأطباء إلى منطقة "جنديسابور" مركز الطب ببغداد، وإشتهر من هؤلاء آل بختيشوع الجد والابن والأحفاد².
ولقد كان لوصول التراث الطبي اليوناني إلى العرب في العصر الإسلامي أثراً كبيراً في تطور العلوم الطبية عند العرب وعلى مدارس الطب العربي، ولعبت مدرستا الرها وجنديسابور بالعراق وفارس أهمية كبيرة في النهضة الطبية العربية والإسلامية، وقد برز نشاط هذه المدارس الطبية بعد الفتوحات الإسلامية ، حيث نشطت حركة الترجمة من اللغة السريانية إلى اللغة العربية ، وهذا ما ساعد في وجود مكتبة طبية باللغة العربية كانت الأساس الذي إعتمد عليه التقدم الطبي في العصر الإسلامي، ولقد ازدهرت الصناعة الطبية في العصر العباسي، حيث وصل عدد أطباء بغداد إلى 860 طبيباً في مدينة واحدة هي حاضرة العلم في العالم مدينة بغداد³. ولقد كان ميدان الممارسة الطبية في الدولة الإسلامية مفتوحاً لكل العلماء من شتى الملل والأديان الذين عاشوا في كنف المسلمين، فقد بلغ عدد الأطباء النصارى نحو 56 طبيباً.

¹ ابن ربن الطبري ، حفظ الصحة ، تحقيق د.محمود المصري ، ، 2011م ، ص 59

² ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص171

³ الداء السكري في الطب الإسلامي ، د. عبد الناص كنعان ، د.محمد الحاج علي ، ص 9

وإحتل الأطباء مكانة رفيعة لدى الخلفاء والأمراء، ، وكانت تجزل لهم الرواتب بحسب الاختصاص الذي يمارسونه، فمنهم من كان يأخذ رزقين أو راتبين لتعاطيه علمين أو ممارسته لاختصاصين، ومنهم من كان يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم أو ممارسته لثلاثة إختصاصات. وامتاز الأطباء في العصر العباسي بوجود نظام ينظم عملهم ، ويؤطر ممارستهم للمهنة، و كان منهم الأطباء الصيادلة من هو مخصص للجنود يرافقهم في أسفارهم، وكان منهم من هو خاص بالخلفاء والأمراء وكانوا يُمنَحون مرتبات خاصة وعُرفَ هؤلاء الأطباء بالمرتزقين ، وكان من الأطباء من يمارسون المهنة على العامة من الناس وهم غير مرتزقين¹.

ثانيا-أطباء العصر العباسي الأول: نذكر من أطباء العصر العباسي الأول، أو المبكر ما يأتي:

- 1-جبرائيل بن بختيشوع (ت 213 هـ)²: له كتاب الباه، ورسالة في الطعام والشراب³.
- 2- بختيشوع بن جبرائيل(ت 256 هـ)⁴: كان يعتمد على الوقاية من الأمراض. من مؤلفاته: مختصر بحسب الإمكان في علوم الأزمان والأبدان، ورسالة في تدبير البدن، وكتاب في الحجامة⁵.
- 3- يوحنا بن ماسويه (ت 243 هـ)⁶: له كتاب في الأغذية، والأشربة ، وكتاب في الفصد والحجامة، وكتاب تدبير الأصحاء. وقد إحتوى كتابه (النوادر الطبية) ملاحظات طبية مهمة، يقول فيه:(إن النفس المطبوعة كما والطبيعة المدبرة تعينان الصناعة الطبية وبالضدد.. وينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها.. وينبغي للطبيب أن يتعرف على أخلاق العليل في حال صحته ومرضه ومواضع آماله وآلامه، ثم يصورها له ويرجّيه فيها وينشّطه إليها...)⁷.

¹ المرجع السابق ، ص 10

² هو حفيد جورجيوس رئيس الأسرة. التحق بحاشية هارون الرشيد، ثم المأمون. كان يمارس الطب بأساليب اليونان انظر القفطي أخبار الحكماء، 132 وما بعد، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 187 وما بعد)

³ سزكين، تاريخ التراث العربي، ج3، ص(226-227)

⁴ هو حفيد جورجيوس بن بختيشوع.. وكان يمارس الطب بالقياس (ا ترتون، أهل الذمة في الإسلام، 248)

⁵ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج3، ص243

⁶ هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه. كان من أشهر أطباء بغداد، (انظر النديم، الفهرست، 295-296).

⁷ ابن جليل ، الطبقات ، ص 65 ، وحمارنة ، تاريخ تراث العلوم الطبية ، ج1/138

4- ابن ربن الطبري (ت 247 هـ)¹: كان يوجّه الأطباء إلى الإهتمام الدائم بأنفس الناس وأبدانهم من خلال إدخال الراحة على المرضى روحًا وجسدًا، وإحترام جميع الفئات من الملوك والسوقة ومسائرتهم؛ إذ كلهم بحاجة للصناعة الطبية، وواجب الطبيب العناية بصحة الكل على حد سواء. وكان يقول أول فكرة المتفكر في الطب إنما هو حفظ الصحة².

ومن مؤلفاته: كتاب حفظ الصحة، وكتاب الحمامة. أما كتابه (فردوس الحكمة) فقد احتوى بجزءًا متفرقة في حفظ الصحة حول تربية الأطفال والأغذية والأشربة والطعوم والروائح بأنواعها، وموضوعات تتعلق بالبلدان والمياه والرياح. وحدير بالقول: إن لهذه الوصايا الأدبية الأخلاقية التي نشرت حوالي 235 هـ أهمية كبرى في تاريخ المهن الصحية وآدابها وطرق ممارستها. وبذلك يكون الطبري كباقي البيت من ناحية أمر الطب، ومن حيث إن القوام هو حفظ الصحة³.

5- يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 257 هـ)⁴: من مؤلفاته في حفظ الصحة رسالة في الأطعمة، كتاب الباه، رسالة في الحمام، رسالة في تدبير الأصحاء، رسالة في الحيل لدفع الأضرار، رسالة في الأبخرة المصلحة للجو والأوباء، كتاب الطب الروحاني. وأما كتابه (تقويم الصحة بالأسباب الستة) فقد احتوى على إصلاح الهواء الواصل إلى القلب، وتقدير المأكول والمشرب، وتعديل الحركات والسكون، ومنع النفس من الإغراق في النوم واليقظة، وتقدير استفراغ الفضلات، وأخذ النفس بالفصد في غضب وهم وفرغ⁵.

¹ هو أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري ، إشتهر بالطب والفلسفة والطبيعات ، وذاع صيته في الطب ، وكانت وفاته بعد سنة 236 هـ بعد ما فرغ من تأليف كتابه فردوس الحكمة (أنظر ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 378).

² الطبري ، فردوس الحكمة ، ص 6

³ حمارنة ، تاريخ التراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ، ج 1 ، ص (141-142)

⁴ هُوَ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ الصَّبَّاحِ بنِ عَمْرَانَ ، وَكَانَ إِسْحَاقَ الكِنْدِيِّ عَالِمًا بِالطَّبِّ والفلسفة وَعِلْمِ الحِسَابِ والمنطق ، وَله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جدا في جميع العلوم ، وَمِن كَلَامِ الكِنْدِيِّ قَالَ فِي وَصِيئَتِهِ وليتق الله تَعَالَى المتطرب وَلَا يخاطر فَلَيْسَ عَنِ الأنْفُسِ عوض ، (أنظر ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج 1 ، ص 285-288)

⁵ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 285

6- حنين بن إسحاق العبادي (ت 260 هـ)¹: له من المؤلفات: كتاب الأغذية، رسالة في تدبير الصحة بالمأكل والمشرب، كلام في حفظ الأسنان واستصلاحها، وتفسير كتاب حفظ الصحة لروفس الأفسيسي، وكتاب في طبائع الأغذية وتدبير الأبدان، وكتاب اللبن، ومقالة في الحمّام، ومقالة في الفواكه ومنافعها، وكتاب في البقول وخواصها، ورسالة في منافع لحم الطيور².

7- إسحاق بن عمران (ت 294 هـ): كان يوصي بالحجامة من باب الوقاية الصحية. وله رسالة إلى بعض إخوانه في حفظ الصحة³.

8- قسطا بن لوقا (ت 300 هـ)⁴: له من المؤلفات رسالة في التحرز من الزكام والنزلات اللاتي ترد في الشتاء، كتاب في النوم والرؤيا، كتاب في الباه، مقالة في الوباء، رسالة في حفظ الصحة وإزالة المرض، رسالة في تدبير الأبدان في السفر للسلامة من المرض والخطر، رسالة في السهر وأسباب الأرق، رسالة في الأغذية، كتاب الحمّام، رسالة في قوانين الأغذية، كتاب في علّة طول العمر وقصره، كتاب في تدبير الأبدان في سفر الحج⁵.

9- ثابت بن قرّة (ت 288 هـ)⁶: من أقواله في حفظ الصحة:: (راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام، وراحة اللسان في قلة الكلام). من مؤلفاته: جوامع كتاب الأهوية والمياه لجالينوس، وأما كتابه الذخيرة فقد ذكر فيه جوامع كلام يستعان بها في حفظ الصحة، وتكلم على الأهوية والفصول ومنافع الأغذية⁷.

¹ هو أبو زيد حنين بن إسحق شيخ المترجمين في أوائل العصر العباسي، شد الرحال إلى جنديسابور لتعلم الفارسية والطب، وتعلم العربية في البصرة، وأتقن اليونانية وعلوم الحكمة والطب في الإسكندرية. أولاده المأمون رئاسة بيت الحكمة (انظر النديم، الفهرست، 250 وما بعد، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 257 وما بعد).

² ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 271-274

³ إسحق بن عمران: شيخ الأطباء في تونس الأغلبية، (ابن جلجل، الطبقات، 84-85، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء 478)

⁴ هو قسطا بن لوقا البعلبكي. عمل فهرست الحكمة وبرع في الترجمة حتى وضعه النديم في صف حنين بن إسحق. له مؤلفات في العلوم الطبيعية والاجتماع والتاريخ (انظر النديم، الفهرست 295، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 329-330)

⁵ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 330

⁶ هو أبو الحسن ثابت بن قرّة الحراني. قيل إنه كان أعلم معاصريه بالفلسفة والطب، التحق بباشية المعتضد. وكان من أهم المترجمين في عصره (انظر النديم، الفهرست، 276، وانظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 295 وما بعد).

⁷ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص (298-300)

المطلب الثالث: حفظ الصحة في العصر العباسي الثاني:

يمثل العصر العباسي الثاني أو المتأخر مرحلة النضوج في التأليف الطبي العربي التي ابتدأت منذ أوائل القرن الرابع الهجري واستمرت حتى القرن السادس الهجري حيث تميزت بما يلي¹:

1- إضافة المنهج التجريبي والتطبيقات العملية إلى المنهج الاستدلالي والعلم النظري من أجل اختبار صحتها، في حين كان اعتماد اليونان على المنهج الاستدلالي غالبًا. ويرى الأستاذ سزكين أن أهم ما ينبغي أن يسجل للمسلمين استطاعتهم أن يعرفوا الناحيتين: النظرية والعملية في الطب، وأن يؤسسوا عنصر العدالة بينهما في وقت مبكر، وأن يطوروا هذا المبدأ باستمرار².

2- حسن التأليف والتصنيف والترتيب المنطقي للمادة العلمية، وضبط الكلام في الموضوع الواحد بدقة علمية، ووضعه في موقعه المناسب ضمن الإطار العام لهيكلية الكتاب من غير استطراد أو تشويش، كما هو الحال في كتب اليونان التي لم تلتزم بمنهج جيد في تسلسل عرض المعلومات.

3- وضوح المادة العلمية وتقريب تناولها بأسلوب تعليمي ناجح، في حين كانت المادة العلمية في كتب اليونان تعاني من الغموض والركاكة وعدم الدقة في التعبير.

4- نقد المضمون العلمي للمادة الموجودة في كتب اليونان، وعدم النظر إليها كشيء مسلم به دائماً، لا سيما ما أكدت التجربة عدم صلاحيته.

5- إضافة كثير من المبتكرات التي لم يسبقهم إليها أحد في شتى أصناف العلوم. ونذكر هنا أهم من أُلّف في حفظ الصحة في هذه المرحلة من أطباء المشرق والمغرب، سواء أكانت المؤلفات مستقلة في حفظ الصحة أم كانت جزءًا من كتاب طبي موسوعي:

¹ أبو الحسن علي بن ربن الطبري، حفظ الصحة، تحقيق د. محمود المصري،

² سزكين، محاضرات في تليخ العلوم العربية الإسلامية، ص 39

- 1- أبو زيد البلخي¹ (ت 322 هـ): وهو صاحب كتاب مصالح الأبدان والأنفس الذي يعد أول كتاب متكامل وتخصصي في حفظ الصحة في عصر التأليف الطبي العربي.
- 2- أبو بكر الرازي² (314هـ): كان الرازي يعطي سياسة المعالجة أهمية بالغة، يقول الرازي: (يجب على الطبيب أن يوهم المريض أبدأ الصحة، ويرجّيه بها وإن كان غير واثق بذلك. فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس)³. وكان يوجه المريض إلى التزام استشارة طبيب واحد، لأنه من تطب عند كثيرين يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم⁴.
- وكان الرازي يقول: (من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه الطبيب في علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة بالصناعة حسن معاملة المريض، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله)⁵. أما كتابه (الحاوي)، فقد احتوى على متفرقات في حفظ الصحة، يقول علي بن عباس: (أما كتابه المعروف بالحاوي فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل التي تكون بالتدبير والأغذية وعلاماتها)⁶. وله كتاب في الطب الروحاني، وكتاب في كيفية الاغتذاء، وكتاب الباه، وكتاب في الشراب، وكتاب في الرياضة، وكتاب منافع الأغذية ودفع مضارها، ورسالة في الحَمَام ومنافعه ومضاره، ورسالة في التلطف إلى إيصال الناس إلى شهواتهم، والأرجوزة في تدبير النفس، ومقالة في المذاقات)⁷.

¹ هو أبو زيد أحمد بن سهل البلخي. ولد في قرية شامستيان ببلخ سنة 235هـ. كان متكلماً أديباً، من حكماء الإسلام وفصحائه ويلغائه، حتى قيل فيه إنه جاحظ خراسان. وكانت له مشاركات مهمة في علوم الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب. تلمذ على الكندي، وتأثر بمنهجه الفلسفي، وكان من أهم تلامذته: الطبيب المشهور أبو بكر الرازي (انظر البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، 42، الحموي، معجم الأدباء، 3/79، النديم، الفهرست، 198).

² أبو بكر مُحَمَّد بن زَكْرِيَّا الرَّازِي، وَكَانَ الرَّازِيَّ مَواظِبًا لِلنَّظَرِ فِي غَواضِ صِناعةِ الطَّبِّ والكِشْفِ عَن حَقائِقِها وَأَسرارِها وَكَذَلِكَ فِي غَيرِها مِنَ العُلُومِ، تَعَلَّمَ الطَّبَّ مَن كَتَبَ بِقِراطِ وَجالينوسِ، حَصلَ لَهُ التَّمهَرُ فِي صِناعةِ الطَّبِّ وَفِيما تَفَرَّدَ بِهِ فِي مَداواةِ المَرضى، وَفِيما خَبِرَ مِنَ الصِّفَاتِ والأَدويةِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلى عَمَلِها كَثيرٌ مِنَ الأَطبَّاءِ، وَلهِ تَصانيفُ كَثيرَةٌ مَناها كِتابُ الحَوايِ وَكِتابُهِ فِي سِرِّ الطَّبِّ، وَلهِ فِي ذَلِكَ تَصانيفُ كَثيرَةٌ، وَمَن كَلَّامِ أَبِي بَكرِ الرَّازِيَّ فِي الطَّبِّ، قَال: الحَقِيقَةُ فِي الطَّبِّ غَايَةُ لا تَدْرُكُ والعِلاجُ بِما تَنصَهُ الكُتُبُ دونَ أَعمالِ المَاهرِ الحَكِيمِ بِرَأْيِهِ خَطَرٌ، وَقَالَ مَن تَطبَّ عِنْدَ كَثيرينَ مِنَ الأَطبَّاءِ يُوشِكُ أَن يَقعَ فِي خَطَأِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُم تَوَبيُّ فِي سَنَةِ عَشرينَ وَثَلثمائةِ هِجريةِ (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج1، ص 414 وما بعد-بتصرف).

³ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 420

⁴ المصدر نفسه، 421

⁵ المصدر نفسه، 421

⁶ انظر علي بن عباس، كامل الصناعة، 7/1

⁷ انظر النديم، الفهرست، 416-419

- 3- ابن سعيد التميمي (ت370 هـ): له في حفظ صحة البيئة كتاب (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء)¹.
- 4- أحمد بن أبي الأشعث² (ت360 هـ): جاء في كتابه (الغازي والمغتذي) بعض المتفرقات التي تتعلق بحفظ الصحة؛ كالحديث عن أهمية التغذية الجيدة في سلامة صحة الإنسان بدءاً وروحاً، والحديث عن تصويب الصحة للمريض، والحديث عن شئون الوقاية الصحية، وتنسيق أمور النوم واليقظة وأوقات العمل والراحة، والعناية بالبيئة، ومراعاة الانفعالات النفسية وتأثيرها في صحة الإنسان، وله مقالة في النوم واليقظة³.
- 5- علي بن العباس⁴ (ت384 هـ): كان يعتمد في ممارسته الطبية على تقويم الصحة، وأن القوة الجسدية ضرورية للمريض، ويعدُّ كتابه كامل الصناعة الطبية (الملكي) جامعاً لكل ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة، وقد خصص المقالة الأولى من الجزء الثاني للصحة العامة⁵.
- 6- ابن الجزار (ت396 هـ): من كتبه في حفظ الصحة: طب المشايخ وحفظ صحتهم، والبلغة في حفظ الصحة، ورسالة في النوم واليقظة⁶.

¹ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي، ولد بالقدس، وتنقل في ديار الشام، واستقر بمصر. اشتهر بمعرفته في الأدوية (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 105، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 547-548)

² هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الأشعث. كان تقياً محباً للخير، وكان يمارس الطب على أفكار جالينوس. فسر كتب مجاميع جالينوس الستة عشر (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 331)

³ انظر حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، 239/1

⁴ هو علي بن العباس الجوسي: ولد بالأحواز، ودرس الطب ومارسه هناك. ألف كتابه الملكي لعضد الدولة البويهبي (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 252، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 320-319)

⁵ انظر علي بن العباس، الملكي، 5-3/1

⁶ هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم. عرفت أسرته المسلمة بالاشتغال بالطب. اشتهر بعطفه على المرضى وتزويدهم بالدواء مجاناً. كان رفيع الأخلاق، لا يخضع للحكام (انظر ابن جليل، الطبقات، 88، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 481-482)

- 7- أبو سهل الجرجاني¹ (ت 410): شرح في كتابه المائة في الطب الأسباب الحافظة للصحة والأسباب المشتركة، ويبيّن أن علم الطب مطلوب لقوام الحياة ، وأن غاية الطب أن يكون بقاء البدن أكثر، والصحة أوثق. وذكر في الكتاب العاشر حتى الخامس والعشرين من كتابه المئة في الطب حالات الهواء والمسكن والمياه والأغذية والأشربة والملابس والنوم واليقظة والاستحمام².
- 8- ابن سينا³ (ت 428هـ): جاء الكلام على حفظ الصحة في كتاب القانون لابن سينا في الفن الثالث. يقول ابن سينا: (ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته". وله في حفظ الصحة أيضًا: أرجوزة في تدبير الصحة في الفصول⁴.
- 9- أبو الفرج بن الطيب (ت 435هـ): وله تفسير كتاب تدبير الأصحاء لجالينوس⁵.
- 10- ابن بطلان البغدادي⁶ (ت 450هـ): له كتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة التي لا بد من تعديلها والاهتمام بها ، كإصلاح الهواء ، وتقدير مأكله ومشربه، وتعديل حركاته وسكناته ، ونومه ويقظته، والاستفراغ والاحتقان، والقصد الكافي في إنفعالاته النفسانية، وترويضها على توجيه الخوف والفرح والهموم في أحسن السبل، وتطبيع الفرح والصبر والرقة في المعاملات اليومية لحفظ الصحة. والكتاب مرتب في جداول حسب قوى الأدوية والأغذية وطريقة التغذية الصحية، والوقاية والاهتمام بتلوث البيئة، وعلاج الإنسان بدناً وروحاً، وأهمية الرياضة البدنية في حفظ الصحة⁷.

¹ هو أبو سهل عيسى بن يحيى الجرجاني، كان عالماً بالمنطق واسع المعرفة الطبية، خدم الملك العادل السلطان الخوارزمشاهي مأمون بن محمد (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 408، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 403).

² الكرمي، كتاب المئة في الصناعة الطبية لأبي سهل المسيحي الجرجاني، مجلة تاريخ العلوم العربية، 1978، مج 2/270.

³ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ، عرف بالشيخ والرئيس تعلم الفلك والحساب والطب وكان كثير التنقل في المدن بين دواوين الأمراء والملوك (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 413، وانظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 437).

⁴ ابن سينا، القانون، 3-2/1

⁵ هو أبو الفرج عبد الله بن الطيب. كان يعمل في البيمارستان العضدي، كان يعتمد في كتاباته على خبرته في الصناعة إضافة إلى ما قرأه في كتب أبقراط وجالينوس. وكان فيلسوفاً فاضلاً مجتهداً في البحث والتفتيش (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 223، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء 323-325)

⁶ هو أبو الحسن المختار بن الحسن. ولد ببغداد، جمع بين الصناعتين الأدب والطب. كان مجلسه منتدى العلماء والحكماء والشعراء والأطباء ورجال الدين. ارتحل إلى مصر ليقابل خصمه ابن رضوان، وبقي هناك ثلاث سنوات ثم رجع إلى أنطاكية (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 294، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 325 وما بعد)

⁷ انظر حمارنة، تاريخ التراث الطبي عند العرب والمسلمين، 302/1.

- 11- عبيد الله بن جبرائيل** (ت 450 هـ)¹: له مقالة في الاختلاف بين الألبان، وكتاب التواصل إلى حفظ التناسل، ورسالة في الطب والأحداث النفسانية وضعها للوزير محمد بن علي المعروف بابن مقلة، شرح فيها رأيه في الطب النفسي الذي اعتبره علمًا تطبيقيًا. وله أيضًا رسالة في الطهارة ووجوبها؛ تبحث في الطهارة البدنية والروحية من خلال البحث في حفظ الصحة والوقاية².
- 12- ابن رضوان المصري**³ (ت 460 هـ): له من المؤلفات في حفظ الصحة: تعليق على كتاب فوسيدونيوس في أشربة لذيذة للأصحاء، مقالة في الباه، فوائد علقها من كتاب تدبير الصحة لجالينوس، مقالة في حفظ الصحة، كتاب في دفع مضار الأبدان بأرض مصر، الذي يبحث في كيفية حفظ الصحة من الوباء، وكيفية إصلاح رداءة الماء والغذاء بمصر، وصفة تدبير المساكن والأبدان والماء⁴.
- 13- ابن جزلة البغدادي** (ت 473 هـ): بحث في الأدوية والأغذية، التي يحتاجها الإنسان في حالتي الصحة والمرض، ومن كتبه: (كتاب الإشارة في تلخيص العبارة فيما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن) و (كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان)⁵.
- 14- ابن العين زربي** (ت 546 هـ): كتابه (الكافي في صناعة الطب) احتوى على كليات الطب وحفظ الصحة باعتبار الفصول، والأطعمة الأشربة والمساكن والملابس وفوائد النوم والرياضة البدنية، وتجنب تلوث البيئة واستعمال المراوح ونافورات الماء وتكييف الهواء والوقاية من الأوبئة⁶.

¹ هو أبو سعيد حفيد عبيد الله بن بختيشوع. حاول أن يجعل الطب من العلوم التطبيقية (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 214).

² حمارة، تاريخ التراث الطبي عند العرب والمسلمين، ص 135

³ هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر، ولد بالقاهرة. كان يمارس التنجيم والطب. وعرف بتدينه واجتهاده وتواضعه وإسعافه للمحتاجين. ألحقه الحاكم بأمر الله بحاشيته، وعينه رئيسًا لأطباء مصر (القفطي، أخبار الحكماء، 444، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 561).

⁴ انظر قطاية، كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر، المؤتمر الثالث لتاريخ العلوم عند العرب، 303، 1978، وانظر حمارة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، 1/293

⁵ هو أبو علي يحيى بن عيسى، كان من نصارى بغداد، ثم أسلم. اشتهر بالحكمة والطب. واشتهر بعطفه على المرضى والفقراء (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 365، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 343)

⁶ هو موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر، تعلم في بغداد، اشتهر بالمنطق والرياضيات والعلوم الحكمية والأدب، خدم الخلفاء المصريين، ومارس الطب في بيمارستان القاهرة (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 570، حمارة، ابن العين زربي وأبحاثه في العلل والعلاج، الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، 641، 1977).

- 15- ابن زهر (ت 557 هـ): له كتاب الأغذية والأطعمة يشرح فيه أهمية التغذية وأنواعها وكيفيةاتها ومبادئ العناية الصحية العامة، وله كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد تشمل القسم الأول منه التدبير العملي للصحة بالأسباب الستة¹.
- 16- ابن المطران (ت 587 هـ): له في حفظ الصحة المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية، والمقالة النجمية في التدابير الصحية².
- 17- ابن جميع المصري (ت 594 هـ): وله كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد³.
- 18- ابن رشد (ت 595 هـ): احتوى كتابه الكليات على قسم خاص بحفظ الصحة⁴.
- 19- ابن هبل البغدادي (ت 610 هـ): احتوى الجزء الأول من كتابه المختار في الطب معلومات تتعلق بتدبير الأطفال والشيوخ والرياضة والحمام والفصد والحجامة وقواعد عامة في حفظ الصحة⁵.
- 20- عبد اللطيف البغدادي (ت 629 هـ): له مقالة في الماء، ومقالة موجزة في النفس، ومقالة في الشراب والكروم، ومقالة في الحنطة، ومقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة⁶.
- 21- رشيد الدين أبو حليقة (ت 646 هـ): له مقالة في حفظ الصحة⁷.

¹ هو عبد الملك بن أبي العلاء، وكان من أشهر أطباء بني زهر. درس الفقه والأدب والطب، والتحق بركب الأمراء المرابطين (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 519، وابن العماد، شذرات الذهب 4/179).

² هو موفق الدين أسعد بن أبي الفتح، ولد بدمشق، وكان كريم الخلق، درس الطب والأدب، عرف بولعه بجمع المخطوطات. أسلم، وكان ملازماً لصلاح الدين (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 651 وما بعد).

³ هو هبة الله بن زيد بن حسن الإسرائيلي. ولد بالقاهرة. كان في حاشية صلاح الدين الأيوبي. كان له اطلاع واسع على العلوم الطبيعية والأدب وفقه اللغة (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 576 وما بعد).

⁴ هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، ولد في قرطبة، درس الفقه والحكمة والطب. أكرمه السلطان المنصور ملك إشبيلية، ثم نقم عليه لاشتغاله بالفلسفة (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 531 وما بعد).

⁵ هو أبو الحسن علي بن أحمد. ولد ببغداد. حفظ القرآن ودرس في المدرسة النظامية. اشتهر بالفقه والأدب والطب. توفي عن عمر يناهز المئة (انظر القفطي، أخبار الحكماء، 238 وما بعد، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 407 وما بعد).

⁶ هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد. كان من أجلاء العلماء الموسوعيين في الإسلام، اشتغل في اللغة والفقه والطب والتاريخ والحساب وعلوم الطبيعة (انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13/199 والسبكي، طبقات الشافعية، 5/932 وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 683 وما بعد).

⁷ هو أبو الوحش بن الفارس أبي الخير المعروف بأبي حليقة. استقر بمصر، واتصل بالملك الكامل، ثم حكام مصر الأيوبيين، ثم المماليك (انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 590).

الفصل الثالث

حفظ الصحة في الهدى النبوي

المبحث الأول: حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي

ومظاهره في السنة النبوية

المطلب الأول: حفظ الصحة في الهدى الوقائي النبوي

المطلب الثاني: مظاهر حفظ الصحة في الهدى الوقائي النبوي

المبحث الثاني: حفظ الصحة في الهدى العلاجي النبوي

المطلب الأول: مفهوم الهدى العلاجي النبوي ومشروعيته

في السنة النبوية

المطلب الثاني: الغذاء والدواء في الهدى النبوي

المطلب الثالث: قواعد الهدى العلاجي النبوي

المبحث الثالث: مذاهب العلماء في حجية أحاديث الطب النبوي

المطلب الأول: مذهب القائلين بحجية الطب النبوي

المطلب الثاني: مذهب القائلين بعدم حجية الطب النبوي

المطلب الثالث: قواعد أساسية في التعامل مع الأحاديث

الطبية النبوية

المبحث الأول: حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي ومظاهره في السنة النبوية. يمثل الجانب الوقائي في الهدى النبوي الصحي الركن الأساسي، لحفظ صحة الفرد والمجتمع المسلم، من خلال التوجيهات النبوية التي تتضمن قواعد نبوية وقائية، قبل الإصابة بالعلة والمرض، ولذا سأتناول في هذا المبحث مفهوم الهدى الوقائي الصحي ومظاهره في السنة النبوية، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حفظ الصحة في الهدى الوقائي النبوي

أولاً: مفهوم حفظ الصحة في الهدى الإسلامي: جاء الأمر بالمحافظة على صحة البدن، ووقايته من المرض، وعلاجه، كما قال ابن القيم: (فإن رسول الله ﷺ إنما بعث هادياً، وداعياً إلى الله، وإلى جنته، ومعرفاً بالله، ومبيناً للأمة مواقع رضاه، وأمرهم بها، ومواقع سخطه ونهايا لهم عنها، ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم، وأخبار تخليق العالم، وأمر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها وأسباب ذلك. وأما طب الأبدان، فجاء من تكميل شريعته، ومقصوداً لغيره، بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه)¹. والأطباء يقررون أن حفظ الصحة في الإسلام، يرتكز على قواعد عامة تنسجم مع سنن الله في خلقه، وتسعى إلى المحافظة على خلق الله في وضعه الأمثل، قال الله سبحانه: (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك) (الانفطار:9)، وجاء في السنة النبوية قوله ﷺ (سَلُوا اللَّهَ الْمَعْفَاةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ عَافِيَةٍ²). وقال ﷺ (لَا بَأْسَ بِالْغَنِيِّ لِمَنْ اتَّقَى، وَالصَّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْعَنَى، وَطَيْبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ³)، وَقَالَ ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)⁴.

¹ ابن القيم، الطب النبوي، ص 20

² السنن الكبرى للنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - مسألة المعافاة وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بكر الصديق ﷺ في ذلك، ج 9، ح 10649، ص 324، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، ج 2، ح 948، ص 285، دار باوزير، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2003

³ المستدرک على الصحيحين - كتاب البيوع - لا بأس بالغنى لمن اتقى، ج 2، ح 2141، ص 3، وصححه الألباني، مشكاة المصابيح، ج 3، ح 5290، ص 1455، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 3، 1985

⁴ صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق - باب الفقر والزهد والقناعة - ذكر الإخبار عن طيب الله حل وعلا عيشه في هذه الدنيا ج 2 ح 671، ص 445

وإن من النصوص المباركة ذلك النص الفريد ، وهو قوله ﷺ (فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيَّ حَقًّا)¹ ، ولا يتحقق حفظ الصحة للجسد ما لم تتوافر تلك الحاجات الأساسية الأخرى ، وهي المأكل ، والمشرب ، والملابس ، والمسكن ، والمناخ ، والمرائب والأمن ... ، وبذلك يتحقق هذا التوازن الصحي الذي ينتظم كل شيء ، وأي إخلال به ، يفضي إلى أسوأ العواقب بالنسبة لصحة الإنسان، يقول الطبيب علي بن العباس ، في كتابه كامل الصناعة الطبية: قبل ألف عام ، بكل إيجاز: (والصحة هي اعتدال البدن)² ، فهو إذن ميزان يتأرجح بين حدين يحدان الاعتدال. وللحفاظ على هذا الميزان الصحي (في حالة الاعتدال) ، وحمايته من الإختلال ، وإعادته إلى الاعتدال كلما إختل ، ينبغي أن يكون للمرء رصيد صحي³. وقد وردت الإشارة إليه في حديث النبي ﷺ (وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ⁴) ، والعمل بوصيته ﷺ تحقيق للرصيد الصحي والإعتدال للمسلم.

إن مفهوم حفظ الصحة الحديث، تعتبره منظمة الصحة العالمية من مكتشفات هذا العصر، ويشمل بعدين للصحة:(الميزان الصحي) ، و(الرصيد الصحي) ، وفي إطار هذين البعدين ، صاغت منظمة الصحة العالمية تعريفها للصحة على أنها:(المعافاة الكاملة ، جسمية ونفسية واجتماعية ، لا مجرد انتفاء المرض أو العجز)⁵ ، وهذا التعريف يذكرنا بحديث رسول الله ﷺ (سَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ بَعْدَ بَعْدٍ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ عَافِيَةٍ⁶)، فالصحة كما قال علي بن العباس : (حال للبدن ، تتم بها الأفعال التي في المجرى الطبيعي)⁷ ، أوهي: كما قال ابن النفيس: (هيئة بدنية تكون الأفعال بها لذاتها سليمة والمرض هيئة مضادة لذلك)⁸ ، فالصحة عند أطبائنا جميعا إذن هي الأساس والمنطلق ، والمرض هو الهيئة المضادة للصحة.

¹ صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم ، ج 3، ح 1975 ، ص 39

² الجوّسي ، علي بن العباس : كامل الصناعة في الطب - ج 2، ص 3، المطبعة الكبرى بالديار المصرية 1294 هـ .

³ محمد هيثم الخياط ، سلسلة الهدى الصحي ، فقه الصحة ، ص 6-بتصرف-، منشورات منظمة الصحة العالمية، 1996م ،

⁴ صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، ج 8 ، ح 6416 ، ص 89

⁵ د.محمد هيثم الخياط ، سلسلة الهدى الصحي ، فقه الصحة ، ص 7 .

⁶ سنن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب مايقول إذا وافق ليلة القدر، ح 10647، ج 9، ص 324، ورجاله رجال الصحيح

⁷ د.محمد هيثم الخياط ، سلسلة الهدى الصحي ، فقه الصحة ، ص 8

⁸ المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ثانياً: مفهوم حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي: إن المتأمل في الهدى الوقائي الصحي في السنة النبوية يجده منها علمياً متكاملاً ، يتوافق كثيراً عن ما اصطلح عليه بالطب الوقائي الصحي في عصرنا الحديث ، ويعرف الطب الوقائي المعاصر بعدة تعاريف منها¹:

1- هو علم وفن الوقاية من الأمراض وتقوية الصحة ، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع².

2- (هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية)³.

3- هو علم الوقاية من الأمراض العضوية والجراثومية والنفسية في الفرد والمجتمع، بناء على أن مسببات الأمراض ثلاثة هي: الكائنات الدقيقة والطفيليات ، المركبات العضوية ، الإضطرابات النفسية⁴.

4- (هو الفرع من الطب الذي يركز حفظ صحة الإنسان، بهدف منع إصابته بالأمراض)⁵

5- هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية، ويقوم الطب الوقائي لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات ، لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها ومنع إنتشار العدوى إذا وقعت... وإطالة عمر الإنسان بتحسين ظروف معيشته ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي⁶.

وتبعاً لما سبق ذكره من مضامين في تعاريف الطب الوقائي المعاصرة ، والتي يسعى الطب الحديث لتحقيقها، فإنها حقائق ثابتة وقواعد عامة تصلح لكل زمان ومكان، وتتناول صحة الفرد و المجتمع والبيئة ، باعتبار أن صحة الأديان من صحة الأبدان ، لذلك نجد هذا النوع من الطب الوقائي الحديث قد شغل حيزاً واسعاً في الهدى النبوي خصوصاً ، والشريعة عموماً.

¹ أنظر: Preventive medicin and Health promtion yale Journal of Biolgy and mdicine Volume 14 N: 5 P: 443 -452.

² حكمت فريجات، مبادئ في الصحة العامة، دار المستقبل، ط1 1990م ص08.

³ محمد عيد محمود ، التغذية والطب الوقائي ، دراسة في الأحاديث الشريفة ، مجلة الأحمديّة ، العدد 22، ص 171 - 230 ، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، 2006

⁴ د. الصياد إبراهيم عبد الحميد، المدخل الإسلامي للطب، ص 07 ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة، 1988م .

⁵ د.أيمن محمود السعيد ، أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي ، ص 35 ، كتاب الإعجاز في القرآن والسنة، العدد (5) ، جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة: القاهرة ، ط 1، 2001م

⁶ د.أحمد شوق الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص11 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1991م.

ويمكن تعريف حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي بمعناها العام ، بأنها مجموعة الوسائل والأساليب المتخذة لحماية الفرد والمجتمع عن المساوىء ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك، من خلال عملية إصلاح وتنمية ، وتهذيب وتوجيه شاملة.

أما حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي الصحي بمعناه الخاص فهي الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من أجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية، ليكون المجتمع طاهرا بعيدا عن كل مواطن الأوبئة والعلل ومخاطر الفساد والإنحلال الخلقي.

ويمكن القول أن مفهوم حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي النبوي يشمل مجموعة من الأوامر والنواهي التي وردت في الأحاديث النبوية للمحافظة على صحة الفرد والمجتمع ، الروحية والبدنية، وسلامته ، ووقايته من الأمراض السارية والوافدة.

ومن خلال تلك التعاريف فإن الوقاية منهج متكامل لحماية الإنسان فردا أو مجتمعا ، والمحافظة على صحة وسلامة جسده من العلل والأمراض، وتحقيق ذلك يتم بإتباع مجموعة من التعاليم والإرشادات في معيشته وحياته.

ثالثا: الهدى النبوي الوقائي الصحي في الأحاديث النبوية: إن من يتأمل الأحاديث النبوية يجد أن التركيز إنما ينصب على البناء النبوي الوقائي الصحي للفرد والمجتمع ، وعلى المناعة المكتسبة لدى الناس، ويتجلى ذلك في السنة النبوية من خلال بيان الأحاديث الواردة بشأن الهدى النبوي الصحي في المجالات المتعددة، وقد ورد لفظ الوقاية بمشتقاتها في السنة النبوية في نحو أربعة عشر حديثا منها¹:

¹د.إ.ي. ونسك ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل مدينة ليدن 1926 م ، ص300/294.

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله) قال: (يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت ، فتنحى له الشياطين، فيقال شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقى)¹.

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من وقاه الله ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة)².
وورد ذكر معاني الوقاية من غير لفظها في أحاديث صحيحة منها:

3- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحَلُّوهُمْ ، فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا ، وَأَوْكُوا قَرَبَاتِكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَخَمِّرُوا آيَاتِكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا ، وَأَطْفَنُوا مَصَابِيحَكُمْ)³. ومعنى (فحلوه) أي فلا تمنعوه من الخروج والدخول، (أوكوا) من الوكاء وهو رباط يشد به فم القربة أي شدوا رؤوسها بالوكاء، (وخمروا آياتكم) من التحمير وهو التغطية.⁴

(إن النهج النبوي الوقائي الصحي كالنهج القرآني ، لأنه ترجمة وتفصيل له، فهو من جانب يؤكد النمط الوقائي، ومن آخر يفصل في التدابير الوقائية ويوسع مساحتها وحجمها، والمتتبع لخطوات النبوة عبر السيرة والسنة، يجدها ذاخرة بالتدابير والتوجيهات والوصايا الوقائية على كل صعيد، تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها، وتقي الأفراد والاجتمع منها قبل وقوعها، وبذلك تبقى البيئة الإسلامية معافاة من الأمراض والعلل والمشكلات والآفات التي تفتك بسائر البيئات الأخرى)⁵

¹ أخرجه أبوداود كتاب الأدب، باب مايقول إذاخرج من بيته ح5095 ص 206، وأخرجه ابن ماجة كتاب الدعاء باب مايدعو به الرجل إذا خرج من بيته ح 3876 ص 416.

² أخرجه الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في حفظ اللسان، ح2333 ص 430، وقال هذا حديث حسن غريب، ويشهد له حديث مالك في الموطأ كتاب الجامع، باب ماجاء فيما يخاف من اللسان ح1566 ص 123.

³ أخرجه البخاري كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، ج 7، ح 5623، ص 111

⁴ عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة - بيروت لبنان ط02 1972م، ج1 ص 542

⁵ فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، ص43، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، - ط07، 1997م.

رابعاً: خصائص الهدى النبوي الوقائي الصحي، ونظرية حفظ الصحة عند ابن سينا:

1- خصائص الهدى النبوي الوقائي الصحي: إن المتتبع لخصائص الهدى الصحي الوقائي في السنة

النبوية يستطيع إدراك الخصائص التالية فيها¹:

أ- السبق المبكر: تشريعها قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن ، أي في عصر النبي ﷺ

ب- المصادقية: إن العلم والطب الحديث يسعى للوصول إليها وتحقيقها، لصدقها وبقينها

ج- البساطة واليسر: لا يستلزم تطبيقها تكلفة مادية، أو جهداً مرهقاً، لبساطتها ويسرها.

د الشمولية: قواعد الهدى النبوي الوقائي تتعامل مع الإنسان، مادة وروحاً.

و- الديمومة: قواعد الهدى النبوي الصحي، مستمرة مع الإنسان ما دام قادراً على العبادة.

هـ- الذاتية في التنفيذ: يلتزم بها المسلم تعبداً لله، ولا يحتاج إلى مراقبه، لأن الله هو الرقيب، لذا

فالفرد والمجتمع المسلم في غنى عن الرقابة الحكومية في تنفيذ تلك القواعد الصحية.

ن- الحماية من الأمراض الجنسية: تنظم القواعد الصحية النبوية النشاط الجنسي تنظيمًا متوازناً،

من غير كبت للغريزة، ولا إطلاقاً لجماعها، بل اشباعها في إطار ضوابط شرعية محكمة، درءاً

للإنحرافات الأخلاقية، والمفاسد الإجتماعية، ووقاية من الأمراض والأخطار.

¹ د.عبد الحميد القضاة ، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ص24-30مديرية المكتبات والوثائق الوطنية الأردن ، ط1، 1987

2- نظرية حفظ الصحة في الهدى النبوي الوقائي عند ابن سينا: لقد وضع الحسين بن علي بن سينا¹ في كتابه القانون ، الأسس المنهجية والقواعد الوقائية والإجراءات العملية لحفظ الصحة، فما كتبه بشأن الوقاية لحفظ الصحة، يوجهنا إلى منبع غزير من الحكمة التي زخرت بها حضارة الإسلام في عهدها المضيئة السالفة، ويبرز الأركان والقواعد الأساسية للوقاية الصحية في الإسلام، فقد عرف ابن سينا الطب، وذكر العوامل المؤثرة في صحة الإنسان، ثم تحدث عن تدبير الوقاية وحفظ الصحة ، وفيما يلي نتعرف عن نظرية الطبيب ابن سينا في حفظ الصحة من خلال الآتي² :

أ- تعريف الطب عند ابن سينا: يقول ابن سينا: (إن الطَّبَّ علم يتعرف مِنْهُ أَحْوَالُ بدنِ الْإِنْسَانِ، من جِهَةِ مَا يَصِحُّ وَيَزُولُ عَنِ الصِّحَّةِ ليحفظ الصِّحَّةَ حَاصِلَةً وَيَسْتَردهَا زَائِلَةً)³.

هذا التعريف يعطي للطب الوقائي (الوقاية الصحية) أسبقية أساسية فقدتها في تطوراته الحديثة، حيث إن الإعتناء بالطب العلاجي، الذي يقوم على وصف الدواء للمريض، طغى على مهن الطب وسياسة الصحة وبرامج التعليم الطبي.

ب- الأركان المؤثرة في صحة الإنسان: يقول ابن سينا: قد إجتمع لنا أن الطب ينظر في الأركان والمزاجات والأخلاق والأعضاء البسيطة والمركبة، والأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية، وحالات بدن الإنسان من الصحة والمرض والتوسط، وأسبابها من المآكل والمشرب والأهوية والمياه والبلدان والمساكن، والإستفراغ والإحتقان، والصناعات والحركات البدنية والنفسانية والسكنونات، والأسنان والأجناس، والواردات على البدن من الأمور الغريبة، والتدبير بالمطاعم والمشرب، وإختيار الهواء، وإختيار الحركات والسكنونات، والعلاج بالأدوية وأعمال اليد لحفظ الصحة)⁴.

¹ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (370هـ . 428هـ) رغب في علم الطب و صنف فيه كتاب القانون والعديد من التصانيف التي بلغت المائة، وهو أحد فلاسفة المسلمين ، انظر ترجمته في :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ابن خلكان (607هـ-681هـ) تحقيق د.إحسان عباس ،دار صادر بيروت ج02 ص 157

² د.أحمد عروة: ،الوقاية في الطب وحفظ الصحة لإبن سينا، ص10-13 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1986م.

³ ابن سينا أبو علي الحسين ابن علي ، القانون في الطب . ج1 ص 13 ، دار نوبليس -بيروت لبنان ط01 2006م.

⁴ القانون في الطب ، ج1 ، ص 15

ج- تدير حفظ الصحة: يقول ابن سينا: حفظ الصَّحَّة يَقَع من أسباب خَارِجَة وَمِن أسباب باطنة. أما الأسباب الخَارِجَة: فَمَثَل الهَوَاء المَحَلَّل والمعقن. وأما الأسباب البَاطِنَة: فَمَثَل الحَرَارَة الغريزية الَّتِي فِيهَا المَحَلَّة لرطوباتنا والحَرَارَة الغريبة المتولدة فِيْنَا عَن أَغذيتنا وَعَغيرها المتعفنة... وصناعة حفظ الصحة ليست صناعة تَضْمَن الأمان عَن المَوْت وَلَا تَحْلص البَدن عَن الأَفَات الخَارِجَة ، وَلَا أَن تَبْلغ بِكُل بَدن غَايَة طول العُمر الَّذِي يَحِب الإنسان مُطَلَقًا بل إِنَّمَا تَضْمَن أمرين: منع العفونة أصلا وحماية الرُّطوبَة .. إن ملاك الأمر في صناعة حفظ الصَّحَّة هُوَ تَعْدِيل الأسباب العَامَّة اللّازِمَة المَدْكُورَة - وَأَكْثَر العِنَايَة بِهَا هُوَ فِي تَعْدِيل أُمُور سَبْعَة: تَعْدِيل المزاج وَاخْتِيَار مَا يَتَنَاوَل وتنقية الفضول وَحفظ التَّركيب وَإِصْلَاح المستنشق وَإِصْلَاح الملبوس وتعديل الحركات البَدَنِيَّة والنفسانية. وَيَدْخُل فِيهَا بِوَجْه مَا النَّوم واليقظة¹.

إن من القواعد الصحية الكثيرة التي نجدها عند ابن سينا نذكر باختصار²:

أ- النظافة الفردية: التي هي أساس معتمد في حفظ الصحة، وتشمل:

- نظافة الجسم واللباس - تنقية الفضول البدنية بتنشيط وظائف الاستفراغ.

- تجنب أنواع الامتلاء الذي يتسبب في تراكم الأخلاطر القابلة للتعفن أو المؤدية إلى السدد.

- تدبير الغذاء واستعمال الرياضة البدنية، وربما الفصد والحجامة.

ب - إصلاح الهواء: ويحتوي على تدابير ثمينة نذكر منها:

- دور الشمس في إصلاح الهواء، وضرورة تعريض المساكن الأشعة الشمس.

- استعمال العطورات النباتية بالتبخير والتدخين مفردة أو مركبة، ومنها: ماء الورد، عنبر،

مسك... ويكون الغرض فيه أن يجفف الهواء ويطيب وتمنع عفونته³.

¹ ابن سينا ، القانون في الطب، ج 1 ، ص: 201-202.

² د. أحمد عروة ، الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا ، ص: 681-683.

³ ابن سينا ، القانون في الطب، ج 3 ، ص: 66.

ج- إصلاح المساكن وتنقيتها باستعمال، أقراص الكافور، وماء ورد فيه مصبل حامض طيب ، والخل بالماء أيضا ، والماء البارد الكثير دفعة..¹ ، نلاحظ هنا ولو نظريا أهمية تحميض الهواء والمساكن بالمصل والخل، ونعرف أن كثيرا من البكتيريات تعيش في وسط حامض ، كما أن الرائب والمصول توجد فيها من الكائنات الحميرية التي تعاكس توالد البكتيريات الرديئة²

د- تدبير الأكل ليس من ناحية الكمية والكيفية فحسب ، ولكن كذلك من حيث تنظيفها ومعالجتها لدفع العفونة عنها، وذلك بأن (يغال الغذاء إلى الحموضات ، ويقلل منه ، وليكن اللحم الذي يستعمل مطبوخة في الحموضات ، ويتناول من الهلام، والقريص ، والمصوص المتخذ بالخل وغير الخل من السماق وماء الحصرم وماء الليون وماء الرمان ، والمخللات النافعة ، وخصوصا الكبر المخلل ، مما ينفعهم ويمنع عنهم العفونة)³

هـ- أما الوقاية التي تهدف إلى منع المضاعفات وهي التي نسميها اليوم الوقاية الثانوية، فنجدها مثلا في معالجة الجدري والحصبة، (الأعضاء التي يجب أن توقي آفة الجدري هي: الحلق والعين ، والخياشيم ، والرئة ، والأمعاء. فإن هذه الأعضاء هي التي تتقرح ؛ فأما العين فرمما ذهببت ، وربما ظهر عليها بياض .وأما الحلق فرمما عرض فيه خناق ، وربما عرض من القروح ما يمنع البلع في المري وأما الرئة فرمما عرض فيها من بثور الجدري والحصبة ضيق نفس شديد، وربما أوقعت في السل إذا قرحت)⁴ ، ويذكر ابن سينا تدابير وقائية لحفظ صحة العين ، والفم والحلق ، والرئة والأمعاء⁵

و- يمتد اهتمام الطبيب إلى مانسميه اليوم الوقاية الثلاثية، التي هدفها إرجاع الناقه إلى حالته الطبيعية وهنا يذكر ابن سينا تراكيب دوائية وتزينية مختلفة في كتابه القانون في الطب⁶.

¹ ابن سينا ، القانون في الطب، ج3 ، ص: 89

² د.أحمد عروة ، الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا ، ص: 682

³ ابن سينا ، القانون في الطب، ج3 ، ص: 90

⁴ المرجع السابق ، ص 96

⁵ أنظر: المرجع السابق ، نفس الصفحة

⁶ د.أحمد عروة ، الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا ، ص: 683.

المطلب الثانى: مظاهر حفظ الصحة فى الهدى الوقائى النبوى: إن المتتبع لمظاهر حفظ الصحة فى الهدى الوقائى النبوى، يجد أنها شاملة جميع مناحى الحياة المتعلقة بالفرد أو المجتمع أو البيئة، وسأعرض فيما يلى مظاهر الهدى الصحى الوقائى فى السنة النبوية :

أولاً: حفظ صحة الفرد المسلم فى الهدى الوقائى النبوى: عنت السنة النبوية بصحة الفرد المسلم، واهتمت به اهتماماً بالغاً، وتظهر أهمية ذلك فى الهدى الوقائى النبوى من خلال ما يلى:

1- النظافة الشخصية: إن النظافة فى الهدى النبوى جزء من العبادة ، فلا تصح عبادة أو صلاة ، إلا بعد وضوء وطهارة ، فالنظافة من الإيمان ، لقول الرسول ﷺ (الطهور شرط الإيمان..¹)، وأشارت السنة النبوية إلى المكروبات والطفيليات مستعملة كلمة الخبث أو الخطايا² ، ومن أمثلة ذلك حديث أبى أيوب الأنصارى، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله عن خبث السماء، فقال: (تسألني عن خبث السماء وتدع أظفارك كأظفار الطير، تجتمع فيها الخبائث، والتفت³)، وفى ذلك إشارة واضحة إلى أن المكروبات تعيش تحت الأظافر بمفهوم العلم الحديث، ونفهم من ذلك أن النبى ﷺ جعل النظافة عقيدة وسلوكاً ملزماً للمسلم فى كل شؤون حياته ، ويضاف إلى ذلك كله أنها وسيلة لحفظ الصحة ومنع المرض ، وتحقق النظافة الشخصية للمسلم بما يلى:

أ- **الوضوء:** الوضوء فرض وشرط لصحة الصلاة، فلا تصح من دونه، قال ﷺ: (لا تُقبل صلاةٌ بغير طهورٍ ، ولا صدقةٌ من غُلُولٍ)⁴ ، وتكراره خمس مرات فى اليوم يعد نظافة وتطهيراً لأعضاء المسلم الظاهرة ، و يحقق نظافة الأيدي والأرجل والفم والأسنان ، وهى من مستلزمات الصحة الشخصية ، فإن مجرد استعمال الماء النظيف فى غسل اليدين يزيل حوالي 90 بالمائة من المكروبات⁵ .

¹ صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء ، ج 1 ، ح 223 ، ص 140

² د. محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوى الوقائى ، ص 31.

³ المعجم الكبير للطبراني ، باب من اسمه محمد، ح 4086 ، ص 184

⁴ صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب وجوب الطهارة للصلاة ، ج 1، ح 224، ص 140

⁵ د. محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوى الوقائى ، ص 31

وثبت علمياً أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية ، لأن الوضوء خمس مرات في اليوم يكفل إزالة تلك المواد من سطح الجلد ويمنع من تراكمها مما يقلل من تأثير المواد على خلايا الجلد الذي يؤدي على المدى الطويل إلى حدوث تغيرات سرطانية¹.

وقد أوصى النبي ﷺ بالوضوء تحقيقاً لنظافة المسلم في عدة أحاديث منها: قوله ﷺ: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن...) ² ، وقال أيضاً: (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ)³. وسن النبي ﷺ للمتوضئ تحليل أصابع اليدين والقدمين، فقال: (إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك⁴) فذلكهما وغسلهما يزيل ما علق بها من أوساخ وعرق ، وفي ذلك وقاية وصحة. وفي نظافة الأنف والضم والاسنان قال ﷺ: (إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمنخره من الماء ثم لينثر⁵)، وهذا الاستنشاق وغسل الأنف المتكرر يزيل عنه الغبار والأوساخ ، ويقيه من الأمراض ، فمعظم الميكروبات التي تنتقل إلى الإنسان بالرداذ مثل الإنفلونزا وشلل الأطفال والدفتيريا ، يصل الميكروب إلى الأنف والحلق ، ثم ينتقل إلى الجسم ويصيبه بالمرض، فالغسيل المتكرر للأنف يجرف معه تلك الميكروبات إلى الخارج ويقي الإنسان من المرض⁶.

وقد أولى النبي ﷺ نظافة الفم والأسنان عناية خاصة ، فجاءت أحاديثه تؤكد ذلك، منها: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)⁷ ، وقوله ﷺ (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، أَوْ عَلَى النَّاسِ ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)⁸ ، وجاء في صحيح مسلم أنه ﷺ (كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك)⁹ ، فتلك الأحاديث وغيرها تؤكد على نظافة الأسنان حفاظاً على سلامتها ووقاية من المرض .

¹ الخولي ، حلمي حبيب : الإسلام والوقاية من بعض أمراض السرطان ، (المجلة العربية ، يناير 1985)

² البخاري ، باب فضل من بات على وضوء ، ح 247 ، ص 58

³ صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء . ، ح 278، ص 160

⁴ جامع الترمذي ، أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ باب في تحليل الأصابع ، ج 1 ، ح 41 ، ص 88 ، وقال حَسَنٌ غَرِيبٌ

⁵ صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب الإيتار في الاستنشاق والاستحمام ، ج 1 ، ح 237 ، ص 146

⁶ د. أحمد شوق الفنجرى، الطب الوقائي في الإسلام، ص 24 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1991م.

⁷ صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب سواك الرطب واليابس للصائم ، ج 3 ، ح 1934 ، ص 31

⁸ صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب السواك يوم الجمعة ، ج 2 ، ح 887 ، ص 4

⁹ صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب السواك ، ج 1 ، ح 253 ، ص 152

ب-الغسل: لم تكتف السنة النبوية بالوضوء كوسيلة من وسائل النظافة، بل أوجبت على المسلمين الغسل في مناسبات مختلفة يدور حكمه فيها بين الوجوب والاستحباب، فالغسل شرط لدخول الإسلام، وواجب عند احتلام الصبي، وبعد الجماع بين الزوجين، وبعد تطهر المرأة من حيضها .
ومن إرشادات النبي ﷺ للنساء في ذلك قوله لهن ما روي عن عائشة أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غُسلِ المَحِيضِ ، فقال: (تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا ، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ . ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ ذَلِكَ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَطَهَّرِينَ بِهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ ، كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ: تَتَّبَعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ غُسلِ الجُنَابَةِ ، فَقَالَ: تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا ، فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)¹ ، فإلى هذا الحد كان الإسلام صريحاً في مسائل الطهارة والنظافة ، حتى بقي المرأة المسلمة من النجاسة والضرر، ومعنى الحديث النبوي من الناحية الطبية² ، غسل كامل الجسم جيداً ، ثم غسل الفرج والمهبل أيضاً من الداخل لإزالة ما بقي من آثار الدم حتى لا يكون مرتعاً للميكروبات ، ثم تطيب المهبل ، بوضع قطن معقم له رائحة طيبة ، حتى يزول كل أثر لدم الحيض ، كما أثبت الطب الحديث .
وسن النبي ﷺ الغسل أيام الجمع والأعياد، قال ﷺ: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)³، وأمر النبي ﷺ المسلم أن لا يمضي أكثر من أسبوع من دون غسل واستحمام فقال ﷺ (حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده)⁴ .

¹ صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك . ، ج 1 ، ح 332 ، ص 179

² د. أحمد شوق الفنجرى، الطب الوقائي في الإسلام، ص-بتصرف-208، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1991م.

³ صحيح البخاري، كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة .. ، ج 2 ، ح 877 ، ص 2

⁴ صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان . ، ج 2 ، ح 896 ، ص 5

وقد أثبت العلم أن هناك أعدادا من الجراثيم لا يمكن حصرها، وربما يفوق عددها على الجلد الطبيعي عدد سكان الأرض قاطبة، وأن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مائتي مليون جرثومة، وبما أن هذه الجراثيم لا تقف لحظة عن التكاثر فلا بد من إزالتها بشكل دوري ومستمر بالغسل لتبقى أعدادها قليلة، بحيث يستطيع الجسم مجابهتها¹.

وتحقيقا للنظافة عنيت السنة النبوية بنظافة الشعر وترجيله ودهانه، قال ﷺ: (من كان له شعر فليكرمه)² وكان ﷺ يفعل ذلك، ويأمر بذلك أصحابه، فعن عطاء بن يسار أن رجلا تآثر الرأس واللحية دخل على رسول الله ﷺ فأشار إليه الرسول، وأمر بغسل شعره وإصلاحه ففعل، ثم رجع إلى مجلس الرسول ﷺ فقال: (أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم تآثر الرأس كأنه شيطان)³، فذلك يؤكد على عناية السنة النبوية بنظافة المسلم وحفظ صحته وسلامته.

ج- سنن الفطرة: تحقيقا لنظافة المسلم أوصى النبي ﷺ بخصال الفطرة التي تساعد في إزالة ما تراكم من الأوساخ على الجسم فقال ﷺ (خمس من الفطرة: الاستحداد والختان وقص الشارب وشف الإبط وتقليم الأظافر)⁴. فالاستحداد⁵ سنة حث عليها النبي ﷺ كما سبق ذكره، قال النووي رحمه الله: (وهو سنه والمراد به نظافة ذلك الموضع، والأفضل فيه الحلق، ويجوز بالقص والنتف والنورة)⁶، (والمراد بالعانة الشعر الذي فوق ذكر الرجل واليه، وذاك الشعر الذي حول فرج المرأة، وذكر النووي أنه الشعر النابت حول حلقة الذكر، فيحصل من مجموع هذا استحباب حلق جميع ما على القبل والدبر)⁷.

¹ د. محمود الحاج قاسم أحمد، الطب النبوي الوقائي، ص 35

² سنن أبي داود - كتاب الترجل - باب في إصلاح الشعر، ج 4، ح 4163، ص 125

³ موطأ الإمام مالك - الشعر - إصلاح الشعر، ج 1، ح 3494، ص 1384

⁴ صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب قص الشارب، ج 7، ح 5889، ص 160

⁵ الاستحداد: حلق العانة بالحديد. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. (1/ 353)

⁶ والنورة: حجر من الكلس، تستعمل لإزالة الشعر، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس، ص 629

⁷ شرح النووي على مسلم، ج 3، ص 148

وللإستعداد أهمية صحية ، فإن ترك شعر العانة يساعد على نشر الأمراض؛ منها تقمل العانة ، وقد حددت الأحاديث النبوية حدا أقصى للمسلم لا يجوز له أن يتعداه دون إستعداد، وهو أربعون يوما، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (وقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ألا تترك من أربعين ليلة)⁽¹⁾. فقد حث صلى الله عليه وسلم على (الإستعداد) وحدد وقتا لا يجوز للإنسان أن يتعداه، لأن هذا الموضع من جسم الإنسان (ذكر أو أنثى) هو من أكثر أجزاء الجسم عرضة للنجاسات، لقرها من السبيلين، وكثيرا ما يهملها الناس ويتناسونها لأنها من العورات التي تبقى مستورة محبأة، وفوق ذلك هي منطقة كثيرة الإفرازات الدهنية وغزيرة العرق، مما يجعلها مرتعا للعديد من مسببات الأمراض من الفطريات والفيروسات والجراثيم والأقذار.

يقول الدكتور عبد الحميد القضاة: (تقمل العانة، أصبح من الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي، ويصاب به أعداد كبيرة سنوية في الغرب من الذكور، والإناث)⁽²⁾. لذا جاء الهدى النبوي بحلق العانة، لما في ذلك من مصلحة صحية للإنسان ووقاية له من العلل الأمراض. (إن وراء هذا الإرشاد النبوي حكما عظيمة وفوائد جممة، أبرزها: إزالة الوسط الملائم لنمو العوامل المرضية، وتكاثرها، وحرمانها مما يحميها ويغطيها، ثم إن تنظيف هذه المناطق وتحويلها تفيد الجسم صحيا وجنسيا...، لذلك فإن إهمال هذه المنطقة وترك الشعر يسبب كثيرا من الأمراض والآفات، وبخاصة أمراض الجهاز البولي، والأمراض التناسلية، والأمراض النسائية، والآفات الجلدية، ولا تنحصر هذه الأمراض في الشخص ذاته، بل تتعداه إلى أسرته، وإلى أبناء المجتمع، من خلال الحمام المشترك، أو حوض السباحة العام)⁽³⁾.

إن الإستعداد من سنن الفطرة التي حث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، بصفة دورية وعلى فترات متقاربة تحقيقا للنظافة وصحة للفرد والمجتمع المسلم وحمايته من كثير الأمراض والآفات التي أخبر عنها الطب والعلم الحديث.

¹ أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ، ح 379 ص 69.

² د. عبد الحميد القضاة ، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ص 14

³د.فارس علوان ، وفي الصلاة صحة ووقاية ، ص 213/212، دار السلام للطباعة ، مصر، ط1، 1989 م

ومن الهدى النبوي الصحي قص الشارب، وعدم إطالته، فإن في قصه وقاية من الإصابة بالأمراض المختلفة: (ومن الناحية الطبية فإن الشوارب إذا ما طالت تلوثت بالطعام والشراب، وقد تكون سببا في نقل الجراثيم، وسنة الإسلام في قص الشوارب ما زاد عن الشفة العليا فقط، تتفق مع ما دعا إليه الطب، وإن عدم إزالة الشارب -بقصه فقط- يتفق مع الطب الوقائي. فالشارب خلق للرجل، وهو المهياً للعمل ووجود الشارب يحمي الرجل من طوارئ البيئة، وتصفية الهواء الداخل عبر الأنف إلى الرئتين، وهذا أنفع وأسلم)¹.

ومن سنن الفطرة نتف شعر الإبط، يقول الامام النووي²: (وأما نتف الإبط فهو سنة بالإتفاق والأفضل فيه النتف لمن قوي عليه ويجوز بالحلق وغيره)³، ويرى ابن حجر (أن الهدى النبوي بنتف شعر الإبط وليس بحلقه لأن النتف يضعف التعرق تحت الآباط)⁴، ويكون النتف باليد ويمكن ازالته بالمراهم المزيلة للشعر وان الاعتقاد على (نتف الإبط) منذ بدء نموه ودون ان يحلقه ابدا يضعف الشعر ولايشعر المرء باي ألم عند نتفه وكذلك يضعف الغدد العرقية والدهنية وذلك لأن منطقة الإبط -مثل منطقة العانة- يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية، فأثبت فيها الله تعالى الشعر كما أنبته فوق العانة، وليحرص كل إنسان قريب للفطرة من ازالته (شعر الإبط) حتى لا يصبح مبعثا للروائح الكريهة، ومرتعا للفيروسات والجراثيم، وهي من المسببات الرئيسية للأمراض، (وإن نتف الإبط يخفف إلى حد كبير من الرائحة الكريهة ويخفف من الإصابة بالعديد من الأمراض التي تصيب تلك المنطقة كالمذح والسعفات الفطرية والتهابات الغدد العرقية (عروسة الإبط) والتهاب الاجربة الشعرية وغيرها كما يقي من الاصابة بالحشرات المتطفلة على الشعر كقمل العانة)⁵.

¹ د. نزار الدقر، روائع الطب الاسلامي، ج 04 ص 94، دار المعاجم دمشق سورية ط 02 2004م.

² هو يحيى بن شرف، أبو زكرياء محيي الدين النووي الشافعي، علامة في الفقه والحديث، أخذ عن عبد العزيز الحموي، وغيرهم، له من التصانيف المجموع شرح المهذب في فروع الشافعية، وكتاب الأربعين النووية، توفي سنة 676 هـ. انظر: الاعلام 8/149.

³ شرح النووي على صحيح مسلم، ج 1 ص 414.

⁴ ابن حجر، فتح الباري ج 16 ص 479.

⁵ د. نزار الدقر، روائع الطب الاسلامي، ج 04 ص 92.

ومن خصال الفطرة تقليم الأظافر، فإن الأظافر التي تتجمع تحتها الأوساخ مجلبة لكثير من الأمراض؛ حيث تتجمع تحتها ملايين الخلايا الجرثومية التي تنقل الأمراض عن طريق تناول الطعام، والعينين، والجلد، وللآخرين عن طريق تلوث الأغذية بإخراجات المشتغلين بالأغذية¹.

وقد جاء النهي في السنة النبوية بعدم ترك الشعر الزائد فوق أربعين يوماً، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: (وقت لنا النبي ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة)². ومن الثابت في السنة النبوية تشريع الختان للرجال، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم³)، واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى زمن المسلمين اليوم، وقد ثبت علمياً أن للختان فوائد كثيرة منها⁴:

- يمنع الأقدار عن الذكر... لأن هذه الإفرازات والتي تسمى باللخن (Smegma) تتجمع تحت القلفة وتصبح بيئة لتوالد المكروبات، وتقوم أيضاً بفعل مساعد لتكون السرطان. كما وأن القلفة كثيراً ما تتعرض، أثناء الاحتكاك والمجامعة، للتسلخ والجروح وبمساعدة المكروبات تصبح عرضة لتضييق القلفة (Phimosis) والتهاب الحشفة (Balantis)، وقد يؤدي ذلك إلى التهاب المجاري البولية في حين أن هذا نادرة جداً عند المختنين.

- يقلل الختان من احتمالات إصابة الذكر بمرض الزهري، والأدلة العلمية تشير إلى أن الختان قد يقي من مرض الإيدز، وكذلك يقلل الإصابة بالقرحة الرخوة.

- لقد ثبت أن المختتن لا يصاب بثآليل التناسل إلا بنسبة ضئيلة، ولا يصاب بسرطان العضو أبداً، بينما ذلك غير نادر الحدوث عند غير المختنين،

- الختان عامل مهم في كبح ما يسمى عامل الذكر في إيجاد سرطان عنق الرحم، والطب يؤكد عدم ثبوت نظرية أن نظافة الأعضاء الجنسية فقط تقي من حدوث هذه الأمراض عند غير المختنين.

لذلك فإن الالتزام بخصال الفطرة التي أوصى بها النبي ﷺ يحقق النظافة الشخصية للمسلم وبقية من كثير الأمراض والأضرار التي أثبتتها الطب الحديث.

¹ د. عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ص 12

² صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب خصال الفطرة، ج 1، ح 258، ص 153

³ صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ج 4، ح 3356، ص 140

⁴ د. محمود الحاج قاسم أحمد، الطب النبوي الوقائي، ص 54

د- نظافة الطعام والشراب: جاء في السنة النبوية عدة أحاديث تؤكد على تغطية أواني الطعام والشراب منها: قوله ﷺ (أوكثوا قربكم واذكروا اسم الله، وغطوا آيتكم واذكروا اسم الله¹)، وفي رواية أخرى قال ﷺ (غطوا الإناء وأوكثوا السقاء فإن في السنة ليلة فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أوسقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء²)، وفي الشرب قال ﷺ (إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ، وَإِذَا أَتَى الْحَلَاءَ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَتَمَسَّحُ بِيَمِينِهِ)³، فيصح الحديث النبوي بتغطية أواني الطعام والشراب؛ صيانة لها من التلوث والحشرات والأوبئة ، قال الإمام القسطلاني: (وفي هذا الحديث جملة من الآداب من جلب المصالح ودفع المضار من كف الصبيان وغلق الأبواب وإيكاء (ربطها) القرب ، وغير ذلك مما لا يخفى⁴) ، وقال القرطبي رحمه الله : (تضمن هذا الحديث أن الله أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في هذه الأوقات من المضار من جهة الشياطين والفأر والوباء وقد أرشد إلى ما يتقي به ذلك ، فليبادر إلى فعل تلك الأمور ذاكرا لله ممتثلا أمر نبيه ﷺ شاكرا لنصحه فمن فعل لم يصبه من ذلك ضرر بحول الله وقوته⁵) ، وقال الإمام النووي رحمه : (ذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد منها: الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث ، وهما صيانته من الشيطان ، فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحل سقاء ، وصيانته من الوباء الذي نزل في ليلة من السنة ، والفائدة الثالثة صيانته من النجاسة والمقدرات ، والرابعة صيانته من الحشرات والهوام ، فرمما وقع شيء منها فيه فشربه ، وهو غافل أو في الليل فيتضرر به)⁶. وإن هدية الشريف ﷺ في تغطية آنية الطعام والشراب هو حمايتها من الذباب والغبار ، ومن التلوث الجرثومي وانتشار الأمراض السارية، إن ذلك يعتبر من أهم قواعد الطب الوقائي والوقاية الصحية التي أثبتتها الطب الحديث.

¹ صحيح البخاري - كتاب والأشربة - باب تغطية الإناء ، ج7 ، ح 5623 ، ص 111

² صحيح مسلم - كتاب والأشربة - باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء ، ج6 ، ح 2014 ، ص 107

³ صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب النهي عن الاستنجاء باليمين ، ج1 ، ح 153 ، ص 42

⁴ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ) ، إرشاد الساري

لشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 332 ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، ط 7 ، 1323هـ .

⁵ فيض القدير للمناوي : ج 1 ، ص 44

⁶ شرح النووي على صحيح مسلم ، ج 13 ، ص 183

فالتب الحديث أثبت أن النبي ﷺ قد وضع القواعد لحفظ الصحة بالإحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية ، والتي تسري في مواسم معينة من السنة، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن ، من أمثلة ذلك: أن الحصبة وشلل الأطفال، يكثر في سبتمبر وأكتوبر ، والتيفوئيد يكثر في الصيف، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات ، والجذري كل ثلاث سنين¹.

ومن هديه ﷺ النهي عن الشرب من أفواه أواني الشرب أو التنفس فيها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (نهى النبي ﷺ أن يشرب من في السقاء)². وفي السقاء: فم القرية³. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن إختناث الأسقية ، أن يشرب من أفواهها)⁴.

قال الإمام النووي: (وإتفقوا على النهي عن إختناثها ، وقال سبيه: أنه لا يؤمن أن يكون في السقاء ما يؤذيه فيدخل في جوفه ولا يدري وقيل أنه ينته أو لأنه مستقدر)⁵. (وإنما نهى عن الشرب من في السقاء من أجل ما يخاف من وجود أذى لا يراه الشارب، فإن الإناء إن لم يكن شفافا من الزجاج وكانت فوهته مفتوحة ، فقد يسقط فيه شيء من الهوام أو القذى أو الحشرات أو سواها ، كما أنه بعد إنتهاء الشرب وخاصة إذا كان الشارب مريضا فقد يعود ريقه مع ما يحمله ريقه من جراثيم إلى فم السقاء ويصبح خطرا على فم الشاربين)⁶. وفي النهي عن الشرب من أفواه أواني الشرب ، وقاية للشخص السليم من انتقال المرض إليه ، يقول د. أحمد الفنجري: (فمن المعروف أن الكثير من الأمراض ينتقل بهذه الوسيلة إلى السليم من المريض، عن طريق اللعاب والشفوتين، وأهم هذه الأمراض الأنفلونزا والدفتيريا، والتيفوئيد ، والسيلان والزهري وغيرها كثير... ومن الملاحظ أن الرسول ﷺ دقق على ألا يتنفس الشارب داخل الإناء وهو يشرب منه؛ لأن بعض الميكروبات قد تنتقل مع النفس، وتعيش في السوائل أكثر مما تعيش في الهواء الخائق)⁷.

¹ محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الاسلام ص55، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ط07 ، 2007 .

² أخرجه البخاري ، كتاب الأشربة ، باب الشرب من فم السقاء ، ح 5197 ص 352.

³ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، ج 08 ص 222.

⁴ أخرجه مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب واحكامهما ، ح 3770 ص 301.

⁵ شرح النووي على صحيح مسلم ج 07 ص 60.

⁶ د. عبد الرزاق الكيلاني ، الحقائق الطبية في الاسلام ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 1996 ص 40.

⁷ د. أحمد شوقي الفنجري ، الطب الوقائي في الإسلام ، ص 28.

ومن هديه ﷺ النهى عن التنفس والنفخ في أواني الطعام والشراب ، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ (نهى أن يتنفس في الإناء)¹. وفي الحديث أن رجلا قال يا رسول الله: (إني لا أروى من نفس واحد فقال له رسول الله ﷺ): (فأبى القدر عن فاك ثم تنفس قال فإني أرى القذاة فيه قال فأهرقها)². يقول ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه ولهذا جمع ﷺ بين النهى عن التنفس في الإناء والنفخ فيه)³، (أما من الناحية الطبية فإن هواء الزفير مفعم بغاز الفحم وفضلات الجسم الطيارة ، وما النفخ إلا إختلاط لهذه الفضلات بالطعام والشراب ، ومن ثم إعادتها إلى الجسم عند تناوله لتؤدي فعلها السمي)⁴. ومن هنا نفهم المعجزة النبوية الخالدة بنهى النبي ﷺ بالنفخ والتنفس في الإناء .

2-الغذاء: من الهدى الصحي النبوي الوقائي مراعاة المطعومات، والمشروبات، بما يفيد صحة المسلم، ويجنبه ما فيه أذى وضرر على صحة المسلم وسلامته، وقد أرست السنة النبوية قواعد سلوكية في الغذاء تبرز حفظ الصحة في الهدى الوقائي النبوي أهمها:

أ-الإعتدال وعدم الإسراف في الغذاء: إن الإعتدال في الغذاء أساس الصحة ، ففي الحديث، قال ﷺ (مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنُ صُلْبُهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ)⁵ ، وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: (كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَأَذْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا ، فَقَالَ: يَا نَافِعُ ، لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ)⁶ ، فالنبي ﷺ يوصي المسلم عند تناول غذائه، أن يأخذ قدر حاجته من غير زيادة، ولا يصل به الأكل إلى حد الشبع الزائد الذي يضره .

¹ أخرجه مسلم ، كتاب الاشربة ، باب كراهة التنفس في نفس الإناء ، ح 3780، ص 314

² أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب النهى عن الشراب في انية الفضة ح 1445 ص 445.

³ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص 183.

⁴ د. إبراهيم الراوي ، إستشارات طبية في ضوء الاسلام ، مجلة حضارة الاسلام ص 34 عدد 04 عام 1966.

⁵ أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ج 1، ح 2380 ص 535، قال حديث حسن صحيح

⁶ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة باب المؤمن يأكل في معي واحد مجلد 9 ص 536 رقم 5393.

ومراتب الغذاء ثلاثة، كما يقول ابن القيم رحمه الله: (مراتب الغذاء ثلاثة: أحدها: مرتبة الحاجة. والثانية: مرتبة الكفاية. والثالثة: مرتبة الفضلة ، فأخبر النبي ﷺ : أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها، فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب)¹، وهذا الهدى النبوي الغذائي كفيلاً بتجنيب المسلم كثيراً من الأمراض، كارتفاع ضغط الدم الشرياني، وتصلب الشرايين، وأمراض القلب والسكري، والسمنة ، وغيرها من أمراض العصر، ومن الاعتدال في الغذاء أيضاً عدم الإسراف في أنواع الغذاء ، حتى لو كانت مباحة بل وعالية الجودة ، لما يترتب على هذا الإسراف من الضرر بصحة المسلم، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ : (إِيَّاكُمْ وَاللَّحْمَ ، فَإِنَّ لَهُ ضَرَاوَةً كَضَرَاوَةِ الْحَمْرِ²) .

(ولقد أثبت الطب الحديث أن الإسراف في المواد البروتينية والدهنية يؤدي إلى زيادة الوزن، وتشحم الكبد وسوء الهضم، ويسبب كثيراً من الأمراض والأضرار، فالمطلوب الاعتدال لا الإسراف ، والتوسط القائم على التوازن بين أنواع الغذاء)³. (ولقد أكدت البحوث العلمية أن للبدانة (السمنة) عواقب وخيمة على جسم الإنسان ، وأن مرض البول السكري يصيب الشخص البدن غالباً أكثر من العادي ، كما أن البدانة تؤثر على خلايا عضلة القلب ، مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته ، وحذرت تلك البحوث من استخدام العقاقير لإنقاص الوزن لما تسببه من أضرار وأشارت إلى أن العلاج الأنسب للبدانة ، هو الاعتدال في تناول الطعام والشراب)⁴. إن هذه الحقائق العلمية التي جاء بها الطب الحديث قررها النبي ﷺ منذ منذ قرون في أحاديثه ووصاياه لأتباعه وأمته ، ولو إلتزم المسلمون بها لحموا أنفسهم من كثير من الأمراض والعلل والأسقام .

¹ زاد المعاد، ج 4، ص 18.

² موطأ الإمام مالك - صِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما جاء في أكل اللحم ، ج 1، ح 3450 ، ص 1369

³ د. موسى إسماعيل البسيط ، الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، مجلة جامعة القدس ، ص 336 العدد 6 ، 2005 .

⁴ خادم السنة الحاج أحمد، موسوعة الاعجاز العلمي ، ص 703 / 708 ، دار ابن حجر ، دمشق ، ط2 ، 2003

ب- توازن الغذاء: إن من أسس التغذية السليمة الثابتة في السنة النبوية ، عدم الاقتصار على نوع واحد من أنواع الغذاء ، فالأغذية التي يستعملها المسلم في حياته اليومية لا بد أن يكون فيها توازن مناسب، فإذا كان الإسراف في الطعام والشراب مسببا للأمراض المتنوعة، فبالمقابل فإن التقليل المفرط في الأكل أيضاً مضر بالصحة ، ويذكر لنا ابن القيم هدى النبي ﷺ في هذا الجانب قائلاً : (لم يكن من عاداته حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى سواه، فإن ذلك يضر بالطبيعة ... فقصرها على نوع واحد دائماً، ولو أنه أفضل الأغذية خطير مضر. وقد كان رسول الله يحسن الجمع بين الأطعمة طلباً للتوازن بينها¹)، وكان من هديه ﷺ إصلاح ضرر بعض الأغذية ببعض إذا وجد إليه سبيلاً، فيكسر حرارة هذا ببرودة ذلك، ويبوسة ذلك برطوبة هذا. ففي الحديث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: (رأيت النبي ﷺ يأكل الرطب بالقتاء²) قال ابن القيم: (فهذا (الرطب) حار، وهذا القثاء بارد. وفي كل منهما صلاح الآخر، وإزالة لأكثر ضرره، ومقاومة كل كيفية بضدها، ودفع سؤورتها بالأخرى، وهذا أصل العلاج كله، وهو أصل في حفظ الصحة، بل علم الطب كله يستفاد من هذا. وفي استعمال ذلك وأمثاله في الأغذية والأدوية إصلاح لها وتعديل، ودفع لما فيها من الكيفيات المضرة لما يقابلها، وفي ذلك عون على صحة البدن، وقوته وخصبه³). وقال أيضاً: (ومن تدبر أغذيته ﷺ وما كان يأكله، وجدته لم يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض، ولا بين غذائين حارين، ولا باردين، ولا لزجين، ولا قابضين، ولا مسهلين، ولا غليظين، ولا مرخين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين كقباض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوي وطبيخ، ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعاماً في وقت شدة حرارته، ولا طبيخاً بائناً يسخن له بالغد، ولا شيئاً من الأطعمة العفنة والمالحة، كالكوامخ⁴ والمخللات، والملوحات. وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال⁵).

¹ ابن القيم ، الطب النبوي، ص 161.

² صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الرطب بالقتاء ، ج 7 ، ح 5440، ص 79

³ ابن القيم ، الطب النبوي، ص 76.

⁴ الكامخ: نوع من الأدم معرب، لسان العرب، ج 5، ص 3928.

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي، ص 165

ج- تنظيم الوجبات الغذائية: ومن الأسس التي وضعتها السنة النبوية للتغذية السليمة تنظيم الوجبات ، بتحديد أوقات معينة متباعدة لتناول الطعام، يكون الميزان فيها، الحاجة إلى الطعام، وعدم إدخال الطعام على الطعام ، إذ في تتابع الوجبات و تواليها من غير تنظيم، إقبال على المعدة والجهاز الهضمي ، وفي ذلك هلاك محض يوجد شعبا مذموما يضر بصاحبه ، وقد جاء في الحديث النبوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بَحْشًا¹ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا ، أَطْوَهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ²). يقول ابن القيم مبينا سبب أكثر الأمراض المادية التي تعترى بدن الإنسان : (إدخال الطعام على الطعام و قبل هضم الأول، والزيادة عن القدر الذي يحتاج إليه البدن، والإكثار من الأغذية مختلفة التركيب ، كل ذلك مورث للمرض متعب للمعدة ، مع فائدة قليلة ، وإنما يقوى البدن بحسب ما يقبل من الغذاء، لا بحسب كثرة الغذاء)³ .

د- الأكل باليمنى وتجنب الاتكاء عند الأكل: خصصت السنة النبوية اليد اليمنى للأمر الكريمة من أكل وشرب ومصافحة وغيرها، واليد اليسرى للأمر المستقدرة من استنجاء ورمي للأقذار وغيرها، وقد ورد النهي عن استعمال اليسرى للأكل والشرب على وجه الخصوص،، وقد دلت عدة أحاديث على هذا السلوك الغذائي الوقائي منها: عن عمر بن أبي سلمه رضي الله عنه، يقول: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي⁴ بعد⁵). وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله⁶)، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لظهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى⁷).

¹ قال ابن منظور: التحشؤ تنفس المعدة عند الامتلاء، والاسم الجشأ، لسان العرب، ج 1، ص 425، مادة: (جشأ).

² أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (بدون ترجمة)، ج 4، ح 2478 ، ص 260، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

³ ابن القيم ، الطب النبوي، ص 16

⁴ بكسر الطاء أي صفة أكلي. ابن حجر، فتح الباري، ج 9، ص 433.

⁵ صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، ج 7 ، 5376 ، ص 68

⁶ أخرجه مسلم ، رقم الحديث: (2020) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

⁷ أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، ج 1، ح 33، ص 13.

فهذه الأحاديث تفيد بأن السنة في أكل الطعام هي إستعمال اليد اليمنى دون اليسرى، حماية وحفظاً لصحة المسلم وسلامته، ومنعاً من انتقال الأمراض. وكان من هديه ﷺ عدم الأكل متكثاً¹، ففي الحديث عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا أكل متكثاً²). وذكر الإمام الخطابي رحمه الله في معنى الحديث "لا أكل متكثاً" المعنى: (أني إذا أكلت لم أقعد متمكناً على الأوطية والوسائد فعل من يريد أن يستكثر من الأطعمة ويتوسع في الألوان ولكني أكل علقه وآخذ من الطعام بلغة فيكون قعودي مستوفراً له)³، فهذه الأحاديث تفيد في صفة جلوسه ﷺ للأكل، كما ثبت عنه رضي الله عنه أنه كان يأكل وهو مقع. فقد أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه، أنه قال: (رأيت النبي ﷺ مقعياً يأكل تمراً)⁴. قال النووي: (الإقعاء نوعان: أحدهما أن يلصق إتيته بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب... وهذا النوع هو المكروه الذي ورد النهي عنه. والنوع الثاني، أن يجعل إتيته على العقبين بين السجدين)⁵.

وذكر ابن القيم رحمه الله، فائدة الأكل بهذه الهيئة بقوله: (هذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها، لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله سبحانه عليه)⁶، والأكل متكثاً يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، فلا يستحکم فتحها للغذاء، وأيضاً فإنها تميل ولا تبقى منتصبه، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة. كذا ذكره ابن القيم⁷. (وأثبت الطب الحديث أنواعاً من التواءات التي تظهر بالمريء (Esophagus) وذلك ناتج عن تناول الطعام بأوضاع غير صحيحة. وكذلك من مضار الأكل متكثاً أو في وضع غير صحيح ما يسبب هذه الهيئة للأكل انتفاخ وكثافات الغازات وقرقرة الأمعاء)⁸.

¹ إتكا أي تحمل واعتمد فهو متكئ. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 4904، مادة: "وكأ".

² صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الأكل متكثاً، ج 7، ص 5398، ص 72

³ الخطابي، معالم السنن، ج 4، ص 243.

⁴ صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب استحباب تواضع الأكل وصفة قعوده، ج 6، ص 2044، ص 122

⁵ شرح النووي على صحيح مسلم، ج 5، ص 19.

⁶ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص 160

⁷ المرجع السابق، نفس الصفحة

⁸ بشير الرحمن، الآداب النبوية في الأكل والشرب وأثرها في حفظ الصحة، ص 178، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 2،

المجلد 29، أبريل 2014، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان

و-تحريم ما ضر أكله وشربه: إن كل غذاء حلال طيب مفيد للمسلم، وكل خبيث محرم فيه ضرره وهلاكه ، وفي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (أَنَّ سَمْعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ : إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ ، وَيُدَهَّنُ بِهَا الْجُلُودُ ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ ؟ فَقَالَ : لَا هُوَ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهَا¹ ، ثُمَّ بَاعُوه ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ)². كما نهى النبي ﷺ عن أكل لحوم كل ذي ناب، ومخلب، وشرب ألبانها ، لأنها تأكل النجاسات، والجيوف، وهذا يؤدي إلى انتقال الأمراض إلى جسم المسلم .ففي الحديث أن رسول الله (نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع)³ . فهذه المطعومات الضارة أثبت الطب الحديث ضررها على صحة المسلم. كما حرم النبي ﷺ الخمر، وثبت ضررها من الناحية الصحية، والاجتماعية. ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال(كل شراب أسكر فهو حرام)⁴، ولعل من حكم تحريم الخبيث ما أكد عليه ابن القيم حين قال:(وَإِنَّمَا حَرَّمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا حَرَّمَ لِحُبَّتِهِ، وَتَحْرِيمُهُ لَهُ حَمِيَّةٌ لَهُمْ، وَصِيَانَةٌ عَنْ تَنَاوُلِهِ، فَلَا يُنَاسِبُ أَنْ يُطْلَبَ بِهِ الشِّقَاءُ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْعَلَلِ ، وَهَذَا ضِدُّ مَقْصُودِ الشَّارِعِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ دَاءٌ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَّخَذَ دَوَاءً)⁵، ويقول الدكتور محمد علي البار (إن الأغذية والأشربة تتحول بعد الهضم والإمتصاص، إما إلى طاقة تحرك الجسم، أو إلى مواد البناء الأنسجة ، فما تأكله أو تشربه يتحول بالتالي إلى محرك لعضلة في اليد أو اللسان أو القلب، أو يجري في العروق مع الدم مكونا الكريات الحمراء أو البيضاء أو الصفائح ، أو حيوانا منويا يخرج من الصلب ، فكيف إذا كان الطعام أو الشراب خبيثا كالخمر ولحم الخنزير وغير ذلك مما حرمه الله)⁶. وقد إكتشف العلم الحديث الكثير من المضار الصحية ، التي يتعرض لها من يتعاطى هذه الخبائث والمحرمات من المطعومات والمشروبات.

¹ أي أذابوها وفيه لغتان يقال : جملت الشحم وأجملته إذا أذبتته. غريب الحديث القاسم بن سلام ص (407 / 3)

² صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب بيع الميتة والأصنام ، ج 3 ، ح 2236 ، ص 84

³ صحيح البخاري - كتاب الذبائح والصيد - باب لحوم الحمر الإنسية ، ج 7 ، ح 5527 ، ص 95

⁴ صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب لا يجوز الوضوء بالبيد ولا المسكر ، ج 1 ، ح 242 ، ص 58

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 116

⁶ د. محمد علي البار ، الخمر بين الطب والفقهاء ، ص 26-27 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ط 6 ، 1984 م

ثانيا: حفظ صحة المجتمع والبيئة في الهدى الوقائي النبوي: جاءت عدة نصوص نبوية تدعو المسلمين للحفاظ على صحة المجتمع والبيئة المحيطة بالناس، وتشمل صحة المجتمع والبيئة ما يلي :

1- نظافة مصادر المياه: جاء في السنة النبوية الأمر بعدم تلويث مصادر الماء ، وقد جاءت نصوص نبوية تحرم تلك الأفعال ، وسواء كان هذا التلويث كيميائيا وما أشبهه مما يؤثر على حياة الكائنات التي تعيش في الماء أو الكائنات المستخدمة للماء ، أو كان مؤثرا في الماء بحيث يصبح غير مرغوب فيه فكلا الأمرين قد نهي عنه النبي ﷺ ، روى جابر عن رسول الله ﷺ أنه: (نهى أن يبال في الماء الراكد)¹ . قال الإمام النووي: (ويكره البول والتغوط بقرب الماء وإن لم يصل إليه لعموم نهي النبي ﷺ عن البراز في الموارد، ولما فيه من إيذاء المارين بالماء، ولما يخاف من وصوله إلى الماء)³. وفي رواية ابن عمر قال ﷺ: قال: (لا يبولن أحدكم في الماء الناقع)⁴. والماء الناقع: المجتمع⁵، وروى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)⁶ .

إن تلك الأحاديث النبوية الصحيحة تؤكد على حفظ الصحة والوقاية من المرض والوباء وإن مخالفة تلك الآداب النبوية ، ينتج عنه العديد من الأوبئة بالصحة العامة والأمراض المستعصية منها⁽⁷⁾ :

¹ وركد الماء ركودا إذا دام فلم يسح ، وهو الذي لا يجري ، سواء إن الأثير ،النهاية في غريب الحديث والاثر ،ج02ص 234.

² أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد ح423 ص 125.

³ شرح صحيح مسلم على النووي ج3 ص 187.

⁴ أخرجه ابن ماجه ، كتاب الطهارة وسننها ، باب النهي عن البول في الماء الراكد ، ح345 ص 124

⁵ ابن الاثير النهاية في غريب الحديث والاثر ج05 ص 94 مادة نفع

⁶ أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم ح 239 ص 412.

⁷ د.أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الاسلامي لعلاج تلوث البيئة، الدار العربية ، القاهرة ، ط1، 1991 ص 41- 46.

1- البلهارسيا¹ وسببها في المقام الاول التبرز والتبول قرب المصادر المائية 02- الدودة الكبدية وهي أخطر الطفيليات التي تصيب الكبد ويتجنب شرب المياه الملوثة بالبراز والبول، والخضروات الملوثة لا تحدث الإصابة بهذه الدودة. 03- الإنكستوما: وهي طفيليات تصيب الأمعاء الدقيقة في الإنسان ومسببها الرئيسي هو التبرز قرب الموارد المائية. والعلم الحديث يقول: إن الغرام الواحد من براز الإنسان فيه من مائة ألف مليون جرثومة، وله دور كبير في نشر الأوبئة إن ترك هنا وهناك².

وفي الأحاديث السابقة دليل على حفظ الصحة العامة للمجتمع وحمائته من الأمراض التي تنتقل بالماء ومن الثابت علميا أن الكثير من الأمراض المعدية والطفيليات والديدان، كالبلهارسيا، يمكن أن تنتقل إلى الماء عن طريق البول في الماء خاصة المياه الراكدة ومن ثم إلى الأشخاص الأصحاء السليمين ، ومن أجل ذلك جاء التوجيه النبوي الصحي المعجز للبشرية.

2- نظافة المساجد والمسكن والساحات والطرق: اهتمت السنة النبوية بنظافة المساجد لأنها بيوت العبادة وملتمقى المسلمين في الصلوات والمناسبات الدينية المختلفة ، ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام أعرابي فبالفي المسجد ،فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه ،وهريقوا على بوله سجلا من ماء ، أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) (3). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم: (البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها). (4). وجاء الهدى النبوي بالعناية بالطرق العامة وأماكن الراحة عموما ،وذلك بتوسعتها، ونظافتها وعدم رمي القمامة فيها حرصا على نظافة المجتمع وصحة أفراده في أحاديث صحيحة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ ، فَنَظِّفُوا - أَرَاهُ قَالَ: - أَفْنَيْتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ)⁵، وذلك أن تراكم القمامة في البيوت والطرق خطر على الصحة العامة ، وبؤرة للأمراض ، والأوبئة المعدية.

¹ مرض تسببه طفيليات اكتشفه طبيب يدعى بلهارس في القرن 19 م، وأطلق اسمه هذا المرض ، أنظر: د.علي محمد البار ، د.حسان شمسي باشا ، الطب النبوي الوقائي الجزء الأول ، ص: 79 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط1 ، 1439هـ
² الدكتور عبد الحميد القضاة ، تفوق الطب الوقائي في الإسلام ، ص 14
³ أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ح 213 ص 369.
⁴ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كفارة البزاق في المسجد ح 415 ص 91.
⁵ جامع الترمذي، أبواب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في النظافة، ج 4، ح 2799، ص 495، قال هذا حديث غريب

وحدث السنة النبوية المسلمين على نظافة الطريق في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ (وَأَمَّا طُبَّكَ الْحَجْرَ وَالشُّوْكَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ)¹. وأخيراً، اعتبار إمطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، ومعنى الأذى في هذه الأحاديث هو ما قد يضر أو يلوث . ومن الروائع التي جاء بها النبي ﷺ منعه البصاق في المسجد ، فعن أنسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا)²،(والحكمة العلمية وراء ردم البصاق أن يدفن في الأرض فلا تنقله الريح ، كما أن الميكروبات لا تعيش طويلاً في التراب الجاف)³ .

ومن الإجراءات النبوية الوقائية للصحة والبيئة الإسراع في دفن الميت ،منعاً لتفسيخ الجثة ،وانتشار الأمراض وتلوث البيئة ، ففي الحديث عَنِ الْحُصَيْنِ بْنِ وَحُوحٍ أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ الْبَرَاءِ مَرِضًا ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ : (إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ إِلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ فَأَذْنُونِي بِهِ ، وَعَجَّلُوا فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيْفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ)⁴ . وزيادة في الحيطة والحذر من انتشار الأمراض من الموتى ، خاصة المصابين بأمراض معدية، نذبت السنة الإغتسال على من يقوم بغسل الميت، لحديث عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَلْيَغْتَسِلْ ، وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ)⁵. ومن تعاليمه ﷺ دفن الميت في اللحد فعن ابن عباسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِعَيْرِنَا)⁶، ولا شك أن هذا النوع من الدفن حفظ لحرمة الميت ، وحماية للبيئة من التلوث.

¹ صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان ،ذكر بيان الصدقة للمرء بإرشاد الضال وهداية غير البصير، ج 2 ، ح 529 ، ص 286 .

² صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة ،باب المساجد ،ذكر الإخبار عن كفارة الخطيئة ، ج 4 ، ح 1637 ، ص 516

³ د.محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوي الوقائي ، ص 41 .

⁴ سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب تعجيل الجنزة وكراهية حبسها ، ج 3، ح 3159 ، ص 172

⁵ صحيح ابن حبان، كتاب الطهارة،باب نواقض الوضوء،ذكر الأمر بالوضوء من حمل الميت ، ج 3 ، ح 1161 ، ص 435

⁶ سنن النسائي - كتاب الجنائز - باب اللحد والشق ، ج 1 ، ح 2008 ، ص 414.

4- منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة وقتل الحشرات الضارة للإنسان: لقد منعت السنة النبوية اقتناء الكلاب إلا للضرورة لحديث النبي ﷺ (مَنْ أَخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلَبَ زَرْعٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ صَيْدٍ ، يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ)¹ كما جاء في السنة النبوية تطهير ما تلوث بالكلاب ، ففي الحديث عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (طُهُورُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، أَوْ لَاهُنَّ بِالثَّرَابِ²). (و أظهرت الدراسات الوبائية والحيوانية مدى خطورة لعاب الكلب الذي يؤدي إلى العدوى بالأمراض و الفتك بصحة الإنسان، وتأتي العدوى من الكلب عند ملاطفته أو مداعبته دون الإهتمام بحماية الجلد من لعابه ،حيث إتضح علميا أنه هناك عدة أنواع مختلفة من الديدان الخطيرة تعيش في داخل أمعاء الكلب وجوفه تسبب إضطرابات خطيرة في الجهاز الهضمي والبنكرياس والمرارة، وهناك نوع معين من هذه الديدان ينتقل من شرج الكلب إلى فمه بسهولة ،فيصبح ملوثا بآلاف البويضات الدقيقة)³. ولذا فالإلتزام بالتوجيهات النبوية بالغسل الصحيح للإناء الذي ولغ فيه الكلب يجنب الانسان المرض والضرر .

ومن الإجراءات الوقائية النبوية قتل للحشرات الضارة بالإنسان ، ففي الحديث عَنْ أُمِّ شَرِيكِ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهَا بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ⁵⁴) ، وفي حديث آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ قَتَلَ وَرَعًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ دُونَ ذَلِكَ⁶) . ويمكن القول أن الهدى النبوي يساير العلوم الحديثة، من خلال الحفاظ على البيئة من التلوث خصوصا مصادر المياه، الطرق العامة، أماكن العبادة، المساكن والأفنية الإبتعاد عن الكلاب ومنع إقتنائها الا للضرورة ومصلحة ومنفعة كالحراسة والصيد. وبذلك يكون المسلم قد وضع لنفسه حزاما أمنيا ضد الأمراض، لمنع المرض أو توطئه، وذلك تحقيقا للوقاية الصحية في المجتمع المسلم.

¹ صحيح مسلم - كتاب البيوع - باب الأمر بقتل الكلاب ، ج 5 ، ح 1574 ، ص 37

² صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب حكم ولوغ الكلب ، ج 1 ، ح 279 ، ص 162

³ عبد الباسط محمد السيد الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة ، ص 133.

⁴ الْوَرَعُ " جَمْعٌ وَرَعَةٍ ، وَهِيَ : سَامٌ أَبْرَصٌ وَجَمْعُهَا : أَوْزَاعٌ وَوُرَعَانٌ ، أَنْظَرَ النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، ج 5 ، ص 181

⁵ صحيح مسلم - كتاب قتل الحيات وغيرها - باب استحباب قتل الوزغ ، ج 7 ، ح 2237 ، ص 41

⁶ صحيح مسلم - كتاب قتل الحيات وغيرها - باب استحباب قتل الوزغ ، ج 7 ، ح 2240 ، ص 42

5-العزل والحجر الصحي في حال وجود مرض معد:لقد أرشدت السنة النبوية-تحقيقا لحفظ الصحة وحماية البيئة-إلى عزل المريض المصاب بمرض معد عن الأصحاء وعدم اختلاطه بهم، لكي لا تنتشر العدوى للأصحاء،حرصا على صحة الفرد والمجتمع ، فهناك أمراض كثيرة تسمى (الأمراض المعدية) تنتقل بين الناس بالعدوى ، حيث تنتقل الجراثيم والفيروسات المسببة للمرض من الإنسان المريض إلى السليم إذا شاركه طعامه أوشرابه أو فراشه ،وأحيانا بمجرد الإقتراب منه من خلال هواء التنفس كإلأنفلونزا المعدية.وقد حثت السنة النبوية المطهرة على تجنب العدوى من خلال عزل المصاب بمرض بمعد حتى لا يصاب الإنسان السليم بذلك المرض ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ:(لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)¹. والجذام مرض معد يصيب العظام والأحشاء وقد عرف منذ العصور القديمة². وفي السيرة النبوية حين جاء وفد ثقيف لبياع النبي ﷺ كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ(إنا قد بايعناك فارجع)³. وجاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ:(لَا يُورِدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَيَّ مُصِحًّا)⁴،وفي رواية أخرى للحديث قَالَ ﷺ:(لَا تُورِدُوا الْمُمْرَضَ عَلَيَّ الْمُصِحِّ)⁵، وينبغي بداية بيان المقصود من قول رسول الله ﷺ (لاعدوى) الوارد في الحديث النبوي فيما روى أبو هريرة رضي الله عنهقال:قال رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا صفر ولا هامة ، فقال أعرابي يا رسول الله ﷺ فمابال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجرها كلها؟قال :فمن أعدى الأول)⁶.

¹ أخرجه البخاري كتاب الطب باب الجذام ح5271 ص 476.

² محمود ناظم النسيمي الطب النبوي والعلم الحديث ج02 ص 347.

³ أخرجه مسلم كتاب السلام باب اجتناب المجذوم ونحوه ح 4138 ص 275.

⁴ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا هامة ، ج 7 ، ح 5771 ، ص 138

⁵ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا عدوى ، ج 7 ، ح 5774 ، ص 139

⁶ أخرجه مسلم كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولا صفرح 4116 ص 250.

وقد جمع العلماء بين الأحاديث السابقة التي تثبت عدوى المريض للصحيح ، وحديث النبي ﷺ (لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ وَفَرٌّ مِنَ الْمَحْدُومِ كَمَا تَفْرُ مِنَ الْأَسَدِ¹) . بقولهم: (وَطَرِيقُ الْجُمُعِ أَنْ حَدِيثَ لَا عَدْوَى الْمُرَادُ بِهِ نَفْيُ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَزْعُمُهُ وَتَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْمَرَضَ وَالْعَاهَةَ تَعْدَى بِطَبْعِهَا لَا بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا حَدِيثُ لَا يورد مُرَضٌ عَلَى مُصِحِّحٍ فَأُرْشِدَ فِيهِ إِلَى مُجَانِبَةِ مَا يَحْصُلُ الضَّرْرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ فَتَنَفَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعَدْوَى بِطَبْعِهَا وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الضَّرْرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ، وَأُرْشِدَ فِي الثَّانِي إِلَى الْإِحْتِرَازِ مِمَّا يَحْصُلُ عِنْدَهُ الضَّرْرُ بِفِعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْرِهِ، وَالْجُمُعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ)² . وقد علق الحافظ ابن عبد البر على المسألة بقوله: (فِي هَذَا الْبَابِ تَسْلِيمُ الْأَمْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْكُ الْقَطْعِ عَلَى اللَّهِ بِالشُّؤْمِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّ أَخْبَارَ الْأَحَادِ لَا يُقْطَعُ عَلَى عَيْنِهَا وَإِنَّمَا تُوجِبُ الْعَمَلَ فَقَطُّ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(التوبة: 51) وَقَالَ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(الحديد: 22) فَمَا قَدْ خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ وَلَيْسَتْ الْبِقَاعُ وَلَا الْأَنْفُسُ بِصَانِعَةٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)³ .

¹ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الجذام ، ج 7 ، ح 5707 ، ص 126

² شرح النووي على صحيح مسلم ، ج 14 ، ص 214

³ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، ج9 ، ص 285 ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، عام النشر: 1387 هـ

ومن الإرشادات الوقائية التي جاءت بها السنة النبوية مبدأ أو قاعدة الحجر الصحي وذلك بنهيه ﷺ أهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج، ومنع من هم خارجه من الدخول إليه، فقال ﷺ (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)¹ ، وفي حديث آخر قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَفْنَى أُمَّتِي إِلَّا بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونَ ؟ قَالَ : غُدَّةٌ كَعُدَّةِ الْبَعِيرِ الْمُقِيمِ بِهَا كَالشَّهِيدِ ، وَالْفَارُّ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الرَّحْفِ)² (ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلا في أواخر القرن التاسع عشر، ومنع السليم من الدخول إلى أرض موبوءة حفاظا عليه من الإصابة أمر منطقي، إلا أن منع الأشخاص السليمين في منطقة الوباء من الخروج والفرار من المرض أمر صعب الفهم بدون معرفة دقيقة بالطب، حيث أن العقل والمنطق يشير إلى ضرورة الفرار من الوباء للخلاص من العدوى، ولكن الطب الحديث، يؤكد على أن الشخص السليم ، والموجود في منطقة الوباء، يكون حاملا للمكروب دون أن تظهر عليه علامات المرض، أو يكون المكروب لديه لا زال في دور الحضانة، وبذلك يمكن أن يكون سببا لنقل المرض إلى غيره من الأصحاء، ولذا جاء منع الرسول ﷺ أهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعا رائعا ، ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان)³.

إن هذه التعاليم التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ، حول العزل والحجر الصحي⁴، لا تختلف عن أحدث التعاليم العلمية في وقتنا الحاضر، والمتتبع لقواعد دوائر الصحة الوقائية في أي بلد، في حالة انتشار وباء معدي، كالكوليرا والجدري ، حيث يضرب حول ذلك البلد نطاق عازل محكم ، يمنع الناس من الدخول إلى البلد الموبوء مهما كانت الأسباب، بإستثناء رجال الصحة، وبالمقابل يمنع خروج أي شخص أو غذاء أو مركبة من البلدة الموبوءة. إن تلك الإجراءات الوقائية الحديثة تثبت إعجاز السنة النبوية وعظمة الهدى النبوي الوقائي ، في حفظ صحة المجتمع وحماية البيئة.

¹ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون ، ج 7 ، ح 5728 ، ص 130

² مسند أحمد بن حنبل - مسند عائشة رضي الله عنها ، ج 11 ، ح 25758 ، 6060

³ د.محمد علي البار العدوي بين الطب وحديث المصطفى ﷺ، ص 74 ، دار الفتح للدراسات والنشر ، 2011

⁴ د.محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 47

ثالثا: حفظ الصحة الجنسية والنفسية للفرد والمجتمع: عنت السنة النبوية بحفظ الصحة الجنسية والنفسية للفرد والمجتمع من خلال تشريعات وإجراءات وقائية تتضمن ما يأتي:

1- الترغيب في الزواج وفضيلة الإحصان: حث النبي ﷺ الشباب على الزواج بقوله ﷺ (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء¹) ، فالسنة النبوية اعترفت بالغريزة الجنسية التي غرزها الله في الإنسان ، وجعلت لها طريقا صحيحا ، وهو (الزواج)، والقصد من ذلك استمرار النسل وحفظ النوع الإنساني ، ولقد دعت السنة النبوية أفراد المجتمع المسلم إلى التسامي والسيطرة على الدافع الجنسي تحقيقا لمبدأ الإحصان وإجراء وقائيا من كل الأضرار ، والعفة مطلوبة من المتزوج وغير المتزوج ، والتعفف يتحقق بأمور أهمها²:

أ- الصيام: فهو علاجي وقائي ، وعملي لتسكين الشهوة ، لقوله ﷺ في الحديث (ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء³).

ب- غرض البصر وتحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والإبتعاد عن المثيرات الجنسية: فلا يستقيم تحريم المحرمات في مجال المتع الجنسية إلا بسد السبل المعينة على الحرام أو المهينة لأسبابه⁴ ، ومنها غرض البصر ، واجتناب النظرة المحرمة ، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يَا عَلِيُّ ، لَا تُتَبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ) .⁵ و في حديث آخر -حفظا لبصر ودفعاً لغائلة الشهوة- قال ﷺ (إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْرَبُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ)⁶ . وجاء في السنة النبوية تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية ، لأن فيها منزلقا إلى الدافع الجنسي ، قال ﷺ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا فَإِنَّ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)⁷.

¹ صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ج 7 ، ح 5065 ، ص 3

² د. محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوي الوقائي ، ص 59.

³ سبق تخريجه ، نفس الصفحة

⁴ دور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته - منشورات منظمة الصحة العالمية ، 1992 ، ص 18 .

⁵ سنن الترمذي - أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في نظرة الفجاءة ، ج 4 ، ح 2777 ، ص 481 ، قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

⁶ صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتي امرأته ، ج 4 ، ح 1403 ، ص 129

⁷ مسند أحمد بن حنبل - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ج 6 ، ح 14877 ، ص 3094

ج- التوافق الجنسي: ولتحقيق مقصد العفة الجنسية بين الزوجين جاءت الأحاديث النبوية تدعو إلى ضرورة التجاوب والوفاق في العلاقة الجنسية عند المواقعة كي يحصل الإشباع الجنسي لكلا الزوجين، من خلال المداعبة والملاعبة ، حتى لا تحدث مشكلات ومنازعات، بسبب الشعور بالتوتر والضيق وعدم الاستقرار في الحياة الزوجية ، قال ﷺ (إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيُصَدِّقْهَا ، ثُمَّ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا فَلَا يُعْجِلْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا) ¹.

وذكر ابن القيم في الطب النبوي: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيُقَبِّلُهَا²). وهذا أمر هام في التوافق الجنسي أكده الرسول ﷺ ، ألا وهو الانسجام للحصول على اللذة الجنسية لكلا الزوجين ، وهذا ما يؤكد الأطباء وعلماء النفس اليوم ، حيث يشترطون مراعاة الوفاق الجنسي ، أي بلوغ الزوجين قمة اللذة في آن واحد وعدم إنهاء العملية الجنسية قبل بلوغ الزوجة ذلك ، لأن في ذلك ديمومة للحياة الزوجية السعيدة ووقاية من المشاكل النفسية والأسرية³.

2- تحريم الزنا والشذوذ الجنسي: جاء في السنة النبوية تحريم الزنا والشذوذ الجنسي، قال ﷺ: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ) ⁴. وقوله ﷺ: (مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ . قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَارًا ثَلَاثًا فِي اللُّوطِيَّةِ⁵) ، وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا⁶).

(وقد نشرت المنظمات الصحية العالمية إحصائيات الأمراض الجنسية، وأشهرها: الإيدز(السيدا) مرض فقدان المناعة المكتسبة ، مرض الزهري والسيلان ، إلتهاب مجرى البول ، الأورام الخبيثة المرتبطة بالشذوذ الجنسي: كإلتهاب الكبد الفيروسي B ، تآليل التناسل ، سرطان الفم واللسان)⁷.

¹ مسند أبي يعلى الموصلي - مسند أنس بن مالك - أبو عمران الجوني عن أنس ، ج 7 ، ح 4201 ، ص 208

² ابن القيم ، ج 1 ، ص 189

³ د. محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوي الوقائي ، ص 59.

⁴ أخرجه الحاكم في مستدرکه على الصحيحين - كتاب الفتن والملاحم - ذكر خمس بلاء أعاد النبي ﷺ منها للمسلمين ، ج 4 ، ح 8718 ، ص 540 ، قال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات .

⁵ مسند أحمد - مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﷺ عن النبي ﷺ ، ج 2 ، ح 2943 ، ص 701

⁶ مسند أحمد بن حنبل - مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، ج 2 ، ح 9815 ، ص 2032

⁷ د. محمد علي البار ، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها ، ص 95 وما بعدها - بتصرف - دار المنارة ، جدة ، ط 2 ، 1986

3-تحريم إتيان المرأة أثناء الحيض: جاء في الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا يَجِلُّ لِي مِنْ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَتَشُدَّ عَلَيْهَا إِزَارَهَا ثُمَّ شَأْنُكَ بِأَعْلَاهَا)¹ . إن توجيه النبي ﷺ إعجاز نبوي، ولقد أيدت الأبحاث الطبية الحديثة ما قرره القرآن والسنة النبوية ، من ضرر وأذى يلحق الرجل والمرأة إذا حصل الجماع أثناء الحيض ، وبيان ذلك:

أ-عند المرأة. تؤكد الأبحاث الطبية: (أنه خلال فترة الحيض ينعدم إفراز هرمون الجيريين بمبيض المرأة ،وفي حياة المرأة الجنسية يقوم هرمون الجيريين بوظائف دفاعية هامة لعضويتها أبرزها حماية جدار الرحم من دخول الجراثيم ومنعه من أي إلتان ،وبذلك ينعدم النشاط الوقائي للرحم أثناء الحيض لإنعدام إفراز الهرمون. وإذا أضفنا إلى ذلك أن مقاومة المرأة للأمراض تتضاءل إلى حدها الأدنى أثناء الحيض ، علمنا خطر الجماع في تلك الفترة على المرأة وإمكانية زيادة الإلتهابات في أعضائها الجنسية وعلاوة على ذلك كله ، فإن الرحم يحتوي على مادة البروستاغلاندين ، وهي مادة إذا دخلت الدورة الدموية للأنتى أدت إلى إحداث نقص شديد في مناعتها ، وقد تتعرض إلى الهلاك عند إصابتها بأضعف الأمراض بعد أن يرتشف باطن الرحم المتسلخ البروستاغلاندين ، وينفذ إليه ليقوم بدوره المخرب.أما إذا حصل الجماع وقت الطهر فإن الرحم يقوم بإفراز مادة مضادة للبروستاغلاندين تعدها وتمنع تسربها إلى رحم المرأة)².

ب-عند الرجل : يؤكد الطب الحديث³ أن الجماع أثناء الحيض يؤدي إلى تسرب مفرزات المهبل ودم الطمث وما فيها من جراثيم إلى إحليل الرجل مؤدية إلى إلتهابات متبائية الشدة تمتد إلى الحويصلات المنوية والخصية ، محدثة آلام شديدة أثناء المشي والتبول والجلوس ، وإن عدم إصابة رجل ما إذا وطىء زوجته مرة وهي حائض لا يعني أبداً إنعدام وجود الأذى.

وملخص القول، فإن أضرارا صحية أثبتها الطب الحديث ، تصيب المرأة والرجل إذا حصل جماع أثناء المحيض ،وهذا مصداقا لقوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) (البقرة222) .

¹ موطأ الإمام مالك ، كتاب وقوت الصلاة، ما يجل للرجل من امرأته وهي حائض ، ج 1 ، ح 184 ، ص 78 ، وهو مرسل.

² د. غياث حسن الأحمد ، الطب النبوي في ضوء العلم الحديث ، دار المعاجم دمشق ط1995 01. ج 02 ص 184

³ د. محمود ناظم النسيمي ، الطب النبوي والعلم الحديث ، ج 03 ص 176.

4- عدم الإسراف في ممارسة الجنس (الجماع): جاء قول النبي ﷺ (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)¹، كقاعدة عامة في التوسط والاعتدال حتى في الاستمتاع الجنسي فهو يدخل ضمن إطار القاعدة النبوية، (ولقد ثبت علمياً أن الإسراف الجنسي له تأثير ضار على الغدد التناسلية للرجل، مثل التهاب البروستاتا والحويلة المنوية الاحتقاني، ويؤدي إلى ظهور بعض الجروح والتشققات السطحية عليه، وكذلك في بعض الحالات يؤدي الإسراف في الجماع إلى ظهور المني المدمم ، وأحياناً يؤدي إلى تجلط الدم في الوريد القضبي مما يعطي ظاهرة الانتصاب المستمر المؤلم والتي تستدعي الجراحة .وأخيراً إن مضاعفات الإسراف تفضي إلى العنة الدائمة أو الارتخاء والوهن الدائم في الجسم وعدم التركيز)².
(أما أضرار ذلك على النساء فلا تقل عن أضراره في الرجال، حيث يؤدي إلى حدوث تخثرات واحتقان والتهاب في المهبل والمثانة، ومن ثم قد ينتقل ذلك إلى الرحم والمبيض، إضافة لما يسببه الإسراف من الإهناك البدني والنفسي)³.

5- اجتناب الغضب والهم والحزن: جاء في السنة النبوية قوله ﷺ: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)⁴ . وفي حديث آخر قال ﷺ (إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ)⁵ . وقد كان النبي ﷺ يستعيد من الهم والحزن بقوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ)⁶، فمعروف أن الغضب والحزن سبب لكثير من الأمراض الجسمية والنفسية، (وإن الدراسات التربوية والأبحاث النفسية ، قد أثبتت أن ما أفرزته الحضارة المعاصرة في الدول المتقدمة مادياً وسياسياً وعلمياً ، والمتخلفة روحياً ودينياً من المعاناة والخواء العقائدي ، هي التي أدت إلى انتشار الأمراض النفسية ونتائجها الوخيمة كالانهيار العصبي والانتحار والجنون، حتى أصبحت مألوفة ونذر شؤم باختيار تلك المجتمعات)⁷ .

¹ موطأ الإمام مالك - كتاب الأفضية - القضاء في المرفق ، ج 1 ، ح 1360 ، ص 1078

² عبد الصمد، محمد كامل: الإعجاز العلمي في الإسلام ، ص 201 الدار المصرية اللبنانية ط 1، 1990 ،

³ د. محمود الحاج قاسم أحمد ، الطب النبوي الوقائي ، ص 64-بتصرف-

⁴ صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب ، ج 8 ، ح 6114 ، ص 28

⁵ سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب ما يقال عند الغضب ، ج 4 ، ح 4784 ، ص 396

⁶ صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجن والكسل كسالى وكسالى واحد ، ج 8 ، ح 6369 ، ص 79

⁷ د. محمد عبد العزيز ، بحث قدم للمؤتمر الطبي الأول بالأزهر (مجلة الوعي الإسلامي أبريل 1986)

6-الذكر والدعاء: جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ : أَبُو أُمَامَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : هُمُومٌ لَزِمْتَنِي ، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي ، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي¹ . (هذا الحديث علاج نفسي يفوق أحدث علاج ، فهذا الدعاء الذي علمه له رسول الله ﷺ إنما هو إفشاء همومه وأحزانه لرب العالمين حتى لا تعتلج في صدره وتؤثر في صحته ، وتضعف من عزيمته ، وقد أجمع الأطباء النفسانيون بأن علاج التوتر العصبي والقلق النفسي إنما هو بالإفشاء لا بالكتمان)² . فالدعاء سلاح المؤمن ، يلجأ إليه في وقت الحن فيملؤه بالثبات والأمل ، وهو استمداد إلهي يجب أن يكون مصحوبا باستعداد مادي ، لأن من يكتفي بالدعاء دون السعي فهو العاجز العاطل الذي عناه رسول الله ﷺ : (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)³ . فدعاء الله يخفف عن المسلم همومه وأحزانه، فيشعر بالأمان والاطمئنان، وينتصر على دواعي القلق واليأس والقنوط، وبذلك يكون في منأى عن الأمراض النفسية والعصبية:

¹ سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب في الاستعاذة ، ج 1 ، ح 1555 ، ص 569

² د.حامد الغواي ، الطب والاسلام ، ص 128-بتصرف- القاهرة ، 1967

³ سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، ج 4 ، ح 2459 ، ص 246 ، وقال حديث حسن

المبحث الثاني: حفظ الصحة في الهدى العلاجي النبوي. سأطرق في هذا المبحث إلى بيان

مفهوم العلاج في السنة النبوية ومشروعيتها، وأنواعه، وأهم قواعده من خلال ما يأتي :

المطلب الأول: مفهوم الهدى العلاجي النبوي ومشروعيته في السنة النبوية:

أولاً- مفهوم الهدى العلاجي النبوي: لم يرد للهدى النبوي العلاجي بهذا الاصطلاح عند المتقدمين

بل نجد ذلك مبثوثاً في بعض الكتب، تحت اسم الطب النبوي وهي تعريفات متقاربة منها¹:

1- الطب النبوي: (هو مجموع ما ثبت وروده عن رسول الله ﷺ مما له علاقة بالطب، سواء كان

آيات قرآنية كريمة، أو أحاديث نبوية شريفة، ويتضمن وصفات داوى بها النبي ﷺ بعض أصحابه

رضوان الله عليهم ممن سأله الشفاء، أو أنه دعا إلى التداوي بها، كما يتضمن توصيات تتعلق بصحة

الإنسان في أحوال حياته من مأكّل ومشرب ومسكن ومنكح، وتشمل تشريعات تتعلق بأمر

التداوي وأدب الطب في ممارسة المهنة وضمان المتطبب في منظار الشريعة الإسلامية)².

وقال حسان شمسى باشا: (هو ما ذكر في القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة فيما يتعلق بالطبّ

سواء كان وقاية أم علاجاً)³

2- وقد عرّفه معتر الخطيب بقوله: (الطب النبوي، تعبير شائع، كثر مرّوجوه في هذا الزمن، وهو في

أصل إطلاقه لدى الأئمة المتأخرين من علماء الحديث بخاصة، يُراد به تلك الأحاديث الصادرة عن

النبي ﷺ في مسائل تتعلق بالطب: من علاج ودواء ووقاية ورقية ونحوها، غير أنه بهذا اللفظ: (الطب

النبوي) تعبير مستحدث -حسب إطلاعي- في حدود القرن الرابع الهجري)⁴.

¹ قاسم عمر حاج احمد، الطب النبوي وقواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، ص 83، مجلة التجديد، المجلد التاسع، العدد 38، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2015.

² د. محمود ناظم النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث (11/7):، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1996م

³ باشا، حسان شمسى، الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص 84، الدار الشامية، دمشق: ط 1، 2004م

⁴ إذ صنف أبو بكر بن السني (364هـ) كتاب «الطب في الحديث» وصنف أبو عبيد بن الحسن الحراني (369هـ) كتاب الطب

النبوي وتوالت المصنفات بعدئذ بهذا الاسم لأبي نعيم الأصبهاني (430هـ) وأبي العباس المستغفري (432هـ) وأبي القاسم

النيسابوري (406هـ) وغيرهم وصولاً إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، إذ نجد مصنفات للذهبي (748هـ) وابن قيم الجوزية

(751هـ) ثم السخاوي (902هـ) والسيوطي (911هـ) وغيرهم)

ثم يتحدث الباحث عن نشأة مصطلح الطب النبوي ، فيقول: (وما لفت نظري أثناء التتبع والبحث أن الإمام مالكا¹ (179هـ) صاحب الموطأ¹، وهو أول كتاب في الحديث الصحيح غير المجرد ، لم يستعمل تسمية الطب أصلاً ، ولم يُفرد له كتاباً في موطئه)² .

3- الطب النبوي العلاجي: (هو تلك الأحاديث الصادرة عن النبي ﷺ بالأخذ بوسائل الاستشفاء، والعلاج من الأمراض الروحية، أو الجسدية أو هما معاً، التي أصابته، وذلك بالتداوي بالرقى الشرعية ، وبالأدوية المباحة)³. فالهدى النبوي العلاجي يتمثل في كل ما له علاقة بصحة الإنسان كالتغذية.... وبعض طرق العلاج ، . وغيرها مما يتعلق بالصحة العامة.

ومن خلال التعاريف السابقة يتبين أن الطب النبوي ينقسم إلى قسمين، القسم الأول: الطب الروحاني أو المسمى طب القلوب أو الرقية الشرعية. وإنه مستند إلى الوحي الإلهي لا علاقة لها في التجربة والعادة حيث إنه أمر غيبي لا يعرفه إلا الله. وأما القسم الثاني: طب الجسم والبدن. ومجاله مستند إلى التجربة البشرية والعادة، ومجال اختلاف العلماء في تعاملهم مع أحاديث الطب النبوي من هذا الجانب، إما يعتبرونها وسيلة من وسائل في تحقيق حفظ صحة البدن وتقوية الجسم أو هي تعتبر أمراً تعبدياً لا مجال لها للتفسير⁴.

¹ كما أن الأئمة: البخاري وأبا داود وابن ماجه خصصوا كتاباً سموه «كتاب الطب» وذكروا فيه تلك الأحاديث المتصلة بالوقاية والعلاج وبعض الأدوية. في حين أن مسلماً (261هـ) حصر كل مفردات ما سمي بالطب النبوي تحت كتاب «السلام»، وإن كان جعل ضمنه باباً سماه «الطب والمرض والرقى» وإلى جانبه أبواب أخرى عن السم والسحر والرقية والطيرة وغيرها. أما الترمذي (279هـ) فجعل عنوان الكتاب الطب عن رسول الله. أنظر: د. معتز الخطيب ، الطب النبوي .. رؤى نقدية حول ملف الطب النبوي ، <http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2005/08/article03a.shtml>

² المرجع السابق

³ آمال محمد حسن المصري، الحمامة في ضوء السنة النبوية ، ص 53-بتصرف-

⁴ Mohd Afandi Awang Hamat، Ahmad Akram Mahmud Robbi الطب النبوي: دراسة في ضوء التصرفات النبوية ص 76، (IRKHS) Kuliyyah Islamic Revealed Knowledge and Human Science International Islamic University Malaysia Journal of Hadith Studies Vol. 3 No. 2. (December 2018) e-ISSN: 2550-1448

ثانيا: مشروعية العلاج في السنة النبوية: أن النبي ﷺ قرر مبدأ التداوي والعلاج ، بل أمر به ﷺ ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أسامة بن شريك ﷺ قال : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى ؟ قَالَ: نَعَمْ ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً ، أَوْ قَالَ : دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: الْهَرَمُ)¹ ، وفي رواية الترمذي : (نعم يا عباد الله تداووا)² ، وفتح النبي ﷺ باب الأمل أمام المرضى ، بحصول الشفاء من كل مرض، فقال ﷺ (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)³ ؛ وحث الأطباء بالبحث عن الدواء وطلبه ، بقوله ﷺ: (لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء ، برأ بإذن الله)⁴، والمهم في شطر المداواة أيضا ، أن النبي ﷺ وضع للناس قضية التداوي في موضعها الصحيح ، يوم قيل له في ما رواه الترمذي عن أبي خزيمة قال:(سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رُفِي نَسْتَرَفِيهَا ، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ ، وَتُقَاءَ نَتَفِيهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ⁵ . فبين النبي ﷺ أن المرض من قدر الله يدفع بالعلاج والأدوية ، ولقد أعطى النبي ﷺ قاعدة صلبة في التداوي والعلاج لينطلق منها البحث العلمي والجهد الدائب من أجل الوصول إلى أسباب الداء والعثور على الدواء، بحيث لا يتقاعس عن أداء الواجب إزاء عدوهم اللدود، وهو المرض، ومن هنا كان أمره ﷺ بالتداوي، بل كان يبعث المرضى إلى طبيب العرب في ذلك الزمان(الحارث بن كلده)⁶ . فالهدى النبوي يدعو إلى الصحة والسلامة، والأخذ بأساليب الوقاية والسلامة، والتي كان لها الأثر الإيجابي في تطور العلوم الطبية عند المسلمين ، وفتحت باب البحث والتجربة للوصول إلى كثير من الحقائق العلمية الطبية الحديثة .

¹ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ج3، ح 2083 ، ص 561 ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

² جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ج 3 ، ح 2038 ، ص 561

³ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، ج 7 ، ح 5678 ، ص 122

⁴ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2204 ، ص 21

⁵ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الرقى والأدوية ، ج 3، ح 2065، ص

581 ، قال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

⁶ هو أبو وائل الحارث بن كلدة الثقفي، وهو أشهر الأطباء العرب قبل الإسلام، أنظر: الأعلام للزركلي: 159/2

المطلب الثاني: الغذاء والدواء في الهدى النبوي: من يتأمل هدى النبي ﷺ في الطعام والشراب ، يجد أن طعامه ﷺ كان غذاءا ودواءا، وكذلك استعماله ﷺ لبعض الأعشاب من أجل التداوي ، وطرق من العلاج من الأمراض ، دلت عليها الأحاديث الصحيحة ، ذلك ما سأعرضه فيما يأتي:

أولاً: الغذاء في الهدى النبوي: جاء في السنة النبوية ذكر بعض أنواع الأطعمة والأشربة ، والتي لها خواص غذائية ، صحية وعلاجية ، أتناولها فيما يلي:

1-العسل: إن النصوص القرآنية والنبوية، جاءت تؤكد فائدة العسل الصحية ، وتدل على الخواص العلاجية له ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل:69) كما جاء في السنة النبوية ، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ ، أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ خَيْرٌ ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ لَدَعَةِ بِنَارٍ تُؤَافِقُ الدَّاءَ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوِي) ¹. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ كَيْةِ بِنَارٍ ، وَأَنْتَهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيْ) ²، قال الحافظ ابن حجر في معنى هذا الحديث: (ولم يرد النبي ﷺ الحصر في الثلاثة فإن الشفاء قد يكون في غيرها وإنما نهى بها عن أصول العلاج) ³. وجاء في الحديث عن أبي سعيد عن أبي سعيد أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ ، فَقَالَ: (اسْقِهِ عَسَلًا ، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا ، ثُمَّ أَتَاهُ ، فَقَالَ: فَعَلْتُ ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ، اسْقِهِ عَسَلًا ، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ) ⁴. وفي رواية لمسلم: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي عَرَبَ بَطْنُهُ ! فَقَالَ لَهُ: (اسْقِهِ عَسَلًا) ⁵ ، (ومعنى قوله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك أي صدق الله تعالى حين قال: فيه (شفاء للناس) وكذب بطن أخيك أي لأنه لم يظهر صلاحه لقبول الشفاء، والواقع في نفس الأمر أنه شفي ولم يظهر ذلك لأخيه إلا بعد سقيه أربع مرات) ⁶.

¹ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى فيه شفاء للناس ، ج 7 ، ح 5683 ، ص 123

² صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الشفاء في ثلاث ، ج 7 ، ح 5681 ، ص 123

³ ابن حجر، فتح الباري ج 16 ص 187.

⁴ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى فيه شفاء للناس ، ج 7 ، ح 5471 ، ص 123

⁵ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب التداوي بسقي العسل ، ج 7 ، ح 2217 ، ص 26

⁶ محمد حبيب الله الشنقيطي زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم دار احياء الكتب العربية ج 01، ص 154-155.

وجاء في شرح الحديث أيضا. (صدق الله وكذب بطن أخيك معناه أخطأ بطن أخيك حيث لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه و إنما لم يُغْدَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ لِأَنَّ الدَّوَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِقْدَارٌ وَكَمِّيَّةٌ بِحَسَبِ الدَّاءِ ، إِنَّ قَصْرَ عَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَإِنْ جَاوَزَهُ أَوْهَى الْقُوَّةَ وَأَخَذَتْ ضَرَرًا آخَرَ فَكَأَنَّهُ شَرِبَ مِنْهُ أَوَّلًا مِقْدَارًا لَا يَفِي بِمُقَاوَمَةِ الدَّاءِ ، فَأَمَرُهُ بِمُعَاوَدَةِ سَقْيِهِ ، فَلَمَّا تَكَرَّرَتْ الشَّرَبَاتُ بِحَسَبِ مَادَّةِ الدَّاءِ بَرًّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَ إِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذَا الدَّوَاءَ نَافِعٌ ، وَأَنَّ بَقَاءَ الدَّاءِ لَيْسَ لِغُصُورِ الدَّوَاءِ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لِكَثْرَةِ الْمَادَّةِ الْفَاسِدَةِ ، فَمِنْ ثَمَّ أَمَرُهُ بِمُعَاوَدَةِ شُرْبِ الْعَسَلِ لِاسْتِفْرَاغِهَا ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، وَبَرًّا بِإِذْنِ اللَّهِ)¹. إن الإسهال الحاد الذي وصف له النبي ﷺ بالعسل ، كان يحتمل أن يكون ناتجا عن تخمة ، كما يقرر الطب الحديث، فإنه يحتمل أن يكون ناجما عن عفونة معوية بدليلين² :

الأول: أن كلا من التخمة و عفونة الأمعاء سبب لفساد الهضم.

والثاني: أن الطب الحديث يداوي إسهال العفونة بمسهل أحيانا. ولذلك فإن للوصفة النبوية ميزات ثلاثا: -الأولى: المعالجة المثلية بمعالجة الإسهال بمسهل وذلك لدفع الفضلات ومحتوى الأمعاء الفاسدة. - والثانية: إختيار العسل وهو ملين على المسهلات الشديدة التي تحرش الأمعاء الفاسدة، وأكثر الدوائيين اليوم إذا رغبوا بإعطاء مسهل في حوادث الإسهال غير الطفيلية المنشأ فإنهم يفضلون الملين - والثالثة: إختيار العسل من بين الملينات لأن فيه مواد مطهرة تؤثر عن الجراثيم..

ويقرر الطب الحديث³ أن العسل دواء وسبب للشفاء من بعض الأمراض لا ، كلها، ويؤيد ذلك قول الإمام القرطبي في قوله تعالى : (فيه شفاء للناس) ، (إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض وعلى حال دون حال ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به .. ثم يقول رحمه الله : (ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء ، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه صلى الله عليه وسلم. فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ماقلوه فنفتقر حينئذ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخرجه على مايصح إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب)⁴.

¹ ابن حجر فتح الباري ج 16 ص 235

² د محمود ناظم النسيمي الطب النبوي والعلم الحديث ج 01 ص 190.

³ المرجع السابق ، ص 205.

⁴ القرطبي الجامع لاحكام القران دار الكتب العلمية بيروت 1988 ج 10 ص 137.

ويؤيده قول الإمام ابن القيم في كتابه الطب النبوي: (والعسل فبه منافع عظيمة فانه جلاء للاوساخ التي في العروق والامعاء وغيرها)¹، وقد عدد الأمراض التي ينفع بها العسل ولم يذكر أبداً أن العسل يفيد في جميع الأمراض. وقد أكدت الأبحاث العلمية² الحديثة فوائد العسل في عدد من المجالات ، ومن أحدث هذه الأبحاث تلك التي قام بها أستاذ جامعي في جامعة نيوزيلاندا يدعى البروفيسور بيتر مولان وقد قضى هو وزملاؤه في مخبر البحث 20 عاما في تجاربهم العلمية -وفق شروط البحث العلمي السليم- على العسل ، وخرجوا بعشرات الأبحاث العلمية التي نشرت في أشهر المجلات الطبية في العالم ، تثبت فوائد العسل في علاج الجروح والقروح وأمراض المعدة والربو وغير ذلك. وهي من أكبر الأبحاث العلمية دقة وموضوعية .

ولقد أجريت دراسات معملية على العسل فأثبتت التجارب³:

أ- احتوائه على مواد قاتلة للميكروبات فوضعت في أنواع مختلفة من البكتريا وغيرها مثل التيفود والتيفوس، ومسببات الدوسنتاريا وتبين أن تلك الميكروبات قد قضى عليها على فترات متفاوتة .

ب- العسل علاج للعين : ففي عصرنا الحاضر صدرت مؤلفات عديدة عن العسل وتناولته من شتى الوجوه فأجريت دراسات على استعمال غسل النحل في علاج حروق العين وكانت تلك الحروق تسبب فقدان البصر بنسبة كبيرة .

ج-العسل علاج للنزلات المعوية : إن الطب الحديث ليس له علاج أمام النزلات المعوية (الإسهال الشديد) إلا أن يعطى للمريض المحاليل التي تقاوم الجفاف الناجم عن الإسهال، لأن خطورة المرض تكمن في فقدان السوائل من الجسم، و بعض الأملاح كالصوديوم والبوتاسيوم، وهذا قد يؤدي إلى فشل الدورة الدموية وتعثر وظائف الكلى أو توقفها، وتختثر الدم ومن ثم قد يؤدي ذلك إلى الوفاة . .
فالنزلات المعوية عند الأطفال ، الأطباء اليوم يرون العلاج الحاسم بل الوحيد هو المحاليل والسوائل التي تعوض الجسم ما فقده وتحميه من الجفاف .والعسل الممزوج بالماء أو العسل الذي يتبعه شرب الماء ، يعتبر خطوة هامة في مجال حال المريض بل إنقاذه، لأن العسل يحتوي على الماء، ونوع سهل الهضم من السكر الممتاز بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى الضرورية .

¹ ابن القيم الطب النبوي ص 25.

² الدكتور حسان شمسي باشا الطب النبوي بين العلم والاعجاز دار القلم دمشق الطبعة الثانية 2007 ص 104.

³ د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي ، ص 110-111

2- اللبن: جاء في السنة النبوية ذكر اللبن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: (شرب لبنا ثم دعا بماء فمضمض وقال إن له دسماً)¹. يقول ابن القيم (وأجود ما يكون اللبن حين يجلب، وأجوده ما إشتد بياضه ولد طعمه وكان فيه حلاوة يسيرة ودسومة معتدلة، وهو محمود يولد دماً جيداً ويرطب البدن اليابس ويغذو غذاءً حسناً، وينفع من الوسواس والغم والأمراض السوداوية، وإذا شرب مع العسل نقى القروح الباطنة من الأخلاط العفنة، والحليب يتدارك ضرر الجماع، ويوافق الصدر والرئة)².

(ويؤكد علماء التغذية أن اللبن هو الغذاء الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يعتمد عليه وحده في التغذية، لفترة ما إذ يحتوي على جميع المركبات الأساسية الضرورية للجسم، من بروتينات وفيتامينات وسكريات ومواد دهنية وأملاح معدنية)³. وينصح الأطباء⁴ بتناول نصف لتر من الحليب يومياً لفوائده الغذائية والصحية. وهكذا تتجلى القيمة الغذائية للبن في طعام وهدى النبي صلى الله عليه وسلم.

3- اللحم والسمك: جاء في السنة الصحيحة، عن أنس رضي الله عنه قال: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ⁵ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)⁶، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهس⁷ منها)⁸.. قال ابن القيم: (لحم الضأن يولد الدم المحمود القوي لمن جاد هضمه ويقوي الذهن والحفظ. ولحم الهرم والعجيف (الضعيف) رديء، وكذلك لحم النعاج. وكان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها، ولحم الذراع أخف اللحم وألذه وأبعده من الأذى، وأسرعه إنهماضاً وكان مما يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم)⁹.

¹ أخرجه البخاري كتاب الاشرية باب شرب اللبن ح 5179 ص 322.

² ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ص 291-292

³ د. حسان شمسي باشا، الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص 40.

⁴ د. محمد نزار الدقر روائع الطب الإسلامي ج 01 ص 252/253.

⁵ أَرَادَ الطَّعَامَ الْمُتَّخَذَ مِنَ اللَّحْمِ وَالثَّرِيدِ مَعًا ، ، . وَيُقَالُ الثَّرِيدُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، بِلِ اللَّذَّةِ وَالْقُوَّةِ إِذَا كَانَ اللَّحْمُ نَضِيغًا فِي الْمَرَقِ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ فِي نَفْسِ اللَّحْمِ . النَّهْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ النَّاءِ - ، ج 1، ص 209

⁶ صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الثريد، ج 7، ح 5419، ص 75

⁷ النهس أخذ اللحم بأطراف الأسنان والنهش الأخذ بجمعها ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثار ج 05 ص 285.

⁸ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله إنا أرسلنا نوحا، ح 3340، ج 4، ص 134.

⁹ ابن القيم، الطب النبوي، ص 282.

وفي ذكر السمك ، روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها عن عبد الله بن عمر ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَاتَانِ وَدَمَانٍ ، فَأَمَّا الْمَيْتَاتَانِ : فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ¹). قال ابن القيم(والسمك البحري فاضل محمود لطيف، والطري منه بارد رطب عسر الانهضام يولد بلغما، إلا البحري وما جرى مجراه، فإنه يولد خلطا محمود وهو مخصب لليدين ويزيد المني، ويصلح الإخراج الحارة . أما المالح فأجوده ما كان قريب العهد بالتمليح، وهو حار يابس ، وكلما تقدم عهده ازداد حره وييسه)² .

(إن اللحم أو السمك من الأغذية الضرورية للإنسان ، توفر له ما يحتاجه من بروتينات،ومن أفضل الأغذية المقوية لما تحتوي عليه من بروتينات غنية بالفوسفور ، تدر الإفرازات الهاضمة ،وغذاء يوصى به للناقمين والضعفاء،وفاقدي الشهية،...،فغذاء يحتوي على اللحم والخضروات هو غذاء مثالي يحقق للإنسان التغذية الكاملة)³ .

4-القثاء: جاء في الحديث عن عبد الله بن جعفر قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ الْقَثَاءَ⁴ بِالرُّطْبِ⁵) . وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ قَالَ⁶ : يَكْسِرُ حَرَّ هَذَا بَرْدُ هَذَا ، قال ابن القيم : (الْقَثَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ ، مَطْفِئٌ لِحَرَارَةِ الْمَعِدَةِ الْمُتَهَبِّةِ، بَطِيءٌ الْفَسَادِ فِيهَا، نَافِعٌ مِنْ وَجَعِ الْمَثَانَةِ، وَرَائِحَتُهُ تَنْفَعُ مِنَ الْعَشِيِّ، وَبَرَزُهُ يُدِيرُ الْبَوْلَ، وَوَرْقُهُ إِذَا اخْتَذَ ضِمَادًا، نَفَعَ مِنْ عَضَّةِ الْكَلْبِ، وَهُوَ بَطِيءٌ الْإِنْجَادِ عَنِ الْمَعِدَةِ، وَبَرْدُهُ مُضِرٌّ بِبَعْضِهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَعَهُ مَا يُصْلِحُهُ وَيَكْسِرُ بُرُودَتَهُ وَرُطُوبَتَهُ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَكَلَهُ بِالرُّطْبِ، فَإِذَا أَكِلَ بِتَمْرٍ أَوْ زَيْبٍ أَوْ عَسَلٍ عَدَلَهُ⁷).

¹ سنن ابن ماجه - أبواب الأَطْعَمَةِ - باب الكبد والطحال ، ج 4 ، ح 3314 ، ص 431

² ابن القيم، الطب النبوي ، ص 251

³ د.نزار الدقر ، روائع الطب الاسلامي، ج01 ص 261.

⁴ الْقَثَاءُ ، وَهُوَ اسْمٌ جِنْسِي لِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ الْحَيْثُ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُطْلِقُ الْقَثَاءَ عَلَى نَوْعٍ يُشْبِهُ الْحَيْثُ ، أَنْظَرُ: عون المعبود

على سنن أبي داود ، كِتَابُ الْأَطْعَمَةِ، بَابُ فِي الْجُمُعِ بَيْنَ اللَّوْنَيْنِ عِنْدَ الْأَكْلِ ، ج 3 ، ص 427

⁵ صحيح مسلم - كِتَابُ الْأَشْرِيَةِ - باب أكل القثاء بالرطب ، ج 6 ، ح 2043 ، ص 122

⁶ أنظر شرح النووي على مسلم ، ج 13 ، ص 195

⁷ ابن القيم، الطب النبوي ، ص 267

5- الخبز: ففي الحديث عن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت: (هل أكل رسول الله ﷺ النقي؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، قال: فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخيل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ من خلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه، قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفضه فيطير ما طار، وما بقي تزيناه فأكلناه)¹. النقي خبز الدقيق وهو النظيف الأبيض، والمنخول الذي أخرجت منه النخالة قال الكرمانى: نخلت الدقيق أي غربلته.²

قال ابن القيم في أنواع الخبز: (وأحمد أنواع الخبز أجودها اختصاراً وعجناً، ثم خبز التنوير أجود أصنافه، وبعده خبز القرن، ثم خبز الملة في المرتبة الثالثة، وأجوده ما أخذ من الحنطة الحديثة. وأكثر أنواعه تغذية خبز السميد، وهو أبطؤها هضمًا لقلّة نخالته)³. فقد بين الحديث النبوي أن النبي ﷺ لم يكن يأكل من الخبز الأبيض المنخول الذي ذهب نخالته، فما هو السبب في ذلك؟ والجواب: (ولأسف فإننا نأكل الخبز الأبيض ونرمي بالنخالة، في الوقت الذي أصبحت فيه النخالة تباع في الصيدليات في أمريكا وأوروبا، إن للنخالة (الألياف) دوراً في الوقاية من الإمساك وفي علاجه.. كما أن تناول الألياف يقلل من وزن الجسم، حيث تمتلئ المعدة بالألياف فيحس الإنسان بالشبع، وإن إستبدال الطحين الأسمر بالطحين الأبيض يمكن أن يؤمن كمية كافية من الزنك لحاجة الجسم تقيه من الأمراض الناجمة عن نقصه)⁴. مما سبق ذكره ندرك أن موقف رسول الله ﷺ من الخبز النقي غير المنخول كان موقفاً حكيماً صادراً عن علم ومعرفة، وافقته البحوث والدراسة العلمية الحديثة.

6- حساء القمح والشعير (التلبية): جاء في الصحيحين عن عروة، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت بزيمة من تلبية فطبخت، ثم صنع ثريد فصببت التلبية عليها، ثم قالت: كلن منها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (التلبية بحمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن)⁵.

¹ أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون ح 4993 ص 27.

² ابن حجر، فتح الباري، ج 15 ص 298.

³ ابن القيم، الطب النبوي، ص 234

⁴ د. حسان شمسي باشا قبسات من الطب النبوي والادلة العلمية الحديثة ص 215، دار القلم ط 02 1993

⁵ صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب التلبية، ج 7، ح 5417، ص 75

قال ابن القيم: (التلبيخ: هو الحساء الرقيق ، وهذا الغذاء هو النافع للعليل ، فإنها حساءٌ مُتَّخَذٌ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ بِنَحَالَتِهِ، وَقَوْلُهُ ﷺ فِيهَا: (بِحَمَّةٍ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ) ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا مُرِيحَةٌ لَهُ، ، فَتَزِيلُ أَكْثَرَ مَا عَرَضَ لَهُ مِنَ الْعَمِّ وَالْحُزْنِ، وَهَذَا الْحِسَاءُ يَجْلُو ذَلِكَ عَنِ الْمَعِدَةِ فَيُرِيحُهَا ، وَهُوَ أَكْثَرُ غِذَاءٍ مِنْ سَوِيْقِهِ، وَهُوَ نَافِعٌ لِلشَّعَالِ، وَخُشُونَةِ الْحَلْقِ، صَالِحٌ لِقَمْعِ حِدَّةِ الْفُضُولِ، مُدِرٌّ لِلْبَوْلِ، جَلَاءٌ لِمَا فِي الْمَعِدَةِ، قَاطِعٌ لِلْعَطَشِ، مَطْفِئٌ لِلْحَرَارَةِ، وَفِيهِ قُوَّةٌ يَجْلُو بِهَا وَيُلَطِّفُ وَيُحَلِّئُ¹).

7- التمر والرطب: قال الله تعالى مخاطبا مريم عليها السلام (وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) (مريم: 25)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يا عائشة بيت لا تمر فيه جياح أهله، ياعائشة بيت لا تمر فيه جياح أهله، أو جاع أهله، قالها مرتين أو ثلاثا)².

وفي الحديث: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمْرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ)³ . والرطب نضيج البسر واحده رطبة.⁴

قال ابن القيم: (وفي فطر النبي ﷺ من الصوم عليه أو على التمر أو الماء تدير لطيف جدا فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء ، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إن كان رطبا فيشتد قبولها له فتنتفع به ، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته فإن لم يكن فحسوات الماء تطفي لهيب المعدة وحرارة الصوم)⁵ . والتمر والرطب من المواد المفيدة لجسم الإنسان ، فالبحوث العلمية تقرر: (أن التمر يحتوي على نسبة عالية من سكر الفواكه الفركتوز وهذا السكر له تأثير منشط على الحركة الدودية للأمعاء ، كما أن السكريات الموجودة في الرطب والتمر تمتصان بسرعة من جذر الأمعاء الدقيقة وبسهولة ، إضافة إلى ذلك فإن الكيلو الواحد من التمر يعطي طاقة حرارية عالية (حوالي 3000 من السعيرات الحرارية) ، ولهذا كان التمر أنسب الأغذية للصائم لإمداده بالطاقة الحرارية ولسهولة هضمه على المعدة والأمعاء)⁶.

¹ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 90-91-248.

² أخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب في إدخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال ج 3812 ص 356.

³ سنن أبي داود - كتاب الصوم - باب ما يفطر عليه ، ج 2 ، ح 2354 ، ص 278.

⁴ ابن منظور ، لسان العرب ج 01 ص 419.

⁵ ابن القيم، الطب النبوي ، ص 441.

⁶ د. صالح أحمد بن رضا الإعجاز العلمي في السنة النبوية ط 01 2001 مكتبة العبيكان، الرياض ص 292/291.

8- الزيت قال الله تعالى (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)(النور:35) ، وجا في الحديث عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ¹). وفي في تذكرة داود الأنطاكي وصف مسهب لفوائد زيت الزيتون نكتطف منها: (والزيت إذا شرب بالماء الحار سكن المغص والقولنج(التهابات القولون المزمنة)وأخرج الدود وأدر البول وفتت الحصى وأصلح الكلى ويقع في المراهم فيدمل ويصلح ، والدهان به كل يوم يمنع الشيب ويصلح الشعر ويمنع سقوطه ، والإكتحال به يقلع البياض ويجد البصر.. أما الزيتون فهو من الأشجار الجليلة القدر العظيمة النفع وإن مضغ ورقه أذهب لفساد اللثة والقلاع وأورام الحلق)².

(ويؤكد الباحثون فائدة زيت الزيتون للمصابين بالبواسير ، لأنه ملين ومنبه لإفراز الصفراء وإفراغ المرارة مما يساعد في هضم الدسم وتنبيه الحركة الحيوية للأمعاء ، ويساهم في الوقاية من الإصابة بالقرحة المعدية ، وقد أكدت الأبحاث فوائد زيت الزيتون في الوقاية من إحتشاء العضلة القلبية وفي تدبير مرضى السكر والضغط الدموي ، ومعالجة حصيات المرارة وغيرها من الحالات المرضية)³.

9-الخل:روي مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: نَعَمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ ، نَعَمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ⁴). قال ابن القيم : (والخل ينفع المعدة الملتهبة ويدفع ضرر الأدوية ويعين الهضم ويلطف الأغذية الغليظة...وإذا تضمض به مسخنا نفع من وجع الأسنان ، وقوى اللثة)⁵.(وأثبتت الدراسات العلمية أنه مضاد حيوي جيد يقضي على الجراثيم والطفيليات وينشط عمليات الهضم في الجسم ويعين على محاربة السممة المفرطة ، وفي علاج أمراض الربو والحساسية لإحتوائه على عدد من المواد القابضة ، ويمسح به جبين المريض المصاب بالحمى تخفيفاً للصداع ويعرغرر به الفم والبلعوم لشد اللثة وقطع نزيها وتطهير الفم)⁶.

¹ جامع الترمذي - أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في أكل الزيت ج3 ، ح 1982 ، ص 430 ، قال الترمذي

: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى

² دكتورة وفاء عبد العزيز ، أسرارالعلاج بزيت الزيتون بدوي دار الهدى عين مليلة الجزائر ، ص26.

³ د.نزار الدقر روائع الطب الاسلامي ج01 ص158/157.

⁴ صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب فضيلة الخل والتأدم به ، ج 6 ، ح 2052 ، ص 125

⁵ ابن القيم الطب النبوي ص 236/235.-بتصرف-

⁶د. زغلول النجار الإعجاز العلمي في السنة النبوية ج02 ص 67/65 و:د الدقر روائع الطب الاسلامي ج01 ص130.

10- ماء زمزم: الماء هو حياة للإنسان، قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الأنبياء 30) وجاء في السنة عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ماء زمزم لما شرب له)¹. (فهو دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله ، سواء أكان في أمور الدنيا أو الآخرة لأن (ما) في قوله (لما شرب له) من صيغ العموم)². يقول الإمام ابن القيم: (ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها إلى النفوس وأنفسها عند الناس ... وقد جربت أنا وغيري من الإستسقاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم)³.

وقد أثبتت الدراسات العلمية التي أجريت على ماء بئر زمزم أنه (ماء متميز في صفاته الطبيعية والكيميائية فهو ماء غازي عسر غني بالعناصر والمركبات النافعة ..، مما يوحي ببعد مصادر مياه زمزم عن المصادر المائية حول مكة، وبتميزها عنها في محتواها الكيميائي وصفاتها الطبيعية)⁴. وقد جاء في كتاب زمزم طعام طعم وشفاء سقم (وحقيقته فإنه ماء قلوي تكثر فيه الصودا ، والكلور ، والجير، وحامض الكبريتيك ، وحامض الأزوتيك والبوتاس مما يجعله أشبه بالمياه المعدنية الصحية في تأثيرها وربما كانت نصيحة بعضهم بالتضلع منها بعد طواف القدوم لتأثيرها على الجهاز الهضمي ، بما ينظفه من المواد التي قد تكون إنفرزت إليه مدة هذا السفر الشاق .. ، وقد قال الأطباء إن هذا الماء نافع للكلى والمعدة والامعاء و الكبد)⁵. إن ذلك كله يظهر إعجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تكون زمزم عينا مباركة وأن شرب مائها يؤثر بإذن الله تعالى في كل ما يشرب من أجله فإن الله تعالى بفضله يخلق النفع في هذا الماء المبارك ، وقد أثبتت التجارب فيمن جرب ذلك الماء ونوى فيه نية خاصة بأن الله تعالى يعطيه كذلك إنه سميع مجيب.

¹ أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك باب الشرب من زمزم ح 3053 ، ص 182.، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج

أحاديث منار السبيل ، رقم 1123 ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط 2 - 1985

² الشوكاني، نيل الاوطار، 51/08.

³ ابن قيم الجوزية الطب النبوي ص 307/306.

⁴ د زغلول النجار الاعجاز العلمي في السنة النبوية 56/01.

⁵ يحي حمزة كوشك ، زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، ص 30 بتصرف. دار العلم، المملكة العربية السعودية ط 01 1983

وبعد إستعراض المواد الغذائية المهمة لصحة الإنسان نستطيع أن نوجز الأسس الغذائية العامة التي يرشد إليها الهدى النبوي في الغذاء، وهي كما يلي :

- يجب أن يشتمل الغذاء على العناصر الضرورية كالبروتينات والدهنيات والفيتامينات والمعادن.
- التأكيد على بعض الأنواع الغذائية خاصة مثل اللبن واللحوم والعسل والتمر والفاكهة .
- اللحوم على اختلافها غنية بالبروتينات الممتازة بالإضافة إلى نسبة كبيرة من الدهون .
- التمر لإحتوائه على نسبة عالية من السكريات يرفع من القيمة الغذائية لها، .
- أعطى قاعدة أساسية في ضرورة الجمع بين الطازج والمطبوخ في وجبات الطعام اليومية¹.

ثانيا: طعام النبي ﷺ في السنة النبوية: عندما نستعرض طعام النبي ﷺ في السنة النبوية -على وجه الخصوص-، نكتشف معرفة النبي ﷺ لماهية العناصر الغذائية ، مما يمكن وصفه بالإعجاز العلمي في طعام النبي ﷺ ، وفيما يلي أذكر هديه ﷺ في طعامه:

1- ذكر ابن القيم في الطب النبوي أن النبي ﷺ : ((كان يشرب العسل ممزوجا بالماء على الريق)²، والعسل غذاء للأصحاء، ودواء للمرضى لما يحويه من عناصر عديدة مفيدة، وتأمل طريقة شربه له، حين مزجه بالماء لتتحلل جزيئات العسل، ويتحول الكأس كله إلى كأس من العسل، فيسهل هضمه وامتصاصه ووصوله إلى الدم والأنسجة في وقت قصير)³.

2- لم يكن النبي ﷺ يلتزم بنوع واحد من الغذاء ، (بل كان يأتمم الخبز والثريد باللحم، ويجب الفاكهة وكان ﷺ يؤكد على أنواع خاصة مما جرت عليه عادة أهل بلده من الغذاء لأهميتها مثل : اللبن، والتمر، والفاكهة، واللحم)⁴. ولذا فإن غذاء النبي ﷺ شامل للعناصر الضرورية ، كالبروتينات، والدهنيات ، والنشويات، والفيتامينات، والمعادن ، واللحوم على إختلاف أنواعها غنية بالبروتينات الحيوانية ، و بالأحماض الأمينية الضرورية ، ..وأما الفواكه والخضار ، فتحوي على فيتامينات هامة ، ومعادن ضرورية ومواد سكرية ونشوية ، كلها تؤثر في حيوية الجسم وقوته وحمايته من الأمراض)⁵ .

¹ د.نجيب الكيلاني ، في رحاب الطب النبوي ، ص 44

² ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 28

³ د.موسى إسماعيل البسيط ، الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، مجلة جامعة القدس ، العدد 6، 2005 ، ص 349

⁴ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 163.

⁵ د.موسى إسماعيل البسيط ، الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، ص349-350-بتصرف-

- 3- ومن هدى رسول الله ﷺ في الفواكه ما قاله ابن القيم : (وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يَحْتَمِي منها، وهذا من أسباب حفظ الصحة، فإن الله جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الأدوية)¹ . وثبت عنه ﷺ في ذلك أن أبا الهيثم ابن التيهان لما ضاف النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جاءهم بعذق وهو من النخلة كالعنقود من العنب ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَفَلَا انْتَقَيْتَ لَنَا مِنْ رُطْبِهِ)² ، وفي هذا دلالة على تناول رسول الله ﷺ فاكهة بلده في أوان نزولها، إن اشتمال السنة على أسماء أطعمة كثيرة، إنما يدل على اهتمام الطب النبوي بالأسس الصحية للغذاء)³
- 4- عناية رسول الله ﷺ بالغذاء ، من حيث أفضل الوسائل لإعداده ، وطريقة الجلوس إليه، وعدم النوم بعد الأكل مباشرة، وعدم الشرب بعد الأكل مباشرة ، لأن ذلك يسبب عسر الهضم⁴
- 5- عنايته ﷺ بغذاء المريض⁵ ، فحرص على عدم إجبار المريض على الأكل ، وأن يقدم له ما كان سهل الهضم كالحساء، أو اللين ... وغيرها من الأغذية الخفيفة، ومن أمثلة ذلك: التلبينة ، وهي الحساء الرقيق من دقيق الشعير بنخالته ، وربما جعل فيها عسل ، و سميت، به تشبيها باللبن لبياضها ورقنتها، وكان يصفها إذا قيل إن فلانا وجع لا يطعم الطعام.
- 6- ومن غذاء رسول الله ﷺ الذي يعد دواء في حد ذاته ، حرصه ﷺ على أكل الخبز بنخالته ، وقد جاء في الصحيح عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّعِيَّ؟ فَقَالَ سَهْلٌ: (مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّعِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ)⁶، ولقد أكدت الأبحاث الحديثة⁷ فوائد عظيمة للخبز الأسمر، وأصبحت النخالة وصفة طبية يصفها الأطباء للمرضى الذين يشكون الإمساك وتشنج القولون، وصارت النخالة تباع في الصيدليات في أمريكا وأوروبا.

¹ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 163

² صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، ج 6 ، ح 2038 ، ص 116.

³ د.موسى إسماعيل البسيط ، الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، ص 350

⁴ أنظر: ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 164

⁵ أنظر: ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 89-90

⁶ صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ، ج 7 ، ح 5413 ، ص 74

⁷ د.موسى إسماعيل البسيط ، الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، ص 351

ثالثا: الدواء في الهدى النبوي: أتناول فيما يلي أهم الأدوية المفردة¹ في الهدى النبوي:

1- الحبة السوداء: قال ابن القيم: (وهي الشونيز في لغة الفرس، وهي الكُمون الأسود، وتسمى الكُمون الهندي، وهي كثيرة المنافع جدا)². وثبت في الصحيح أن أبا هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السم)³. قال ابن شهاب: والسم: الموت، والحبة السوداء: الشونيز⁴. وإذا دقت وعجنت بالعسل، وشربت درت البول، والحيض، واللبن، إذا أديم شرها أيام. وإذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان⁵.

2- السن: جاء في الحديث قوله ﷺ (عليكم بالسنن والسنتوت⁶ فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السم قيل: يا رسول الله، وما السم؟ قال: الموت⁷). قال ابن القيم: (وأما السنن، وهو نبت حجازي أفضله المكّي، يُسهل الصفراء والسوداء، ويُقوي جرم القلب، وشرب مائه مطبوخا أصلح من شربه مدقوقا، وأما السنوت، ففيه ثمانية أقوال؛ أحدها: أنه العسل. والثاني: أنه السمن، الثالث: أنه حب يشبه الكُمون. الرابع: أنه الكُمون الكرمانّي. الخامس: أنه الرازيانج. السادس: أنه الشبث. السابع: أنه التمر الثامن: أنه العسل الذي يكون في رفاق السمن، قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى، وأقرب إلى الصواب، أي: يخلط السنن مدقوقا بالعسل المخالط للسمن، ثم يلحق فيكون أصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من إصلاح السنن، وإعانتته له على الإسهال. والله أعلم⁸).

¹ إن ابن القيم الجوزية رحمه الله يذكر العديد من الأدوية في كتابه الطب النبوي، ويذكر فوائدها وخصائصها العلاجية، ويعتبرها من الهدى النبوي - كما يذكر رحمه الله-. أنظر: ابن القيم، الطب النبوي، فصل في ذكر شيء من الأدوية والأغذية المفردة التي جاءت على لسانه ﷺ مرتبة على حروف المعجم، ص 212

² ابن القيم، الطب النبوي، ص 223

³ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الحبة السوداء، ج 7، ح 5688، ص 124

⁴ المرجع السابق، نفس الصفحة

⁵ د. حياة علي محمد خفاجي، لمحات من الطب الإسلامي، ص 107

⁶ عليكم بالسنن والسنتوت: العسل. وقيل الرُب. وقيل الكُمون. ويُروى بضم السين، وألفتح أفصح.، النّهاية في غريب الحديث والأثر - حرف السين، ج 2، ص 407

⁷ المستدرک على الصحيحين - كتاب الطب - عليكم بالسنن والسنتوت، ج 4، ح 7535، ص 201، وتعبه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 2، ح 4067، ص 750

⁸ ابن القيم، الطب النبوي، ص 56-57.

3-الْقُسْطُ: جاء في الصَّحِيحَيْنِ : مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ)¹. وَمِنْ حَدِيثِ أُمِّ قَيْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... عَلَيْكَ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ؛ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ...²). قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: (الْقُسْطُ: نَوْعَانِ. أَحَدُهُمَا: الْأَبْيَضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْبَحْرِيُّ. وَالْآخَرُ: الْهِنْدِيُّ، وَهُوَ أَشَدُّهُمَا حَرًّا، وَالْأَبْيَضُ أَلْيَنُهُمَا، وَمَنَافِعُهُمَا كَثِيرَةٌ جَدًّا...، يُنَشَّقَانِ الْبَلْعَمَ، قَاطِعَانِ لِلزُّكَامِ، وَإِذَا شَرِبْنَا، نَفَعَا مِنْ ضَعْفِ الْكَبِدِ وَالْمَعِدَةِ وَمِنْ بَرْدِهِمَا، ..، وَقَطَعَا وَجَعَ الْجَنْبِ، وَنَفَعَا مِنَ السُّمُومِ، وَإِذَا طُلِيَ بِهِ الْوَجْهُ مَعْجُونًا بِالمَاءِ وَالْعَسَلِ، قَلَعَ الْكَلْفَ³).

4- الكمأة: جاء في الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)⁴، وقد جاء في الطب النبوي قول ابن القيم: (وَالْكَمَاءُ مُحْفِيَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ لَا وَرَقَ لَهَا، وَلَا سَاقَ، وَقَدْ اعْتَرَفَ فُضَّلَاءُ الْأَطِبَّاءِ بِأَنَّ مَاءَهَا يَجْلُو الْعَيْنَ ، ولقد ورد في تفسير قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكمأة وماؤها شفاء العين ثلاثة أقوال: القول الأول: إن ماءها يخلط في الأدوية التي تعالج بها العين، لأنه يستعمل وحده . القول الثاني: يستعمل (بمفرده) بعد شيها واستقطار مائها، لأن النار تطفه وتنضجه، وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية ويبقى النافع. القول الثالث: إن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل إلى الأرض. وقيل إن استعمال مائها لتبريد ماء العين فمائها مجردا شفاء، وقيل: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن بالإثمد واكتحل به ، يقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة⁵

¹ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الحجامة من الداء ، ج 7 ، ح 5696 ، ص 125

² صحيح البخاري - كتاب الطب - باب اللدود، ج 7، ح 5713 ، ص 127

³ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص، 267.

⁴ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب المن شفاء للعين ، ج 7 ، ح 5708 ، ص 126

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 273-277.

5-الإثمد: ثبت في الحديث عن ابن عباسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (كَانَ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ، وَكَانَ يَكْتَحِلُ فِي كُلِّ عَيْنٍ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ)¹ ، وروى عن ابن عباسٍ ﷺ أيضا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِنَّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمْ الْإِثْمِدَ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ ، وَيُنِيبُ الشَّعْرَ²) . قال ابن القيم : (هُوَ حَجَرُ الْكُحْلِ الْأَسْوَدِ ، يُؤْتَى بِهِ مِنْ أَصْبَهَانَ ، وَهُوَ أَفْضَلُهُ ، وَيُؤْتَى بِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ أَيْضًا ، وَأَجْوَدُهُ السَّرِيعُ التَّفْتِيتِ .. يَنْفَعُ الْعَيْنَ وَيُقَوِّيهَا ، وَيَشُدُّ أَعْصَابَهَا ، وَيَحْفَظُ صِحَّتَهَا ، وَيُنْقِي أَوْسَاطَهَا ، وَيَجْلُوهَا ، وَيُذَهَبُ الصُّدَاعُ إِذَا اكْتَحَلَ بِهِ مَعَ الْعَسَلِ الْمَائِي الرَّقِيقِ ، وَهُوَ أَجْوَدُ أَكْحَالِ الْعَيْنِ لَا سِوَمَا لِلْمَشَايخِ ، وَالَّذِينَ قَدْ ضَعُفَتْ أَبْصَارُهُمْ إِذَا جُعِلَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَسْكِ³) .

6- الحناء: جاء في الحديث عن أنسٍ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَيْسَ فِي أَصْحَابِهِ أَشْمَطُ⁴ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ؟ فَغَلَفَهَا بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ^{5 6}) ، قال ابن القيم : (الكتم نبت بالسُّهولِ ، وَرَقُّهُ قَرِيبٌ مِنْ وَرَقِ الزَّيْتُونِ ، يَعْلو فَوْقَ الْقَامَةِ ، وَلَهُ ثَمَرٌ قَدَرٌ حَبِّ الْفُلْقِلِ ، فِي دَاخِلِهِ نَوَى ، إِذَا رُضِخَ اسْوَدَّ ؛ وَإِذَا اسْتُخْرِجَتْ عُصَارَتُهُ وَرَقُّهُ ، وَشُرِبَ مِنْهَا قَدْرٌ أُوقِيَّةً ، فَيَأْتِي شَدِيدًا ، وَأَصْلُهُ إِذَا طُبِحَ بِالْمَاءِ كَانَ مِنْهُ مِدَادٌ يُكْتَبُ بِهِ.... وَبَزُرُ الْكَتَمِ إِذَا اكْتَحَلَ بِهِ ، حَلَّلَ الْمَاءَ النَّازِلَ فِي الْعَيْنِ وَأَبْرَأَهَا⁷) .

وقد عدد ابن القيم في كتابه الأدوية المفردة ، ولم يذكر لنا شيئاً عن الأدوية المركبة ، كما هو الحال في الأدوية المصنعة عند الصيادلة في عصرنا الحديث .

¹ مسند أحمد بن حنبل ، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ﷺ عن النبي ﷺ ، ج 2 ، ح 3364 ، ص 783

² صحيح ابن حبان ، كتاب الطب ، ذكر البيان بأن قوله ﷺ " خير أكحالكم " ، ج 13 ، ح 6073 ، ص 437

³ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص : 212 .

⁴ أسنَّ أَصْحَابِهِ ، أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 7 ، ص 302

⁵ وَهُوَ نَبْتُ يُخْلَطُ مَعَ الْوَسْمَةِ ، وَيُصْبَعُ بِهِ الشَّعْرُ اسْوَدَّ ، وَقِيلَ : هُوَ الْوَسْمَةُ . (س) وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَصْبَعُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ " وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ . وَبُشْبِهِ أَنْ يُرَادَ بِهِ اسْتِعْمَالُ الْكَتَمِ مُفْرَدًا عَنِ الْحِنَاءِ ، فَإِنَّ الْحِنَاءَ إِذَا خُضِبَ بِهِ مَعَ الْكَتَمِ جَاءَ اسْوَدَّ . وَقَدْ صَحَّ النَّهْيُ عَنِ السَّوَادِ ، وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ بِالْحِنَاءِ أَوْ الْكَتَمِ عَلَى التَّخْيِيرِ ، وَلَكِنَّ الرُّوَايَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ . النَّهْيُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، ج 4 ، ص 150

⁶ صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، ج 5 ، ح 3919 ، ص 65

⁷ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص : 278 .

رابعاً: من طرق العلاج في الهدى النبوي: أتطرق فيما يلي إلى بعض طرق وأساليب العلاج

التي جاءت في الأحاديث النبوية الصحيحة ، وتبرز جانباً من الهدى العلاجي النبوي:

1- الحمية: جاء في الحديث عن مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُجِبُّهُ ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ¹). وروي عن أُمِّ الْمُؤْمِنِ الْعَدَوِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقَةٌ ، قَالَتْ: وَلَنَا دَوَالِي مُعَلَّقَةٌ ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكَلَ ، وَقَامَ عَلِيٌّ فَأَكَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَهَلًا يَا عَلِيُّ فَإِنَّكَ نَاقَةٌ ، فَجَلَسَ عَلِيٌّ ، ثُمَّ صَنَعْتُ لَهُمْ سَلْقًا وَشَعِيرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذَا أَصِيبِ الْآنَ يَا عَلِيُّ²). يقول ابن القيم: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي مَنَعِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الدَّوَالِي، وَهُوَ نَاقَةٌ أَحْسَنُ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّ الدَّوَالِي أَفْنَاءٌ مِنَ الرُّطْبِ تُعَلَّقُ فِي الْبَيْتِ لِلْأَكْلِ بِمَنْزِلَةِ عَنَاقِيدِ الْعَنْبِ، وَالْفَاكِهَةِ تَضُرُّ بِالنَّاقَةِ مِنَ الْمَرَضِ لِسُرْعَةِ اسْتِحَالَتِهَا، وَضَعْفِ الطَّبِيعَةِ عَنْ دَفْعِهَا، فَإِنَّهَا لَمْ تَتَمَكَّنْ بَعْدُ مِنْ قُوَّتِهَا، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِدَفْعِ آثَارِ الْعِلَّةِ، وَإِزَالَتِهَا مِنَ الْبَدَنِ وَفِي الرُّطْبِ خَاصَّةً نَوْعٌ ثَقُلَ عَلَى الْمَعِدَةِ، فَتَشْتَغِلُ بِمُعَالَجَتِهِ وَإِصْلَاحِهِ عَمَّا هِيَ بِصَدَدِهِ مِنْ إِزَالَةِ بَقِيَّةِ الْمَرَضِ وَآثَارِهِ... فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ السَّلْقُ وَالشَّعِيرُ، أَمَرَهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَعْدِيَّةِ لِلنَّاقَةِ، فَإِنَّ فِي مَاءِ الشَّعِيرِ مِنَ التَّبْرِيدِ وَالتَّغْدِيَةِ، وَالتَّلْطِيفِ وَالتَّلْيِينِ، وَتَقْوِيَةِ الطَّبِيعَةِ مَا هُوَ أَصْلَحُ لِلنَّاقَةِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا طُبِحَ بِأُصُولِ السَّلْقِ، فَهَذَا مِنْ أَوْفَقِ الْغَدَاءِ لِمَنْ فِي مَعِدَتِهِ ضَعْفٌ، وَلَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنَ الْأَخْلَاطِ مَا يُخَافُ مِنْهُ³) ، وقال الطبيب العربي الحارث بن كلدة في وصاياه: (الحمية رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد⁴) ، والحمية الغذائية حماية ووقاية للشخص الصحيح السليم ونقاها للمريض .

¹ مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار رضي الله عنهم - حديث محمود بن لبيد ﷺ، ج 10 ، ح 24111 ، ص 5624 ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ، رقم 1814 ، ص 372

² المستدرک علی الصحیحین - کتاب الطب - البرني خير تموركم لا داء فيه ، ج 4 ، ح 8338 ، ص 407 ، وحسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح ، رقم الحديث 4216 ، ص 1218

³ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 77-79

⁴ المرجع السابق، ص 112

2- علاج الحمى¹ فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)².

وقد ذكر الأطباء أن كل حالات الحميات عند اشتداد الحرارة تعالج بالماء بطريقتين³:

1 - من الخارج على هيئة كمادات باردة أو مثلجة لغرض تخفيض درجة الحرارة .

2 - تعاطي الماء بالفم أثناء الحميات وهذا يساعد جميع أعضاء الجسم خصوصا الكليتين على النهوض بوظائفها الحيوية للجسم .

ويتضح من ذلك أن الطب الحديث منسجم مع الهدى النبوي في علاج الحمى، لأن الماء البارد لا يزال يستخدم حتى اليوم في علاج الحمى، يقول أبو بكر الرازي: (إِذَا كَانَتِ الْقُوَّةُ قَوِيَّةً، وَالْحُمَّى حَادَّةً جِدًّا، وَالنُّضْجُ بَيِّنًا وَلَا وَرَمَ فِي الْجَوْفِ، وَلَا فَتَقًا، يَنْفَعُ الْمَاءُ الْبَارِدُ شُرْبًا، وَإِنْ كَانَ الْعَلِيلُ خِصْبَ الْبَدَنِ وَالزَّمَانُ حَارًّا، وَكَانَ مُعْتَادًا لِاسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ خَارِجٍ، فَلْيُؤَدِّنْ فِيهِ)⁴.
وتصديقا لهدى النبي صلى الله عليه وسلم في علاج الحمى بالماء ، (فإن الطب الحديث يستعمل ما يعرف بالكمادات، عند ارتفاع درجة الحرارة للمريض، وخاصة عندما تفشل العقاقير الطبية في بعض الحالات تفاديا لما قد تؤدي إليه من مخاطر ومضاعفات جانبية . والغرض من استعمال الكمادات الباردة الطبية: تخفيف آلام الصداع - خفض درجة الحرارة الشديدة - تضيق الأوعية الدموية لوقف النزيف - التقليل من نشاط الميكروبات - تحويل سير الدم إلى جزء آخر من الجسم - تخفيف الاحتقان والورم ، ومنع تكون الصديد الذي قد يكون خراجا)⁵.

¹ الحمى علة يستح بها الجسم، وهي أنواع: التيفويد والتيفوس والقرمزية، المعجم الوسيط ، ج 1، ص 200 ، مادة: حم

² صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ج 4 ، ح 3264 ، ص 121

³ د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي، ص 113

⁴ السعيد الناصري ، التغذية العلاجية في الطب النبوي ، ص 46، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 2019م

⁵ د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي ، ص 123

3 - السعوط واللدود : دلت السنة النبوية على هذين الأسلوبين من العلاج وهما:

أ-السعوط: جاء في الحديث عن ابن عباس ، رضي الله عنه (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَطَّ) ¹ . (وَالسَّعُوطُ: مَا يُصَبُّ فِي الْأَنْفِ، وَقَدْ يَكُونُ بِأَدْوِيَةٍ مُفْرَدَةٍ وَمُرَكَّبَةٍ تُدَقُّ وَتُنْحَلُّ وَتُعْجَنُ وَتُحَفَّفُ، ثُمَّ تُحَلُّ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَيُسَعَطُ بِهَا فِي أَنْفِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ مُسْتَلَقٌ عَلَى ظَهْرِهِ، وَبَيِّنَ كَنْفَيْهِ مَا يرفعهما لينخفض رأسه، فَيَمَكِّنُ السَّعُوطُ مِنَ الْوُضُوءِ إِلَى دِمَاعِهِ، وَيَسْتَخْرِجُ مَا فِيهِ مِنَ الدَّاءِ بِالْعُطَّاسِ، وَقَدْ مَدَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّدَاوِيَّ بِالسَّعُوطِ فِيمَا يُجْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ²).

ب- اللدود³: جاء في حديث مرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ (لَدَدْنَا فِي مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلُدُونِي ، فَقُلْنَا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ تَلُدُونِي ؟ قُلْنَا: كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ: لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ ، إِلَّا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ⁴). ولذلك يمكن القول أن الطب الإسلامي , قد أعطى أسسا ثابتة في تناول العلاج ، من حيث المدة والكمية والكيفية من خلال⁵:

- 1 - كمية الدواء وهو ما يسمى في الوقت الحاضر بالجرعة .
- 2 -مدة العلاج فقد كان رسول الله ان يوصي بتعاطي العلاج الثلاثة أيام مرة كل يوم وقد يوصي باستعمال الدواء لسبع ليال .
- 3- عدد الجرعات فقد عرفنا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر من تداوى بالعسل أن يكرر تناوله منه ثلاث مرات، لأن هذه الكمية تتساوى مع مقدار الداء الموجود والمطلوب علاجه .

¹ المستدرک علی الصحیحین - کتاب الطب - استعط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ج 4 ، ح 7541 ، ص 203 ، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرِّحَاهُ . ووافقه الذهبي .

² ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 72

³ اللدود ، هُوَ بِالْفَتْحِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ : مَا يُسْقَاهُ الْمَرِيضُ فِي أَحَدِ شِقْمَيْ الْقَمِّ . وَلِدَيْدَا الْقَمِّ : جَانِبَاهُ ، إِبْنُ الْأَثِيرِ ، النَّهَائِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، ج 4 ، ص 244

⁴ صحیح البخاری - کتاب الطب - باب اللدود ، ج7 ، ح 5712 ، ص 127

⁵ د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي ، ص 116

4- علاج الجروح النازفة: جاء في الحديث الصحيح عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: (لَمَّا كُسِرَتْ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَةُ وَأُذِمِّي وَجْهَهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ، وَكَانَ عَلَيَّ يَخْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي الْمَجَنِّ ، وَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى الْمَاءِ كَثْرَةً عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا عَلَى جُرحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَقَأَ الدَّمَ) ¹ ، (فالعلاج برماد الحصير المعمول من البردي ، وله فعل قوي في حبس الدم، لأن فيه تحفيفا قويا وقلة لذع فإن الأدوية القوية التحفيف إذا كان فيها لذع هيجت الدم وجلبته، وهذا الرماد إذا نفخ وحده أو الخل في أنف الأرعف قطع رعافه...والبردي ينفع النزف ويمنعه ويذر على الجراحات الطرية فيدملها، والقرطاس المصري كان قديما يعمل منه، ومزاجه بارد يابس، ورماده نافع من آكلة الفم، ويحبس نفس الدم، ويمنع القروح الخبيثة أن لا تشفى) ² .

5- علاج البثرة أو الخراج: وتحدث تحت الجلد في أي مواضع الجسم، ولقد عالج الرسول ﷺ البثرة ففي الحديث عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَطْنُهَا زَيْنَبُ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : عِنْدَكَ ذَرِيرَةٌ ³ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَدَعَا بِهَا وَوَضَعَهَا عَلَى بَشْرَةٍ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رِجْلِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُطْفِئُ الْكَبِيرِ وَمُكَبِّرِ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا عَنِّي " فَطَفِئَتْ) ⁴ . يقول ابن القيم: (دَوَاءُ هِنْدِيٍّ يُتَّخَذُ مِنْ قَصَبِ الذَّرِيرَةِ، وَهِيَ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ تَنْفَعُ مِنْ أَوْزَامِ الْمَعِدَةِ وَالْكَبِدِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ، وَتُقَوِّي الْقَلْبَ لِطَبِيبِهَا، ...وَالْبَثْرَةُ: خُرَاجٌ صَغِيرٌ يَكُونُ عَنْ مَادَّةِ حَارَّةٍ تَدْفَعُهَا الطَّبِيعَةُ، فَتَسْتَرْقُ مَكَانًا مِنَ الْجَسَدِ تَخْرُجُ مِنْهُ، فَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى مَا يُنْضِجُهَا وَيُخْرِجُهَا، وَالذَّرِيرَةُ أَحَدُ مَا يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهَا إِنْصَاجًا وَإِخْرَاجًا مَعَ طِيبٍ رَائِحَتِهَا، مَعَ أَنَّ فِيهَا تَبْرِيدًا لِلنَّارِ اللَّيِّ فِي تِلْكَ الْمَادَّةِ ، وَكَذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْقَانُونِ : إِنَّهُ لَا أَفْضَلَ لِحَرْقِ النَّارِ مِنَ الذَّرِيرَةِ بِدُهْنِ الْوَرْدِ وَالخَلِ) ⁵ .

¹ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب حرق الحصير ليسد به الدم ، ج 7 ، ح 5722 ، ص 122

² د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي ، ص 118

³ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الطَّبِيبِ بِمَجْمُوعٍ مِنْ أَخْلَاطٍ ، النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ - حَرْفُ الدَّالِ ، ج 2 ، ص 157

⁴ المستدرک علی الصحیحین - کتاب الطب - علیکم بالإئتمد فإنه یبیت الشعر ویجلو البصر، ج 4 ، ح 7556 ، ص 207

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 85

(والطب الحديث الآن يلجأ لهذه الوسائل أيضا لعلاج الخراجات الناضجة ؛ لأن المادة - الخراج - مليئة بالجراثيم و إذا خرجت شفي المريض واختفى الخراج وخفف من معاناة المريض)¹.

6- في استعمال الحجامة والكي : الحجامة -بكسر الحاء- (وهي قارورة تفرغ من الهواء بإيقاد نار فيها، ثم تكب على بشرة المريض، مكان الألم - وغالبا ما يكون في الظهر - فيؤدي ذلك إلى جذب لحم الظهر إلى داخلها فيكون تنشيط له، وهذه هي الحجامة الجافة ، أما الرطبة فيعمد الحاجم إلى جرح الجلد مكان الألم، ثم توضع القارورة عليه لتمتص الدم منه ، والغاية من ذلك تخفيف الآلام عن عضلات الظهر)². وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط)³. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشربة محجم، وكية نار، وأنهى أمي عن الكي)⁴ يقول ابن القيم: (والأمراض الإمتلائية: إما أن تكون دموية أو صفراوية أو بلغمية أو سوداوية ، وقال بعضهم إن الفصد يدخل في قوله شرطة محجم، فإذا أعيا الدواء فأخر الطب الكي⁵). وفي الحديث عن جابر قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طيبا ففطع منه عرقا ، ثم كواه عليه)⁶ . وفي رواية لمسلم أخرى عن جابر ، قال: (رُمي سعد بن معاذ في أكحله⁷ ، قال: فحسمه⁸ النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص⁹ ، ثم ورمت فحسمه الثانية)¹⁰ . وعن أنس: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة من الشوكة)¹¹ .

¹ د. حياة علي محمد خفاجي ، لمحات من الطب الإسلامي ، ص 120-بتصرف-

² المسؤولية الجسدية في الإسلام ، ص 167

³ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب السعوط ، ج 7 ، ح 5691 ، ص 124

⁴ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الشفاء في ثلاث ، ج 7 ، ح 5680 ، ص 122

⁵ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 40

⁶ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2207 ، ص 22

⁷ أكحله ، الأكلخ: عروق في وسط الذراع يكثر فصدده . النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 4 ، ص 154

⁸ حسمه " أي فطع الدم عنه بالكوي ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 1 ، ص 386

⁹ سهم له نصل طويل: وقيل: عريض، وقيل: هو النصل نفسه، وقال الليث: المشقص: سهم فيه نصل عريض يرمى به الوحش ، أنظر: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ، تهذيب اللغة ، ج 8 ، ص 245 ، تحقيق : محمد

عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م

¹⁰ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2208 ، ص 22

¹¹ صحيح ابن حبان - كتاب الطب - ذكر العلة التي من أجلها أمر أسعد بالاكْتِواء ، ج 13 ، ح 6080 ، ص 443

قال ابن القيم: (قال الخطابي: إنما كوى سعدا ليرقأ الدم من جرحه وخاف أن ينزف فيهلك، والكى المستعمل هنا مثل ما يكوى عند قطع اليد أو الرجل، أو بعض الأطراف. وأما النهي عن الكى فهو أن يكتوي طلبا للشفاء وكانوا يعتقدونه، وأنه متى لم يكتو هلك، فنهاهم عنه لأجل هذه النية)¹. (وإذا نظرنا إلى الطب الحديث نجد أنه يستعمل الحسم حين قطع الأيدي والأرجل عند إقامة الحدود لإيقاف النزف أو عند حدوث تقطع للأطراف أثناء حوادث السيارات وغيره. كما نجد الأطباء في العمليات الجراحية الكبيرة يستعملون الكى الكهربائي لإيقاف نزف العروق أثناء إجراء العمليات حتى يتمكن الجراح إكمال العملية. فالمعروف في الطب الحديث أن الحرارة الشديدة والبرودة الشديدة توقف النزف وبهذا نستطيع أن نقول أن الطب الإسلامي له سبق في هذا المجال)². ولقد أثبت الطب الحديث جدوى استعمالات الكى في علاج بعض الأمراض منها³:

- 1- بعض حالات الأكال (الغنغرينا) ليبقى العضو المصاب خالية من البكتريا.

2- إيقاف النزيف الدموي عندما يتعذر الربط، وهذا استعمله النبي ﷺ في علاج سعد بن معاذ رضي الله عنه.

3- إزالة الباسور (البواسير) الداخلي.

4- بعض حالات سقوط المستقيم.

5- علاج قرحة القرنية.

6- بعض حالات الوحمة كعلاج للتحميل.

7- قرحة مدخل الرحم، ويعطي نتائج إيجابية.

8- كثير من الأمراض الجلدية.

¹ ابن القيم، الطب النبوي، ص 50

² د. حياة علي محمد خفاجي، لمحات من الطب الإسلامي، ص 122

³ عبد الله إبراهيم موسى، المسؤولية الجسدية في الإسلام، ص 170، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 1995م

المطلب الثالث: قواعد الهدى العلاجي النبوي.

يؤكد ابن قيم الجوزية رحمه الله الحقيقة المذكورة بقوله: (قَوَاعِدُ طِبِّ الْأَبْدَانِ ثَلَاثَةٌ حِفْظُ الصَّحَّةِ، وَالْحِمِيَّةُ عَنِ الْمُؤْذِي، وَاسْتِفْرَاجُ الْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ، وَنَحْنُ نَذَكُرُ هَذِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، وَتُبَيَّنُّ أَنَّ هَدْيَهُ فِيهِ أَكْمَلُ هَدْيٍ¹). وكذلك صرح ابن حجر العسقلاني في بداية شرح كتاب الطب للبخاري، فذكر أن مدار الطب بشكل عام يدور حول ثلاثة أشياء ، فقال: (ومدار ذلك على ثلاثة أشياء: حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، وإستفراغ المادة الفاسدة)².

وفيما يلي نتعرف على أهم قواعد الهدى النبوي العلاجي:

1- الحث على التداوي والاعتماد على الله في طلب الشفاء: لقد دعا النبي ﷺ إلى التداوي وفتح للمرضى باب الأمل في الشفاء من كل الأمراض ، إلا الهرم . فقد روي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: (شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ: أَعَلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا؟ أَعَلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ: عِبَادَ اللَّهِ ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرْجَ إِلَّا مَنْ افْتَرَضَ مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا ، فَذَاكَ الَّذِي حَرْجٌ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ نَتَدَاوَى؟ قَالَ: تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً ، إِلَّا الْهَرَمَ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قَالَ: خُلُقٌ حَسَنٌ³ . (فينبغي للمسلم الإعتماد على الله تعالى ، مع الأخذ بالأسباب، وهو تناول الدواء ، و بالمقابل عدم الإعتماد على المسببات ، وبترها عن مسببها ، وهو الله تعالى، فهو المشافي والمعافي، وإنما أرشدهم إلى التداوي، لأنهم مطالبون بالمحافظة على أجسامهم ورعايتها، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بالتداوي فهو أمر واجب)⁴ . وليس طلب التداوي نقصا في اليقين، وضعفا في الإيمان، بل إن تناول الدواء من قدر الله فلقد روي عَنْ أَبِي حُرَّامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رُفِي نَسْتَرْقِيهَا ، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ ، وَتُقَاهُ نَتَقِيهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ⁵)

¹ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 7

² ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج 10، ص 134.

³ سنن ابن ماجه - أبواب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، ج 1 ، ح 3436 ، ص 497 .

⁴ عبد الله إبراهيم موسى ، المسؤولية الجسدية في الإسلام ، ص 165-166 - ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط 1 ، 1995م

⁵ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الرقى والأدوية ، ج 3 ، ح 2065 ، ص 581 ، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

ولكن هل وجود الدواء كاف لحصول الشفاء؟ فالمسببات لوحدها لا تفعل شيئاً، ولقد علق النبي ﷺ البرء على موافقة الداء للدواء، فقال ﷺ: (فإذا أصاب دواء داء برأ بإذن الله¹). وهذا قدر زائد على مجرد وجوده، فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي، نقله إلى داء آخر، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته، وكان العلاج قاصراً، ومتى لم يقع المداوي على الدواء، أو لم يقع الدواء على الداء لم يحصل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء لم ينفع، ومتى كان البدن غير قابل به، أو القوة عاجزة عن حمله أو ثمة مانع يمنع من تأثيره، لم يحصل البرء، وذلك لأن الله تعالى جعل لكل داء دواء، ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليه سبيلاً، لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله، ولهذا علق النبي ﷺ البرء على موافقة الدواء للدواء².

ومما سبق يتضح لنا مدى إهتمام السنة النبوية بالصحة العامة لأفراد المجتمع، وذلك من خلال حثهم على طلب الدواء والعلاج إن أصابهم مرض، فالمسلم يسعى لأن يكون صحيحاً سليماً، وإن قدر الله ووقع به مرض؛ سارع إلى الأخذ بالأسباب وطلب التداوي، وذلك عملاً بالأوامر النبوية، فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير.

2- تجريد الطب من الشعوذة والدجل: كان الطب قبل الإسلام يختلط بالكهانة والشعوذة، وعندما بعث النبي ﷺ قال: (إعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك³)، والرقية هنا ما يقرأ على المريض من أدعية وكلام لشفائه، قال ابن حجر: (وقد أجمعوا على جواز الرقى بشروط ثلاثة: أن يكون بكلامه تعالى أو أسمائه أو صفاته، وأن يكون بالعربي أو بما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقديره تعالى)⁴. ومن خلال دعوى الرقية الشرعية، ربما دخل فيها من يدعي معرفة الطب من أهل الشرك والشعوذة.

¹ صحيح مسلم، ح 2209، كتاب السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي

² عبد الله إبراهيم موسى، ص 167، -بتصرف- المسؤولية الجسدية في الإسلام

³ مسلم، الصحيح، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ج7، ص19، ح 5862/ أبو داود، السنن، كتاب

الطب، باب ما جاء في الرقى، ج4، ص12، ح3888

⁴ ابن حجر، فتح الباري، ج10، ص195

وقد نهى النبي ﷺ عن مثل هذه الأعمال ، فعن زينب امرأة عبد الله عن عبد الله قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك، قالت: قلت: لم تقول هذا والله لقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني فإذا رقاني سكنت. فقال عبد الله إنما ذلك عمل الشيطان كان ينحسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول) أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما¹. فبين الحديث النبوي أن الرقى والتمايم شرك ومن عمل الشيطان ، قال صاحب (عون المعبود) في شرحه للحديث: (وإنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه)². أما الرقية بالدعاء المأثور فهو من هدي النبي ﷺ لأهله وأصحابه وأمته.

4- أمره بتعلم الطب واختيار الطبيب الماهر والضمان لمن أتلّف: جاء في الحديث عن الشفاء بنت عبد الله، قالت: (دخل علي النبي ﷺ وأنا عند حفصة رضي الله عنها، فقال: ألا تعلمين حفصة رقية النملة³، كما علمتها الكتابة)⁴ ، وقال النبي ﷺ: (من تطب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن)⁵، وعن رجل من الأنصار قال : (عاد رسول الله ﷺ رجلاً به جرح فقال: ادعوا لي طبيب بني فلان، فدعوه فجاء، فقالوا: يا رسول الله ويغني الدواء شيئاً؟ فقال: (سبحان الله وهل أنزل الله من داء في الأرض إلا جعل له شفاء)⁶.

¹ أبو داود، السنن، كتاب الطب، باب في تعليق التمايم، ج 4، ص 11، ح 3885، التميمية: ما يعلق ويعتقد فيه دفع الأذى، وهي عادة جاهلية أرادوا بها، وطلبوا دفع الأذى من غير الله ./ التولة: نوع من السحر يجيب المرأة إلى زوجها.
² العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط الثانية، 1968م، ج 9، ص 805
³ قروح تخرج في الجنبين، وهو داء معروف، وسمي نملة؛ لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة توب عليه وتعضته. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. الطب النبوي. تحقيق: السيد الجميلي، ط 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م، ج 1، ص 156
⁴ سنن أبي داود. ح: 3889، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، ج 4، ص 13. قال الألباني: صحيح.
⁵ سنن الدار قطني، ح 3478، كتاب الحدود والديات وغيرها، ج 8، ص 202. . وزارة الأوقاف المصرية
⁶ ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ، حديث رقم: 23204، باقي مسند الأنصار، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي ، ج 5، ص 271 قال شعيب الأرثووط: إسناده صحيح. مؤسسة قرطبة، القاهرة:

وعن سعد رضي الله عنه: (مَرَضْتُ مَرَضاً، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُوذُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُوَادِي، فَقَالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ مَفُودٌ¹، أَتَتْ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمْرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلْيَجَاهُنَّ بَنَوَاهُنَّ²، ثُمَّ لِيَلِدَكَ³ بَهْنٌ)⁴. فالرسول ﷺ يرسل إلى الطبيب الحارث بن كلدَةَ، من أجل مداواة الصحابي رضي الله عنه. (ومن أهم الأمور التي يجب على الفرد إختيار الأكفأ فيها هي الأمور الطبية، فمن يياشر مهنة الطب بغير علم؛ في الأغلب يجني على الناس يجهله، وإدعائه لمهنة الطب لكسب المال، وقد جعل الإسلام على من إدعى الطب وهو ليس من أهله أن عليه الضمان فيما تسبب به من أذى للمريض، فقال رسول الله ﷺ: (من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن)⁵)⁶. قال الإمام الخطابي: (لا أعلم خلافا في المعالج إذا تعدى، فتلف المريض كان ضامنا، والمتعاطي علما أو عملا لا يعرفه متعدي، فإذا تولد من فعله التلف ضمن الدية، وسقط عنه القود لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض، وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته)⁷ من هنا نرى مدى عناية السنة النبوية بمبدأ إختيار الطبيب الماهر في عمله، الأمين في مهنته، ومحاسبة المقصر ومطالبته بالضمان لما أتلفه، حفاظا على صحة الإنسان وتقديرا لأهل الكفاءة والإختصاص.

¹ رجل مفؤود: المَفُودُ: الَّذِي أُصِيبَ فُوَادُهُ بِوَجَعٍ. يُقَالُ: فَعِدَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَفُودٌ، وَقَادَتْهُ إِذَا أَصَبَتْ فُوَادَهُ. ج 3، ص 405

² أَي فُلَيْدَقْتُهُنَّ. ، وَهُوَ تَمْرٌ يُبَلِّغُ بَلْبَنٍ أَوْ سَمْنٍ ثُمَّ يُدَقُّ حَتَّى يَلْتَمِّمَ ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 5، ص 152

³ لِيَلِدَكَ بِكَسْرِ اللَّامِ وَيَسْكُنُ وَيَفْتَحُ الْيَأْسَ وَضَمَّ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمُفْتُوحَةِ ؛ أَي : لِيَسْقِيكَ ، مِنْ لِدَةِ الدَّوَاءِ إِذَا صَبَّهَ فِي فَمِهِ ، وَاللَّدُودُ - يَفْتَحُ أَوَّلَهُ - مَا يُصَبُّ مِنَ الْأَدْوِيَةِ فِي أَحَدِ شِقَيْهِ الْقَمِ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَهُ عَلَى حَالَةٍ مِنَ الْمَرَضِ لَمْ يَكُنْ يَسْهُلُ لَهُ تَنَاوُلُ الدَّوَاءِ إِلَّا عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ ، أَوْ عَلِمَ أَنَّ تَنَاوُلَهُ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ أُنْجَحُ وَأَنْفَعُ وَأَيْسَرُ وَأَلْيَقُ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ الطَّبِيبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَكُونُ أَعْلَمَ بِاتِّخَاذِ الدَّوَاءِ وَكَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِهِ ، عون المعبود على سنن أبي داود ، ج 4 ، ص 8

⁴ أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. حديثرقم: 3877، كتاب الطب، باب في ثمرة العجوة، ج4، ص 8 ، قال الهيثمي: فيه يونس بن الحجاج الثقفي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ح 8300 ، ج 5 ، ص 88 تحقيق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة ، 1994م 88/5

⁵ أبو داود، السنن، كتاب الديات، باب فيمن تطبب ولا يعلم منه طب فأعنت، ج4، ص320، ح4588/النسائي، السنن، كتاب القسامة، صفة شبه العمدة وعلى من دية الأجنة وشبه العمدة، ج 8، ص50، ح 4830. (والحديث حسنه الألباني) ، قال ابن الأثير وهو حديث حسن ، جامع الأصول ، ح 7790 ، ج 10 ، ص 263

⁶ Dr. Thamer Hatamleh ، الطب النبوي والتثقيف الصحي ، ص 99-بتصرف-

⁷ الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى 1932م، ج 4، ص38 ح1224

المبحث الثالث: مذاهب ومواقف العلماء من حجية أحاديث الطب النبوي. شكل التعامل مع أحاديث الطب النبوي إختلافاً بين علماء المسلمين من حيث حجيتها، وإنقسموا إلى فريقين، أو مذهبين ذلك ما سنتطرق إليه فيما يأتي:

المطلب الأول: مذهب القائلين بحجية أحاديث الطب النبوي:

أولاً-بيان مذهبهم: أصحاب هذا الرأي جعلوا جميع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله حجة شرعية على العباد إن ثبتت، وقالوا إنه معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا، بل كل ما يعتقد في ذلك فهو مطابق للواقع وكذلك ما يقوله ويخبر به ﷺ¹.

ورأوا أن كافة أحاديث النبي ﷺ منشؤها الوحي وأنه لا بد من تصنيف الروايات المتعلقة بالطب داخل هذا الإطار أيضاً². وهو الذي عليه المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، أن الأحاديث التي تتناول ناحية الأمور الدنيوية مثل الأحاديث التي تتناول الناحية الطبية للإنسان لا تختلف عن سائر الأحاديث التي تناول الناحية التشريعية فهي وحي من الله عز وجل ، وقد دل الكتاب والسنة وعمل الصحابة على حجية الأحاديث الطبية الصادرة عن النبي ﷺ وأنها وحي من الله عز وجل كسائر الأحاديث.³

وقد ذهب إلى هذا الرأي ابن القيم وشيخه ابن تيمية وغيرهما من العلماء، قال ابن القيم (751هـ): (وليس طبه ﷺ كطوب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل ، وطب غيره أكثر حدس وظنون ، وتجارب ، لا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة ، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع ، وليس ذلك لقصور في الداء ، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله)⁴.

¹ الدكتور محمد سليمان الأشقر، مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية - أبحاث المؤتمر الرابع للطب الإسلامي - الكويت 1989م، ص 108

² الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي، ص 109

³ كبير غوجي ، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية ، ص 143

⁴ ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، ج 4 ، ص 36-بتصرف-

ومن شاركوا ابن القيم في رأيه الكتاني(886هـ)، فإنه إلى جانب ذلك دافع في كتابه الشهير (الترتيب الإدارية) أن الطب النبوي أثر للوحي، بالإضافة إلى ما قام به من الانتقادات حول آراء ابن خلدون التي ذكرناها آنفاً¹ حيث قال: (ومن المهاترة ما ذكره الفيلسوف ابن خلدون في مقدمة تاريخه حين فصل أنواع الطب ومستنداته قال: وللبادية من أهل العمران طب منوه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه. وربما يصح فيه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا موافقة المزاج. وكان في العرب أطباء من هذا القبيل معروفون كالحارث بن كلدة وغيره، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل. وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب. والله درّ العلامة الشيخ عبد الهادي الأبياري المصري، إذ قال في كتابه سعود المطالع ما نص: (وأقول هذه هفوة لا ينبغي النظر إليها كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام للمبطون الذي أمره بشرب العسل فلم ينجح: صدق الله وكذب بطنك)².

وقد إعتبر محمد أبو شهبه -وهو من علماء الحديث المعاصرين- أن الطب النبوي حصيلة الوحي، فقد ذهب إلى أن أسلوب الأحاديث المروية عن النبي ﷺ فيما يتعلق بالطب، يثبت هذا الموضوع، حيث قال: (أحب أن أقول: إنني لست مع النابتة التي نبتت وبعضهم من أهل العلم فزعمت أن الطب النبوي من قبيل الأمور الدنيوية، التي يجوز على النبي ﷺ فيها الخطأ، ويجعلونه من قبيل قصة تأبير النخل، لأن النبي ﷺ لم يسقها مساق القطع واليقين، وإنما ساقها مساق الرجاء (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً)³ ومعظم أحاديث الطب - إن لم تكن كلها - إنما ساقها النبي مساق القطع، واليقين، مما يدل على أنها بوحي من الله سبحانه وتعالى)⁴.

¹ الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي ،ص 110

²الكتاني ، الترتيب الإدارية ، ج 3، ص 152

³ سبق تخريجه

⁴أبو شهبه محمد ، دفاع عن السنة ، ص342

أما الكاتب علي رضا قره بولوط الذي أعد موسوعة في الطب النبوي ، فقد عبّر عن رأيه حول مصادر الطب النبوي بالعبارات التالية¹: (إن النبي ﷺ الذي كان دائماً تحت رقابة الوحي وإرشاده، لم يُرسل ليعلم الشريعة فقط. إنه قد شكل أحسن نموذج في المواضيع الدنيوية ولاسيما المواضيع الطبية، لأن النبي ﷺ قام بتطبيق ما كان يطبقه العرب من المعلومات الطبية بعد الإصلاح والتصحيح، إضافة إلى تطبيق الأوامر التي تلقاها عن طريق الوحي. فبدأ كمعجزة ، بطب جديد ، وقام ببيانات وتطبيقات نالت اهتمام طب يومنا الحاضر في مواضيع كثيرة. وقد تأسى به الصحابة والتابعون بعد عهده في المواضيع الدينية والطبية على حدّ سواء... وبعد هذه التوضيحات، عدد الكاتب مصادر الطب النبوي بقوله: القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة المستندة إلى الوحي، والقياس، والتجربة، التعديل والتصحيح)².

ويقول الدكتور محمد علي البار: (إن ما ورد عن النبي ﷺ من أمور الطب هو حق لا مرية فيه، وإن بدا في بعض هذه الأحاديث تناقض ظاهري مرده إلى عدم معرفة الأسرار الكامنة وراء هذه الأحاديث، والتي جاء الطب الحديث يوضح شيئاً كثيراً من هذه الأسرار)³.

وبه قال الشيخ سليم بن عيد الهلالي: (من المتفق عليه بين العلماء أن السنة النبوية من مصادر التشريع الإسلامي في كل نواحي الحياة ، من أمور غيبية اعتقاديته ، أو أحكام عملية ، أو سياسية ، أو تربوية ، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي ، أو اجتهاد ، أو قياس. ولذلك ؛ فإن الطب النبوي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة)⁴ .

¹ الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دوزنم التركي، ص 110

² قره بولوط ، علي رضا ، موسوعة الطب النبوي ، منشورات مكتبة أنقرة ، 1994، ج1، ص 14

³ البار، الدكتور محمد علي :هل هناك طب نبوي - الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص ١٢ .

⁴ سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجربة ، ص 23

وذهب إلى هذا الرأي أيضا د. الشريف حاتم العوني حيث قال¹: (ما اجتهد فيه النبي ﷺ وصوبه له الوحي لا يختص بأمر الدنيا، فقد اجتهد النبي ﷺ في أمور الدين أيضا، وصوب الوحي له اجتهاده ﷺ، فإن كان مجرد تصويب الوحي لاجتهاده في أمور الدنيا سببا لاعتقاد أنها ليست وحيا، فيلزم أن يكون تصويب الوحي لاجتهاده في أمور الدين سببا لاعتقاد أنها ليست وحيا أيضا !! وهذا ما لا يقوله إلا غلاة أهل الضلال؛ لأنه يخالف قطعيات الكتاب، والسنة، وإجماع علماء المسلمين، وعوامهم) وبين أيضا د. العوني، وسيلتين يتم التمييز بين ما هو سنة اجتهاد النبي ﷺ وتحتل الصواب والخطأ. وما هو سنة الوحي التي لا تحتل إلا الصدق، وتوجب العلم، أو العلم والعمل. فقال: (وهاتان الوسيلتان هما: 1- ما صرح النبي ﷺ فيه بأن قوله عن ظن، أو اجتهاد. 2- ما لم يقره عليه الوحي فصوبه له، وما سوى ذلك وحي مطلق. سواء كان في أمور الدين، أو أمور الدنيا) وقال أ. د. شرف القضاة في ختام بحثه: (بعد استعراض طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، يتضح للقارئ أن هذه الأحاديث لا يمكن أن تكون من اجتهاد النبي ﷺ، ولا من بيئته، ولا هي من علوم الطب في عصره، ولذلك فإنها لا يمكن أن تكون إلا وحيا من عند ربه، وبهذا تتأكد القاعدة التي ذكرتها في بداية هذا البحث وهي: أن كل ما قاله رسول الله وحي من الله تعالى، إلا إذا جاءت قرينة كافية تدل على غير ذلك)².

ثانيا- أدلتهم: استدل أصحاب هذا الرأي بأدلة من النقل، وكلام العلماء نوضحها فيما يأتي:

1- الأدلة من الكتاب: مما يحتج به في هذا الباب³ قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) (النجم: 5) فإن قوله: (وما ينطق عن الهوى) عموم شامل بمقتضى اللغة لكل ما يخرج من فم النبي ﷺ من القول؛ سواء ما يتعلق بأمر الدين أو أمور الدنيا، فكل ذلك وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه الخطأ، ولا مدخل فيه لزلل، لقوله تعالى: إن هو إلا وحي يوحى. وكذلك أمر الله بأخذ جميع ما جاء به النبي ﷺ: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر: 7).

¹ آمال محمد حسن المصري، الحجامة في السنة النبوية، ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2013، ص 22

² هل أحاديث الطب النبوي وحي؟ (الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، ص: 30، أ. د. شرف محمود القضاة كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، مجلة مؤتة، جامعة مؤتة، 2002م.

³ سليم بن عيد الهلالي، الطب النبوي وحي أم تجربة، ص 23

وقد أمر الله بطاعة رسوله والرجوع إلى سنته عند التنازع: (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (النساء: 59) وعليه؛ فلا اختيار لأحد إذا ورد قول الله ورسوله: (وما كان لمؤمني ولا مؤمن إذا قضى الله ورسوله أما أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللاً مبيناً) (الأحزاب: 36)، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور: 63).

يقول الخطابي رحمه الله: (واعلم أن مصباح السعادة إتباع السنة والافتداء بالمصطفى في مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه وقعوده وكلامه، قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر: 7)، وأيضا قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: 31). وذلك شامل لجميع الآداب فعليك أن تلبس السراويل قاعدا وتعلم قائما وتبتدئ باليمين في نعلك وتأكل بيمينك وتعلم أظفارك مبتدئا بمسبحة اليد اليمن وتختم بإبهامها وفي الرجل بخصر اليمن وتختم باليسرى¹.

2- الأدلة من السنة: هناك في السنة أدلة عامة دلت على حجية السنة سواء اشتملت على أمور الدين كالأمور الغيبية والاعتقادية وأحكام العبادات والمعاملات أو على أمور الدنيا كالطب وغيره. وهناك أيضا أدلة خاصة تدل على حجية أحاديث الطب². ومن الأدلة: 1- قول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)³. في هذا الحديث الصحيح دلالة صريحة على حجية كل ما جاء به النبي ﷺ ومن جملة ما جاء به ما ورد عنه من أحاديث نبوية في أمور الطب والتداوي⁴.

¹ المناوي، عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط 1 - 1994 م ج 4 ص 477.

² كبير غوجي، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية، ص 145

³ المستدرک علی الصحیحین، - کتاب العلم، خطبته ﷺ في حجة الوداع، ج 1، ح 318، ص 93، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح 2937، ج 1، ص 566، وفي مشكاة المصابيح، ح 186، وفي السلسلة الصحيحة، ح 1761

⁴ كبير غوجي، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية، ص 145

أ- ما جاء عن عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : (كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَهَتَيْتِي قُرَيْشٌ ، وَقَالُوا : تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الرِّضَاءِ وَالْغَضَبِ ، قَالَ : فَأَمَسَكْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ¹) ، فهذا الحديث صريح: في أن كل ما قاله رسول الله حق لا يأتيه باطل، ولا يخالطه وهم، ولا يعتريه زلل ويدل على العموم أمور²:

- كتابة عبد الله بن عمرو ﷺ كل شيء قاله رسول الله ﷺ

- أمر النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بالكتابة بقوله : (اكتب)

- قوله ﷺ: (ما يخرج منه إلا حق صريح) في العموم .

- إبطال رسول الله ﷺ اعتقاد بعض قريش: أن كلامه في الرضا يختلف عن كلامه في الغضب .

ولا شك أن الطب النبوي مما خرج من فم رسول الله ﷺ فهو حق. قال الحافظ ابن حجر: (المراد بالإنزال هو: إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ مثلاً، أو عبر بالإنزال عن التقدير³)، وقال عبد اللطيف البغدادي: (الطب من السنة القائمة ؛ لأنه عليه السلام فعله، وأمر به⁴).

ب- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً⁵ . وهذا ما طبقه بعض الصحابة رضي الله عنهم حينما عملوا بوصاياهم ﷺ في بعض الحالات المرضية ، فعن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت توتى بالمرأة الموعوكة، فتدعو بالماء، فتصبه على جيبيها، وتقول: إن رسول الله ﷺ قال: (أبردوها بالماء؛ فإنها من فيح جهنم)⁶.

¹ المستدرک علی الصحیحین - کتاب العلم - الأمر بكتابة الحديث ، ج 1 ، ح 359 ، ص 105 ، وقال الحاكم: صحت الرواية عن عمر بن الخطاب. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ، رقم 1196 ، ص 262

² سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجرية ، ص 24

³ ابن حجر ، فتح الباري ، ج 10 ، ص 135 .

⁴ عبد اللطيف البغدادي ، الطب من الكتاب والسنة ، ص 79

⁵ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، ج 7 ، ح 5678 ، ص 122

⁶ مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الطب - في الماء للمحموم ، ج 12 ، ح 24136 ، ص 132 ، صحيح ، جامع الأصول من أحاديث الرسول ، ح 5651 ، ج 7 ، ص 528

قال الحافظ ابن رجب: (إذا صحت السنة بشيء وعمل بها الصحابة ؛ فلا معدل عنها)¹ ، وهذا مذهب المحدثين بعامه، ففي صحيح البخاري -مثلا-: (باب السعوط)، (باب الحمامة في السفر) ، (باب الحمامة من الشقيقة والصداع) ، وفي (السنن) نجد كتباً مفردة عن الطب²

ج- حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قَالَ: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ³

د- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)⁴. وهذه الأحاديث تدل على أن الله هو الذي أنزل الداء والدواء، قد يكون المقصود إنزال علم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله - فقال: (وفي مجموع هذه الألفاظ ما يعرف منه المراد بالإنزال وهو إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا، أو عبر بالإنزال عن التقدير)⁵ ، (ومما لاشك فيه أن النبي قد بين أنواعا من هذه الأدوية لأُمَّته وعلمها إياها كما يدل على ذلك أحاديث كثيرة، فكان بيانه لهذه الأدوية دليلا واضحا على حجية أحاديث الطب وأنها وحي من الله عز وجل، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزلها على رسوله وليست من اجتهاداته صلى الله عليه وسلم)⁶. ومن هذه أحاديث الطب التي بينها رسول الله لأُمَّته حديث الحبة السوداء كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله يقول: (فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَالسَّامُ: الْمَوْتُ، وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ)⁷.

¹ فتح الباري ، ج 7 ، ص 420

² سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجرية ، ص 25

³ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ح 2183 ، ج 3، ص 561 ، قال الترمذي: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ ، ح 4532 ، ج 2، ص 1281

⁴ صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ج 7 ، ح 2204 ، ص 21

⁵ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت، سنة النشر 1379، ج 10 ص 135 بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب

⁶ كبير غوجي ، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية ، ص 147

⁷ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الحبة السوداء ، ج 7 ، ح 5688 ، ص 124

وهذا يدل على أن ما صدر عن النبي ﷺ من الأحاديث التي تتعلق بالطب وحي من الله تعالى، إذ لا يمكن للنبي ﷺ أن يعرف أن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من طريق الوحي، لأن الله هو الذي أخبره بذلك، ولم يثبت أن النبي ﷺ تعلم الطب أو أخذه عن الأطباء بل أخذه عن رب العالمين¹.

هـ- ومن هذه الأحاديث الطبية التي بينها رسول الله ﷺ لأمته، ما يأتي²

- حديث ألبان البقر: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً ، فَعَلَيْكُمْ بِالْبَّعْرِ ، فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ)³.

- حديث العود الهندي: عن أم قيس بنت محسن رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ⁴ ؛ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، يُسْتَعَطُّ بِهِ مِنَ الْعُذْرَةِ⁵، وَيُلْدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ⁶)⁷.

- حديث شفاء عرق النساء⁸ عن أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (شَفَاءُ عِرْقِ النَّسَاءِ أَلِيَّةٌ⁹ شَاةٌ عَرَبِيَّةٌ تُدَابُّ ثُمَّ بُحْرًا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ فَتُشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ¹⁰) . وكل هذه الأحاديث تدل على أنها وحي أخذها عن رب العالمين، وليس من قبل نفسه¹¹.

¹ كبير غوجي ، أحاديث الطب ومنزلتها من الحجية ، ص 147

² المرجع السابق ، نفس الصفحة

³ صحيح ابن حبان - كتاب الطب - ذكر خبر أوهم غير المتبحر في صناعة العلم أن ألبان البقر نافعة لكل من به علة من العلل

، ج 13 ، ح 6075 ، ص 439 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث 518

⁴ هو القسط الأسود، وله حرارة شديدة،. انظر: ابن حجر، فتح الباري، المرجع السابق، ج 10 ، ص 148.

⁵ هو وجع الحلق، يأخذ الصبي في حلقه وقرحة تخرج بين الأنف والحلق، انظر: ابن حجر، فتح الباري ، ج 10 ، ص 168.

⁶ ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع من أخوف الأمراض. انظر: المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف

المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض 1988م، ج 2، ص 283.

⁷ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب السعوط بالقسط الهندي والبحري ، ج 7 ، ح 5692 ، ص 124

⁸ بفتح النون والسين ، هو: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ، أو هو: وجع يمتد من الورك إلى الفخذ كله في مكان منه

بالطول ، وربما يبلغ الساق والقدم ممتدا، سمي به لأن ألمه ينسى سواه. انظر: المناوي، المصدر نفسه، ج 2، ص 152.

⁹ وهي الجرة، ولا تكون إلا من الغنم. قال بعض أهل العلم: وذلك أن الشاة لا تكون إلا للذبح. ولا يقال للناقة والحمل، لأنما

يكونان لسائر العمل. انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ، اتحاد الكتاب العرب ط 2 1423

هـ 2002 م بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 1، ص 407.

¹⁰ المستدرک علی الصحیحین - کتاب الطب - علاج عرق النساء ، ج 4 ، ح 7552 ، ص 206 ، وصححه الألباني

في السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث 1899

¹¹ كبير غوجي ، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية ، ص 149

3- الأدلة من كلام العلماء: استدلووا بأقوال للعلماء للتدليل على صحة مذهبهم نذكر منها:

- قال الإمام الشافعي رحمه الله: (ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدا أخبر عن رسول الله إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة. وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم، كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة)¹

- وقال العلامة الشوكاني رحمه الله ، رادا على قول من قال: إن الاجتهاد فيه صواب وخطأ، فأجاب رحمه الله : (وَأَمَّا مَا اخْتَجَّ بِهِ الْمَانِعُونَ، مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ جَازَ لَهُ الْاجْتِهَادُ؛ لَجَازَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ. وَيَبَيِّنُ الْمُلَازِمَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي قَالَهُ بِالْاجْتِهَادِ هُوَ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْاجْتِهَادِ، وَمِنْ لَوَازِمِ أَحْكَامِ الْاجْتِهَادِ جَوَازُ الْمُخَالَفَةِ؛ إِذْ لَا قَطْعَ بِأَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، لِكَوْنِهِ مُحْتَمِلًا لِلْإِصَابَةِ، وَمُحْتَمِلًا لِلْخَطَأِ، فَقَدْ أُجِيبَ عَنْهُ بِمَنْعِ كَوْنِ اجْتِهَادِهِ يَكُونُ لَهُ حُكْمٌ اجْتِهَادٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ لَازِمًا لِاجْتِهَادٍ غَيْرِهِ، لِعَدَمِ اقْتِرَانِهِ بِمَا اقْتَرَنَ بِهِ اجْتِهَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ)²

- وقال العلامة علي بن سلطان محمد القاري في: (ثم من قال بأنه -عليه الصلاة والسلام- كان مجتهدا، ينزل اجتهاده منزلة الوحي؛ لأنه لا يخطئ، وإذا أخطأ ينبه عليه بخلاف غيره)³.

وقد حقق المسألة الإمام الشاطبي، فقال رحمه الله (فإن الحديث إما وحي من الله صرف، وإما اجتهاد من الرسول ﷺ معتبر بوحي صحيح من كتاب أو سنة ، وعلى كلا التقديرين لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله ؛ لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإذا فرع على القول بجواز الخطأ في حقه؛ فلا يقر عليه البتة، فلا بد من الرجوع إلى الصواب)⁴ .

¹ الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، اختلاف الحديث، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط1 1405 هـ - 1985 م بتحقيق عامر أحمد حيدر، ص 480

² محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ج 2 ، ص 219 ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا ، دار الكتاب العربي ، ط 1 ، 1999م

³ علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ح 4514 ، ج 1 ، ص 246 ، دار الفكر، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2002م

⁴ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) ، الموافقات ، ج 4 ، ص 464-465 تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط 1 ، 1997م

قلت¹: هذا هو الحق اللباب والصواب العجاب؛ فإن الوقائع الصحيحة تؤكد، و بهذا القيد الدقيق تقيده؛ فإن الرسول اجتهد؛ كما في قصة أسارى بدر، وفي الإعراض عن الأعمى: عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه، وفي الإذن للمخلفين؛ فسرعان ما ينزل الوحي يريه الحق حقا، ويرشده لإتباعه. وبهذا يكون الخلاف بين الفريقين خلاف لفظي شكلي؛ لأن النتيجة واحدة بحيث لا يقر النبي صلى الله عليه وسلم على خطأ، لأنه مؤيد بالعصمة، وبذلك يكون أمر السنة؛ كما قال الشاطبي: (كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من خير؛ فهو كما أخبر، وهو حق وصدق، معتمد عليه فيما أخبر به وعنه، سواء أنبى عليه في التكليف حكم أم لا، كما أنه إذا شرع حكما أو أمر أو نهى؛ فهو كما قال صلى الله عليه وسلم لا يفرق في ذلك بين ما أخبره به الملك عن الله، وبين ما نفث في روعه وألقى في نفسه، أو رآه رؤية كشف وإطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيفما كان؛ فذلك معتبر يحتج به، وينبني عليه في الاعتقادات والأعمال جميعا؛ لأنه مؤيد بالعصمة، وما ينطق عن الهوى)²، وهذا هو المذهب الصحيح الذي يجب على كل مسلم اعتقاده، لأنه هو مذهب الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الحديث والفقهاء، وهم يقبلون كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وبدون تفریق بين صدر عنه في الشرع وفيما صدر عنه في أمور الدنيا كالطب وغيره³.

¹ سليم بن عيد الهلالي، الطب النبوي وحي أم تجربة، ص 27

² الشاطبي، الموافقات، ج 4، ص 80

³ كبير غوجي، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية، ص 151

4- وقد رجع أصحاب هذا الرأي مذهبهم ، ووجهوا أدلة غيرهم بما يأتي:

- إن الله عز وجل بين لنا: أن كل ما صدر عن النبي ﷺ بوحي من عنده ، ولذلك فكل ما يخرج من فم النبي ﷺ من القول سواء ما يتعلق بأمور الدين أو الدنيا، فهو وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه لخطأ، ولا مدخل فيه الزلل¹. وإن عدم الاحتجاج بأحاديث الطب النبوي يؤدي إلى ضياع قسم كبير من السنة المطهرة. قال السيوطي: (وَالْأَحَادِيثُ الْمَأْتُورَةُ فِي عِلْمِهِ ﷺ بِالطَّبِّ لَا تُحْصَى، وَقَدْ جُمِعَ مِنْهَا دَوَاوِينُ، وَاخْتُلِفَ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَالْمُخْتَارُ أَنَّ بَعْضَهُ عِلْمٌ بِالْوَحْيِ إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، وَسَائِرُهُ بِالتَّجَارِبِ)².

- أن اجتهاد الرسول ﷺ ليس كاجتهاد المجتهدين؛ لأنه لا يقر على خطأ البتة؛ سواء أكان في أمور الدين أو الدنيا. ولعل قائلًا يقول: إن كون السنة وحيا من الله ينافي كون الرسول ﷺ مجتهدا على قول القائلين بذلك، والجواب: إن مسألة اجتهاد الرسول ﷺ مسألة أصولية خلافية. ولكن جمهور الأصوليين: ذهبوا إلى جواز وقوع ذلك منه ﷺ عقلا وشرعا، ولا يوجد ما ينفي ذلك إلا أفهام قوم قصروا عن إدراك الحق في هذه المسألة؛ فلم يستطيعوا الجمع بين الحقائق الشرعية الصحيحة؛ لأن في المسألة نكتة لطيفة لم يقع عليها إلا المحققون في هذا الفن، وهي أن: -اجتهاده ﷺ ينزل منزلة الوحي³. وذكر الشيخ سليم الهلالي عدة أدلة للانتصار لهذا الرأي ، أذكرها فيما يلي⁴:

- أن اجتهاده ﷺ ليس له حكم اجتهاد غيره

- أن طب النبي ﷺ ليس كطب سائر الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي النفع به، وطب الأطباء مظنون. يقول ابن القيم رحمه الله: (وليس طبه ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل. وطب غيره أكثره حدس وظنون، وتجارب ، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به ، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان)⁵.

¹ المرجع السابق ، ص 152

² علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ح 4514 ، ج 7 ، ص 2860.

³ كبير غوجي ، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية ، ص 152

⁴ سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجربة ، ص 26

⁵ ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 4 ص 30، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة الرابعة عشرة 1407 م - 1986 م بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

- الطب فعل من أفعال المكلفين، وإنما جاء الشرع الحنيف؛ ليضبط أفعال المكلفين ويحكمها ببيان ما يوجبه الله منها، أو ما يحرمه، أو ما يستحبه، أو يكرهه، أو يجيزه. وهذه هي الأحكام التكليفية الخمسة؛ فلا يخرج عنها أي فعل من أفعال المكلفين. ولذلك جاءت أحاديث تأمر بالتداوي، وأحاديث تصف بعض الأدوية، وأخرى تحرم قسما آخر... إلخ.

- الأفعال التي صدرت عن رسول الله ﷺ بقصد التشريع كلها تدخل ضمن السنة؛ لأننا نستفيد منها أحكاما شرعية أذناها الإباحة، وما كان كذلك؛ فلا بد أن يكون وحيا يوحى .

- هذه الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب بنى عليها الفقهاء أحكاما فقهية كثيرة، مما يدل على أنها عندهم من الشرع الحكيم الذي أوحى الله به إلى رسول الله محمد ﷺ .

- الله سبحانه أنزل الداء والدواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وما يتعلق بأمر الداء والدواء الموجودة في السنة النبوية؛ إنما هو بتعليم الله لرسوله ﷺ (علمه، شديد القوى) (النجم: 5)؛ ولأن الرسول ﷺ لم يتلق علما من عند غير الله؛ إذن لارتاب المبطلون: (وما كنت تتلو من قبله، من كتاب ولا تحطه، يمينك إذا لارتاب المبطلون) (العنكبوت: 48).

- أن الحقائق العلمية والطبية الواردة في السنة اشتملت على أدلة دامغة أيدها العلم الحديث، وهذا التوافق العجيب بين الأحاديث النبوية ومكتشفات العلماء في حقول الطب، وفي ضوء التقدم العلمي المذهل يؤكد للعالمين: أن قائل هذه الأحاديث الصحيحة في ذلك الزمان لا يكون إلا نبيا يوحى إليه من رب العالمين.

- كثير من الباحثين المعاصرين أهل الاختصاص بالعلم التجريبي والصناعة الطبية وجدوا في هذه الأحاديث النبوية حقائق علمية مذهلة أثبتتها التجارب المخبرية، ولذلك أسسوا لها هيئة علمية متخصصة في الإعجاز العلمي للكتاب والسنة، ينتسب إليها عشرات من العلماء، لهم مكانة علمية مرموقة، ودرجات أكاديمية عالية، مما يدل دلالة لا لبس فيها، ولا غموض يعتريها: أن الأحاديث الطبية عندهم من باب الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ، وأنها من معجزاته، ودلائل نبوته .

وذكر الباحث كبير غوجي عدة أدلة -أيضا- للإنتصار لهذا الرأي، منها¹:

¹ كبير غوجي، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية، ص 154

- إن الذين يستندون إلى الأحاديث النبوية - بقولهم عدم مصدريتها - يحكمهم نفس المنطق الذي يحكم العلمانيين الذين دأبوا على الدعوة إلى فصل الدين عن الدنيا، وأن الدين ما هو إلا علاقة بين العبد وربه، ولا يتعدى حدود المسجد، فلا علاقة للدين بأمور السياسة والحكم والتشريع، ولا علاقة للدين أيضا بأمور الطب والزواج والطلاق والبيع والشراء والعقود وغيرها من الأمور التي تتعلق بالدنيا. لذلك فالذين أرادوا الطعن في أحاديث الطب، بقول: أنها ليست بحجة وأنها ليست من الوحي في شيء، لأنها تتعلق بأمور الدنيا التحريية التي قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ فيها، تشابهوا وإن لم يقصدوا - مع أعداء الدين من هؤلاء العلمانيين المرتدين الذين يحاولون هدم الدين

- أنه ليس في هذه الأحاديث حجة لهم، بل هي حجة عليهم، لأن الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين فهموا من كلامه ﷺ أنه على العموم، ولذلك تركوا تأبير النخل، والنبى ﷺ لم ينكر عليهم هذا الفهم، إنما أنكر عليهم عملهم بظنه المعارض بما يعلمونه حيث قال ﷺ (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ¹. وقد أكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (وهو لم ينههم عن التلقيح، لكن هم غلطوا في ظنهم أنه نهاهم، كما غلط من غلط في ظنه (أن الخيط الأبيض) و (الخيط الأسود) (البقرة: 187)، هو الحبل الأبيض والأسود) ².

- أن قوله ﷺ: (ما أظن يغني ذلك شيئا) .. يدل على أن قوله ﷺ كان ظنا وليس خبرا متيقنا، وهكذا بالنسبة لهم فلم يكن خبرا، وإنما كان ظنا؛ كما بينته الروايات الصحيحة، لذلك فهو ليس من باب أخباره ﷺ التي تكون شرعا؛ بل هو من باب المشورة عليهم في الأخذ بالتجربة في سبب عادي ليس من الأمور الشرعية، ولا مما قصد به الإخبار عن أمر يعلمه. بخلاف أحاديث الطب فإن جميعها كانت من أخباره المتيقنة، ولذلك فلا حجة على عدم حجية الأحاديث الطبية. وقد أكد هذا المعنى الإمام النووي فقال: (قال العلماء قوله ﷺ من رأيي: أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورآه شرعا يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله إلى أن قال قال العلماء ولم يكن هذا القول خبرا وإنما كان ظنا كما بينه في هذه الروايات) ³

¹ سبق تخرجه

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 8، ص 12

³ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392 هـ ج 15 ص 116

- أن قوله ﷺ: (فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل¹) وقوله: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَمَا قُلْتُ فِيهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُخْطِئُ²)، يبين النبي ﷺ في هذا الحديث ما الذي نأخذ به، وما الذي لا نأخذ به، فمقتضى القسمة في هذا الحديث أن كل ما جزم به النبي ﷺ فهو من عند الله، ويجب علينا الأخذ به، - كأحاديث الطب فإنه قد جزم بها بخلاف ما ظنه و لم يجزم به كقصة تأبير النخل- فهو ليس من عند الله، فلا يجب علينا الأخذ به بمقتضى الحديث، وليست القسمة كما فهمها هؤلاء: أن كل ما كان من أمور الدنيا مطلقاً فهو إلينا، وما كان من أمور الدين فهو إليه ﷺ. أو قد يكون المراد أنهم أعلم بشؤون دنياهم فيما لم يبينه النبي ﷺ ولم يشرعه لهم، بل ترك الأمر إليهم وإلى علمهم بظاهر الحياة الدنيا. وأما قوله: (وما قلت فيه من قبل نفسي) أي بالظن بقربنه سياق القصة، حيث كانت في الحرص والتخمين، وهما من الظن. ولقد أخبر الرسول ﷺ عن ظنه، وكذلك كان ظنه، فالخبر صدق قطعاً، أما بالنسبة لهم فلم يكن خبراً، وإنما كان ظناً؛ كما بينته الروايات الصحيحة لذلك؛ فهو ليس من باب اجتهاده ﷺ الذي يراه شرعاً، فهذا يجب العمل به، ومع ذلك، فلم يقر الخطأ³. قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ من رأيي: أي في أمر الدنيا ومعاشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ﷺ ورآه شرعاً؛ يجب العمل به، وليس أبار النخل من هذا النوع؛ بل من النوع المذكور قبله، مع أن لفظة (الرأي) إنما أتت بما عكرمة على المعنى؛ لقوله في آخر الحديث: قال عكرمة: أو نحو هذا؛ فلم يخبر بلفظ النبي محققاً، قال العلماء: لم يكن هذا القول خبراً، وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات⁴.

¹ سبق تخريجه

² مسند البزار - مسند ابن عباس رضي الله عنهما - طاوس عن ابن عباس ، ج 11 ، ح 4726 ، ص 42 ، قال الهيثمي : رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، أَنْظَرَ مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ ، ح 833 ، ج 1 ، ص 178

³ شرح النووي على صحيح مسلم، ج 15 ، ص 116-117.

⁴ سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجربة ، ص 30

المطلب الثاني: مذهب القائلين بعدم حجية أحاديث الطب النبوي:

أولاً- بيان مذهبهم: رأى فريق من العلماء أن السنة النبوية حجة في ما يتصل بأمر الدين، كالأمر الاعتقادية، وأحكام العبادات والمعاملات وغيرها من أمور الشريعة. أما الأمور الدنيوية -مثل الطب - فلا يلزم أن تكون أقواله مطابقة للواقع، لأنه لا صلة لهذا الأمر بمقام النبوة. بل قد يقع الخطأ في ذلك القول قليلاً أو كثيراً، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو، ومن العلماء الذين ذهبوا إلى هذا القول القاضي عياض و ابن خلدون¹. قال القاضي عياض: (فصل: فأما أحواله في أمور الدنيا؛ فنحن نسبها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل: أما العقد منها؛ فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع (ثم ذكر حديث تأبير النخل)، وهذا على ما قرناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سننها، فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه؛ إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محط، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همهم وشغل نفسه بها، والنبى ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية؛ ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه من المعرفة بأمر الدنيا، ودقائق مصالحها، وسياسة فرق أهلها؛ ما هو معجز في البشر، مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب)².

¹ كبير غوجي، أحاديث الطب ومنزلتها في الحجية، ص 140

² عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج2، ص 416-417، دار الفيحاء - عمان، ط2، 1407هـ

وقال ابن خلدون: (وللبادية من أهل العمران طب بينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، ويتداولونه متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي، ولا عن موافقة المزاج، وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون؛ كالحارث بن كلدة وغيره. والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل؛ فإنه إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم...)؛ فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه؛ اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية، كما وقع في مداواة المبطن بالعسل ونحوه، والله الهادي إلى الصواب، لا رب سواه¹ .

وكل من جاء بعدهما لا يخرج كلامه عن فحوى كلامهما، أو استدلالهما².

وإلى هذا الرأي ذهب الشيخ محمد المختار السلامي، مفتي الجمهورية التونسية، فيقول في ذلك³: (إن إشارة الرسول ﷺ على بعض أصحابه بتناول نوع من أنواع الأدوية المادية، بعد ثبوت صحة الحديث، لا يخلو أمر تلك الإشارة من أن تكون تبليغا لوحي أوحاه الله إليه، أو اجتهادا منه أو اقتناعا بما كان معروفا عند بعض أهل الطب من بني قومه وعلمه. فإذا كان إخبارا بما علمه من تجارب عصره فليس في هذا ما يدل على حكم شرعي، ولا هو من قبيل ما يشرع به الاقتداء لا وجوبا ولا ندبا. وإذا كان نتيجة اجتهاد في أمر دنيوي فهو غير دال على العصمة فيه. وإذا انتفت العصمة من الخطأ التي ضمنها الله لرسوله في التشريع خاصة وفي تبليغ الوحي، إذ انتفت العصمة فالإتباع لم يشرع.... ثم

¹ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج1 ، ص 651 ، تحقيق ، خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1998م

² سليم بن عيد الهلالي ، الطب النبوي وحي أم تجربة ، ص 22

³ د. محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 13

ثم يقول: (إن إعتبار ما نقله الصحابة رضوان الله عليهم، من وصف رسول الله ﷺ للأدوية أو التنويه ببعضها لا يحمل على الأمر أنه تشريع، إذ اعتبار ذلك مستندا إلى الوحي قد كان سببا للطعن في صحة السنة، أو تجاوز ذلك إلى الطعن في رسول الله ﷺ في مهمته الأولى أعني الرسالة، لأن الدواء والتمريض المادي لا يقفان عند حد، وما يكشف اليوم من أدوية خاضع لسنة التطور القائمة دوما على مراجعة التجربة لزيادة الضبط والتأكد وإصلاح الأخطاء الماضية، ما أظن أن علم الطب وقف في شعبة من شعبه ليقول قد وصلت إلى النهاية ولا مطمع في الزيادة) ، وأخيرا يقول: (بينما التشريع والعقيدة قد بلغ الغاية (اليوم أكملت لكم دينكم) (المائدة: 3)، فخلط الكامل بالناقص وإجراؤها في سكة واحدة بمعايير واحدة ليس سليما بداية وغاية)¹.

وأصحاب هذا الرأي يقولون: (إنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، وقالوا: ليس في ذلك حط من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به، لأن منصب النبوة منصب على العلم بالأمور الدينية من الاعتقاد في الله وملائكته ورسله واليوم الآخر، ومن الأمور الشرعية. أما أن أعتقد أن فلانا مظلوم فإذا هو ظالم، أو أن دواء معين يشفي مرضا معيناً، فإذا هو لا يشفي منه، وأن تدبيرا زراعيا أو تجاريا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هو لا يؤدي إليه، أو يؤدي إلى عكسه، أو أن تدبيرا عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، يدفع ضررا معينة، فإذا هو لا يفعل، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل بالنبوة، بل هو يعتقد من حيث هو إنسان، له تجاربه الشخصية ، وتأثيراته بما سبق من الحوادث، وما سمع أو رأى من غيره، مما أدى إلى نتائج معينة، فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما أو اعتقد)². (وهناك أشياء جاءت عن رسول الله ﷺ قالها كونه عربيا يعيش في بيئة العرب ، يتعلم من قومه ، وكان خير معلمومن هنا جاءت وصفات عن النبي ﷺ لبعض الأشياء كأدوية لبعض الأمراض ...أمر يقيني من غير شك ، وهناك من السنة تشريع ، وما ليس بتشريع ، وهناك ما هو تشريع عام ودائم ، ومنها ما هو خاص وزمني ،...ومن المؤكد والمجمع عليه أن الرسول ص لم يبعث ليعالج الناس بالطب ، وليس مهمته ...إنما مهمته الهداية)³.

¹ السلامي، محمد المختار: الطب النبوي - أبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي، الكويت، ص 93- 94

² د. الأشقر، مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية ، ص 109- 110.

³ آمال محمد حسن المصري ، الحجامة في السنة النبوية ، ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، 2013 ، ص 31

ثانياً-أدلة أصحاب هذا الرأي: استدل القائلون: بأن ما صدر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال دنيوية ليست تشريعاً، وإنما صدرت منه ﷺ بصفته البشرية وليست النبوية، بالأدلة التالية:

1- ما رواه الإمام مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: (مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: يُلْفَحُونَهُ ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْفَحُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَظُنُّ يُعْنِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ¹ .

2- وفي رواية عن رافع بن خديج قال: (قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُؤَبِّرُونَ النَّخْلَ - يَهْوُلُ يُلْفَحُونَ - قَالَ : فَقَالَ : مَا تَصْنَعُونَ ؟ فَقَالُوا : شَيْئًا كَانُوا يَصْنَعُونَهُ ، فَقَالَ : لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا ، فَتَرَكُوهَا فَفَنَقَصَتْ ، أَوْ نَقَصَتْ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ ﷺ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا حَدَّثْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) ²

3- وفي رواية أنسٍ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْفَحُونَ ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ . قَالَ: فَخَرَجَ شَيْئًا ، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا . قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) ³ .
وأن تمام القصة الروايات الثلاث التي رواها أصحابه، طلحة ورافع بن خديج وأنس بن مالك، تؤكد نفي العصمة فيما كان من أمور الدنيا لا يرجع إلى الوحي، وإنما تصرف فيه ﷺ بوصف البشرية ⁴

4- حديث أم سلمة رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَحِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ) ⁵

¹ صحيح مسلم ، كتاب الفضائل،باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ج 7، ح 2361، ص 95
² صحيح ابن حبان - المقدمة - باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلا وأمرا وزجرا - ذكر البيان بأن قوله صلى الله عليه وسلم فما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، ج 1 ، ح 23 ، ص 203
³ صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ج 7، ح 2363 ، ص 95
⁴ د.محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 13
⁵ صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب موعظة الإمام للخصوم ، ج 9 ، ح 7169 ، ص 69

5- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان رسول الله ﷺ يطوف في النخل بالمدينة فجعل الناس يقولون: فيها صاع فيها وسق فقال رسول الله ﷺ فيها كذا وكذا ثم قال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب)¹. إن الناظر للألفاظ التي ورد بها الحديث، (لعلكم لو لم تفعلوا)، (ما أظن)، (لو لم تفعلوا). يتأكد تماماً على أن ما قاله النبي ﷺ إنما هو من قبيل الظن، والاجتهاد، والرأي. وأنه ليس وحي من عند الله عز وجل، فهي تدل على الشك، والظن، وليس على الجزم، واليقين.

قال القاضي عياض: (وقول النبي ﷺ هاهنا للأنصار في النخل ليس على وجه الخبر الذي يدخله الصدق، والكذب، فينزه النبي ﷺ عن الحلف فيه، وإنما كان على طريق الرأي منه ﷺ؛ ولذلك قال لهم: (فإني إنما ظنت ظناً، أنتم أعلم بأمور دنياكم)².

3- الأدلة من كلام أهل العلم: إستند أصحاب هذا الرأي -القائلون بعدم مصدريّة الأحاديث الطبية النبوية- إلى من أقوال بعض العلماء والباحثين، نذكر منهم:

أ-يقول محقق كتاب موسوعة الطب النبوي للأصفهاني³: وبإلقاء نظرة عامة، فإنه يبدو من البديهي أن رسول الله ﷺ كان له عناية بالمعلومات الطبية وحصل عليها في المرحلة التي تقدّمت النبوة من حياته لأن المشاكل الصحية تفرض نفسها في كافة المجتمعات وبالتالي فإن أي إنسان يستطيع أن يحصل على بعض المعلومات الطبية. ومن هذه الناحية فإنه يمكن توضيح هذا الموضوع توضيحاً صائباً، بأن النبي ﷺ قد اقترح في مرحلة ما بعد النبوة بعض المعالجات، مستفيداً من معلوماته وتجاربه السابقة حول الطب، إلى جانب بياناته الواردة حول مواضيع مختلفة كثيرة، ولا بد إلى جانب ذلك من التذكير بأن هناك نقطة هامة أخرى، هي أن الدين لا شك قد تعرّض للمواضيع الصحية أيضاً، من حيث إنها عبارة عن مجموع الأوامر والنواهي والتوصيات التي أوحاها الله إلى نبيه ﷺ كي ينال الناس من خلالها سعادتي الدنيا والآخرة يعني بذلك أن للمواضيع الطبية أقساماً تستند إلى الوحي. فمثلاً إن الأحاديث التي تبين الحكم الديني حول التداوي وتحريم الرقى التي تتضمن الشرك لا شك في أنها تفيد حكماً

¹ سبق تخريجه

² إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ج7، ص 324

³ الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 111

منهله الوحي. وبالنتيجة فإنه يبدو من الصواب تصنيف الأحاديث المتعلقة بالطب حسب مصادرها وتناول هذه المصادر تحت عنوانين رئيسيين هما: المستمدة من الوحي، وغير المستمدة من الوحي¹. المصادر المستمدة من الوحي: - المواضيع الداخلة في مجال الحكم الشرعي: إن النبي ﷺ قد أرسل من حيث الأصل لتبليغ أوامر الله ونواهيه. فمن الطبيعي إذاً قيام الدين بتبليغ أوامر ونواه حول المواضيع الصحية وتبیینها أيضاً كواجب من الواجبات. ولعل أحسن مثال لذلك هو هذا الحديث؛ قال عوف بن مالك: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: (كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بِأَسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ)². وكما رأينا³ في الحديث المذكور فإنه قد سئل رسول الله ﷺ عن الحكم الديني للرقية أي التداوي عن طريق قراءة بعض الأدعية. فبيّن أنه تجوز الرقية ما لم يكن هناك شرك. وللتحديد حول ما إذا كان هناك شرك، طلب منهم أن يُروه الرقى التي كانوا قد فرأوها. ولا شك في أن هذا الحديث متعلق بالطب، إلا أن مصدر الحكم الذي قضى به النبي ﷺ هو الوحي. وبالتالي فإن هذا الحديث يفيد حكماً دينياً. وعلى كل مؤمن أن يعتبره أساساً ملزماً وضرورياً، حتى إننا نرى⁴ أنه قد بيّن في مصادر الحديث الحكم الديني للتداوي أي علم الطب نفسه. فقد روي عن عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَهُنَا، وَهَهُنَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَدَاوَى؟ فَقَالَ: تَدَاوُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمِ)⁵. وخلاصة القول هي أن رسول الله ﷺ المبعوث لتبليغ أوامر الدين ونواهيه، قد قضى في بعض المسائل الطبية ذات العلاقة بمواضيع الأوامر والنواهي، مستمداً مما تلقاه من الوحي، فهذه الأحكام ملزمة ومتحتمة⁶.

¹الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 112

²صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ج 7، ح 2200، ص 19

³الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 113

⁴المرجع السابق، ص 113

⁵سنن أبي داود - كتاب الطب - باب الرجل يتداوى، ج 4، ح 3850، ص 1

⁶الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 113

-المواضيع المستمدة من الوحي بمقتضى مكانة النبي ﷺ: إن خاتم الأنبياء محمداً ﷺ قد قاد المجتمع الإسلامي كرئيس للدولة، إلى جانب قيامه بتبليغ دين الله أي الوحي الذي قد تلقاه وقد أدت ميزته هذه إلى بيانه للأحكام المستندة إلى الوحي فيما يتعلق بمواضيع الصحة العامة¹، ويمكننا ذكر هذا الحديث مثالا لذلك ، حديث أسامة بن زيد قال- ذكر الطاعون عند رسول الله ﷺ-فقال: (الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ)². فهذا الحديث يشير إلى تطبيق الحجر الصحي وينبئ عن مبدأ هام فيما يتعلق بالصحة العامة ، فإنه إذا نظرنا³ إلى أن النبي ﷺ كان متصفاً في الوقت نفسه برئاسة الدولة، يصير الموضوع أكثر وضوحاً، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: (لَا عَدْوَى⁴ وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ⁵ وَلَا صَفَرَ⁶ وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ⁷) .

ونلاحظ أنه قد تجمّع في هذا الحديث المعلومات الطبية التي تنهل من الوحي، حيث ينفي الشرط الأول من الحديث المذكور بطلان ما كان يعتقد العرب بصحته في الجاهلية من المفاهيم الطبية شرعاً. أما في الشرط الثاني من الحديث نفسه، فقد أشير إلى الحجر الصحي الذي طلب رسول الله ﷺ مراعاته على الإطلاق كخليفة للمسلمين⁸.

¹الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي ، ص 113

²صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان ، ج 4 ، ح 3473 ، ص 175

³الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي، ص 114

⁴كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن أي مرض وخاصة الجرب يمكن أن يُعدي بمجرد النظر أو الدعاء، أي بدون سبب ويسمونه العدو. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج4، ص1068

⁵الهامة تعني طائر البوم. فعرب الجاهلية كانوا يعتقدون أن روح القتيل تتحوّل إلى هامة تصرخ فوق قبر صاحبها إلى ان يُؤخذ ثأره. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج4، ص 536

⁶كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن حيّة تحدّث في جوف الإنسان وتمرضه. فإذا جاءت مضغت أحشاء المريض وأوجعته. وكانوا يسمونها الصفر. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج2، ص473

⁷صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الجذام ، ج 7 ، ح 5707 ، ص 126

⁸الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي ، ص 114-بتصرف-

-المصادر غير المستمدة من الوحي: السنة المستمدة من الاجتهاد النبوي، أي التي مصدرها بشري، إلا أننا لن نناقش التقسيم نفسه¹، لأن بعض العلماء يزعمون أن جميع أقوال النبي ﷺ وأفعاله مستندة إلى الوحي، بينما الجم الغفير منهم على أنه يلزم تناول السنة داخل إطار التقسيم المذكور². ولذا يلزم أن نتناول أيضاً الأحاديث الطبية داخل هذا التقسيم. فمثلاً إن الخطابي (388هـ) الذي هو من شراح الحديث الأوائل، قد قام بالبيان التالي حول الموضوع: ينقسم الطب عنده إلى قسمين³:

-الطب القياسي: وهذا هو الطب اليوناني الذي يطبقه الناس في أماكن مختلفة من العالم.

- الطب التجريبي: وهذا طب العرب و الهند.

وأكثر الطرق التي ذكرها النبي ﷺ لقصد التداوي، فإنه حسب طب العرب التجريبي.

إننا حينما نقوم⁴ بالبحث حول أحاديث النبي ﷺ نرى أن هناك روايات كثيرة تتعلق بالطب ولكن دون أن تستند إلى الوحي. ونعتقد أنه لا بد من التمييز تمييزاً دقيقاً بين هذا النوع من الأحاديث وبين ما هي مستمدة من الوحي والتي لها الحكم التشريعي، لأن ذلك النوع مجرد حصيلة لمعرفة النبي ﷺ وتجربته البشريتين حيث يبدو هذا الأمر بدهاية نتيجة القيام ببحث متقن حول تلك الأحاديث. أما الأمر الأكثر لفتاً للانتباه في هذا الموضوع فهو عدم وجود أي حديث صحيح يقضي بلزوم أخذ المعارف الطبية من الوحي، إلا أن المواضيع التي أولاهها النبي ﷺ الاهتمام كشارع يبدو أنها قد تمحورت حول أخذ التدابير الفردية والاجتماعية ومراعاة النظافة وتجنب المعتقدات الباطلة والبحث عن طرق التداوي عند ظهور أي مرض من الأمراض، فلا بدّ إذاً من تصنيف هذين الحديثين وما شاكلهما، ضمن معرفته وتجربته البشريتين، كما أسلفناه⁵: (عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ؛ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، يُسْتَعْتَبُ بِهِ مِنَ الْعُدْرَةِ، وَيُلْدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ)⁶. (الْكُمَاهُ مِنَ الْمَرْ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)⁷.

¹ الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 108

² أنظر أبو شهبه محمد، الدفاع عن السنة، ص 241-353

³ الأصفهاني، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د. مصطفى خضر دونمز التركي، ص 108

⁴ المرجع السابق، ص 114

⁵ المرجع السابق، ص 115

⁶ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب السعوط بالقسط الهندي والبحري، ج 7، ح 5692، ص 124

⁷ مسلم، الأشربة، 157؛ أبو نعيم، الطب النبوي، رقم الحديث: 656-665

كما أنه يؤيد هذا الرأي الحديث الذي نقلناه سابقاً¹: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)².

وخلاصة القول أن بعض الأدوية التي أوصا بها النبي ﷺ لبعض الأمراض، نبتت عن معرفته وتجربته الشخصيتين ولم تنشأ من المعلومات التي هي وليدة الوحي، فليست ملزمة إلزاماً شرعياً، وأما الأحاديث المتعلقة بمبادئ الطب وما يدخل المجال الحكم الشرعي ، هي حصيلة الوحي³.

ب- ويصنف الدكتور الأشقر الأحاديث الواردة في شأن الطب والعلاج إلى نوعين⁴ :

النوع الأول : وهو ما ورد من الأحاديث في الطب ويعتبر شرعاً يتبع، ويشمل فئات :

الفئة الأولى: وتشمل ما يلي:

- ما كان من الأحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب والمعالجات وتناول الأدوية، فهذا النوع شرع يتبع، من هذه الأحاديث: (يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً ، أَوْ قَالَ : دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: الْهُرْمُ)⁵ ، وهناك أحاديث أخرى بهذا المعنى، ومثلها الأحاديث التي تفيد أن النبي ﷺ كان إذا مرض يتداوى، وربما سأل الأطباء عن دواء مرضه، وكانت وفود العرب تصف له الأدوية، فكانت عائشة رضي الله عنها تعالج له تلك الأدوية. فكل ذلك يشير إلى أن الطب من حيث الأصل مشروع، والتداوي مطلوب شرعاً، فليس هو حراماً ولا يخالف عقيدة الإسلام ولا شريعته .

¹ الطب النبوي الأصبهاني تحقيق رسالة دكتوراه ، ص 115

² صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا، ج 7، ح 2363 ، ص 95

³ الطب النبوي الأصبهاني تحقيق رسالة دكتوراه ، ص 115

⁴ د. محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 16

⁵ جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ج 3 ، ح 2038 ، ص 561 ، قال الترمذي : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

-ومنها حديث أبي رزمة قال: فَقَالَ لَهُ أَبِي: (أَرِنِي هَذَا الَّذِي بَطَّهْرَكَ، فَإِنِّي رَجُلٌ طَيِّبٌ قَالَ: اللَّهُ الطَّيِّبُ بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ زَفِيْقٌ ، طَيِّبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا)¹، هذا الحديث إقرار للعمل بالطب، وفيه التنبيه إلى قوى البرء المركبة في البدن الإنساني في أصل خلقته، وأن مهمة الطبيب الرفق بالمريض لإتاحة الفرصة لهذه القوى كي تعمل عملها .

الفئة الثانية: وتشمل أحاديث فيها توجيهات شرعية متعلقة بالتداوي وشؤون المرضى: من ذلك حديث البخاري عن الصحابية ربيع بنت معوذ، قالت: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الْجُرْحَى وَنَرُدُّ الْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ)² وفيه جواز مداواة المرأة للجرحى الرجال .
-ومنها أحاديث الأمر بعيادة المريض .

- ومنها أحاديث النهي عن التداوي بالمحرمات .

الفئة الثالثة: وتشمل أحاديث أبطلت أنواع من المعالجات، كانت سائدة في الجاهلية تنافي الاعتقاد الإيماني، لأنها ليست أسبابا حقيقية للشفاء، كتعليق الخرز والرقي المجهولة .

الفئة الرابعة: وتشمل أحاديث نبوية أمرت بأدوية ومعالجات ربطتها بأحكام تعبدية وشعائر دينية ، من ذلك أحاديث السواك، الدعاء للمريض وحديث داوود مرضاكم بالصدقة .

الفئة الخامسة: وتشمل أحاديث مبنية على النص القرآني، من ذلك أحاديث التداوي بالعسل، وأكل الزيت والدهن به .

الفئة السادسة: وتشمل أحاديث فيها ذكر أدوية أو معالجات يخبر النبي أنه علمها بطريق الوحي، أو إخبار الملائكة إن الله يحبها أو يكرهها ونحو ذلك.

¹ سنن أبي داود - كتاب الترجل - باب في الخضاب ، ج 4 ، ح 4207 ، ص 138 ، إسناده صحيح ، أنظر: جامع الأصول تخریج أحاديث الرسول ، ح 2865 ، ج 4 ، ص 739

² صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، ج 4 ، ح 2882 ، ص 34

النوع الثاني: وهو ما لا حجة فيه من أحاديث الطب: وهو سائر الأحاديث النبوية الواردة في الطب والعلاج وليس فيها ما يشعر أنها من قبل الله تعالى، أو أنها من قبيل الشرع، ويذكر أكثر من ثلاثين حديثاً، يقول بعدها¹: (فهذه الأحاديث المذكورة في هذا النوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صلب الأمور الطبية والعلاجية لا ينبغي أن تؤخذ حجة في الطب والعلاج، بل مرجع ذلك إلى أهل الطب، فهم أهل الاختصاص في ذلك)، فشؤون الطب الصرفة هي من هذا الباب، وأهل الطب هم أهل الخدق والمعرفة بها، وإليهم المرجع في هذا الباب، ثم يقول (لأنها لا تدخل في الفئات الست المذكورة في النوع الأول، فذلك على الأصل في الأحاديث الواردة في الشؤون الطبية. لكن قد يبدو لبعض أهل العلم في شيء منها ملحظ صحيح يكون قرينة على أنها تشريع فتخرج بذلك عن أن تكون من هذا النوع الثاني، وتدخل في النوع الأول وتعتبر حجة في باب الطب كما ظهر لنا في الفئات الست. والله أعلم)، ويقول أيضاً: (إنه وإن قلنا، في أحاديث هذا النوع الثاني وأمثالها، إنها ليست حجة في الأمور الطبية، فإنه لا ينبغي مع ذلك إطرأها بالكلية، بل ينبغي أن تثير احتمالاً بالصحة، كسائر الأقوال الطبية الماثورة عن أهل التجارب والمعرفة من غير أهل الاختصاص، بل هي أولى منها للشبهة في أنها قد تكون مبنية على الوحي، ولو كانت شبهة ضعيفة...)، ويضيف: (ولذا أرى أن تخضع للتحليل والتجارب على الأسس المتعارف عليها عند أهل الاختصاص، فإن وجدت صالحة أدخلت حيز العمل)، (وإن لم يثبت صلاحها أو ثبت ضررها فلا مانع من بيان ذلك للجمهور لئلا يستمر العمل بها²).

ج-وقد صنف عبد الستار أبو غدة أحاديث الطب من حيث مجالها في الطب، أصناف، هي³:

- أحاديث تتضمن قواعد عامة للعلاج، كالتداوي وأدب الطبيب وأحكامه وأحكام الأدوية.
- أحاديث تتضمن تطبيقات علاجية عامة، كالعلاج بالعسل والتمر والحجامة.
- أحاديث تتضمن تطبيقات علاجية لأمراض خاصة، كعلاج السحر والحمى والسم.
- أحاديث العلاجات الروحية كالرقية وعلاج الهم.
- أحاديث وقائية - أحاديث في آداب عيادة المريض.

¹ د. محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، ص 18

² د. محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، ص 18

³ قاسم عمر حاج محمد، الطب النبوي وقواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، ص 88

د- رأي طبي معاصر حول مصدرية الطب النبوي: يذهب مؤلف كتاب الطب النبوي بين الفقيه والطبيب الدكتور عمر عبد الرحمن الحمادي¹ إلى رأي صريح حول مصدرية الطب النبوي ، فيعتبره طباً بشرياً ، وليس وحياً إلهياً المصدر ، مستدلاً بأقوال بعض العلماء المتقدمين ، وأراء الطب الحديث فيقول² : نتساءل هل كان علماء المسلمين مجمعين على إلهية الطب النبوي؟ ثم يذكر رأي ابن خلدون بقوله: صدم ابن خلدون المجتمع الذي يعيش فيه والتراث الذي سيورثه لمن بعده برفضه فكرة إلهية الطب النبوي ... ويستدل لذلك بحديث: (أنتم أعلم بأمر بدنياكم)³. ثم يذكر المؤلف قول الشيخ محمد أبو زهرة ، معلقاً على الحديث السابق بقوله: (إن هذا الحديث يتعلق بالصناعات ، وفنون الزراعة، وتشمير الأشجار، فهل يتصور أن النبي ﷺ يمكن أن يكون حجة وذا خبرة في فنون الزراعة والتجارة، وصناعة الزجاج والجلود، ونسج الأقطان والحزير، وغير ذلك مما يتعلق بالمهن المختلفة) ، فالطب الذي يتكون من علم فسيولوجية الأعضاء والتشريح والأدوية والكائنات المجهرية وعلم الأمراض والنساء الولادة والأطفال والنفسي والجراحة والقلب والكلى والكبد والأورام والدماغ، وعلوم الفضاء والكون والزراعة والهندسة والجيولوجيا والجغرافيا والطاقة والفيزياء والكيمياء والرياضيات، هل هذه العلوم من دنيانا، أم هي من آخرانا؟ يكفينا ابن خلدون الإجابة في الفقرة المنقولة أعلاه ، وواضح جداً أنه لا يرى صلة للطب بالوحي، بل هو مجموعة من الموروثات الجبلية التي انبثقت من البيئة العربية التي كان يعيش فيها رسول الله، فهو لم يبعث لكي يعلم الناس الطب حتى يكون هناك علم قائم بذاته يسمى لاحقاً بالطب النبوي ويقدمس كما تقدس نصوص القرآن⁴ ..

¹ من مواليد مدينة خورفكان في دولة الإمارات ، بكالوريوس طب وجراحة ، الكلية الملكية للجراحين في جمهورية أيرلندا 2009، طبيب مقيم ، تخصص باطنية ، مدينة أبو ظبي ، الإمارات ، نشرت له عدة مقالات فكرية واجتماعية وطبية في الصحف الامارتية والخليجية ، المرجع : الطب النبوي بين الفقيه والطبيب ، عمر عبد الرحمن الحمادي ، دار مدارك ، دولة الإمارات ، ط1، 2014 ، صفحة الغلاف

² عمر عبد الرحمن ، الطب النبوي بين الفقيه والطبيب ، ص 82-83.

³ سبق تخريجه

⁴ عمر عبد الرحمن ، الطب النبوي بين الفقيه والطبيب ، ص 84

(فكثير من الأمراض الشائعة في ذلك الوقت كان لها علاجات تتناسب مع الأدوية المتاحة في ذلك الوقت، فلا تتوقع في القرن السابع ميلادي أن يتم علاج مرض ذات الجنب (pleurisy) والذي هو عبارة عن التهاب الغشاء المزوج المحيط بالرئتين وله أكثر من عشرة أسباب عضوية - بالمضادات الحيوية ومسكنات الألم، بل سيكون من الطبيعي استخدام الوسائل المتاحة في ذلك الوقت والتي كانت عبارة عن عود هندي وزيت)¹. ثم يصرح المؤلف برأيه في كتابه الطب النبوي بين الفقيه والطبيب تحت عنوان: هل كان رسول الله ﷺ طبيبا؟ ، فيقول: من الدلائل على بشرية الطب النبوي... علاج سعد بن معاذ عند الصحابية ربيعة في خيمتها.. وطلب سعد بن أبي وقاص أن يعالج عند طبيب العرب الحارث بن كلده بقوله ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل بتطب ثم يعلق المؤلف على قصة تطيب سعد عند ربيعة بقوله: فلو كان طبيبا لماذا لم يتول هو علاج أحب الأنصار إلى قلبه وهو الذي كان يحرص على أن يفعل كل شيء بنفسه؟..، وعلى قصة تطيب سعد بن أبي وقاص عند الحارث بن كلدة بقوله: ركز يا أخي القارئ على كلمة إنه رجل يتطيب، أي أن رسول الله ﷺ لم يكن يتطبب لأن لو كان يتطبب -لطب سعد بن أبي وقاص بنفسه².

ثم يستدل المؤلف بمجموعة من الأحاديث والآثار ليؤكد على بشرية الطب النبوي³، وينتصر لمذهبه ورأيه، ومن تلك الأحاديث والآثار: ما أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال: (أتيت النبي ﷺ ومعي ابني فأرئته إياه، فقلت لابني: هذا رسول الله ﷺ. فأخذته الرعدة هيبه لرسول الله ﷺ. فقلت له: يا نبي الله، إني رجل طيب من أهل بيت أطباء، فأرني ظهرك، فإن تكن سلعة أبطها، وإن تكن غير ذلك أخبرتك، فإنه ليس من إنسان أعلم بجرح أو خراج مني قال: طيبها الله⁴).

¹ عمر عبد الرحمن، الطب النبوي بين الفقيه والطبيب، ص 84-85

² المرجع السابق، ص 86.

³ المرجع السابق، ص 86-88.

⁴ مسند أحمد بن حنبل - مسند أبي رمثة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ج 3، ح 7232، ص 1501

وأقوى من ذلك كله رواية ذكرها الإمام مالك في موطنه وأشار إلى صحتها ابن عبد البر في شرحه للموطأ ، فقد روى مالك ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، (أَنَّ رَجُلًا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَصَابَهُ جُرْحٌ فَاحْتَقَنَ الْجُرْحُ الدَّمَ ، وَأَنَّ الرَّجُلَ دَعَا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي أُمَّارٍ فَنظَرَا إِلَيْهِ ، فَرَعَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمَا : أَيُّكُمَا أَطْبُ ؟ فَقَالَا : أَوْ فِي الطَّبِّ خَيْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَرَعَمَ زَيْدٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَنْزَلَ الدَّوَاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَدْوَاءَ¹) .

ويعلق المؤلف على الحديث قائلاً²: فلو كان رسول الله ﷺ طبيبا، لماذا يسألهم هذا السؤال وهو بإمكانه تطيب الرجل؟ فإنه لو كان طبيبا لكان قطعاً أعلم من هذين الرجلين الذين أرسل في طلبهما ولما احتاج طرح هذا السؤال عليهما، ولا إحتاج الصحابي إستدعاءهما من الأساس فهذا يدلنا أن الصحابة أنفسهم كانوا يحترمون التخصص أكثر من مروجي الأعشاب الخارقة في أيامنا والتي يزيدون من قدسيته بنسبتها إلى جنات النبوة .

أما الآن فنأتي للأثر المهم - والذي يجب أن نتوقف عنده مليا والذي رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في حلية الأولياء... (كَانَ عُرْوَةُ يَقُولُ لِعَائِشَةَ : يَا أُمَّتَاهُ ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فِقْهِكَ ، أَقُولُ : زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالشَّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ ، أَقُولُ : ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ - أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ - وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالطَّبِّ ، كَيْفَ هُوَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ أَوْ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : فَضَرَبْتُ عَلَى مَنْكِبِهِ ، وَقَالَتْ : أَيُّ عُرْيَةٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ - أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ - فَكَانَتْ تَقْدِمُ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَتَنَعَتْ لَهُ الْأَنْعَاتِ ، وَكُنْتُ أُعَاجِلُهَا لَهُ ، فَمِنْ ثَمَّ³) .

¹ موطأ الإمام مالك - العين - تعالج المريض ، ج 1 ، ح 3474 ، ص 1378 ، قال ابن الأثير أخرجه مالك في الموطأ مرسلًا، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها، منها الذي بعده. أنظر: جامع الأصول تخريج أحاديث الرسول ، ح 5629 ، ج 7 ، ص 514

² عمر عبد الرحمن ، الطب النبوي بين الفقيه والطبيب ، ص 87-بتصرف-

³ مسند أحمد بن حنبل - مسند عائشة رضي الله عنها ، ج 11 ، ح 25018 ، ص 5895 ، وصححه الذهبي ، أنظر: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) ، مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم ، ح 928 ، ج 6 ، ص 2744 تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1411هـ

ثم يتساءل المؤلف قائلاً: لماذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها أنها تعلمت الطب من وفود العرب التي كانت تعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه؟ وهل كان عروة يدرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن طبيباً ولا ممارساً للطب، فلذلك استفهم من حالته عائشة عن مصدر علمها بعلوم الطب؟ الجواب واضح في الحديث ولا يحتاج إلى زيادة بيان. فلماذا لم تكن السيدة عائشة رضي الله عنها تتطبب بالطب النبوي؟ بل إنها لم تذكر من مصادر وصفاتها الطبية أحاديث الرسول عليه السلام، لأنها ببساطة استخدمت طب بيئتها غير المقدس كما استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم طب بيئته غير المقدس، حتى أن عروة بن الزبير فرق بين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الطب لأنه لم يكن يعتبرهما شيئاً واحداً بل حتى عمر بن الخطاب - كما روى أحمد بسند صحيح - عن عبد الله بن عمرو يقول: (قَالَ عُمَرُ: أَرْسَلُوا إِلَيَّ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيَّ جُرْحِي هَذَا، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيَّ طَبِيبٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَقَى عُمَرَ نَبِيذًا، فَشَبَّهَ النَّبِيذُ بِالْدَّمِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّرَّةِ، قَالَ: فَدَعَوْتُ طَبِيبًا آخَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ فَسَقَاهُ لَبَنًا، فَخَرَجَ اللَّبَنُ مِنَ الطَّعْنَةِ صَلْدًا أَبْيَضَ، فَقَالَ لَهُ الطَّبِيبُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْهَدْ، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقَنِي أَخُو بَنِي مُعَاوِيَةَ، وَلَوْ قُلْتُ: غَيْرَ ذَلِكَ كَذَّبْتُكَ¹)، فلو كان هناك طب نبوي لكان الصحابة هم شيوخ هذه الصنعة لأنهم هم تلاميذ المدرسة النبوية²، لكنهم كانوا وقافين عند قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (النحل: 43)، ونختم بتعليق ابن القيم في باب هديه في الإرشاد إلى معالجة أحذق الطبيين بقوله: (ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذق من فيها فالأحذق، فإنه إلى الإصابة أقرب³).

¹ مسند أحمد بن حنبل - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج 1، ح 300، ص 101، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ح 1639، ج 6، ص 73، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م

² عمر عبد الرحمن، الطب النبوي بين الفقيه والطبيب، ص 89

³ ابن القيم، الطب النبوي، ص 99

المطلب الثالث: قواعد أساسية في التعامل مع الأحاديث الطبية النبوية: مع بداية التصنيف والتدوين أفرد المصنفون والمحدثون في أسانيدهم ومصنفاتهم، كتباً خاصة بالطب وعلاج الأمراض، أوردوا فيها أحاديث النبي ﷺ خاصة بحفظ صحة المجتمع الإسلامي أفراداً وجماعات، وقد جمعت الأحاديث المتعلقة بالطب في كتب الحديث ضمن كتاب الطب أو كتاب المرضى كما صنع أصحاب الكتب الستة ، بالإضافة إلى وجود مؤلفات منذ القرن الثالث الهجري تختص بالأحاديث المتعلقة بالطب تحت عنوان: الطب النبوي، ولا تزال أعمال البحث واسعة النطاق ، تعمل حول الطب النبوي في يومنا هذا¹. إلا أن ذلك لم يمنع من وجود الأطباء في تلك الأزمان، بل ربما كان سبباً يدعو لوجودهم والاستفادة من خبراتهم، ولذلك فإن الأحاديث المروية عن النبي ﷺ في الطب أدت منذ زمن مبكر إلى مناقشات لا يمكن غض الطرف عنها، فهل مصدر الأحاديث المتعلقة بالطب وحي أم لا²، فهذا الأمر جعل هناك اختلاف في وجهات النظر والمواقف حول مصدرية أحاديث الطب النبوي، وقام خلاف بين العلماء بخصوص حجيتها هل مطابقة للواقع بمقتضى نبوته ، وهل لها صلة له بمنصب النبوة؟ أم أن تلك الأحاديث تتعلق بالأمر الدنيوية ، وصادرة من النبي ﷺ بمقتضى بشرته واجتهاده ؟ ﷺ وانبرى كل فريق يدافع عن مذهبه ورأيه وانقسموا إلى مذهبين: السنة النبوية المستمدة من الوحي والتي مصدرها إلهي السنة النبوية المستمدة من الاجتهاد النبوي ، والتي مصدرها بشري، كما تم بحثه فيما سبق.

وبعد استعراض تلك الآراء والمواقف المتباينة حول أحاديث الطب النبوي يمكن استخلاص بعض القواعد الأساسية والضرورية للتعامل مع الأحاديث الطبية النبوية ، وهي³ :

¹ البخاري، كتاب الطب 11/7 ، كتاب المرضى 2/7 ، ومسلم ، كتاب السلام ، 1718/2 ، وأبو داود ، الطب ، 3/4 ، والترمذي ، الطب ، 334/4 ، والنسائي ، السنن الكبرى ، كتاب الطب 351/4 ، وابن ماجه ، 1137/2 ، أنظر: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي، أطروحة الدكتوراه ، جامعة أوداغ بيورسه ، تركيا ، 2005 ، ص 107

² الأصفهاني ، موسوعة الطب النبوي، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي ، ص 107

³ د.محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 19

1- مهمة الرسول ﷺ هداية الناس ، وليست التطيب: والقاعدة تعني أن الرسول ﷺ له وظيفة كبيرة وهي بلاغ الرسالة الدينية للناس جميعاً. وليست رسالته خاصة في تبليغ علم الطب والعلاج وإن كانت ترغب في العلاج والتداوي فهذا أمر متضمن في الشرع وتابع للهدف الأكبر وهو تحقيق الهداية، وهذا ما يشير إليه ابن قيم الجوزية بقوله: (فإن رسول الله ﷺ إنما بعث هادياً، وداعياً إلى الله، وإلى جنته، ومعرفاً بالله، ومبيناً للأمة مواقع رضاه وأمرًا لهم بها، ومواقع سخطه، وناهياً لهم عنها، ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل، وأحوالهم مع أممهم، وأخبار تخليق العالم، وأمر المبدأ والمعاد، وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها، وأسباب ذلك، وأما طِبُّ الأبدانِ فَجَاءَ مِنْ تَكْمِيلِ شَرِيْعَتِهِ، وَمَقْصُودًا لِغَيْرِهِ، بِحَيْثُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ)¹، فابن القيم يعتبر العلاج والتداوي تكملة للشريعة، ولذلك فإن العلماء قد توسعوا في اعتبار الوسائل التداوي، وليس مجاله مقصور على ما ورد في السنة النبوية. يقول د. يوسف القرضاوي: (أن هذه الصفات وما شابهها ليست هي روح الطب النبوي، بل روحه المحافظة على صحة الإنسان وحياته، وسلامة جسمه، وقوته، وحقه في الراحة إذا تعب)². فالنبي ﷺ لم يبعث طبيباً يداوي أسقام الأبدان³، فإن هذه الوظيفة قد أوكلها الله إلى خلق ينظرون في قوانين الكون وسنن الله في الصحة والمرض، والرسول ﷺ بوصفه بشراً، كأذكي وأنبه ما يكون إنسان على وجه البسيطة، قد باشر العلاج وأشار بصفته هذه - البشرية - أشار ببعض الأدوية حسب المستوى العرفي الذي كانت عليه الإنسانية في ذلك العصر. ولم يبعث ﷺ ليحجر على العقل ويعطيه الحلول الجاهزة، وذلك لأن الله تعالى استخلف الإنسان في الكون وأعانه على تحمل المهمة بأمرين: الوحي والعقل، الوحي فيما لا يستطيع أن يصل إليه بذاته، والعقل وآلاته فيما يمكن أن يصل إليه بذلك، ولذلك يكون طلب الكشف عن قوانين الحياة والكون من الوحي هو كالاتي اعتماد على الفعل وحده في التشريع أو إدراك المغيبات، كلاهما منهج معكوس لا يولد حقائق ثابتة يطمأن إليها⁴.

¹ ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 20

² د. يوسف القرضاوي ، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص 160 ، دار الشروق ، القاهرة، مصر ، ط 1، 2013م

³ د. محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبوي ، ص 12

⁴ القره داغي، محي الدين علي، والمحمدي، علي، فقه القضايا الطبية المعاصرة ، ص 131

2- إستحضار الخلفية التاريخية للطب في بيئة النبوة: هذه القاعدة تعني أن الطب النبوي له علاقة وثيقة وارتباط ببيئة الرسول ﷺ وزمانه، يقول المؤرخ صاعد الأندلسي: (وكانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلم، إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها، حاشا صناعة الطب، فإنها لا كانت موجودة عند أفراد منهم، غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرّا إليها¹). وبعد بعثة الرسول ﷺ كانوا يقلدون من سلفهم في أمور دنياهم، دون تغيير ما دامت تلك الأمور موافقة للشرع . يقول الدكتور نبيل حنفي: (أما أمور الدنيا فتكاد تكون كما هي لم يتغير فيها شيء، ولم يتبدل منذ جاء الرسول ﷺ، فوجد عليها قومه إلى أن رحل عنهم. جاءهم وهم يأكلون الثريد والتمر والبر والعسل، ويشربون حليب النوق والضأن، ويعيشون في بيوت من الشعر الحيواني والحجارة، ويحاربون بالسيف والرمح، ويركبون الدواب، ويتداوون بالكي والحجامة والعسل والحبة السوداء وألبان الإبل وأبوالها ودهن الحيوانات. ورحل عنهم وهم كما جاءهم لم يتغير في أمور معيشتهم شيء يذكر، إلا بعد أن فتح الله عليهم أركان المعمورة) كما استعانوا بالطب الوقائي القائم على الحمية والنصائح في معظم مداواتهم، واستعانوا بالعقاقير المستمدة من النبات، وكان العسل كثيراً ما يستخدم في علاج الأمراض الباطنة².

3- إستحضار خصوصية بيئة النبي ﷺ في توجيهاته الطبية: وهي فرع للقاعدة السابقة، ومعناها أن النبي ﷺ كان يصف من الدواء ما توفر في بيئته، وقد تكون ثمة أدوية أخرى يستعملها الناس ولم تصل إليه أو لا يعرفها. وهذا يفسر ما ورد عنه ﷺ من أحاديث أشكلت على الفهم من حيث تضمنها طرقاً في العلاج قد لا تستسيغها بعض النفوس، وإن كان الطب لم ينف صحة بعضها. ومن أمثلة ذلك: (ما ورد عنه ﷺ في شأن الذباب وغمسه في الإناء عند وقوعه فيه؛ لأن في أحد جناحيه الداء وفي الآخر الدواء ، فقد يعسر على الكثيرين الأخذ به لإرتباط الذباب بالأوساخ والجراثيم كما هو ثابت علمياً، وبغض النظر عما قيل من ثبوت ما ورد في الحديث علمياً، فإنه يمكن فهم الحديث وفق أساس آخر هو مقتضى بيئة النبي ﷺ التي كانت تقدّر للماء قيمته وتعني به لندرته وشحه)³.

¹ Mohd Afandi Awang Hamat، Ahmad Akram Mahmud Robbi ، الطب النبوي: دراسة في

ضوء التصرفات النبوية ، ص 85.

² قاسم عمر حاج محمد، الطب النبوي و قواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، ص 89

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة.

ومثال الأحاديث التي تبين الصبغة المحلية للطب النبوي حديث التداوي ببول الإبل، فالرسول ﷺ أمر الأعراب بالتداوي بأبول الإبل، ولكن لا وجود اليوم لمن يفعل ذلك، مع ما يوفره الطب الحديث من علاج لأمراض البطن، ولم يتح للنبي ﷺ غير ذلك، بل قد وصف لأشخاص آخرين مرضت بطونهم دواء آخر غير هذا، وهو العسل. ومن الأحاديث التي تبين الصبغة المحلية للطب النبوي ما ورد في تمر المدينة (العجوة)، فلم يظهر فيه -علمياً- سرّ يميزه عن غيره من التمور¹.

4- الإلتزام بالحقائق العلمية الثابتة عند المقارنة مع أحاديث الطب النبوي: لا شك أنّ أحاديث الطب قد ورد الكثير منها صحيح الإسناد إلى رسول الله ﷺ وهذه هي الأحاديث التي يوجب القائلون بحجية الطب النبوي ضرورة إتباعها والأخذ بها الكونها جزءاً من التشريع. إلا أن هذا الرأي، وإن كان منطبقاً على أحاديث الأحكام لأدلة وافرة توجب إتباعها والالتزام بها، لاسيما وأن بعضها قد لا يكون معقول المعنى، فإن أحاديث الطب غير ذلك، إذ يفترض في العلاج أن يزيل الداء ولا يضر بصحة المريض، وهذا أمر يمكن مشاهدته وتبينه ومعرفته بالملاحظة والتجربة والاختبار. وهذا يعني أن هناك مقياساً آخر غير صحة الإسناد يجب إعماله للتأكد من صحة متن الحديث ومن ثم الأخذ به إن لزم الأمر، وهو دليل التجربة الثابتة الصحيحة. وفي حادثة تأبير نخل المدينة دليل على هذا الأمر، فالنبي ﷺ أمر الصحابة بأمر ظن فيه مصلحة، ولما تبين خطؤه اعتذر، وترك الأمر لهم، باعتباره من شؤون الدنيا الخالصة، ولا علاقة له بالتشريع. والحقائق العلمية في علاقتها بالأحاديث النبوية لها خمس حالات²:

¹ المرجع السابق، ص 90-91.

² المرجع السابق، ص 93-104.

الحالة الأولى: أن ترد الحقيقة العلمية مؤكدة لمضمون حديث صحيح. ولهذه الحالة أمثلة عدّة، إذ أثبت الطب معارفا وردت على لسان النبي ﷺ مما يزيدنا يقيناً بصحة الحديث، الذي حكمنا على سلامة إسناده، وأن الرواة لم يخطئوا فيه، إذا كانت الحقيقة العلمية قطعية لا شكّ فيها، وأبرز مثال على ذلك الأمر بالحجامة من حيث العموم، دون الحديث عما في ثنايا الروايات من الاختلاف.

الحالة الثانية: أن ترد الحقيقة العلمية مخالفة لظاهر حديث صحيح، وذلك انطلاقاً من مسلمة أنّ الرسول ﷺ قد يتحدث في باب الطب بحكم الخبرة والواقع البحت، فقد نجد بعض التعارض مع ما شاع في عهده من علاج للأمراض وما بينته الاكتشافات الطبية المعاصرة، وهذا لا يقدر أبداً في نبوة الرسول ولا صدقه أو صدق الرواة

الحالة الثالثة: أن ترد الحقيقة العلمية موافقة لحديث صحيح في مقابل حديث آخر صحيح مختلف عنه. ترد أحياناً أحاديث في الطب في الموضوع الواحد بينهما من وجوه الاختلاف ما قد يصل حد التناقض، بما يصعب معه الجمع بينها، لاسيما إذا تقاربت في درجات الصّحة، وقد يعجز الشراح عن إيجاد مخرج توفيقى بينها، فلا يكون حينئذ من سبيل لمعرفة أصح الروايات في الباب إلا الاستعانة بالخبرة ومعارف الطب، فإذا توافقت الحقيقة العلمية مع رواية ما كانت قرينة قوية ترجح جانب الصواب فيها وتضعف باقي الروايات، إن لم يمكن الجمع بينها.

الحالة الرابعة: أن ترد الحقيقة العلمية مؤكّدة لحديث ضعيف ، وفي هذه الحال فإن تلك الموافقة لا تكفي لتحسين الحديث أو تصحيحه، ما لم يتأيد إسناده بطرق أخرى.

الحالة الخامسة: أن ترد الحقيقة العلمية منافية لحديث ضعيف، والكشف العلمي المخالف للحديث الضعيف يزيد من صحة الحكم بضعف الحديث من حيث الإسناد، قد يصل إلى درجة القطع بذلك، لأن من المعلوم أن الحكم بالصحة أو الضعف ، إنما هو أمر أغلبي ظني بحسب ظاهر الإسناد.

5-مراعاة الصيغ التي وردت بها الأحاديث وموضوعها عند الاستنباط:(من الضروري عند تناول صيغ أحاديث الطب النبوي التمييز بين ما جاء على سبيل الندب والإستحباب، وما جاء على وجه الأمر والإلزام، ولو أن الأصل فيها هو الندب)¹.

يقول ابن تيمية:(فكل ما قاله بعد النبوة وأقرّ عليه ولم ينسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحریم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دلّ عليه من المنافع في الطبّ، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به، فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعاً لإستحبابه²).

6-مراعاة منهج الشريعة في حفظ المقاصد عند الأخذ بأحاديث الطبّ: إن معظم أحكام الشريعة منوطة بتحقيق جملة من المقاصد، أوجزها العلماء في خمس كليات أساسية مرتبة كالاتي: حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال. وعلى المكلف عند قيامه بواجب التكليف أو عند الأخذ بنص شرعي أن يراعي هذه المقاصد ويتغياها، وإذا كان في أخذه به تفويت لإحدى هذه المقاصد لم يجز له إتيانه، وإلا كان متعدياً غير معذور بفعله. ولاشك أن أحاديث الطبّ إنما جاءت لحفظ النفس برعاية الجسم وصونه من كل ما يهدد سلامته على سبيل الوقاية أو العلاج.ولما وجد في بعض الأحاديث ما يخالف بعض كشوف الطبّ حديثاً، ومنها أحاديث ضعيفة كثيرة، فاللزام على من أراد أن يتطبب وفق توجيهات الأحاديث النبوية أن يسند عمله ويعرضه على أهل الخبرة والطب ليوافقوه أو ينصحونه، لأنه ربما استعمل علاجاً بأقل مما يجب أو بأكثر من ذلك فيؤذي نفسه، ولو أن الدواء في أصله نافع. فالرسول عليه الصلاة والسلام أشار إلى أدوية بعينها دون أن يحدد مقدارها، والذي يقوم بذلك ويعرفه هو الطبيب العارف. وكثيراً ما أدى الإسراف في تناول أعشاب وأخلاق مع كونها طبيعية إلى الإضرار بصحة المريض ضرراً بالغاً³.

¹ قاسم عمر حاج محمد، الطب النبوي و قواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، ص 104

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 18، ص 12

³ قاسم عمر حاج محمد، الطب النبوي و قواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، ص 106

7-مراعاة موقع التعاليم النبوية الصحية في الدولة الإسلامية: إن معظم ما جاء في الطب النبوي إنما هو من باب حفظ الصحة والطب الوقائي، وليس غريبا أن يكون الأمر كذلك، لأن التخطيط الصحي والتوعية الصحية إنما هما من مهام الدولة، وكان الرسول ﷺ أول مؤسس لدولة إسلامية على أساس من شرع الله الحكيم، ومن أجل ذلك كانت التعاليم والمناهج الصحية في الإسلام كثيرة. وفي ذلك يقول الدكتور محمود ناظم النسيمي: (وبسبب المهمة الحكومية لرسول الله ﷺ ومهمته التبيانية للقرآن الكريم جاءت التعاليم الصحية في هدي الرسول العظيم كثيرة تفوق كثيرا ما ورد في الطب العلاجي، وتشكل مع بعض الآيات القرآنية القسم الأعظم من الطب النبوي و إن العلوم التي تمد فن الصحة والطب الوقائي وترقيها كباقي العلوم الطبية ليست من اختصاصات الديانات السماوية، ولا من اختصاص رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ولذا لم يعلل الإسلام تعاليمه ذات الفوائد الصحية بتعاليل ترتكز على علوم دنيوية، وإنما ربطها بعباداته وتعاليم دينه على أنها من شعب الإيمان تدفع المؤمن الملتزم إلى التمسك بها)¹.

إن تلك القواعد والضوابط ينبغي مراعاتها عند التعامل مع الأحاديث النبوية الطبية ، ولأنها أيضا قواعد وضوابط شرعية ، دلت عليها النصوص القرآنية والنبوية ، ومستوحاة من كلام أهل الفقه والعلم في الأصول والحديث والشريعة ، وأثبتتها علوم الطب الحديث ، وتتوافق مع مبدأ أساسي في الدين الإسلامي ، وهو إحترام أهل الإختصاص في كل علم وفن ، كالفقه والطب ، ونحوهما ، مصداقا لقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (النحل:43) .

¹ النسيمي، الدكتور محمود ناظم: الطب النبوي والعلم الحديث - الشركة المتحدة للتوزيع، ط1 ج 1، ص 149- 151

الفصل الرابع

حفظ الصحة في العلم الحديث

المبحث الأول: حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث

المطلب الأول: مفهوم حفظ الصحة في العلم الحديث

المطلب الثاني: حفظ الصحة والعلم الوقائي الحديث

المطلب الثالث: مستويات وإجراءات الصحة للوقاية من الأمراض

في العلم الحديث

المبحث الثاني: حفظ الصحة في العلم العلاجي الحديث

المطلب الأول: العلم العلاجي الحديث

المطلب الثاني: المرض في العلم الحديث

المطلب الثالث: الدواء في العلم الحديث

المطلب الرابع: الغذاء والعلم الحديث

المبحث الثالث: الهدى النبوي الصحي والعلم الحديث

المطلب الأول: الهدى النبوي الوقائي في ضوء العلم الحديث

المطلب الثاني: الهدى النبوي العلاجي في ضوء العلم الحديث

المطلب الثالث: الأحاديث النبوية الصحية والعلم التجريبي الحديث

المبحث الأول: حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث. عني العلم الحديث بالصحة وقاية وعلاجاً، خصوصاً مع تطور العلم والطب، ذلك ما سأتناوله في المطالب التالية بالحديث عن حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث:

المطلب الأول: مفهوم حفظ الصحة في العلم الحديث. في هذا المطلب أتناول مفهوم الصحة في العلم الحديث ومكونات الصحة والعوامل المؤثرة فيها من خلال ما يأتي:

أولاً: تعريف الصحة: يرتبط مفهوم الصحة بالعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً، إذ تطور مع بداية القرن الحادي والعشرين في اتجاه الإهتمام بالفرد والمجتمع، من أجل تحقيق أعلى مستوى صحي لهم، ليتمكن كل شخص من الحصول على حقه في الصحة والحياة والرعاية الصحية، وفيما يلي نتعرف على مفهوم حفظ الصحة في العلم الحديث من خلال التعريفات التالية:

1-التعريف الأول: إنه علم تشخيص وعلاج المجتمع، وحفظ الصحة يشمل الصحة الشخصية وصحة البيئة والصحة الاجتماعية ومكافحة الأمراض المعدية وتنظيم خدمات الطب والتمريض للعمل على التشخيص المبكر للأمراض، مع تعليم أفراد المجتمع وتثقيفهم على كيفية تطوير الحياة الصحية، وذلك بمجهودات منظمة للمجتمع من اجل الوقاية من الأمراض وترقية الصحة والكفاية ليتمكن كل مواطن من الحصول على حقه المشروع في الحياة¹.

التعريف الثاني: الصحة حالة من المعافاة الكاملة بدنياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً، ولقد أجمع الأطباء على أن الطب طبان: حفظ الصحة على الأصحاء، ورد الصحة على المرضى بالمداواة بالتأهيل . وقد صاغت منظمة الصحة العالمية تعريفها للصحة على أنها المعافاة الكاملة، جسمياً ونفسياً واجتماعياً، لا مجرد انتفاء المرض أو العجز².

التعريف الثالث : هي توفر الظروف الضرورية لتحقيق الإمكانيات الكامنة في الفرد لكي تؤدي أعضاء جسمه وظائفها أداء سليماً ، ولكي يؤدي الفرد - كعضو صالح في المجتمع - واجباته ومسؤولياته على الوجه الأكمل³.

¹ د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ، ص 13 ، دار المسيرة ، الأردن ، 2018م

² د حسان شمسي باشا الثقافة الصحية ، ص: 12، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 2011م

³ د. أحمد محمود صبحي ، د. محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، ص: 130 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1993م

التعريف الرابع: عبارة عن حالة التوازن النسبي لوظائف الجسم، وأن حالة التوازن هذه تنتج عن تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها¹.

فالصحة بمفهومها الواسع الحياة التي يعيشها الفرد ونوعها، وتعني الصحة الجسدية (العضوية) والعقلية (النفسية)، والاجتماعية، فهي مفهوم شامل يتفاعل مع كل العوامل المؤثرة على الصحة والتي تهدف إلى تحسين الصحة للأفراد والمجتمعات مع تجنب الأمراض أو منع حدوثها.

ثانياً: مكونات الصحة: بحسب تعريف منظمة الصحة العالمية توجد للصحة أربعة مكونات أو أبعاد أو أنواع²، تتمثل فيما يأتي:

1- الصحة البدنية أو الجسمانية (Physical Health): وهي التي تتعلق بالجانب الجسماني، ولتحقيقها يجب عدم تناول كل ما يلحق ضرره بالجسم، كما ينبغي الابتعاد عن العادات التي تسبب ضعفه ومرضه كي تؤدي جميع أعضاء الجسم الإنسان وظائفها بصورة طبيعية وبالتوافق والانسجام مع أعضاء الجسم الأخرى، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كانت أعضاء الجسم بالحياة والنشاط.

2- الصحة النفسية (Psychological Health): وتعلق بالجانب الروحي في الإنسان ولا يمكن للصحة النفسية أو الصحة الجسدية أن توجدا بمعزل عن بعضهما (العقل السليم في الجسم السليم، والعكس صحيح)، بل لا بد من أن تعتمد الوظائف الجسدية والنفسية بعضها على بعض. وهي أن يكون الإنسان في سلام مع نفسه متمتعاً بالاستقرار الداخلي وأن يكون قادراً على التوفيق بين رغباته وأهدافه وبين الحقائق المادية والاجتماعية، والإنسان الذي لا يستطيع أن يعيش بسلام مع نفسه لا يمكن وصفه بأنه يتمتع بالصحة.

3- الصحة الاجتماعية: هي قدرة الإنسان على تكوين علاقات اجتماعية مقبولة مع الناس وأن يكون له دخل مناسب لتحقيق الحياة الصحية السليمة، وتتمثل في مسكن صحي وملابس مناسبة لفصول السنة وغذاء صحي... الخ، ولذلك فإن عدم القدرة على مباشرة الآخرين، هو مرض ينبغي علاجه حتى لو كان صاحبه لا يشكو من مرض، فمثلاً إذا كان الفرد يتعاطى الخمر ويدمن على المخدرات، فهذه تكون عبارة عن أدلة على ابتلاء البيئة الاجتماعية من الناحية الصحية، لذلك فإن صحة الأفراد والجماعات تعتمد بدرجة كبيرة على البيئة الاجتماعية.

¹ عيسى غانم، الصحة العامة، دار اليانوري العلمية، ص75، عمان، الأردن، ط1997،
² د حسان شمسي باشا الثقافة الصحية، ص: 12، دار القلم، دمشق، ط1، 2011م

4- الصحة العقلية (Mental Health): وهي ما يتعلق بالجانب العقلي للإنسان، ويجب الحفاظ عليه، وذلك باجتناّب كل ما يؤدي إلى إتلافه أو تعطيله؛ كالخمر والمخدرات، وهي قدرة الإنسان العقلية التي تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها ، كما أنها تعنى بمدى سلامة العمليات العقلية المختلفة لدى الفرد كالتذكر والتفكير... إلخ ، حيث تعتبر الصحة العقلية في العصر الحديث لا مجرد الخلو من المرض، وإنما نلاحظ بأنه هناك ارتباطا شديدا بين الصحة العقلية والبدنية، فتدهور الصحة العقلية يؤثر في الصحة البدنية والعكس صحيح، فالصحة العقلية هي الخلو من التناقض الداخلي، والقدرة على التعامل مع الآخرين، وعلى ضبط النفس، ومواجهة المشاكل وحلها بحكمة.

ثالثا:العوامل المؤثرة في الصحة:هناك الكثير من العوامل التي تؤثر على الصحة بشكل ايجابي أو سلبي نوجزها كما يلي¹:

-البيئة في البيت ومكان الدراسة والعمل وفي المجتمع، وتشمل السكن والماء والهواء والنبات والحشرات والجراثيم والنظافة العامة.

-الغذاء والتغذية وتوافر العناصر الغذائية المتعلقة بتناول الطعام وتحضيره وحفظه.

-طراز الحياة اليومية وطبيعة العمل المتوازن في الحركة والرياضة والراحة والترفيه الجسماني والنفسي.

-الثقافة العامة والوعي الصحي،وتفهم المشاكل الصحية القائمة، والسلوك والعادات.

توافر خدمات الرعاية الصحية والسعي إليها في الوقت المناسب .العوامل الوراثية.

من خلال ما سبق من تعاريف ومفاهيم يمكن القول أن مفهوم الصحة كمصطلح لم يعد خاصا بعلم الطب ، ولم تعد الصحة معتمدة فقط على سلامة الجسم من الناحية البيولوجية ، وإنما أصبح له أبعادا أو جوانب نفسية واجتماعية وثقافية ، على أساس أن الإنسان ليس كائنا بيولوجيا فحسب وإنما هو كائن له مشاعر وأحاسيس وانفعالات، وله علاقة بأفراد أسرته وأصدقائه وسائر الناس ، وعليه واجبات ومسؤوليات في مجتمعه ، ومن ثم فإن العلم الحديث يعتبر من واجبات الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي توفير الصحة لمن يعانون أمراضا نفسية ، للتخفيف عليهم ومساعدته في التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها. ولذلك مفهوم حفظ الصحة في العلم الحديث يشمل نشر الثقافة الصحية بين أفراد المجتمع للمحافظة على المعافاة الكاملة، وتشخيص الأمراض وعلاجها بالوسائل الحديثة التي اكتشفها العلم الحديث.

¹أ.بن عروس حياة،الأثنوبولوجيا الطبية ودورها في قضايا الصحة والمرض،ص 76،دراسات إجتماعية،الجزائر،العدد 13 ، 2009

المطلب الثاني: حفظ الصحة والعلم الوقائي الحديث: يرتبط مفهوم حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث بالصحة الوقائية أو الطب الوقائي، وفي هذا المطلب نتناول مفهوم ونشأة العلم الوقائي الصحي الحديث من خلال ما يأتي:

أولاً: تعريف الصحة الوقائية في العلم الحديث: تعرف بعدة تعريفات منها:

التعريف الأول: يقصد بها منع حدوث الأمراض، وفق إجراءات خاصة، تبدأ أساساً بعدم التعرض لمصادر العدوى المختلفة، والابتعاد عن الأماكن الملوثة، ويعد التثقيف الصحي عنصراً أساسياً للوقاية من الأمراض لأفراد المجتمع، حيث تهدف الإجراءات الوقائية إلى الحد من انتشار الأمراض، وعدم إنتقالها إلى الآخرين، سواء كانوا مخالطين مباشرين للمريض أو غير مباشرين له¹

التعريف الثاني: العلم الذي يهدف إلى تطوير الصحة والوقاية من الأمراض، وإعادة التأهيل².

التعريف الثالث: دراسة تركيب المجتمع ووضع الطرق والأساليب المختلفة لوقاية المجتمع وتحسينه من مختلف الأمراض والأوبئة³.

التعريف الرابع: العلم المتعلق بالوقاية من الأمراض الجرثومية، والعضوية والنفسية للفرد والمجتمع ومن هذا التعريف يتبين أن الطب الوقائي الحديث (الصحة الوقائية) يعني بحفظ الصحة الفردية، وحفظ الصحة الاجتماعية، ويتبين أيضاً أن مسببات الأمراض الرئيسة تنحصر في ثلاثة أقسام: مسببات من الكائنات الدقيقة- مسببات من مركبات عضوية- مسببات من اضطرابات نفسية⁴

ومن خلال ما سبق من تعريفات، فإن المفهوم الصحيح للصحة الوقائية يقوم على معرفة المسبب، وحركة إنتقاله، وهذا أحد المفاهيم الجديدة المضافة إلى الطب الوقائي، حيث يهدف إلى معالجة، ومنع ظهور تكون عوامل الخطر ضمن النطاق الجغرافي أو البشري، وذلك قبل ظهور مرحلة المرض⁵. ولذلك يعتبر أحد المفاهيم الحديثة في الطب الوقائي، ويتم الوصول إلى تطبيق هذا المفهوم عن طريق نشر الثقافة الصحية، والتواصل الفردي أو المجتمعي.

¹ د احمد محمد بدح، د أيمن سليمان مزاهرة، زين حسن بدران، الثقافة الصحية، ص 13 - بتصرف -

² الطب الوقائي، تاريخ ومفاهيم ومستقبل، مجلة الصحة والحياة، -بتصرف- ص 10-12، العدد الأول، تموز 2007

³ مقدمة في الصحة والتغذية، ص: 27، جامعة طيبة عمادة التعليم عن بعد GS135، 2003، السعودية

⁴ د.عبد الجواد الصاوي، إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي، ص 21، ط1، 2012م، دار جياذ، السعودية

⁵ الطب الوقائي، تاريخ ومفاهيم ومستقبل، مجلة الصحة والحياة، ص 10-12، العدد الأول، تموز 2007

ثانياً: نشأة وتطور الصحة الوقائية في العصر الحديث: حمل القرن الثامن عشر الميلادي الإعلان الحقيقي لولادة الصحة الوقائية. وذلك باكتشاف أول لقاح لمرض الجدري في العام 1796م، وظهور نظرية التجزئ لتفسير الأمراض. وفي النصف الأخير من القرن التاسع عشر تمت اكتشافات هامة في مجال الطب الوقائي مثل العلاج المضاد لداء الكلب (1883م) ولقاح الكوليرا (1892م) ومضاد سم الدفتريا (1894م) واللقاح المضاد للتيفوئيد (1898م) ومن ثم توالت الإنجازات وزادت حدود العلم والاكتشافات في علم البكتريا مما مكن العلماء بالتحكم في مسيرة بعض الأمراض عن طريق استخدام أدوات وآليات تعمل على قطع العلاقة بين المرض والمسبب وطرق الانتقال للمرض مثل الحجر الصحي ، وتنقية المياه، وطريقة البسترة واستعمال طرق إبادة الحشرات. وأدى تطور الوسائل المخبرية لاكتشاف المبكر للعديد من الأمراض عن طريق الفحوصات الاستقرائية المبكرة. ولقد اعتبر الإنجاز الأكبر للطب الوقائي هو اكتشاف اللقاحات البكتيرية والأمصال المضادة في علم الفيروسات، ولعل لقاح شلل الأطفال هو أحد هذه النجاحات الهامة. كما يعتبر استئصال بعض الأمراض كالجذري من أهم النجاحات مما أدى إلى تحجيم العديد من الأمراض البكتيرية. ولعل الشاهد على ذلك هو انخفاض الوفيات الناتج عن الأمراض البكتيرية مثل الدفتريا، الزحار والتيفوئيد وغيرها¹. وفي مجال الطب الوقائي اعتبر اكتشاف المبيدات الحشرية إنجازاً هاماً في تغيير استراتيجيات التحكم في الأمراض المنقولة عن طريق الحشرات مثل الملاريا ، والطاعون وغيرها والتي كانت تشكل إلى وقت ليس بالبعيد هاجساً صحياً عالمياً. ومن الإنجازات المهمة للطب الوقائي في القرن العشرين الاستقراء المبكر للأمراض ، ففي العام 1933م كان أكثر الاختبارات شيوعاً واستخداماً هي اختبارات الدلائل المصلية للزهري واستخدام الأشعة السينية للاستقراء المبكر للتدرن الرئوي. وعلى الرغم من العديد من أصوات الاعتراض على زيادة استخدام مثل هذه الاختبارات، إلا أنها تبقى واحدة من أهم الإضافات في مجال الطب الوقائي. ولعل هذا الوضوح في أهداف الطب الوقائي، أعلن البدء لولادة عصر ومفهوم جديد للطب الوقائي يرمي إلى الاستئصال الجذري للإمراض وليس التحكم فيها فقط. كما أدى التطور المذهل في علم الإعلام والوسائط التعليمية وارتفاع نسبة التعليم إلى فتح أبواب جديدة للطب الوقائي².

¹ المرجع السابق ، ص 12

² الطب الوقائي، تاريخ ومفاهيم ومستقبل ، مجلة الصحة والحياة، ص10-12، العدد الأول، تموز 2007-بتصرف-

المطلب الثالث: مستويات وإجراءات الصحة للوقاية من الأمراض في العلم الحديث.

أولاً: مستويات الصحة الوقائية في العلم الحديث للفرد والمجتمع.

يمكننا فهم مستويات تطبيق أهداف الصحة العامة، بدراسة التاريخ الطبيعي للمرض وبتوضيح حدود

التداخلات الصحية الممكنة، ويمكن تقسيم التاريخ الطبي للمرض إلى مرحلتين هما¹ :

1-مرحلة ما قبل الامراضية (Prepathogenesis) وفيها يتم اللقاء والتفاعل بين عوامل

المسبب والبيئة والعامل المضيف.

2-المرحلة الامراضية : (Pathogenesis) وهذه تظهر نتيجة لتفاعل العوامل السابقة وهي تشمل:

أ- مرحلة الحضانة للمرض : لا تظهر فيها أعراض المرض السريرية وهي مرحلة تكاثر الجراثيم.

ب -المرحلة السريرية الأولى : وفيها تظهر الأعراض السريرية للمرض.

ج- مرحلة النقاهة أو نهاية المرض: وتكون فيها نتيجة المرض إما الشفاء التام أو المرض المزمن وإما

العجز وإما الموت. ويمكن تحقيق الصحة للفرد أو المجتمع من خلال المستويات الوقائية التالية:

- المستوى الأول: رفع المستوى الصحي للأفراد والمجتمع عن طريق:

أ- المحافظة علي البيئة .

ب- رفع مستوى الثقافة والوعي الصحي لأفراد المجتمع.

ج- رفع مستوى الثقافة الغذائية و جعل مفهوم الغذاء الصحي المتوازن للجميع .

د- توفير أماكن لممارسة الأنشطة الرياضية والثقافية والترفيهية².

وهذا المستوى من مستويات الوقاية يتناسب مع مرحلة التغيرات المرتدة للمرض, ويتم ذلك عن طريق

تصميم معايير عامة تهدف إلى رفع مستوى الصحة العامة ونوعية معيشة أفراد المجتمع , ويتجاوز

مفهوم الوقاية الأولية منع حدوث الأمراض بل أيضاً إلى مفهوم دعم الصحة الايجابي. وهذا المفهوم

يعني تشجيع اتخاذ ودعم الحفاظ على مستوى مقبول من الصحة بحيث يمكن لكل شخص العيش في

حياة منتجة اجتماعياً واقتصادياً امتدت مظلة الوقاية الأولية لتشمل الوقاية من الأمراض المزمنة غير

المعدية مثل أمراض نقص التروية القلبية، ارتفاع الضغط الشرياني وداء السكر والأمراض السرطانية³.

¹ د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ،ص 25

² مقدمة في الصحة والتغذية ، ص 27

³ الطب الوقائي ، تاريخ ومفاهيم ومستقبل مجلة الصحة والحياة، ص 11 ،العدد الأول ، تموز 2007

- المستوى الثاني: الوقاية النوعية من الأمراض والحد منها عن طريق الحفاظ على الحالة المرضية ومنع تدهورها، والاكتشاف المبكرة للأمراض وتقديم العلاج المناسب باستخدام الوسائل العلاجية الحديثة.
- عن طريق: أ- توفير المراكز الطبية العلاجية بما فيها من أطباء وهيئات تمريض ووسائل العلاج.
- ب- الكشف الدوري للأفراد.
- ج- الإبلاغ الفوري عن أي حالة مرضية معدية.
- د- التطعيم ضد الأمراض المعدية وخاصة التطعيمات الأساسية للأطفال.
- هـ- الوقاية من أمراض سوء التغذية.
- و- الوقاية من الأخطار المهنية للعاملين¹.

ويهدف مستوى الوقاية الثانية إلى تحجيم المرض بين المصابين، واستخدام مجموعات آليات تؤدي إلى وقف مسيرة وتطور المرض بعد حدوثه وقبل ظهور المرحلة السريرية للمرض ويتم ذلك بتفعيل منظومة الاستقراء المبكر للمرض، والتدخل العلاجي الصحيح والكافي لمواجهة المرض. ويمتد الدور أيضاً إلى حماية المجتمع من تفشي المرض ليصيب الآخرين، وبذلك يكون الأفراد المصابين قد تلقوا الرعاية الثانية وتلقى باقي أفراد المجتمع وقاية أولية. وتمثل الوقاية الثانية عصب الطب السريري، لذلك تقوم معظم استراتيجيات الحكومات على توفير كل الدعم لهذا المستوى وإن كان الأفضل التركيز على مستوى الوقاية الأولية التي لا تكلف الكثير مثل مستوى الوقاية الثانية لأن هذا المستوى من الوقاية أكثر تكلفة من مستوى الوقاية الأولية وأقل فعالية.

– المستوى الثالث: الإعداد البدني والتأهيل النفسي والاجتماعي للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة والمصابين بعيوب خلقية، حتى يشاركوا في تنمية المجتمع. وتهدف الوقاية في هذا المستوى إلى تقليل الإعاقة الناتجة عن المسار المزمن للمرض. وبمعنى آخر يهدف هذا المستوى من الوقاية إلى تقليل الآثار الناتجة عن المضاعفات للمرض، وتناسب هذه المرحلة مع مرحلة التغيرات الباثولوجية غير المرتدة. وتشمل هذه المرحلة الدعم النفسي، الاجتماعي، المهني والطبي للأفراد ويتم ذلك عن طريق التنسيق الكامل لفريق عمل يتعامل مع الفرد من كل النواحي².

¹ مقدمة في الصحة والتغذية، ص 28

² الطب الوقائي، تاريخ ومفاهيم ومستقبل مجلة الصحة والحياة، ص 11، العدد الأول، تموز 2007

ثانيا: الإجراءات الصحية الوقائية للوقاية من الأمراض في العلم الحديث للفرد والمجتمع.

يمكن تحقيق الصحة للفرد أو المجتمع باستعمال الإجراءات الوقائية التالية :

1- الإجراءات الصحية الوقائية الأساسية: ويتم ذلك بوضع آليات تسمح بمحو أو تقليل التعرض لعوامل الخطر المختلفة التي تؤدي إلى ظهور الأمراض. ولقد اعتمدت منظمة الصحة العالمية نمطين لتطبيق مفهوم الوقاية الأولية نحو الأمراض غير المعدية¹:

- تطبيق الاستراتيجيات الشاملة وعن طريقها توجه معايير الوقاية لكل المجتمع بغض النظر عن درجات التعرض لعوامل الخطر.

- تطبيق الاستراتيجيات التي تستهدف الأفراد المعرضين لعوامل الخطر. وهذا الأسلوب يعتمد على توفر آليات مخبرية أو سريرية تسمح بتحديد تلك الفئات. وتشمل الإجراءات الصحية الوقائية الأساسية للفرد والمجتمع ما يلي²:

أ- الإجراءات الصحية الوقائية العامة: وهي إجراءات وقائية غير مباشرة وغير موجهة لمرض معين بل لكل الأمراض دون تحديد وهي أعمال تعمل على تقوية الصحة بصفة عامة وهذه تشمل :

- خدمات صحة البيئة وتشمل: تهيئة المسكن الصحي السليم والمناسب - الإشراف الصحي على المياه - التخلص الصحي من الفضلات - مكافحة الحشرات والقوارض من ناقلات العدوى - منع التلوث الجوي - مراقبة المحلات العامة مثل المطاعم للتأكد من سلامتها الصحية.

- خدمات رعاية الأمومة والطفولة: وهي تشمل رعاية الأم قبل الزواج وعند الحمل وأثناء الولادة وبعدها، كذلك تشمل رعاية الطفل في مراحل نموه الأولى.

- خدمات التغذية الصحية: إن للتغذية الصحية فوائد على صحة وحياة الإنسان لذا وجب الاهتمام بها بحيث تؤدي هذه الأغذية الأهمية المرجوة منها بصورة تامة .

- خدمات التثقيف الصحي: تقدم خدمات التثقيف الصحي بهدف ترجمة الحقائق الصحية إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع وذلك باستعمال الأساليب التربوية الحديثة بهدف مساعدة الناس على تحقيق السلامة والكفاية البدنية والنفسية والاجتماعية بمجهوداتهم الذاتية .

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

² د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ، ص 25

-خدمات السلامة الاجتماعية ومنها: تحقيق الظروف الملائمة للتكيف النفسي السليم وتطور الشخصية السوية، الإجراءات الكفيلة بتهيئة التكيف الاجتماعي أو الرعاية الأسرية والمشاركة في النشاط الاجتماعي وغيرها من إجراءات وخدمات مما يحقق التكامل والسلامة البدنية والاجتماعية والنفسية عند الفرد والمجتمع.

- رفع المستوى الاقتصادي والتعليمي للفرد والأسرة والمجتمع لما لهما دور هام في تحديد درجة الصحة أو المرض مع تقديم الخدمات الصحية اللازمة للمجتمع .

ب- الإجراءات الصحية الوقائية الخاصة (النوعية) : وهي الوقاية الموجهة ضد مرض معين قبل أن يحدث وذلك بالحيلولة بين المسبب النوعي له والعائل المضيف (الإنسان) كما هو الحال في الأمراض المعدية وأمراض سوء التغذية فإذا اتخذت إجراءات محددة للوقاية من أي من هذه الأمراض النوعية قبل ان تحدث، سميت بالإجراءات الوقائية النوعية ومن طرقها:

-التطعيم ضد مرض معين : وهي اللقاحات المستعملة لوقاية الفرد من أي مرض قبل حدوثه ومثال على ذلك المطاعم التي تعطى للأطفال مثل المطعم الثلاثي (والدفتيريا ، السعال الديكي، الكزاز) ، وشلل الأطفال ومطعم الحصبة للوقاية من هذه الأمراض.

- القضاء على العائل الوسيط: إن كثيرا من الأمراض تحتاج إلى واسطة إنتقال ، سواء كانت حية أو غير حية ، وتكون وسيلة المكافحة المثمرة هي تلك الموجهة نحو هذه الوسائط مثل ردم المستنقعات والبرك للقضاء على يرقات البعوض الناقل للملاريا أو القضاء على قواقع البلهارسيا.

-استخدام أدوية نوعية: عن طريق إعطاء الأدوية النوعية المضادة لعوامل المرض للأشخاص الذين نتوقع إصابتهم بالمرض، خاصة الأمراض السارية مثل الوقاية من مرض الكوليرا.

- استخدام ملابس واقية أو أقنعة خاصة في الصناعة : وهي الوسائل المتخذة الواقية ضد العوامل الضارة عند عدم التمكن من إجراء الوسائل الواقية العامة الكفيلة بإزالة آثار العوامل الضارة لسبب ما من الأسباب ويجب ان تكون هذه الوسائل سهلة الاستعمال والتناول، وأكثر هذه الوسائل الفردية المستعملة (الكمامات، والنظارات الخاصة، والسماعات الواقية ضد الضجيج ، وبعض المراهم لوقاية الجلد من وصول السموم إليه)

2- إجراءات صحية وقائية من الدرجة الثانية: وهي الإجراءات التي تتخذ للإكتشاف المبكر للحالات المرضية، والعلاج الفوري لها ، وفي حالة تعذر هذا لمنع تطور المرض، وللوقاية من مضاعفاته ومنع انتشاره للآخرين إذا كان معديا ، وهناك طرقا كثيرة لتحقيق ذلك منها :

-مراقبة المخالطين للمرضى مثل: مخالطي مرضى التيفوئيد، السل، التهاب الكبد الوبائي .

- إجراء تحاليل مخبرية بقصد الكشف عن مرض ما كإجراء فحص الدم لدى الحوامل لفحص التكسوبلازما (داء المقوسات أو جرثومة القطط).

-استعمال الصور الإشعاعية للكشف عن الأمراض مثل استخدام أشعة اكس لتصوير الصدر لاكتشاف الأمراض المهنية التي تصيب الرئة أو اكتشاف حالات المرض في مراحلها الأولى .

-الكشف الدوري الفحص الطبي الدوري : ويقصد به أن يعرض الإنسان نفسه على طبيب بين الحين والآخر حتى ولم يشعر بالمرض.

3-: إجراءات صحية وقائية من الدرجة الثالثة : في حالة تطور المرض إلى مراحل متقدمة وظهور مضاعفات له تتخذ الإجراءات الوقائية من الدرجة الثالثة وتشمل ما يلي :

-علاج الحالات المرضية الظاهرة بهدف الشفاء أو الحد من المضاعفات والعجز المرضي، وهذه تشمل معالجة الحالات المرضية المتقدمة قليلا أو كثيرا بالطرق العلاجية المناسبة وبسرعة بعد استخدام كل الطرق في التشخيص لإيقاف المرض أو منع مضاعفاته والحد من العجز المرضي.

ب- التأهيل : ويمكن تعريف التأهيل بأنه عملية مساعدة الأفراد المصابين بإعاقة ما فيزيائية أو عقلية أو اجتماعية أو اقتصادية كي يدركوا طاقاتهم ويحققوا أهدافهم المشروعة في الحياة، ومن الطبيعي أن يتم ذلك من خلال مراكز قادرة على تأمين المساعدة المشار إليها سواء بتوفير الاختصاصيين والفنيين من أطباء وممرضين ومساعدين صحيين مدربين بصورة جيدة على التعامل في هذا المجال وكذلك بتوفير الأجهزة الضرورية والجو الاجتماعي والنفسي الملائم .

المبحث الثاني: حفظ الصحة في العلم العلاجي الحديث.

المطلب الأول: العلم العلاجي الحديث: سأطرق في هذا المطلب إلى مفهوم العلم العلاجي الحديث وأهم قواعده وخصائصه من خلال ما يأتي:

أولاً - مفهوم العلم العلاجي الحديث: يرتبط بعدة مفاهيم ومعارف أذكرها من خلال ما يأتي:

1- علم الصحة. هو مجموعة من التخصصات في العلوم التطبيقية التي تتعامل مع الصحة، ويحتوي على العديد من الفروع. تنقسم إلى قسمين¹:

- دراسة جسم الإنسان والبحث لتعزيز معرفتنا بالآليات التي يعمل بها الجسم الحي وممرضاته .
- علم الصحة التطبيقي الذي يهتم بتطبيق هذه المعرفة لتحسين الصحة، معالجة وشفاء الأمراض ، فهو يسعى لفهم الصحة بشكل أفضل بالإضافة إلى المحاولة لتحسين صحة الفرد بشكل خاص وصحة المجتمع بشكل عام. ويشمل العديد من العلوم مثل: الثقافة الحيوية، التمريض، التغذية، علم العقاقير، الصيدلة، الصحة العامة، علم النفس، العلاج الطبيعي، الطب.

2- الصحة العلاجية Curative Health: يندرج مفهومها ضمن الطب العلاجي الذي هو علم تشخيص وعلاج الفرد، وتهدف الصحة العلاجية إلى علاج المريض وإخراجه من الحالة المرضية التي يشكو منها إلى حالته الطبيعية (الصحة الطبيعية) ، عن طريق التشخيص وتقرير المناسب. ويلزم ذلك إجراء الفحوصات اللازمة لتشخيص الحالة، وتقرير العلاج المناسب، والتعامل مع الحالة بصورة منفردة².

3- الطب العلاجي الحديث (The Scientific Medicine). يعرف بتعاريف منها:

أ- الطب الذي يستند على أسس علمية وتقنية في علاج المرض، وهو حصيلة التقدم العلمي، ويجتاز الطبيب خلال عملية التعليم الطبي مرحلة تعليمية وتثقيفية يكتسب بواسطتها معرفة للمرض، ويعتمد في فروضه على العقلانية العلمية، لأن الطب الحديث موجه بالدرجة الأولى نحو استنتاج وقياس المعلومات الكيميائية والفيزيائية عن المريض بدلاً من العوامل الوجدانية والاجتماعية، وهو رديف العلوم الطبيعية الأخرى كالفيزياء والكيمياء والبيولوجي والتكنولوجي ويتطور بتطورها³.

¹ مقدمة في الصحة والتغذية، ص: 27

² المرجع السابق: نفس الصفحة

³ د. عبد الفتاح محمد المشهداني ، الطب الشعبي والطب العلمي ، مركز دراسات الموصل ، العراق، العدد 34، ص 5.

ب- يتفق معظم الباحثين بأن الطب الحديث هو علم قائم بذاته له مدارسه ونظرياته ومناهجه العقلية التي تعتمد على الملاحظة والتحليل والتجارب المخبرية للوصول إلى نتائج مادية دقيقة¹. ويرى المشتغلون بالطب الحديث أن الطب العلاجي يعتمد على كشف المرض بطرق أكثر علمية ودقة، من خلال التشخيص بفحوصات بكتيريولوجية، وفحوصات عن طريق الأشعة والتحليل للوصول إلى التشخيص الصحيح، وتقديم العلاج الملائم سواء بالمتابعة الطبية خارج المستشفى أو داخله².

ج- الطب التجريبي الذي يطمح إلى معرفة قوانين الأجساد السليمة والمريضة بحيث لا يمكن توقع الظواهر فقط بل كذلك من تنظيمها وتغييرها في حدود معينة³.

د- إن مدرسة الطب الحديث اليوم عبارة عن تراكم هائل من التجارب الإنسانية والمعرفية والتجريبية، وأصبحت تعتمد على التجارب السريرية والمخبرية. وتتألف عناصر ممارسة الطب اليوم من عدة عناصر رئيسية :- الأسباب: هي دراسة أسباب المرض - فسيولوجية المرض: دراسة آلية المرض ومضاعفاته. - أعراض المرض: هي دراسة الدلائل الظاهرة وتسمى أيضا الدراسة السريرية. - التشخيص التفريقي: وصف الأمراض التي تحمل أعراضا مشابهة لبعضها البعض - التشخيص: تحديد المرض بعد عمل الفحوصات التشخيصية اللازمة من فحوص دم وأشعة وأنسجة - العلاج: وينقسم إلى دوائي وجراحي - التوقع: دراسة احتمالية تطور المرض. وهذا العناصر قريبة من كلام الذهبي، حيث يقول: الطب ينقسم إلى جزء علمي وعملي، فالعلمي أجزاءه أربعة: العلم بالأمور الطبيعية، والعلم بأحوال البدن، والعلم بالأسباب، والعلم بالعلامات والجزء العملي ينقسم إلى حفظ الصحة ومداواة المرض⁴. ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الطب الحديث بأنه الأسلوب العلاجي العلمي المعتمد على المعرفة العلمية والذي يمارسه ذوي الاختصاصات الأكاديمية العلاجية لتشخيص المرض ووصف الدواء لعلاج، ويستند على أسس علمية وتقنية حديثة في علاج الأمراض، وهو حصيلة التقدم العلمي، ويخضع الطبيب المعالج لتكوين أكاديمي نظري وتطبيقي يؤهله لممارسة مهنة الطب.

1 P.Laroche : La santé dans le tiers monde – Ed-Coopérative de la vie mutualiste – Paris 1985 – P.56

2 يحي دلاوي : الطب الشعبي بدلا من الطب الحديث، مقال صدر بمجلة الجمهورية، العدد 456 - 1994م، ص 14

3 كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشاربي، دار بوسلامة للطباعة، تونس 1982، ص 194.

4 عمر عبد الرحمن الحمادي الطب النبوي بين الفقيه والطبيب، ص: 100-101

ثانياً- قواعد العلم العلاجي الحديث. الطب الحديث من أهم إنجازات عصر العلم الحديث، الذي يستند إلى تقنية متقدمة في التشخيص والعلاج ويعتمد على علوم تجريبية كالتشريح وعلم الأنسجة والعقاقير وغير ذلك ولقد نجح الطب الحديث في استئصال أوبئة وأمراض كانت مزمنة ومتوطنة في البشرية ، كالجذري وشلل الأطفال، فضلاً عن انخفاض وفيات الأطفال ، وارتفاع متوسط عمر الإنسان ، وذلك من نتائج الطب الحديث الذي يستند إلى أسس وقواعد أهمها¹.

1-يقوم الطب الحديث أساساً على مناهج علمية متخصصة، كعلم دراسة وظائف الأعضاء وعلم التشريح، وعلم الجراحة، وعلم الإنعاش، وعلم الميكروبات والبكتيريا، وعلم زراعة الأعضاء وغيرها من العلوم، هذه العلوم التي تفرعت عنها علومٌ فرعية أخرى أكثر تدقيقاً واختصاصاً، كعلم الخلايا وعلم الأعصاب وعلم المورثات، والطب النووي، كما استقلت بعض العلوم ببنيتها العضوية وظلت رافداً مهماً للطب الحديث كعلوم الصيدلة وعلوم الترويض الطبي وعلوم التغذية، وعلوم الطب الوقائي، وعلم النفس العلاجي. فالطب الحديث جاء نتيجة تطور التفكير العلمي، وظهور المناهج العلمية وتلاقح العلوم واستفادة بعضها من بعض إبان الثورة الصناعية في أوروبا. وقد اعتمد الطب في هذه المرحلة بشكل أساسي على منهجيات الاستنباط، واستقراء الحالات المرضية وتحليلها، والتوسع في البدائل العلاجية وضبطها علمياً².

¹ د. أحمد محمود صبحي ، د.محمود فهمي زيدان ، فلسفة الطب ، ص 45، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 1993م

²الحسين بشوظ، آفات الطب الحديث، منظمة المجتمع العلمي العربي، 2017/12/17

<http://www.arsco.org/article-detail-1009-2-0>

2- إرتكازه على المنهج التجريبي في البحث الطبي لحل المشاكل الصحية والطبية بالطريقة العلمية ، والتجريب سواء في المعمل (المختبر) أو في المستشفى أو في العيادة أو في البيئة الخارجية ، هو محاولة للتحكم في جميع المتغيرات والعوامل الأساسية للبحث الطبي ، ونستطيع بواسطته اكتشاف وتطوير معارفنا نحو التنبؤ والتحكم في التجارب ، وهي ناجحة في العلوم الطبية ، وفي البحث الطبي الحاصل في المستشفيات (الكبرى خاصة والتي يلحق بها عادة مركز للبحوث الطبية) وذلك بالنسبة لبعض الاختصاصات الطبية ، مثل (النسائية والجراحة العامة والعصبية وأمراض الدم والأطفال والهندسة الوراثية والأمراض السارية وغيرها من الاختصاصات) التي من شأنها الإشراف المباشر على حالة المرضى وإجراء البحوث اللازمة التي من غير الممكن إجراؤها في المختبرات العلمية الضيقة والمحدودة التجهيز - تقنياً وبشرياً - مقارنة بتلك المشافي والمراكز المتخصصة الضخمة . أما بالنسبة للعيادات والمستوصفات المتواضعة التجهيز ، فيمكن إجراء بعض الدراسات المحدودة ، ضمن نطاق ضيق من الاختصاصات الطبية المختلفة ، تتعلق بالمراجعين المرضى من مثل: (أمراض الأذن والأنف والحنجرة والعينية والجلدية ومختلف اختصاصات طب الفم والأسنان) والتي غالباً ما تأخذ الأسلوب الإحصائي Statistics أو التقصي Screening ، أو النماذج الوبائية Epidemiologic Models بعيداً على الاختبار والتجريب Experimental لصعوبة إجراء ذلك من عدة وجوه ، منها صعوبة أخذ العينات العملية Purposive Sample¹ .

3- استناد الطب الحديث إلى مبدأ الحتمية، بمعنى أن علاجاً واحداً ودواءً واحداً لمريضين بمرض واحد لا بد أن تلزم عنه نتيجة مماثلة، وقد بين أن في ذلك تجاهلاً للعوامل الفردية الذاتية حتماً وإن كانت غير تجريبية ولا خاضعة لمقولات العمل، كالحالة النفسية أو الروح المعنوية لكل منهما مما قد يؤدي إلى شفاء أحدهما وموت الآخر (وقد اعترف كلود برنار بذلك مشيراً إلى أثر التدخين في الشفاء)² .

¹ د. ممتاز بن عبد القادر بن حيزة ، البحث العلمي الطبي وضوابطه الشرعية ، ص 411-بتصرف- ، ط 1 ، 2005

² المرجع السابق ، ص 46

4- إن الأنماط المغايرة للطب التجريبي الحديث غيبية خرافية أو هي على الأقل غير خاضعة للتجريب ولا لمقولات العلم، ومن ثم فإنه لا يصح السماح لها بالعمل في الساحة العلاجية، الأمر الذي أدى إلى استثثار الطب الغربي بالتشخيص والعلاج، ولكن ماذا وقد تبين صلاحية بعض هذه الأنماط التي ينكرها ويستنكرها الطب الغربي، فلقد اعترفت منظمة الصحة العالمية مؤخراً بالطب الصيني وصلاحيته لعلاج أكثر من ثلاثين مرضاً فضلاً عن دوره الهام في التخدير¹.

5- الطب الحديث علم مثله في ذلك مثل سائر العلوم التجريبية كالكيمياء والبيولوجيا والفسولوجيا وغيرها من العلوم الطبية المساعدة . والمعلوم عن هذه العلوم أنها (تراكمية Accumulative) بمعنى أن أحدث القوانين أو النتائج فيها يلغي سابقها ويطلها، ذلك أن معيار الصدق في هذه العلوم هو اتساق قوانينها مع ما في الكون من نظام بالتطابق معه، وذلك هو معيار الصدق في كل ما هو تجريبي أو واقعي، واتساق نظرياتها مع ما في العقل من استنباط بالتوافق معه، وذلك هو معيار الصحة في كل ما هو فرضي استنباطي فلما غدت هذه العلوم في نتائجها أشد اتساقاً، وأكثر توافقاً وتطابقاً من سواها فقد نسخ حديثها قديمها.

ولكن الأمر في الطب مختلف، ذلك أن معيار الصدق فيه هو المبدأ (البرجماتي) أو العملي الذي يقرن الحقيقة بالصلاحية العملية، فالعلاج سليم لأنه صالح أو نافع: It is true because it is useful. أو هذا العلاج صالح فهو سليم أو حق: It is useful, there for it is true.

¹ د. ممتاز بن عبد القادر بن حيزة ، البحث العلمي الطبي وضوابطه الشرعية ، ص 148 ، ط 1 ، 2005م

ويترتب على اختلاف معيار الحقيقة بين الطب وسائر العلوم التجريبية أمران هامان:
الأول: ترجيح القول بأن الطب (مهنة) أو (ممارسة) أو أنه (فن) أو (صناعة) حسب تعبير القدامى،
على القول بأن الطب (علم) أو أنه مماثل لسائر العلوم التجريبية التي تنتهي بصياغة قوانين علمية.
الثاني: سقوط دعوى الطب التجريبي الحديث بإنفراده بالصلاحية للعلاج دون سائر الأنماط الطبية،
ومن ثم استثنائه بالساحة العلاجية ما دام في هذه الأنماط ما يصلح للعلاج ويؤدي إلى الشفاء.
ونحن هنا لا نريد أن نقوم بمقارنة ندية بين الطب الحديث وبين الطب الإسلامي، فكلاهما صالح
ومفيد، بل أن هناك كثير من الناس (ومن الغربيين) يفضلون اليوم الطب الذي يعتمد في ممارسته
على العلاج بالصوم، والغذاء، والرياضة، وبالروحانيات، إما يأساً من الطب الحديث حيث لم يجدوا
ضالتهم أو شفاءهم فيه، وإما هرباً من مضاعفاته الجانبية وأساليبه التجريبية الدائمة الممارسة، وكذلك
من أعباءه المادية التي لا يستطيع تحملها غالباً كثير من الناس¹.

ثالثاً- خصائص العلم العلاجي الحديث: لا يستطيع أحد أن يتجاهل القفزة الهائلة التي حققتها
الطب الحديث في القضاء على أمراض وأوبئة كثيرة كانت تُبِيد قطاعات واسعة من البشر في القرون
القليلة الماضية. كما لا يُنكر أحد أن الثورة التكنولوجية التي دخلت ميدان الطب قد سهّلت كثيراً من
أساليب الفحص والتحليل والاختبار، باستعمالها لآلات بالغة التطور والدقة والتعقيد، سواء في
تحليلات الدم، أو الكشف بالمحاليل والمركبات الكيماوية، والكشف بالأشعة والكشف بالمناظير الرقمية.
أو فيما يتعلق بتخطيط القلب والدماغ، وصولاً إلى الكشف بالأشعة المقطعية والليزر والماسح الضوئي
متعدد الأبعاد، وهناك ثلاثة خصائص أساسية، وهي²:

¹ المرجع السابق ، ص 150-151

² د. نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي ، ثقافة الصحة والمرض، ص: 130-131، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، 2006م

1- الطب الحديث ماديُّ التوجه والتفكير: ومثال ذلك تقنية زراعة الأعضاء البشرية في الطب الحديث، والتطور الهائل الذي حققته البحوث والتجارب التي تقوم بها مختبرات طب الاستنساخ والجينات البشرية والحيوانية. وبالتالي فهذه النظرة المادية للطب الحديث جعلته يتقدم كثيراً في أدوات الكشف ووسائل العلاج. إضافة إلى استخلاص الفيتامينات والبروتينات والمواد المسكّنة والمخدرة والمحفزة من مصادر نباتات ومن عناصر الطبيعية، وكذلك العقاقير والمضادات الحيوية المخلّقة في مختبرات الطب الحديث، بالرغم ما لها من تأثيرات واضطرابات في عمل أعضاء الجسم والهرمونات، لكن تلك المضادات الحيوية والعقاقير المخلّقة في مصانع الأدوية ساهمت في القضاء على فيروسات معروفة وشائعة، وفتحت الباب واسعاً للتعامل مع ظهور حالات وسلالات متطورة وغير معروفة من الفيروسات ذات مقاومة فعالة للمضادات الحيوية والعقاقير المصنعة¹.

2- تبني ما أصطلح عليه بالمدخل الانقسامي: يفترض الطب الحيوي أن الصحة والمرض ظاهرة طبيعية تكمن في جسم الفرد أكثر منها في تفاعل الفرد مع العالم الاجتماعي، ووفقاً لهذه الرؤية فإن الطب ينظر إلى العلامات الإكلينيكية التي تعرض عليه على أنها غير ذاتية ومستقلة عن خبرة المريض بالأعراض (مثل الإحساس بالألم) وقد كان ينظر إلى المريض في القرن الثامن عشر كشخص متكامل واليوم أصبح ينظر إلى الجسد بشكل إجمالي كما كينة معقدة منفصلة عن العقل.

3- الاعتقاد في أسباب معينة للمرض: ويفسر هذا المصطلح التحول عن رؤية المرض في نهاية القرن التاسع عشر، كعدم توازن بين الشخص والبيئة إلى رؤية جديدة حيث أمكن إحداث المرض بالإرادة بواسطة الافتعال المجرد بإدخال عنصر معين كائن عضوي سام صغير جداً (في جسم حيوان سليم صحياً وقد امتد هذا الاعتقاد إلى مجالات أخرى في الطب مثل أمراض العجز، حيث لا يوجد هناك كائن عضوي صغير دخيل، وإنما نقص في الفيتامين أو الهرمون الضروري. وقد تعرض هذا الاعتقاد لسلسلة من الانتقادات مثل²:

¹ الحسين بشو، آفات الطب الحديث، منظمة المجتمع العلمي العربي، 2017/12/17،

<http://www.arsco.org/article-detail-1009-2-0>

² المرجع السابق

أن العوامل المعدية تعد عوامل دائمة وكل الناس معرضون لها غير أن ليس كلهم سوف يحصلون على العدوى، كما فشل هذا الاعتقاد أيضا في تفسير تأثيرات التعدد العاملية: Multi Facteur للبيئة الاجتماعية الواسعة عند التعرض للمرض ، بسبب عوامل مثل الضغط والنقص الغذائي. كما فشل أيضا في فهم أن نموذج السبب: النتيجة هو النموذج البسيط، غير ملائم لوصف عملية التشخيص، إذ أن علامات إكلينيكية معينة مثل ارتفاع ضغط الدم لا تظهر نفسها للممارس الطبي ولكنها تستشف بواسطة التفسيرات الشخصية للأعراض وخبرة كل من الطبيب والمريض. ومن هنا يتبين أن مهمة الطبيب ليست مجرد أن يدرك العلامات والأعراض الظاهرة وإنما عليه أن يتباحث في التشخيص بالتفاعل مع المرضى.

4-الإدعاء بالإحياء العلمي: بمعنى أن الطب يمكن أن يكون عقلانيا وموضوعيا ومجانيا ويعالج كل شخص وفقا لاحتياجاته بصرف النظر عن قيمته المعنوية. فبينما يهدف الطب إلى أن يكون مستقلا عن أي تحيز فقد كشفت عدة دراسات عن أن الممارسة تتم بطريقة انتقائية مثال: تصنيف طاقم الحوادث في إحدى المستشفيات المرضى الذين يعرفون بالحالات غير الحرجة والذين أوقعوا الإصابات بأنفسهم أو الأشخاص ذوي الطباع السيئة وتأثير ذلك في نوعية العلاج المقدم إليهم.

المطلب الثاني: المرض في العلم الحديث: أتناول في هذا المطلب تعريف المرض وتصنيفه وأسبابه من خلال ما يأتي:

أولاً: ماهية المرض: من التعريفات التي وصفت المرض نذكر منها :

التعريف الأول: المرض حالة يحدث فيها خلل، إما في الناحية العضوية أو العقلية أو الاجتماعية للفرد، ومن شأنه إعاقة قدرة الفرد على مواجهة أول الاحتياجات اللازمة لأداء وظيفة مناسبة¹.

التعريف الثاني: مفهوم المرض يشير إلى انحراف ما، عن حالة الأداء الوظيفي السوية، تكون له نتائج غير مرغوبة فيه، نظراً لما يؤدي إليه من إزعاج شخص، أو ما ينجم عنه من آثار تتعلق بالمكانة الصحية للإنسان في المستقبل. ففي حالة المرض يكون هناك اختلال في أحد عوامل الصحة الجسمية والعقلية والنفسية يؤدي إلى ظهور اضطرابات تظهر له بعض أعراض المرض، والمرض هو عملية متطورة منذ ابتداء السبب حتى ظهور المضاعفات. فقد يكون هذا التطور حاداً وسريعاً، وقد يكون بطيئاً ومزمناً، كما يمكن أن يكون المرض أيضاً عاماً يصيب أكثر من عضو واحد، أو يكون موضعياً محلياً، فيقتصر على إصابة عضو واحد أو جزء من عضو المريض. وهناك فرق بين ثلاث مفاهيم وهي : المرض - الاعتلال - السقم

فالمفهوم الأول يحدد لنا بأنه الإدراك الواعي بعدم الراحة، أي أن الفرد يحس أو يدرك بأنه مريض، أما المفهوم الثاني فهو حالة الاختلال الوظيفي والتي يتأثر بها الجانب الاجتماعي، وتؤثر على علاقة الفرد بالآخرين، أما المفهوم الثالث فهو حالة عضوية أو نفسية للاختلال الوظيفي الذي يؤثر على شخصية الفرد. وبهذا يكون المفهوم الأول المرض عبارة عن التقليل من قدرة الفرد الطبيعية على الوفاء بالتزاماته اتجاه أسرته ومجتمعه، وزيادة متاعبه النفسية كالتوتر والخوف والقلق².

¹ بن عروس حياة ، الأنثروبولوجيا الطبية و دورها في قضايا الصحة و المرض ، ص 77 ، ، العدد 13، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ، الجزائر ، 2013

² المرجع السابق ، نفس الصفحة

التعريف الثالث: هو الحالة التي يكون عليها الجسم نتيجة لحدوث قصور أو خلل في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم مما يعوقه عن القيام بوظائفه. وقد يظهر المرض على شكل وباء في عدد كبير من الناس في مجتمع لم يسبق له الإصابة وترتفع معدل الإصابة بشكل ملحوظ وقد يكون المرض فردي ويعني حدوث حالات فردية على فترات منقطعة مثل (التسمم) والأمراض المستوطنة¹.

التعريف الرابع: المرض اختلال في التوازن الطبيعي ، يجب إصلاحه، هذا هو أساس الطب الغربي "العقلاني" الذي بدأ مع أبقراط والذي يعتمد على علاج "الأمزجة" ، ويقصد بالمرض الاضطراب الوظيفي المتطور، فالمرض ليس حالة ثابتة، وإنما حالة حركة متطورة تطورا غير طبيعية في جسم الإنسان، وهذا التطور قد يأخذ فترة طويلة أو قصيرة ولكنه ينتهي دائما بنتيجة قد تكون إما الشفاء التام أو الوفاة أو تقف في مرحلة وسط تعمل على إعداد الجسم لظروف جديدة².

فما سبق ذكره فإن مفهوم المرض يشتمل على عاملين أساسيين هما: الاستعداد الداخلي والبيئة، (فالمرض يعكس بالمعنى العام للكلمة اختلالاً في البيئة الداخلية للإنسان أو تكوينه العضوي، وغالباً ما يعكس اختلالاً في العلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته الخارجية التي تهيئ له مختلف مسببات الأمراض، كسوء التغذية أو الجراثيم المعدية أو العوامل الفيزيائية والكيميائية الضارة وغيرها من المسببات³)، والمفهوم الآخر للمرض يرتبط بوجهتي نظر نشؤوية مرضية وسريرية. (فالمرض من وجهة نظر نشؤوية، هو نتيجة اختلالات في سيلان الطاقة الحيوية عبر العضوية؛ أما من وجهة نظر سريرية، فالمرض ليس إلا ترجمة للعملية الداخلية التي ينفذها الجسم للقضاء على السموم وطردها بغية التنقية والتجدد)⁴. فالخلاصة أن مفهوم المرض في العلم الحديث هو خلل في الأداء الوظيفي لعضو من أعضاء الجسم ، أو جهاز من أجهزته ، يؤثر على الصحة البدنية أو العقلية أو كليهما ، ويحدث تغيراً للحالة الطبيعية للجسم.

¹ مقدمة في الصحة والتغذية ، ص: 19-20 -بتصرف-

² د مختار رحاب ، الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع مقارنة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، ص 175-، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 15، جامعة المسيلة-الجزائر، 2015م.

³ د. فيليب عطية، أمراض الفقر، عالم المعرفة 161، الكويت 1992، ص 89.

⁴ ستوارت هامبشير، عصر العقل، ترجمة د. ناظم طحان، دار الحوار، اللاذقية 1986، ص 22.

ثانيا: تصنيف الأمراض: توجد العديد من الأمراض التي تصيب الفرد، ولتصنيف هذه الأمراض، يمكن توضيحها حسب تخصصها فيما يلي¹.

1- الأمراض الجسمية أو البدنية: وهي جميع الأمراض التي تصيب البدن أو جسم الإنسان ومنها:- أمراض سوء التغذية ، كمرض " الكساح " ويحدث بسبب نقص الفيتامين أ-الأمراض الطفيلية: وهي التي تنتشر بسبب الديدان، مثل البلهارسيا.-أمراض الحميات: مثل الملاريا،.-الأمراض المعوية: مثل الكوليرا، والقرحة المعوية-الأمراض الجلدية: مثل الجدري والحصبة .-الأمراض التناسلية: مثل مرض الزهري والسيلان والعقم.-أمراض الجهاز التنفسي: مثل السل والالتهاب الرئوي.-أمراض فيروسية: مثل التهاب الكبد الوبائي ، الايدز، السرطان.

2- الأمراض العقلية والنفسية:الأمراض النفسية أو العقلية يشير إلى مجموعة من الاضطرابات التي لم يكشف لها عن سبب عضوي يصيب الشخص، وتبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية، وتعتبر المظاهر الخارجية لحالات من التوتر والصراع اللاشعوري، وتؤدي إلى اختلال جزئي يصيب أحد الجوانب الشخصية، إذن فالمرض النفسي يشمل أنواع من اضطرابات السلوك الناشئة عن فشل الأفراد في التوافق مع أنفسهم، ومع البيئة المحيطة بهم، وهو عبارة عن تعبير عن مشكلات نفسية وانفعالية ومحاولات غير ناجحة للتوافق مع التوترات والصراعات الداخلية ، و من تلك الأمراض الاكتئاب ، الهستيريا ، الوسواس القهري...الخ.

ثالثا-أسباب الأمراض: يحدث المرض على مرحلتين: ما قبل المرض ، ومرحلة الإصابة بالمرض.

1-مرحلة ما قبل المرض:وتتحكم فيها العوامل التالية²:

أ- عوامل المسبب النوعي للمرض (Agent): ويعرف المسبب النوعي بأنه العنصر أو المادة سواء كان حيا أو غير حي، وهي التي تساعد على وصول المرض واستقراره في الإنسان وإحداث تغيرات بالأنسجة، وتنقسم المسببات النوعية للأمراض إلى فئتين:المسببات النوعية الخارجية والداخلية للمرض ،وفيما يلي بيانها:

¹ أ بن عروس حياة ، الأثروبولوجيا الطبية و دورها في قضايا الصحة و المرض ، ص 78-80 -بتصرف-

² الإنسان والصحة والبيئة ، ص : 9-11 -بتصرف ، منشورات منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ،

عمان ، الاردن ، 2004

- المسببات النوعية الخارجية للمرض: و تنبع من عوامل خارج الجسم وتؤثر فيه وتنقسم إلى:
- أ- المسببات الحيوية من أصل حيواني: مثل (الديدان، البعوض، طفيليات)
- ب- المسببات الحيوية من أصل نباتي: مثل (فطريات، البكتريا، الفيروسات)
- ج- المسببات الغذائية: وهذه تؤدي إلى الأمراض نتيجة زيادة أو نقص في العناصر الغذائية مثل الكربوهيدرات، الدهون، البروتينات، الحديد، الأملاح. فمثلا عند زيادة الكربوهيدرات والدهون يؤدي إلى السمنة والسكر و الضغط وغيرها.
- مسببات طبيعية: مثل التعرض للتغير في درجة الحرارة والبرودة والرطوبة والإشعاعات والكهرباء
- المسببات الكيميائية: قد تكون خارجية من البيئة المحيطة مثل: (التعرض لمركبات الرصاص والفسفور) وقد تكون داخلية داخل جسم الإنسان مثل: (المواد التي تكون في الدم مثل زيادة سكر الجلوكوز الذي يؤدي إلى الإصابة بالسكري أو الكبد وغيرها).
- المسببات الميكانيكية: مثل: (الفيضانات، الزلازل، السيول، الحرائق، الحوادث)
- للمسببات النوعية الداخلية للمرض: وتنبع من داخل الإنسان ومنها:
- أ- خلل أو تقصير في وظيفة عضو أو جهاز من أجهزة الجسم فتظهر الأمراض مثل: اختلال إفرازات الغدد الصماء من هرمونات أو اختلال إفرازات الإنزيمات والعصارات في الجسم مثل اختلال وظيفة البنكرياس مما يؤدي إلى الإصابة بمرض السكري.
- ب- حدوث بعض الأمراض الوراثية مثل الضعف العقلي
- د- مسببات نفسية واجتماعية: وهي الأمراض الناتجة عن الضغوط النفسية والعصبية بسبب المشكلات الحياتية أو عدم التوازن الوجداني أو بسبب تعاطي المخدرات وغيرها مما يؤثر سلبا عليه.
- ب- عوامل صفات العائل المضيف المناسبة (Host): هي مجموعة العوامل المرتبطة بالإنسان والتي تساعد على مقاومة المسببات وتتكون من عناصر عديدة منها العوامل الوراثية، المرحلة العمرية والمستوى الاجتماعي والثقافة. وهي العوامل التي تقاوم وصول المسبب للإنسان وحدث المرض.
- ت- عوامل البيئة المناسبة للمرض (Enviromment): هي العوامل الخارجية التي تؤثر في الإنسان العائل للمرض، وهي التي تتحكم في العلاقة بين المسبب والمريض.

2-مرحلة الإصابة بالمرض: وتكون نتيجة لتفاعل المسبب والمضيف والبيئة مع جسم الإنسان. وهناك عدد من الأعراض التي يشعر بها الإنسان المريض وتعتبر علامات خطر تنذر بحدوث المرض وهذه العلامات هي¹: الألم-الشعور بالتعب-التغير المفاجئ في الوزن-الصداع-ارتفاع درجة الحرارة - النزيف-سوء الهضم- الأرق- تغيرات في النظر - الانتفاخ - وجود أورام -صعوبة في التنفس - التهاب الجلد- فقدان الشهية - العطش الشديد - الكحة - الدوخة أو الدوار -تغيرات في الطبيعة رابعاً-نظريات تشخيص الأمراض: إن تشخيص المرض وعلاجه توجهه احدي نظريات ثلاث² :

1-النظرية الأولى: وتسمى النظرية الآلية أو الميكانيكية Mechanism ، فإن الطبيب يتعامل مع المريض على أنه جسم فقط ، وأن الجسم مركب من أجزاء أو أعضاء وأنسجة ، وشرابين ، وأن لكل جزء وظيفته المحددة مستقلة عن وظائف الأجزاء الأخرى ، فمهمته الانتباه إلى العضو التالف أو العاجز ، ثم علاجه فالطبيب يعالج المريض حسب علمه ومهارته وخبرته متجاهلاً ما قد يحسه المريض من آلام ، لا يهم الطبيب ذلك الجانب الذاتي في المريض وإنما يهمله فقط الانتباه إلى وصف الدواء الذي يراه شافياً للمرض أو أداء العملية الجراحية الضرورية للشفاء³ . ويرى أهل العلم إلى هذه النظرية بأنها قاصرة لأنها تتجاهل ظروف الجسم ككل ، فلو افترضنا أننا أمام مريض يشكو ارتفاع ضغط الدم ، فإن الطبيب يعرف أن هذا المرض يعتمد على درجة عالية من التوتر في جدران الشرايين والكمية الكبيرة المتدفقة من الدم . وسوف يكون علاج هذا التوتر في جدران الشرايين والكمية الكبيرة المتدفقة بأدوية يعرفها ، فقد يحدث أن يكون لدواء ما آثار جانبية ضارة لدى مريض ما ، وقد يحدث ارتفاع ضغط الدم لسبب عارض مثل حالة خوف أو قلق في ظروف خاصة بمريض آخر، وحينئذ يزول الضغط بزوال تلك الحالات النفسية دون علاج عضوي.أضف إلى ذلك أن تلك النظرية تعامل الجسم الإنساني على أنه آلة جامدة لا حياة فيها ، وهو موقف غير مقبول⁴ .

¹ مقدمة في الصحة والتغذية ، ص: 22

² أنظر: فلسفة الطب ، ص 133

³ ، Technology and Medicine، Ethics، (editors)، . D. Braine and H. Lesser
Brook-fild -1988،Avebury

⁴ أنظر: فلسفة الطب ، ص 133

2- النظرية الثانية: نقول إنه لا يجب على الطبيب أن يحاول تخفيف الآلام على المريض فقط وإنما يجب عليه أيضا في تشخيصه وعلاجه للمريض، أن يضع في اعتباره كل ما يحيط بالمريض من ظروف ، خصوصا في حالات الأمراض العصبية والعقلية ، فهذه الأمراض من اختصاص طبيب الأمراض العصبية والنفسية ، لكن قد يكون لهذه الاضطرابات العقلية والنفسية أسباب فيزيائية عضوية ، أي عجز في وظائف الدماغ أو الجهاز العصبي ، وحين لا يكون لهذه الأمراض أسباب عضوية ، فإن مجال علاجها هو الطب النفسي والعقلي، لكن كلما ازدادت معرفتنا الطبية كنا أكثر قدرة على العلاج ولذلك يمكن استخدام الطب العضوي والعلاج النفسي معا . فتقول هذه النظرية الثانية بعبارة أخرى إن التشخيص والعلاج يستلزم المعرفة الممكنة عن المريض في إطار حياته الخاصة والبيئة التي يحياها ، وهنا يتعاون الطبيب العضوي والمعالج النفسي والأخصائي الاجتماعي معا¹. وينظر العلماء إلى هذه النظرية الثانية بنظرة القبول، ولكنها قد تكون اتخذت موقفا مثالية حين رأت أن العلاج يستلزم تصحيح كل الظروف النفسية والاجتماعية والبيئية للمريض².

3- النظرية الثالثة: تهتم اهتماما أساسيا بطبيعة الجسم الحي الذي يعمل ككل أو أن كل الوظائف الحيوية تعمل معا ، وبذلك لا تكون مهمة الطبيب علاج العضو التالف أو العاجز فقط، وإنما تكون مهمته النظرة الشاملة لكل ما يقوم به الجسم من وظائف، بالإضافة إلى أن الحالات النفسية من حزن أو قلق تؤثر في الجسم كما أن للحالات الجسمية أثرها على حالات النفس. وتسمى هذه النظرية بالنظرية الكلية أو التكاملية Holism ، وتبرز قيمة هذه النظرية باعتبار أن كل الوظائف الحيوية تعمل معا ، وأن الحالات العقلية والنفسية تؤثر في أعضاء الجسم ، كما أن اختلال الوظائف العضوية الجسمية تساعد على ظهور حالات نفسية . فالنظرية التكاملية لا تنظر إلى جسم الإنسان على أنه آلة ولا حتى آلة معقدة . بين أجزاء الآلة علاقات خارجية ، ولكل جزء وظيفته المستقلة ، فإذا فسد جزء أو تعطل فيمكن أن تستبدل به جزء آخر جديد يؤدي وظيفته أداء كاملا³.

¹ ، Avebury, Technology and Medicine, Ethics, (editors),. D. Braine and H. Lesser

Brook-fild -1988

² أنظر: فلسفة الطب ، ص 133

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة

بل تعتبر أن الجسم الإنساني أو الجسم الحي ليس كذلك (آلة)، ذلك لأن بين أعضائه علاقات داخلية بمعنى أنه على الرغم من أن لكل عضو وظيفته الخاصة به فإن الأداء السليم لوظيفة عضو ما يؤدي إلى أداء سليم لأعضاء أخرى كثيرة في الجسم ، كما أن العجز أو الضعف الذي يصيب عضوا ما قد يؤدي إلى ضعف في أداء أعضاء أخرى لوظائفها . إن الجسم يعمل ككل وأن أعضائه مرتبطة بعضها ببعض ارتباط غائي. خذ ظاهرة التنفس مثلا ،التنفس تحكمه منبهات كيميائية عن طريق كميات من الأوكسجين وثنائي أكسيد الكربون في الدم ، لكن يتحكم في التنفس أيضا منبهات عصبية تنشأ عن العصب التائه Vagus nerve ، وهذان النوعان من المنبهات متكاملان مرتبطان داخليا ، لأن العصب التائه ينظم عمق التنفس ، ولذا يتعاون عمل العصب التائه مع المنبهات الكيماوية . وهذه جميعا تجعل التنفس معاونا لكل أنشطة الجسم ، كما نلاحظ أيضا أن مركز التنفس في الدماغ يحافظ على ثبات تركيب الدم في الشرايين .زد على ذلك أن التنفس يتأثر بالحالات النفسية إذ يهدأ النفس في حالات الرضا والارتياح ويضطرب في حالات الخوف والغضب والقلق والحزن ، هذا هو معنى آخر للتكامل بين وظائف أعضاء الجسم كله. الإنسان إذن ليس آلة جامدة مكونة من أجزاء منفصلة ولكل وظيفة مستقلة عن وظائف الأجزاء الأخرى . وإنما الجسم كيان عضوي تعمل كل أجزائه بحيث تحقق هدفا واحدا مشتركا هو استمرار الحياة وتكاتف كل الأجزاء . خذ مثلا آخر للوظيفة التكاملية لجسم الإنسان هو التمرينات العضلية فليست هذه التمرينات مجرد عملية لتقوية العضلات وإنما تؤثر أيضا على الدورة الدموية والتنفس وإفراز الهرمونات التي تنبه العمليات الجسمية . ويكتشف علم الأحياء أن في الدماغ مركزا لتنظيم الشهية للطعام ومن ثم يتحكم في كمية الغذاء المطلوبة تؤكد هذه الأمثلة وغيرها أن كل أعضاء الجسم وكل الوظائف الحيوية تعمل معا للمحافظة على البقاء واستمرار الحياة والتجديد المستمر للمادة التي تحتاجها كل خلية حية¹.

¹ أنظر مقال: E. K. Ledermann: «Mechanism and Holism in physical Medicine»، Jlèn ، in Lamb and :
(ed.) Explorations in Medicine. bilis Daries، 1987، وانظر: فلسفة الطب ، ص 135-بتصرف-

المطلب الثالث: الدواء في العلم الحديث.

إن الدواء من أقوى وأهم الإنجازات العلمية التي حققها الإنسان في العصر الحديث، وفيما يلي أتناول مفهوم الدواء ومصادره وأنواعه والآثار الجانبية لإستعماله من خلال ما يأتي.

أولاً-تعريف الدواء: يعرف الدواء بعدة تعريفات منها:

1- هو مادة تستعمل في تشخيص أو معالجة الأمراض التي تصيب الإنسان أو الحيوان أو التي تفيد في تخفيف وطأتها أو الوقاية منها¹.

2- يعرف بأنه مادة بسيطة أو مواد مركبة ، إما من أصل طبيعي وإما مشيد كيميائيا ، ويستخدم إما للعلاج وإما للوقاية من الأمراض وإما للكشف عنها في الإنسان أو الحيوان. وكثيرا ما يحدث لبس بين الدواء أو المستحضر الدوائي وبين العقار ، فالدواء قد يكون مركبا من عقار واحد أو أكثر، وتصاغ العقاقير في شكل مقبول للمريض يعرف بالمستحضر الدوائي أو الدواء، والعقار هو المادة الفعالة في المستحضر الدوائي، وقد يكون من أصل نباتي أو حيواني أو معدني، أو مشيدا تشييدا كيميائيا².

3-الدواء مادة حينما تطبق أو تعطى للجسم فإن لها القدرة على تغيير وظائف الجسم³.

4-حزمة من الخصائص الملموسة وال تنطوي على فوائد أو منافع وظيفية واجتماعية ونفسية محددة⁴. فمن خلال ما سبق ذكره يمكن تعريف الدواء بأنه مادة من أصل نباتي أو حيواني أو كيميائي تستخدم لعلاج الامراض والوقاية منها.

¹ د رياض رمضان العلمي ، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، ص 9، عالم المعرفة ، رقم 121 ، الكويت. يناير 1988

² د.صالح حسن علي خليل ، رحلة الدواء من المصدر الى المريض ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

³ د.علي اسماعيل عبيد السناني ، علم الادوية والعلاج ، ص 11 ، دار الضياء للطباعة والنشر ، العراق ، 2012م

⁴ رشاد محمد الساعد ، محمود جاسم الصميدعي ، التسويق الدوائي ، ص 190 ، دار المناهج ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2006م

ثانياً- مصادر الدواء: يمكن تقسيم مصادر الأدوية إلى الآتي :

1-المختبرات الكيميائية: يصنع الكيميائيون الكثير من الأدوية القيمة التي لا توجد طبيعياً، والتي قد تطابق أو تفوق مثيلاتها المستخرجة من النباتات والفطريات والحيوانات والمعادن، وتستطيع الشركات تصنيع الدواء وإنتاج كميات كبيرة من الأدوية المصنعة معملياً وتكلفة أقل مقارنة باستخلاص الأدوية من الموارد الطبيعية. فمثلاً يستخلص هورمون الهيدروكورتيزون المستعمل لعلاج التهاب المفاصل من الغدد الكظرية للأبقار والأغنام، ولكن يمكن تصنيع هذا الهورمون كيميائياً بتكلفة قليلة مقارنة بتكلفة استخلاص وتصنيع الهورمون الطبيعي. وإضافة لهذا نجد أن الآثار الجانبية الخطيرة للهورمون المصنع معملياً أقل من تلك التي يحدثها الهورمون الطبيعي¹.

2-النباتات: تعد النباتات من أهم المصادر الطبيعية للأدوية ، ولقد لجأ الإنسان بفطرته إلى التداوي بالأعشاب، ومازالت الأعشاب الطبية تحتل مكانة مرموقة كمصدر غني بالعقاقير حتى وقتنا هذا . بل وظهرت دعوة إلى العودة إلى الطبيعة للتداوي ووجدت صدي في كافة أرجاء المعمورة، ولا غرو فإن كثيراً من العقاقير التي تستخدم في كافة المستحضرات الدوائية هي من أصل نباتي حيث كانت النباتات الطبية تستخدم كما هي ، ويتقدم العلوم الصيدلانية تمكن العلماء من التعرف على تركيب تلك النباتات وكذلك فصل وتنقية المواد الفعالة منها، وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى بعضها، كدواء المورفين المخدر ، وهو موجود في نبات الخشخاش ويستخدم كمسكن للآلام ، ودواء الديجوكسين: وهو مستخلص من أوراق نبات الديجيتالا ، ويستخدم لعلاج بعض أمراض القلب² .

3-المعادن : تصنع بعض الشركات الدوائية الأدوية من المعادن. فمثلاً يتم تصنيع صبغة اليود من معدن اليود، وتستعمل لعلاج التهابات الجرثومية في مواضع الجروح والكدمات. وكذلك تصنع نترات الفضية على شكل مسحوق ليوضع على الجروح لإيقاف النزيف ولمنع الالتهابات الجرثومية. وإضافة لهذا يستعمل الأطباء المحلول المخفف لنترات الفضة لعلاج لبعض أمراض العين والجلد.

¹ الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

² د. صالح حسن علي خليل ، رحلة الدواء من المصدر الى المريض ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991 ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

4- الحيوانات: تستخلص بعض العقاقير من الحيوانات كما يتبين من الأمثلة الآتية: -الببسين والبنكرياتين، وهما إنزيمان (خمائري) يستخلصان من الحيوانات ، ويستخدمان في علاج سوء الهضم - الإنسولين: ويستخلص من بنكرياس بعض الحيوانات ويستخدم في علاج مرض السكر - الهيبارين: ويستخلص من أنسجة الرئة وأغشية أمعاء الأغنام والثيران ويستخدم كمضاد لتجلط الدم¹.

5- البكتيريا: نجح العلماء في عزل بعض الجينات الإنسانية وتغذية البكتيريا بها للحصول على بعض المواد الكيميائية أو الهرمونات الشبيهة بتلك الجينات في الإنسان. وبعد ذلك يتم عزل ما تم تصنيعه وتنقيته في خلايا البكتيريا واستعماله لعلاج بعض المرضى. ومن هذه الأدوية الإنسولين والإنترفيرون، وهو مادة يصنعها الجسم عند تعرضه للالتهابات الفيروسية المعدية. ولهذه المادة أيضا قدرة على التحكم في الأمراض المسببة بواسطة الفيروسات، ويوجد أكثر من نوع منها يستخدم حاليا لعلاج بعض الأورام². وتستخلص بعض العقاقير من الكائنات الدقيقة حيث تعد البكتيريا والفطريات مصدرين هامين لمجموعة داوية تسمى المضادات الحيوية، وتشمل مضادات البكتيريا ومضادات الفطريات ، ويمثل اكتشاف دواء البنسلين عام 1939م بداية تحضير المضادات الحيوية التي جنيت المرضى بفضل الله العديد من الأمراض الفتاكة مثل الإلتهاب الرئوي والتيفوئيد وغيرها³.

¹ د. صالح حسن علي خليل ، رحلة الدواء من المصدر الى المريض ، ص 4 ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991 ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

² الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

³ د. صالح حسن علي خليل ، رحلة الدواء من المصدر الى المريض ، ص 5 ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991 ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

6- الصيدلية الصناعية (علوم الفارماكولوجي): إن الصناعة الصيدلية العلمية الحديثة المدعمة بالأبحاث العلمية من التقنية والعلوم لم يكن لها وجود بالشكل المعروف حالياً، فمنذ عام 1940 كان يسيطر على صناعة الأدوية ورثة الصيادلة الأوائل ، وكان اهتمامهم منصباً على المستحضرات الجالينوسية يحضرونها من مصادرها الطبيعية وبالذات النباتية والحيوانية، مثال ذلك الصبر والمر والبلادونا والديجتالس وكسكارا والأرجوت وكانت هي المواد الخام التقليدية المستعملة في تصنيع الصبغات والأقراص وما شابهها¹ . ، ثم حدث تقدم لدى اكتشاف الديجتالس والكلوروفورم والقلويدات النباتية، واكتشاف الجراثيم والميكروسكوب واللقاحات والأمصال وغير ذلك، كما تم اكتشاف العديد من المواد النباتية قوية التأثير، وتم فصلها عن النبات وتحضيرها تخليقياً كالمورفين والكودئين والامتين وستركنين والكينين والاييرين وبلوكارين، وأوشكت الصناعة أن تستغني عن تلك النباتات طالما أنها قادرة على تخليق محتوياتها².

والصناعة الصيدلية والدوائية الحديثة عبارة عن مجموعة من مصانع الأدوية والكيمائيات في شكلها النهائي جاهزة لاستعمال المريض كالمراهم والكريمات والأقراص والكبسولات والحقن والشرابات ويتطلب ذلك اتباع الخطوات التالية³:

- إنتاج المواد الكيميائية العضوية المخلفة والأساسية بكميات كبيرة كالفيتامينات والهرمونات ومضادات الهيستامين ومدرات البول ومشتقات السلفا ومضادات الحيوية ويخصص لذلك مصانع خاصة لكل منها :

- إنتاج المضادات الحيوية كالبنسلين وستربتوماسين بواسطة التخمر والتخليق الكيماوي.
- تحضير الأمصال واللقاحات بواسطة مزارع الكائنات الحية المجهرية .

¹ في الجزء الأكبر من الألفي سنة الماضية كانت علوم الفارماكولوجي والمعالجة مبنية على تعاليم جالينوس ، انظر د رياض رمضان العلمي ، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، ص 74، عالم المعرفة ، رقم 121 ، يناير 1988 ، الكويت.

² د رياض رمضان العلمي ، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، ص 74، عالم المعرفة ، رقم 121 ، يناير 1988 ، الكويت.

³ المرجع السابق ، نفس الصفحة

ثالثاً-أنواع الأدوية: تصنف المنتجات الدوائية بشكل عام إلى ثلاث أنواع رئيسية هي¹ :

- 1- المنتجات الدوائية الاستهلاكية الخاصة: هي تلك المنتجات الدوائية التي لا تعطى إلا بوصفة طبية من طبيب مختص، وهي عبارة عن العلاجات الدوائية المتخصصة لأمراض معقدة أو عادية.
- 2- المنتجات الدوائية الاستهلاكية الاعتيادية: هي المنتجات الدوائية التي تباع في الصيدليات، وهي منتجات دوائية لا تحتاج إلى وصفات طبية كمواد التغذية، والمواد الطبيعية العشبية.
- 3- المنتجات الدوائية المستخدمة في صناعة الأدوية: وهي المنتجات التي تكون مصنعة ويعاد تغليفها و بيعها بأسماء تجارية أخرى، أو تلك المنتجات نصف مصنعة تدخل في صناعات دوائية و يتم اكتمال تصنيعها تحت أسماء تجارية أخرى أو تكون مواد خام (كمائية، حيوية و التي تشكل الأساس في تصنيع المواد الدوائية بشكل عام.

وتصنف الأدوية بناء على مصدر الدواء إلى مايلي²:

- 1- الأدوية الطبيعية الخام : هي مستحضرات خام يتم الحصول عليها بواسطة التحفيف والاستخلاص النباتات أو الأعضاء الحيوانية (مثل البلادونا، غدة الدرقية المجففة).
- 2- المواد الطبيعية النقية: هذه المواد تعزل بالاستخلاص الكيماوي أو الفيزياوي من مصدر طبيعي (مثل المورفين، البنسلين).
- 3- المواد نصف المصنعة : وهذه المواد يتم الحصول عليها بعد إجراء تحويل كيميائي على المواد الطبيعية النقية (مثل تصنيع الهيروين من المورفين، الفلودر وكورتزون من الهايدروكورتزون).
- 4- المواد المصنعة: وهي المواد المصنعة كيميائية (مثل البنزوديازيبينات والباربيجوريت)

¹ رشاد محمد الساعد، محمود جاسم الصميدعي، التسويق الدوائي، مدخل استراتيجي تحليلي، ص 190، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2006

² د.علي اسماعيل عبيد السناني، علم الادوية والعلاج، ص 12، دار الضياء للطباعة والنشر، العراق، 2012م

يمكن تصنيف الأدوية بطرق متعددة، اعتمادا على أشكالها (كبسولات - سوائل)، أو تقسيمها تبعا لطريقة تعاطيها (البلع - الاستنشاق - الحقن)، أو تبعا لتكوينها الكيميائي. ولكن علماء علم الأدوية يقسمونها حسب تأثيرها الرئيسي في الجسم، وفي هذا التقسيم نلاحظ دخول معظم الأدوية ضمن أربعة مجموعات رئيسية¹:

1- الأدوية القاتلة للجراثيم

2- الأدوية الوقائية من الأمراض المعدية

3- الأدوية المؤثرة على القلب والأوعية الدموية

4- الأدوية المؤثرة على الجهاز العصبي .

1-الأدوية القاتلة للجراثيم: ومنها: المضادات الحيوية ، ويصف الأطباء هذه الأدوية لعلاج التهاب السحايا ومرض الالتهاب الرئوي والعديد من الأمراض المعدية. وتبذل الجرعات الكبيرة من عقار البنسلين وغيره من المضادات الحيوية الجراثيم المسببة للأمراض، بينما تضعف الجرعات الصغيرة من هذه الأدوية قدرة الجراثيم على التكاثر في الجسم، وبذلك تساعد أجهزة المناعة والدفاع في الجسم على التخلص منها.

2-الأدوية الوقائية من الأمراض المعدية: تقسم الأدوية الوقائية من الأمراض المعدية إلى نوعين :

أ- اللقاحات ب- الأمصال الضدية والجلوبولينات. ولبعض هذه الأدوية مكانة خاصة وأهمية بالغة، مثل لقاحات التهاب شلل الأطفال الذي لا يوجد له علاج بعد حدوثه.

أ- اللقاحات: توجد أنواع متعددة من اللقاحات، ويختص كل واحد منها بتنبية الجسم لإنتاج نوع واحد من مواد تسمى الأجسام المضادة. التي تمنع مرضا واحدا فقط. ويجعل اللقاح البدن ذا مناعة ضد المرض، وذلك لقدرته على تنبيه الجسم لصنع الأجسام المضادة المقاومة لهجوم المرض. وقد تم تصنيع وتطوير العديد من اللقاحات ضد الكثير من الأمراض المعدية مثل الكوليرا والدفتيريا والحصبة والجذري والسعال الديكي وشلل الأطفال. وقد نجح العقار المضاد للجذري في القضاء على المرض بصورة كاملة، ويرجع آخر تاريخ لحدوث الجذري بصورة طبيعية إلى عام 1977م.

¹ الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

ب- الأمصال الضدية والجلوبيولين: تشبه الأمصال الضدية والجلوبيولين اللقاحات في قدرتها على الوقاية من بعض الأمراض المعدية، ولكنها تختلف عن اللقاحات في إحتوائها على الأجسام المضادة في شكلها النهائي بدلا من إحتوائها على المواد التي تنبه الجسم على صنع مثل هذه الأجسام المضادة. ولذلك تعمل الأمصال الضدية والجلوبيولين بسرعة أكثر من اللقاحات في منع المرض والوقاية منه. ويصف الأطباء مثل هذه الأدوية بمجرد تعرض إنسان غير محصن ضد المرض للمرض نفسه. وتستعمل المضادات اليوم للوقاية من أمراض مثل الدفتيريا والكزاز. ويستعمل الجلوبيولين للوقاية من أمراض مثل التهاب الكبد وداء الكلب والكزاز.

3- الأدوية المؤثرة على القلب والأوعية الدموية: يطلق على الأدوية التي تؤثر على القلب والأوعية الدموية اسم الأدوية القلبية الوعائية، ويصف الأطباء هذه الأدوية لعلاج أمراض القلب والأوعية الدموية التي تعد أحد أهم الأسباب المؤدية للموت في الأقطار الصناعية. وتوجد من هذه الأدوية أربعة أنواع هي¹:

أ- منظمات ضربات القلب: تعمل منظمات ضربات القلب على استقرار ضربات القلب وتنظيمها ويستخدم الناس هذه الأدوية أساسا لعلاج تسرع القلب والرجفان، وهي الحالة التي ينبض فيها القلب بغير نظام وبسرعة تفوق السرعة العادية.

ب- مقويات القلب: تقوي مقويات القلب تقلصات وضربات القلب، مما يزيد من دوران الدم إلى أعضاء الجسم المختلفة. وتعطى هذه الأدوية في حالات ضعف ضربات وتقلصات القلب، ومن أقوى هذه الأدوية عقارا ديجوكسين وديجيتوكسين.

ج- موسعات الأوعية الدموية: توسع أو تمدد هذه الأدوية الأوعية الدموية الصغيرة، وتستعمل غالبا لعلاج ضيق الشرايين التاجية المسؤولة عن حمل الدم إلى القلب، وتعرف الأدوية الموسعة لهذه الشرايين باسم موسعات الشريان التاجي، وتعطى هذه الأدوية لعلاج الضيق الشديد في الشرايين التاجية الذي يسبب آلاما شديدة في الصدر عند أداء أي عمل مثل التمارين الرياضية أو المشي. ويسمى هذا المرض باسم الذبحة الصدرية، ومن أكثر الأدوية استعمالا لعلاج هذا المرض عقاقير نيتروجليسرين وثاني نترات الأيزوسوربيد ومحصرات الكالسيوم ومحصرات بيتا .

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

د-مخفضات ضغط الدم: تستعمل مخفضات ضغط الدم في علاج ارتفاع ضغط الدم الشرياني. ومن هذه المخفضات بعض الأدوية الموسعة للأوعية الدموية الصغيرة ذات القدرة على إرخاء العضلات الملساء في جوانب هذه الأوعية، مما يقلل من ضغط الجدر على الدم في الأوعية الدموية. وهناك أدوية أخرى لعلاج ضغط الدم المرتفع والتي تعمل بطرق مختلفة. وفي أغلب الأحيان يصف الأطباء دوائين أو أكثر لكل مريض لتخفيض ضغط الدم .

4-الأدوية التي تؤثر على الجهاز العصبي: تؤثر معظم الأدوية المشهورة على الدماغ والأجزاء الأخرى من الجهاز العصبي ومن هذه الأدوية الكحول والكافيين، في كل القهوة والشاي. والحشيش والمخدرات مثل الهيروين والمورفين والحبوب المنومة. وهناك خمسة أنواع من الأدوية المؤثرة على الجهاز العصبي وهي¹:

- أ- المسكنات ، ب -المبندجات ، ج- المهلوسات ، د-المنبهات ، هـ- المهبطات ، و-المهدئات
- أ-المسكنات:تعمل المسكنات على تخفيف الآلام وإزالتها بدون أي فقدان للوعي أو إضعاف للحواس الأخرى مثل اللمس أو الذوق. فمثلا يزيل المسكن الصداع دون أن يضعف القدرة على الإحساس بالحرارة أو البرودة أو تناول الطعام .وتنقسم المسكنات إلى قسمين رئيسين:
- المسكنات المخدرة: تسكن الآلام وتناولها يؤدي إلى النعاس والدوخة، وعند بدء إستعمالها قد يشعر متناولها ببعض التغير.وتشمل المسكنات المخدرة الأفيونات المستخرجة من نبات الخشخاش مثل المورفين، والكوديين، وبعض الأدوية الشبيهة بالأفيونات المركبة أو المنتجة صناعيا.وتشمل الأفيونات الكوديين والهيروين والمورفين.ويصف الأطباء المسكنات المخدرة لعلاج الآلام الشديدة المصاحبة لمرض السرطان أوالإصابات الخطرة. ولكن مداومة استعمالها تجعل المتعاطي مدمنا،ومعتدا عليها اعتمادا كلياً، مما يسبب بعض الأمراض والأعراض عند التوقف المفاجئ عن تعاطيها.ولذلك لا يصف الأطباء هذه الأدوية إلا إذا فشلت المسكنات غير المخدرة.
- المسكنات غير المخدرة: تسكن الآلام، ومن أشهر المسكنات غير المخدرة عقار الأسبرين.

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

ب- المبنجات: تفقد المبنجات العامة الشعور بالإحساس في جميع الأعضاء، مما يؤدي إلى فقدان الوعي، ومنها عقاقير الهالوتان والتيوبنتال التي تعطى عند إجراء العمليات الجراحية. وتثبط المبنجات الموضوعية الإحساس بالألم في المناطق التي تعطي فيها أو تجاورها فقط فيما يعرف بالتخدير الموضوعي. ومن هذه الأدوية عقارا الليدوكين والبروكين. ويستعملهما في الغالب أطباء الأسنان وأطباء الجراحة في العين أو عند إجراء العمليات جراحية أخرى التي لا تتطلب فقداناً كاملاً للوعي.

ج- المهلوسات: وتسبب الهلوسة للإنسان، وهي تلك الحالة التي يرى فيها الشخص أو يسمع أو يحس بأشياء لا وجود لها في الحقيقة. وتسمى مثل هذه الأدوية أيضاً الأدوية النفسية أو العقلية ولهذه الأدوية القدرة على تشويه تصور الإنسان لنفسه ولما يحيط به من أشياء. ومن أمثلة هذه الأدوية عقاقير ل. س. د. والحشيش والمسكلين. وقد استعملت هذه الأدوية في الماضي في بعض تجارب علاج الأمراض العقلية أو النفسية.

د- المنبهات: تساعد الجسم في التغلب على النعاس أو الإرهاق والتعب، وتبته هذه الأدوية الجهاز العصبي وتزيد من فاعليته ونشاطه، ومن هذه الأدوية الكافيين والمنبهات المصنعة معملياً، وتحدث المنبهات تغيراً وزيادة في النشاطين العقلي والجسماني لمعاطيها عند استعمالها. ولكن يتبع ذلك شعور بالكآبة والإحباط والقلق والاضطراب والخور النفسي، مما يشجع متعاطيها على أخذ جرعة أخرى لإزالة هذه الآثار، وتكرر هذه الجرعات مما يؤدي للإدمان، ولذلك ينذر أن يصف الأطباء المنبهات لإزالة أعراض التعب والإرهاق.

هـ- المهبطات: وتقلل المهبطات من التوتر والهم والقلق وتثبط الجهاز العصبي، وهي أنواع منها: **المهدئات:** ويؤدي تعاطيها في جرعات صغيرة إلى تخفيض اضطراب الإنسان أو إزالته، بينما تحدث الجرعات الكبيرة زيادة في الاطمئنان والنعاس. ويصف الأطباء هذه الأدوية لعلاج الأمراض العقلية الصعبة والمؤلمة، فهي تقلل من حالات الرعب بصورة كبيرة. ويلجأ بعض الناس الذين لا يستطيعون تحمل ضغوط الحياة اليومية إلى تعاطي بعض المهدئات البسيطة بالرغم من عدم معاناتهم من أي مرض عقلي. وجدير بالملاحظة أن مداومة تعاطيها قد يؤدي إلى الإدمان. ومن هذه الأدوية البنتوباربيتال والسيكوباربيتال، وهناك أيضاً مجموعة من الأدوية اللابريتورية مثل هيدرات الكلورال والبارالدهيد. ، وغيرها من مهبطات الجهاز العصبي تؤدي المداومة على تعاطيها حدوث الإدمان.

5-أنواع أخرى من الأدوية: إضافة لما سبق ذكره ،يتعاطي كثير من الناس كثير أدوية أخرى مثل:

أ- مدرات البول. ب-الهورمونات . ج- الفيتامينات د-مضادات الأورام ه-كابتحات المناعة.

أ-مدرات البول:تساعد على زيادة تكوين البول وطرده للخارج، وهي تستعمل في الحالات التي يضعف فيها عمل الكلى عند حدوث بعض الأمراض.فضعف الكلى يؤدي إلى تراكم الأملاح والماء واختزانهما في الجسم، وكذلك تؤخذ مدرات البول لإصلاح مثل هذه الاضطرابات وتنشيط عمل الكلى. وكذلك تستعمل هذه الأدوية في علاج ارتفاع ضغط الدم الشرياني.

ب-الهورمونات:من المواد الكيميائية التي يتم تكوينها وإفرازها بواسطة بعض الغدد داخل الجسم . وتعمل هذه المواد على التحكم في العديد من وظائف الجسم وتنظيمها، مثل النمو والتكاثر والتوالد،وتشبه بعض هورمونات الحيوانات هورمونات الإنسان. وقد تمكن العلماء من تصنيع هورمونات تركيبية. تستخدم الهورمونات الطبيعية والتركيبية بوصفها أدوية بعدة طرق.ويصف الأطباء الهورمونات للمرضى الذين لا يستطيعون إفراز كميات كافية من الهورمونات في أجسامهم ، مثل:مرضى السكري الذين لا يستطيعون إفراز كميات كافية من الإنسولين.وكذلك تستخدم بعض الهورمونات في علاج بعض الأمراض غير المصاحبة بنقص الهورمونات فمثلا، يصف الأطباء هورمون الكورتيزول والهورمون المنية أ. س. ت. ش لعلاج مرض الروماتويد ، وكذلك تستخدم بعض الهورمونات لمنع الحمل أو لتنظيم النسل وذلك لقدورها على التحكم في النشاطات التكاثرية.

ج-الفيتامينات:من العناصر الأساسية للصحة الجيدة، ويؤدي التقص في بعض هذه المواد إلى ظهور بعض الأمراض، مثل داء الكساح وداء الإسقربوط. وتعد الوجبة الصحية المثالية خير مصدر للحصول على كميات معقولة من الفيتامينات، ولكن يلجأ بعض الأطباء لإعطاء بعض الفيتامينات في شكل أقراص أو حقن لبعض المرضى عند الضرورة.

د-مضادات الأورام:تحطم مضادات الأورام الخلايا السرطانية في الجسم. وبالرغم من اكتشاف العديد من هذه الأدوية وتحسينها إلا أن جميعها تضر بالخلايا الجسدية الصحية.وقد استخدمت بعض مضادات الأورام لعلاج بعض مرضي السرطان.ويعمل العلماء والباحثون اليوم على إكتشاف أدوية مضادة للخلايا السرطانية فقط .

هـ- **كابحات المناعة:** عندما تتمكن بعض البروتينات الغريبة من الدخول للجسم تعمل بمثابة مستضدات، وتحث كريات الدم البيضاء على تصنيع بعض الأجسام المضادة الخاصة بها وإفرازها. وتحدث هذه العملية نفسها عند نقل عضو من إنسان إلى آخر، حيث يقوم العضو المنقول بعمل المستضد. ويقوم الجسم بتصنيع أجسام مضادة خاصة به، مما يؤدي إلى مهاجمة العضو المنقول. وتتبط الأدوية الكابحة للمناعة تكوين الأجسام المضادة بعد نقل أي عضو من شخص إلى آخر. وهي تستعمل لمنع لفظ الأعضاء المنقولة بعد تثبيتها في جسم المنقول إليه. ومن هذه الأدوية الإزاثيوبرين والسايكلوسبورين.

فالأدوية تتنوع بحسب مفعولها وتأثيرها على الجسم إلى أنواع¹:

- قد يكون الدواء منشطاً لعضلة الرحم أو مثبطاً لها. وقد يساعد المرأة على الحمل، أو يحول دون ذلك، وبعض الأدوية تقوي عضلة القلب وأخرى تهدئها، وأدوية توسع بؤبؤ العين وأخرى تضيقه، وأدوية تخثر الدم وأخرى تزيد من سيولته. وهناك أدوية مقيئة وأخرى مضادة للقيء، وأدوية مدرة للبول وأخرى معرقة، وأدوية تطرد البلغم وأخرى مسكنة للسعال فتوقفه، كما أن هناك أدوية تساعد على تسهيل الفضلات من الأمعاء والتخلص منها بينما أدوية أخرى تعمل على قبض الأمعاء فتتمسك بمحتوياتها.

- وتوجد أدوية تسكن الألم أو تزيل الصداع، أو تخفض من درجة الحرارة، أو تزيد من نشاط الغدة الدرقية أو غيرها من الغدد الصماء، كما أن هناك أدوية منومة وأخرى مؤرقة تساعد على السهر.

- وتوجد أدوية تعمل على تخفيض نسبة السكر في الدم، وأخرى تزيد منها، بينما توجد أدوية ترفع ضغط الدم وأخرى تخفضه، وهناك أدوية تقضي على الجراثيم وتمنع الأمراض السارية بينما تختص أدوية أخرى بطرد الديدان والأرياح معها، وتوجد أدوية تزيد من نسبة الهيموغلوبين بالدم، وأخرى تعمل على زيادة حجمه، كما أن هناك أدوية لا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها كفيتامين ب 12 بالرغم من أن الجرعة اللازمة منه لمنع فقر الدم لا تزيد عن بضعة أجزاء من المليون من الغرام.

¹ د رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، ص 74، بتصرف، عالم المعرفة، رقم 121، جانفي 1988، الكويت.

-وتتنوع استعمالات الأدوية فمنها ما يستعمل في تشخيص بعض الأمراض كالبول السكري والدرن الرئوي، أو تكشف عن الحمل، بينما هناك أدوية تساعد الجسم على تعويض ما ينقصه من الفيتامينات والعناصر الغذائية أو الهرمونات والخمائر والأجسام المضادة. كما تستعمل أدوية أخرى للوقاية كاللقاحات والأمصال المضادة للأمراض المعدية كالحصبة والجدري وشلل الأطفال والتيفوئيد والكوليرا) الخ.

-هناك أدوية حامضية وأخرى مضادة للحموضة، وأدوية توسع القصبات الهوائية وأخرى تضيقها، وأدوية تزيد من حركة الأمعاء وأخرى تثبطها، كما أن هناك أدوية ترخي عضلات المثانة بينما يعمل غيرها على انقباضها، وأدوية تزيد من لزوجة اللعاب وجفاف الفم، وأخرى تساعد على تميعه وسيولته -وتعمل بعض الأدوية على تحسين نفسية الإنسان وتزليل توتر أعصابه، بينما هناك أدوية مختصة بمقاومة الأدوية السامة الأخرى فهي ترياق لها، وهناك أدوية تقضي على الأورام السرطانية لكنها مع الأسف تسبب الضرر للخلايا السليمة المجاورة لها. ولا شك في أن هذا التنوع الهائل في مفعول الأدوية وتأثيراتها يجعل منها أقوى وأهم الإنجازات العلمية التي حققها الإنسان في العقود الأخيرة، فمن المرعب أن نتصور عالما خاليا من هذه الأدوية- علاجية أو وقائية- لأنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان ، وسر بقائه واستمراره على مقاومة الأمراض والأوبئة والوقاية منها.

رابعا- الآثار الجانبية للأدوية: تحدث الأدوية آثارا نافعة وضارة في جسم الإنسان، فعند تعاطي دواء ما ، فإنه يحدث هذه الآثار النافعة المرغوبة، ولكنه في الوقت نفسه يحدث آثارا جانبية أخرى وخصوصا إذا كانت جرعته كبيرة. وتحدث الآثار الجانبية بسبب وصول الدواء لكل أعضاء الجسم صحيحها ومريضها فمثلا يصف الأطباء¹ عقار المورفين لتسكين الآلام الشديدة وإزالتها نتيجة لقدرة الوصول إلى الخلايا، وتغيير نشاط بعضها في الدماغ والنخاع الشوكي، مما يؤدي إلى فقدان الإحساس بالألم . ولكنه في الوقت نفسه يصل إلى أعضاء أخرى ويؤثر على خلاياها مما يؤدي إلى القيء والإمساك وانخفاض سرعة التنفس وغيرها من الآثار الجانبية الأخرى. وعموما تقوي زيادة جرعة الدواء من آثاره وتضعف هذه الآثار بتقليل الجرعة، ولكن قد يختل هذا التناسق من شخص لآخر، فمثلا قد نجد أن مضاعفة جرعة دواء ما قد تزيد من آثاره ثلاث مرات في شخص ما، بينما لا تحدث أي زيادة في التأثير لدى شخص آخر.

¹ الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

1- تعريف الآثار الجانبية للأدوية: تعرف الآثار الجانبية للأدوية ، بأنها تلك الآثار أو الأعراض التي يشترك فيها المريض ، أو العلامات المرضية التي تظهر عليه (جسدية أو نفسية) أو ما تدركه عين الطبيب المعالج ، أو ما تدل عليه التحاليل المخبرية¹.

2-أنواع الآثار الجانبية للأدوية : تتدرج الآثار الجانبية إلى²:

-آثار خفيفة يمكن التغاضي عنها مثل اصفرار البول نتيجة تناول فيتامين (ب 12) ، أو النعاس الذي تسببه بعض الأدوية مثل (مضادات الحساسية)،

- آثار جانبية متوسطة وهي التي تحتاج إلى تغيير الدواء أو المراقبة السريرية أو المخبرية .

- آثار توجب التوقف الفوري عن تناول العلاج بمجرد ظهورها أو معرفتها

ويصنف قسم أنواع الأدوية الآثار الجانبية للأدوية إلى ثلاثة أنواع³ :

-**الآثار الجانبية:** تسبب كل الأدوية آثارا جانبية .ويستطيع الأطباء توقعها وإخبار المريض بها، وهي في معظم الأحوال آثار طفيفة لا تمنع استعمال الأدوية.

-**آثار فرط الحساسية:** وتحدث فقط عند المرصين ذوي الحساسية لدواء بعينه، وقد تكون آثارا بسيطة أو شديدة. فمثلا نلاحظ عدم استطاعة بعض الناس تعاطي الأسبرين أو البنسلين نتيجة لحساسيتهم المفرطة لهذين العقارين.

-**الآثار السامة للدواء :** تظهر بعد التسمم به ،أي بعد تعاطي جرعات كبيرة من الدواء ، ويمكن أن تؤدي إلى إتلاف خلايا الجسم وقتل الإنسان. فلكل دواء آثار سامة بسيطة ، ولكنها تظهر بصورة خطيرة عند تعاطي جرعات كبيرة.

¹ محمد حسين دعنا ، الآثار الجانبية للأدوية، ص 16، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991 ، مدينة الملك عبد العزيز

للعلوم والتقنية، السعودية

² المرجع السابق ، نفس الصفحة

³ الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

3-أسباب الآثار الجانبية للأدوية: هناك عدة أسباب لحدوث ذلك، يمكن تصنيفها إلى مايلي¹ :
أ- مايتعلق بالجرعة الدوائية: تمثل الأسباب المتعلقة بالجرعة الدوائية 80 ٪ من الأسباب الرئيسية لحدوث الآثار الجانبية للأدوية. ورغم أن الجرعة الدوائية قد تتوافق مع ما يذكر في نشرة الدواء إلا أنها قد تسبب تلك الآثار الجانبية ، وتفسير ذلك يتطلب معرفة متعمقة في علمي حركية الدواء وتأثير الدواء ، وهناك بعض العوامل التي تساهم في اختلاف أو زيادة تأثير الجرعة الدوائية ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

-فاعلية الدواء:هي كمية المادة الفعالة من الجرعة الدوائية التي تصل الدم، فإن كانت الفاعلية لدواء ما تعادل 70٪. فمعنى ذلك أن ما نسبته 70٪ من المادة الفعالة من الدواء يصل الدم وهو الذي يحدث الأثر العلاجي، وقد يصف الطبيب نفس الجرعة من نفس المادة من إنتاج شركة أخرى، غير أن الفاعلية لها قد تصل إلى 95 ٪. مما يؤدي إلى زيادة الجرعة وبالتالي زيادة آثارها الجانبية .

-فترة الفاعلية للدواء:من الأدوية ما يبقى في الجسم مدة طويلة ويعرف بأنه ذو فاعلية تستمر لمدة طويلة (long- acting)، مما يسمح بإعطائه بمعدل أقل (جرعة في اليوم) وبذلك يجنب المريض من تكرار تناول الدواء عدة مرات في اليوم ، ومن أمثلة ذلك أدوية علاج الروماتيزم . وإذا كان هناك عضو في الجسم يتأثر بهذا النوع من الأدوية فإن هذا العضو سيبقى تحت تأثير ذلك الدواء لفترة أربعة وعشرين ساعة وهذا أمر غير محمود خاصة لكبار السن أو لأولئك الذين يعانون من قصور في وظيفة ذلك العضو كالقصور الكلوي في حالة الكلى .

-الشكل الدوائي:إن بعض أنواع الأدوية تقلل آثارها الجانبية باختلاف أشكالها الصيدلانية، فالأدوية التي تستعمل خارجيا مثل المراهم أقل ضررا من نفس الأدوية التي تعطى عن طريق الفم ، والأخيرة قد تكون أفضل من التي تعطى بالوريد، ومثال ذلك يفضل بخاخ الأنف على تناول الأقراص لإزالة الإحتقان في الأنف ، ويفضل تناول الأدوية التي تحتوي على الحديد مثلا عن طريق الفم بدلا عن إعطائها بالوريد لأن الجسم غالبا ما يمتص عنصر الحديد من خلال الجهاز الهضمي حسب مستوى الحديد في الدم ، كما أن إعطاء الحديد عن طريق الحقن قد يؤدي إلى تلف أو تليف بعض أعضاء الجسم مثل الكبد أو البنكرياس.

¹ محمد حسين دعنا ، الآثار الجانبية للأدوية، ص 16، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

- **مدة المعالجة:** قد تكون هناك حاجة إلى استخدام دواء أو أكثر لفترة طويلة من الزمن وذلك في حالات الأمراض المزمنة مما قد ينتج عنه حدوث آثار جانبية.

- **التداخل الدوائي:** يؤدي التداخل الدوائي إلى زيادة أو نقصان فاعلية الدواء ، ويحدث ذلك في الحالات التالية:- إذا أعطي الدواء مع دواء آخر- إذا أعطي الدواء مع الطعام- إذا أعطي الدواء مع أدوية شعبية أو نباتات طبية .

-**اختلال التوقيت الحيوي للدواء.** والذي يعتمد على الساعة الحيوية للجسم، أي تضارب توقيت إعطاء العقار مع الساعة الزمنية في جسم الإنسان ، فمثلا يعد أفضل وقت لإعطاء أدوية الكورتيزون للمريض المصاب بمرض أديسون (Addison' s disease) الساعة التاسعة صباحا يوما بعد يوم وذلك تمشيا مع الساعة الزمنية (clock Circadian) ، حيث يتجنب المريض آثار زيادة الجرعة وعدم إفراز كورتيزون الجسم الطبيعي الذي يبدأ إفرازه في الساعة الثالثة صباحا وينتهي في حدود الساعة التاسعة صباحا تقريبا.

ب-حالات تتعلق بالمريض: هناك بعض الحالات التي تتعلق بالمريض وتغير من تأثير الجرعة الدوائية وتتضمن تلك الحالات، ما يلي:

-**السن:** إن قدرة عمل أجهزة الجسم لدى كبار السن تقل تدريجيا مع تقدم العمر، فمثلا تنقص قدرة عمل الكلى بمقدار الثلث لدي من تزيد أعمارهم عن 65 عاما وبمقدار النصف لمن تصل أعمارهم 90 عاما. لذا يجب أن تحدد الجرعة الدوائية للمريض من كبار السن بشكل خاص على أن يؤخذ في الحسبان أن بعض التحاليل المخبرية لبعض المواد قد تعطي مستويات طبيعية وهي غير ذلك، فمثلا مادة الكريتين التي تنتج من انحلال العضلات وتخرج جيدا من الكلى السليمة قد يبدو مستواها في دم كبار السن عاديا إلا أنها في الحقيقة أقل من ذلك بسبب ضمور العضلات لدى هذه الفئة ، كذلك قد يتعرض كبار السن للآثار الجانبية للأدوية أكثر من غيرهم بسبب تعرضهم لأكثر من مرض وتناولهم لأكثر من دواء(تداخل دوائي)، كما أنهم قد يخطئون في الامتثال الصحيح للتعليمات وفي تناول الصحيح للأدوية ولا يتلقون مساعدة من طبيب أو صيدلي أو ممن حولهم، أو قد يعاني البعض منهم من ضعف الذاكرة.

-المواليد الجدد: تقل قدرة عمل أعضاء وأجهزة المواليد الجدد والذين يولدون قبل اكتمال فترة الحمل (Prematures) ويترتب على ذلك اختلاف تأثيرهم بالأدوية مقارنة بالأطفال الأكبر سناً . وعلى سبيل المثال إذا أعطي مولود لم يكمل فترة الحمل مضاد للحموضة بمعدل 18 مل /كغ/ اليوم ، فإن ذلك سيسبب له ارتفاع مستوى الماغنيسيوم في الدم وكذلك ثقب معوي.-العضو المعتل :يعتمد تأثير الجرعة الدوائية كذلك على العضو المريض في الجسم، فمثلاً تعد الكلى البوابة الرئيسة للمواد الذائبة في الماء والخارجة من الجسم ، وأي تغيير في قدرة الكلى على الترشيح قد يؤدي إلى تراكم دوائي داخل الجسم محدثاً آثار جانبية غير مرغوب فيها أو قاتلة ، كذاًل يخضع الدواء في الكبد عند مروره نده لها مع الدم إلى تغيرات وتحولات كيميائية معسلة تعرفه بالأيض (Metabolism)، لذلك فإن القصور الكبدي يؤدي إلى تراكم الدواء وتغير في فعاليته .

ج- أسباب أخرى: هناك آثار جانبية ليس لها علاقة بالجرعة الدوائية إلا أن حدوثها نادر نسبياً ولا يمكن التنبؤ بها دائماً، كما أن لها نتائج خطيرة عند بعض المرضى، ومنها ما تثيره بعض الأدوية من حساسية سواء أكانت فورية أم متأخرة وما يتبعها من مشاكل صحية تحتاج إلى تدخل طبي سريع ، وتنشأ تلك الآثار من تحرر الهستامين ووسائط أخرى من الخلايا البدينة (Mast cells) نتيجة لتناول عقار ما واحداثه إثارة لجهاز المناعة. وهناك أيضاً نوع آخر من الحساسية أو التهيج يدعى التهيج الزائف (Pseudoallergy) وله أعراض الحساسية، ويسبب تحرر الهستامين وغيره من الخلايا البدينة إلا أنه مختلف المنشأ حيث لا ينشأ عن تحسس سابق للعقار ولا يوجد دور لجهاز المناعة في نشأته مثل ما يحدثه الأسبرين أو أحد مجموعة مضادات الإلتهاب غير الستيرويدية والباربيتورات والمورفين والتارترازين وغيرها. وهناك ما يسمى بالتفاعلي الذاتي (Idiosyncrasy) وهي حالات نادرة تنشأ عن تناول بعض أنواع الأدوية لدى بعض المرضى مثل دواء كلورامفينيكول، وقد ترجع لأسباب وراثية أو نقص أنزيم معين، ومثال ذلك انحلال الدم (Hemolytic anemia) بسبب تناول أدوية مثل برهماكوين أو عقار البنسلين والمضادات الحيوية .

د-إدمان الدواء: يؤدي التعاطي المستمر للأدوية وبعض العقاقير الأخرى إلى حالة الإدمان، فالمدادومة على تعاطي كميات كبيرة من بعض الأدوية يؤدي إلى الإحتياج النفسي والجسدي الدائم لآثارها، ويطلق على مثل هذه الحالة الإدمان. ويلزم هذه الحالة غالبا ما يسمى بمقاومة الجسم لآثار الدواء ، إذ يشعر المعتاد بضعف أثر الدواء ، مما يدفعه لزيادة الجرعة المعتادة للحصول على التأثير السابق المحذ بالجرعات الصغيرة. وتسمى المرحلة التي يظهر فيها الاعتماد النفسي أو الجسدي أو كلاهما معا بحالة إدمان الدواء، ويصاحب التوقف الفجائي عن تعاطي الأدوية المسببة للإدمان بعض الأعراض التي تسمى بأعراض الانسحاب أو مرض الانسحاب عن الدواء¹ .

4-الآثار الجانبية للأدوية على أجهزة الجسم: إن أغلب الآثار الجانبية تنشأ عن الأدوية شائعة الإستعمال مثل المضادات الحيوية وأدوية مرض الروماتيزم والإكتئاب ، إلا أن أكثرها خطرا هي التي تسبب نتائج خطيرة مثل مضادات تخثر الدم (Anti oagulants) والأدوية النفسية مثل النوع المانع لأنزيم أوكسيديز وحيد الأمين (MAO)، والأدوية المستخدمة في اضطرابات القلب الكهربائية وفي علاج السرطان ومرض السكر إلى جانب الأدوية التي لها مجال علاجي ضيق ،وفيما يلي سنتناول بعض الأدوية ومخاطرها²

أ-الأدوية والحمل: إن أخطر فترة تتناول فيها الحامل أدوية هي فترة الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل حيث إن تناول الأدوية في تلك الفترة قد يحدث تشوهات خلقية للجنين ، وخير دليل على ذلك الكارثة التي أحدثها عقار ثاليد ومايد (Thalidonide) قبل 30 عاما على الحوامل .

¹ الذيب ميثانول ، الأدوية ، منتديات الكيمياء الحيوية للجميع ، الموسوعة العربية ، العالمية ، www.pdfactory.com

² محمد حسين دعنا ، الآثار الجانبية للأدوية ، ص 17-18، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية

ومن أخطر أنواع الأدوية على الحامل الأدوية المستخدمة في علاج السرطان والأدوية التي تحتوي على جرعات من فيتامين (أ) ومشتقاته مثل عقار إترتينيت (Etretinate) وعقار إيسوتريتينون (Isotretinon) والبودوفيللينم (Pelophyllinum) والجرعات العالية من الكورتيزون والوارفارين (Warfarin) وعنصر الليثيوم وبعض مضادات الصرع والكحول ، كما أن هناك أدوية من مشتقات البروستاجلاندين التي تستخدم في علاج القرحة الهضمية (Reptic Ulcer) وتسبب الإجهاض.

ب- الأدوية المؤثرة على الكبد: هناك ما يقرب من 200 دواء تحدث آثارا جانبية في الكبد مثل ارتفاع نسبة الأنزيمات الكبدية أو اليرقان أو الكبد الدهني (Steatosis) أو النخر البؤري التي تشبه الإصابة الفيروسية مما يحدث ضغطا على القنوات المرارية (canaliculi) وركودا مراريا، ومن أمثلة تلك الأدوية التتراسيكلين والأدوية المستخدمة في علاج الدرن الرئوي مثل الريفامبسين (Rifampicin) والأيزونيزايد أو عقار ميثيل دوبا المستخدم في علاج ارتفاع ضغط الدم.

ج- الأدوية المؤثرة على الدم: إن الأدوية التي تحدث تغييرا في مستويات شوارد الدم الكهربية (Electrolytes) وحجم الماء في الجسم قد تسبب آثارا جانبية خطيرة مثل ارتفاع ضغط الدم، ومن أمثلتها أدوية الكورتيزون والأدوية التي تسبب التسمم المائي الذي يصاحبه رفع مستوى الماء والصوديوم والكلور وأعراضا منها الصداع والقيء والإرتباك ومن أمثلتها كاربامازيم (Carbamazepim) ، أما مضادات الحموضة التي تحتوي على عنصر الماغنيسيوم فقد تسبب تراكم الماغنيسيوم في الجسم اذا كان هنالك فشلا كلويا عند المريض ، كما تنسب أعراضا مثل الترنح والغيوبة والشلل التنفسي.

د- الأدوية المؤثرة على الجهاز الهضمي: من الأدوية التي تؤثر على الجهاز الهضمي الكورتيزون والأدوية المضادة للإلتهاب غير الجرثومي التي تسبب القرحة ، كما يؤدي كثرة تناول زيت البارافين إلى نقص الفيتامينات التي تذوب في الدهون وهي: (أ)، (د)، (هـ)، (ك).

المطلب الرابع: الغذاء والعلم الحديث: إن للغذاء دورا مهما في حفظ صحة الإنسان، وهو الأساس الذي يعتمد عليه في بناء جسمه ونموه عموما. وفي هذا المطلب أتناول مفهوم الغذاء ووظائفه في العلم الحديث وعناصر الغذاء الصحي وأسباب تلوثه، وقواعد الحماية الغذائية.

أولا: مفهوم الغذاء: يعرف الغذاء (**Food**) بتعريفات أهمها:

1- هو أي طعام سائل أو صلب. أو مجموعة من الأطعمة التي يتناولها الإنسان¹، وتحتوي على العناصر الغذائية²، الكربوهيدرات والدهون والبروتينات والفيتامينات والأملاح المعدنية والماء.

2- هو جميع المواد التي يمكن تناولها عن طريق الفم أو الحقن أو الأنابيب، والتغذية عليها وامتصاصها داخل الجسم، أما المكون الغذائي فيمكن تعريفه بأنه أحد مكونات الغذاء التي يجب أن يمد بها جسم الإنسان بكميات مناسبة³.

3- أي مادة صلبة أو سائلة تدخل جسم الإنسان عن طريق الفم. ويفيد الطعام الجسم بمساعدته على النمو وتعويض الأنسجة التالفة، كما يمكن الطعام الجسم من القيام بوظائفه الحيوية ونشاطه اليومي وإكسابه المناعة والمقاومة للأمراض. لهذا فالطعام عنصر أساسي لبناء الجسم وإدامة كفاءته ومقاومته للأمراض. ويتكون الطعام عادة من مواد بروتينية وكربوهيدرات ودهون وفيتامينات وأملاح معدنية وماء⁴.

4- وتعرف التغذية (**Nutrition**) بأنها عبارة عن مجموع العمليات الحيوية التي بواسطتها يتمكن الكائن الحي من الحصول على المواد الغذائية اللازمة ثم يستخدمها لحفظ حياته فيما يقوم به من نمو وتجديد للأنسجة والمواد المستهلكة وتوليد الطاقة التي تظهر في صورة حرارة أو عمل جسماني داخلي أو خارجي أو تخزين داخل الجسم⁵.

¹ مقدمة في الصحة والتغذية، ص 76

² العناصر الغذائية هي عبارة عن مجموعة من العناصر الكيميائية والمركبات العضوية التي يزودنا بها الطعام بمقادير محددة وتستخدم في الجسم لتوفير الطاقة والمواد التي تنظم النمو وتحافظ على الجسم وبناء وصيانة أنسجته، وتلك العناصر هي: الكربوهيدرات- البروتين- الدهون- الفيتامينات- الاملاح المعدنية- الماء انظر: مقدمة في الصحة والتغذية ص 67

³ د.سعد أحمد حلابو، الغذاء ومكوناته، ص 7، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 1، 2008

⁴ صحة وسلامة الطعام، ص 06، منظمة الصحة العالمية، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط، عمان، الاردن، 2004

⁵ مقدمة في الصحة والتغذية ص 67

ثانيا: مكونات الغذاء ووظائفه. يتكون الغذاء من عدد من العناصر والمركبات ، والتي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين¹:

1- المجموعة الأولى: يطلق عليها مغذيات كبرى ، وتشمل الكربوهيدرات والبروتينات، والدهون.

2- المجموعة الثانية: وتسمى مغذيات صغرى، وتشمل: الألياف - الفيتامينات والعناصر المعدنية - ومواد أخرى بنسب صغيرة جدا يطلق عليها (Phytocheinicals) .

3- العناصر الغذائية ووظائفها ومصدرها: إن أهم العناصر المكونة للغذاء تتمثل فيما يلي²:

أ- الكربوهيدرات: وتشمل السكريات الأحادية، الثنائية والمتعددة. ومن وظائف الكربوهيدرات: - تزويد الجسم بالطاقة، كل جرام يعطي الجسم 4 سعرات حرارية - ضرورة لتنظيم عملية تمثيل البروتين والدهون. - إمداد الجسم بالألياف الغذائية التي تنبه حركة الأمعاء، كما أن لها فعلا واقية ضد الكثير من الأمراض مثل السكري، السرطان، القلب - تساعد على استمرار حركة عضلات القلب . ضرورة لعمل الجهاز العصبي والدماغ. وأهم مصادر الكربوهيدرات: الحبوب والبقول، والعسل، والسكر، والخضراوات والفواكه.

ب- البروتين: ويتشكل من الأحماض الأمينية. وينقسم إلى نوعين: - بروتين كامل مثل: بروتين الحليب، والبيض، واللحوم . - بروتين ناقص، مثل: بروتين القمح. و الذرة. وللبروتين وظائف منها:- بناء أنسجة الجسم وتعويض ما فقده الجسم من أنسجة - تكوين الأنزيمات، والهرمونات. - حفظ الضغط في الدم. 4- إمداد الجسم بالطاقة. 5- تزويد الجسم بالأحماض الأمينية الأساسية التي لا يستطيع الجسم صنعها . ومن أهم مصادر البروتين : الأطعمة الحيوانية كاللحوم بأنواعها، والبيض والحليب ومنتجاته . وكذلك البقوليات.

¹ د. سعد أحمد حلايو ، الغذاء ومكوناته ، ص 7 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2008

² د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ، ص 177-178

ج: الزيوت والدهون: من وظائفها : - تزويد الجسم بالطاقة، فهي مصدر مركز للطاقة، حيث يعطي الغرام الواحد منها 9 سعرات حرارية، بينما يعطي غرام الكربوهيدرات، أو البروتينات 4 سعرات حرارية. - حماية الأعضاء الداخلية من الصدمات الخارجية. - إعطاء الطعام طعما ونكهة مميزة عند طهيه - يساعد في الشعور بالشبع. - مصدر للفيتامينات الذائبة في الدهون (ا، د، هـ، لك). - مصدر للأحماض الدهنية الأساسية التي لا يستطيع الانسان صنعها . اللحوم بأنواعها ومنتجاتها، والبقول السوداني، والحبوب الزيتية، والحليب ومنتجاته، والبيض.

د-الفيتامينات (Vitamins): هي مجموعة من المركبات العضوية يدخل في تركيبها الكربون والهيدروجين والأكسجين والفوسفور والنيروجين والكبريت ، ويحتاجها الإنسان بكميات ضئيلة ، ولا يستطيع الجسم تكوينها ، وهي ضرورية لوظائف الجسم الحيوية ، وتزيد من مقاومة الجسم للأمراض، ولازمة لنمو الجسم و إتمام عمليات التمثيل الغذائي، وتحتاجها التفاعلات الإنزيمية كعوامل مساعدة وضرورية . ويحصل الإنسان على احتياجاته من الفيتامينات من المصادر الغذائية المتنوعة ، با سواء كانت مصادر نباتية أو حيوانية¹ .

وتقسم الفيتامينات إلى قسمين رئيسيين²: -الفيتامينات الذائبة في الدهون والتي تكون مصاحبة للدهون (K.E.D.A) وهي تمتص مع الدهون بفعل الأملاح (Bile Salts) وتخزن في الجسم في مخازن الدهون، وبالتالي يكون لها رصيد دائم في الجسم وغالبا لا يحدث نقص فيها طالما أن تغذية الإنسان تكون تغذية متزنة متنوعة . - الفيتامينات الذائبة في الماء: وهذه المجموعة لا تخزن في الجسم ، لذلك لا بد من توافرها في مصادر الغذاء المختلفة ، لأن الجسم يفقدها بسهولة في البول ، وتعمل كعوامل مساعدة للإنزيمات، و بالتالي تؤثر على كفاءة عمليات التمثيل الغذائي، وقدرة الجسم على إنتاج الطاقة الحيوية ، ومن هذه الفيتامينات - فيتامين (C)، مجموعة فيتامين (B -Complex) ولها عدة وظائف في الجسم.

¹ د.سعد أحمد حلابو ، الغذاء ومكوناته ، ص 44 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ، 2008

² المرجع السابق ، ص 45

4-وظائف الغذاء¹: يؤدي الغذاء في الجسم الحي عدة وظائف منها²:

أ-بناء الجسم. الطعام يوفر المواد الغذائية الأساسية للإنسان، والتي تدخل في بناء الجسم وتركيب الخلايا والأنسجة المختلفة ، وايضا تقوم بتنظيم العمليات الحيوية المختلفة ، وبعضها مسئول عن توفير الطاقة اللازمة للعمليات الحيوية والسيولوجية اللازمة لاستمرار الحياة .

ب: توفير الطاقة اللازمة للجسم: تعني الطاقة بالمفهوم التغذوي القوة التي تمكن الجسم الحي من القيام بالنشاطات الحيوية المختلفة التي تحافظ على استمرار الحياة الطبيعية عنده ، والتي ينتج عن نقصها أو فقدانها نهائيا توقف طاقة الجسم و نشاطاته ،ويحتاج الجسم الحي إلى الطاقة الغذائية ليستطيع ممارسة نشاطاته المختلفة ، كالنشاط الحركي الخارجي الإختياري، مثل الأعمال اليومية الاعتيادية ، وكذلك النشاط الحركي غير الإختياري ،والذي يتمثل في نمو الجسم و استمرارية مظاهر الحياة فيه ،وفي النشاطات الداخلية لأعضائه وأجهزته كالجهاز العضلي والجهاز الهضمي، والدورى والتنفسي، وجهاز الإخراج، ... وغيرها ، وعدم وجود مصادر خارجية للطاقة الغذائية يؤدي إلى اعتماد الجسم على أنسجته و مكوناته الداخلية، أي أن الجسم يبدأ في أكل نفسه ، مما يؤدي إلى ضعفه الجسم ، وموته في النهاية .

ج- تنظيم التفاعلات الكيميائية داخل الخلايا، وتوصيل الاشارات العصبية الي الجسم

د- توفير الصحة والحيوية، فالغذاء يزيد من مقاومة الجسم للأمراض، حيث يوفر الغذاء العناصر اللازمة لتكوين الأجسام المضادة المقاومة للأمراض. كما يمنع الغذاء المتكامل الاصابة بأمراض سوء التغذية مثل الانيميا وغيرها

هـ-للغذاء دور في تحسين الصحة النفسية والاجتماعية، وبعض الأغذية لها تأثير واضح في ذلك ، فهي تشعر الفرد بالسعادة والمرح وتحسن الحالة النفسية، وأخري تسبب الضيق وحدة المزاج.

¹ د.سعد أحمد حلابو ، الغذاء ومكوناته ، ص 9-10 -بتصرف-، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2008

² مقدمة في الصحة والتغذية ، ص 67-بتصرف ، وانظر: د.سعد أحمد حلابو ، الغذاء ومكوناته ، ص 9-10 -بتصرف-، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2008

ثالثاً: **الغذاء الصحي وعناصره:** هناك ارتباط وثيق بين الغذاء وحفظ الصحة، فالطعام عامل أساسي في نمو الجسم وتكامل صحته البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية. فالغذية السليمة هي الأساس للمحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض خلال مراحل العمر المختلفة. والغذاء من الدعامات الرئيسية للجهاز المناعي، ففي حالة التغذية المتوازنة المثلى فإن جهاز المناعة يصبح قويا وبالتالي يستطيع الجسم الدفاع ضد الأمراض المختلفة، وفيما يلي أتطرق إلى أهم عناصر الغذاء الصحي.

1- مفهوم الغذاء الصحي المتوازن: هو ذلك الغذاء الذي يحتوي كميات مناسبة من العناصر الغذائية الضرورية لكي يقوم الجسم بتأدية وظائفه المختلفة. ويشترط في العناصر الغذائية أن تكون كاملة كما ونوعاً بهدف تحقيق أفضل مستوى من النمو والمحافظة على صحة وسلامة الجسم، يجب أن لا يكون فاسداً، وأن لا يحتوي على ميكروبات مرضية أو طفيليات ضارة بصحة الإنسان¹.

3- تلوث الغذاء: يقصد بتلوث الغذاء أي تغير يطرأ عليه غير مرغوب فيه، أو مخالف للمواصفات المنصوص عليها من منظمات الأغذية، ويكون التغير في المظهر الخارجي للغذاء كتغير اللون أو الرائحة، أو في التركيب الكيميائي مثل تحلل أحد مكونات الغذاء كالبروتين أو الدهون أو الكربوهيدرات، أو يحدث التغير في القيمة الغذائية للغذاء مثل فقد الفيتامينات أو وجود أحد المعادن الضارة. ويحصل التغير بوجود نمو للميكروبات تسبب التسمم والأمراض في الغذاء².

4- أسباب تلوث الغذاء: يعتبر الإنسان السبب الرئيسي في نقل الأمراض المعدية التي يمكن أن تنقلها المواد الغذائية. فمنتجات الأغذية وريبات البيوت قد ينقلوا مسببات المرض إلى الأغذية خلال عمليات الإنتاج أو التقديم خاصة إذا كانوا يحملون مسببات هذه الأمراض في قناتهم الهضمية أو في أيديهم أو على سطح جسمهم أو في حلقهم وأنوفهم. كما قد يحدث تلوث الطعام من الماء الملوث أو الغبار أو عن طريق الذباب والنمل والصراصير والفئران. كذلك فإن المسطحات والأواني القذرة قد تكون من المصادر الهامة لتلوث الطعام³. وتقسم أسباب فساد الغذاء إلى⁴:

¹ د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ، ص 176

² مقدمة في الصحة والتغذية ، ص 137-بتصرف-

³ صحة وسلامة الطعام ، ص 6-7 ، منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، عمان ، الاردن ، 2004

⁴ مقدمة في الصحة والتغذية ، ص 137-بتصرف-

أ- عوامل فساد داخلية: وتتعرض المواد الغذائية للفساد من داخلها كإنزيمات (Enzymes)، وتعتبر من أهم العوامل المسؤولة عن فساد الغذاء، حيث توجد في الأنسجة النباتية والحيوانية. والتفاعلات الكيماوية وتحدث بسبب درجة الحرارة والضوء والأكسجين والرطوبة والمعادن.

ب- عوامل فساد خارجية: تتعرض فيها المواد الغذائية للفساد من الخارج: وتشمل الأحياء الدقيقة من: (بكتيريا، فطريات، خمائر) وكذلك بعض الطفيليات من (ديدان وحشرات).

وبصورة عامة يرجع تلوث أو فساد المواد الغذائية في أغلب الأحيان للأسباب التالية: الإهمال وعدم اتباع الطرق الصحية في تحضير الطعام: الإهمال في الرقابة على الأغذية المنتجة: عدم توفر الوسائل والشروط الصحية في أماكن تحضير وتقديم وحفظ الأغذية.

5- الأمراض التي تنتقل عن طريق الغذاء: من المعلوم أن الأغذية تتميز بخلوها من الكائنات الدقيقة المسببة للأمراض، ولذلك فإن التصنيع السليم للأغذية يؤدي إلى حماية المستهلك من الميكروبات الملوثة للأغذية خصوصاً تلك التي تسبب الأمراض، وإن أي نقص في كفاءة عمليات التصنيع الغذائي أو الإهمال في الطرق السليمة لتناول ونقل الأغذية قد يؤدي إلى تلوثها غير المرغوب فيه بالكائنات الدقيقة التي تسبب بعض الأمراض التي تنتقل بالأغذية. ويمكن تقسيم الكائنات الدقيقة التي تنتقل بالأغذية إلى نوعين¹:

أ- ميكروبات مصدرها الإنسان: مثل الميكروبات المسببة لأمراض الجهاز التنفسي ونزلات البرد والأنفلونزا والتهاب الحلق والحمى القرمزية والتهاب اللوزتين والسل والدفترية وحمى التيفويد، والكوليرا والتهاب الكبد المعدي، والكائنات التي تسبب هذه الأمراض هي أنواع من البكتيريا أو الفيروسات، وقد تصل مثل هذه الكائنات الدقيقة للإنسان عبر الأغذية من عدة مصادر مثل العاملين في الأغذية أو من مياه الصرف الصحي التي تلوث الأغذية أو من الأجهزة والأواني والأدوات الملوثة أو بالقوارض والحشرات. ويعتبر الغذاء في هذه الحالة إما وسيلة لنقل المرض، أو بيئة لانتشار الكائنات.

¹ د. عبد الرحمن عبيد مصيقر، د. محمد زين علي، الغذاء والانسان، ص 50، مطبوعات جمعية التغذية العربية، ط 1، 1999، دولة الامارات العربية المتحدة،

ب-ميكروبات مصدرها الحيوان: وهذه قد تسبب بعض الأمراض المنقولة عبر الأغذية من أصل حيواني ويعتبر الغذاء حلقة وصل بين الإنسان والحيوان في دورة المرض. ومن أمثلة هذه الأمراض البروسيلا والتي يسببها نوع من البكتيريا أو الإصابة بالديدان نتيجة البروتوزوا . وتسبب الأمراض المنقولة بالأغذية :

-العدوى الغذائية والتي ترجع إلى كائنات دقيقة (بكتيريا معدية) تنتقل عبر الأغذية وتحدث أمراضا بالجهاز الهضمي نتيجة لإفراز المواد السامة المسببة للمريض داخل جسم الإنسان
-التسمم الغذائي والذي يحدث نتيجة استهلاك سميات يحملها الغذاء تم إفرازها بواسطة كائنات دقيقة (بكتيريا) خارج جسم الإنسان .

وهناك عدة أنواع من الأمراض مرتبطة بالطعام منها الأمراض الناتجة عن نقص أو سوء التغذية مثل ضعف المناعة الطبيعية وفقر الدم والكساح وتضخم الغدة الدرقية، وهناك أمراض تنتقل عن طريق تناول الطعام الملوث بالميكروبات أو المواد الكيماوية وهي التي تهمنا هنا لارتباطها بنظافة الطعام والعاملين فيه .

وتنقسم الأمراض التي تنقلها المواد الغذائية إلى الأنواع التالية¹:

-الأمراض التي تسببها الجراثيم التي تتكاثر في الأطعمة مثل حمى التيفوئيد والسل والكوليرا والدوسنتاريا والإسهالات المعوية .

-الأمراض التي تسببها السموم التي تفرزها الجراثيم مثل التسمم السحقي Botulism والستافيلوكوكس.

- الأمراض التي تسببها الطفيليات، بسبب لحوم مصابة بالطفيليات أو نتيجة تلوث الطعام ،ومن الأمثلة على ذلك الدوسنتاريا الأميبية والشعيرنة الحلزونية *Trichinella spiralis*.

-أمراض تسببها المواد الكيماوية التي قد تصل للطعام بطريق الخطأ أو العمد وذلك أثناء التحضير أو النقل أو التخزين ومن الأمثلة على ذلك التسمم بالرصاص أو الزرنيخ أو النحاس أو الزنك أو المبيدات الحشرية .

-أمراض تنتج عن تناول مواد غذائية سامة مثل الفطر والأصداف البحرية السامة.

¹ صحة وسلامة الطعام ، ص 8، منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، عمان ، الاردن ، 2004

ويمكن إجمال العوامل المسببة للأمراض في ما يلي¹:

- حفظ الأطعمة على درجة حرارة تساعد على تكاثر الجراثيم.

- عدم اتباع العادات الصحية عند تحضير وتداول الطعام.

- استعمال أواني وأدوات ملوثة.

- عدم كفاية الطهي.

- استعمال مواد غذائية غير نظيفة. وتنتشر الأمراض المنقولة بالأطعمة في المناطق الفقيرة حيث

ينخفض مستوى صحة البيئة وفي المناطق الغنية حيث تنتشر عادة تناول الطعام خارج المنزل.

6-الحمية (Diet) وتخطيط الوجبات الغذائية: تعرف الحمية الغذائية بأنها تحديد أي كمية

من الغذاء يتناولها الإنسان في الأحوال المختلفة للصحة والمرض². وفيما يلي تناول الحمية الغذائية

أو الغذاء الصحي للإنسان العادي³، ويعتمد على تخطيط الوجبة الغذائية اليومية والتي تشمل أربعة

مجموعات رئيسية ضرورية لحفظ صحة الجسم وهي⁴:

أ- **مجموعة الحليب ومنتجاته:** تزود هذه المجموعة الجسم بما يحتاجه من الكالسيوم بالإضافة

إلى فيتامين ب² (الريبوفلافين) والبروتين ذي النوعية الجيدة والمعادن والدهنيات والنشويات. ويختلف

مقدار ما يحتاجه الفرد من هذه المجموعة باختلاف العمر والجنس والحالة الفسيولوجية.

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة

² د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، الثقافة الصحية ، ص 222

³ الحمية العلاجية (Therapeutic diet): هي غذاء ودواء في آن واحد فهي تساهم في علاج مرض له علاقة

ما بالاستفادة من الطعام أو العناصر الغذائية وهي لذلك تعطى كجزء من العلاج بحيث تصبح حمية مناسبة للحالة المرضية المعنية.

ويتم ذلك باجراء واحد أو أكثر من التعديلات في العناصر الغذائية كالكربوهيدرات أو البروتينات أو الدهون أو كمية الطاقة

أو أحد العناصر المعدنية. أنظر الثقافة الصحية ، ص 225

⁴ د.عبد الرحمن عبيد مصيقر ، د.محمد زين علي ، الغذاء والانسان ، ص 50، مطبوعات جمعية التغذية العربية ، ط 1 ، 1999

، دولة الامارات العربية المتحدة

ولذا يوصى بإعطاء الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 09 سنوات من 2-3 حصص يوميا من هذه المجموعة و03 حصص للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12-09 سنة ، و04 حصص للمراهقين وحصتين للبالغين و03 حصص للمرأة الحامل و04 حصص للمرأة المرضع ، وتعادل الحصة الواحدة من هذه المجموعة كوب واحد من الحليب السائل كامل الدسم أو منزوع الدسم أو كوب من اللبن أو ثلث كوب من الحليب المخفف .

ب- مجموعة اللحوم: تزود هذه المجموعة الجسم بكمية كافية من البروتين ذي النوعية الجيدة (الحيواني) بالإضافة إلى الحديد وفيتامينات ب المركبة وبعض الأملاح المعدنية كالفسفور والزنك. وتشمل هذه المجموعة لحوم الغنم والأبقار والأسماك والدواجن والطيور والبيض. وتشمل المجموعة مواد شبيهة باللحوم من حيث العناصر الغذائية ولكنها نباتية المصدر مثل العدس والحمص والفاصوليا الجافة والفاصوليا السوداء، ويحتاج الفرد البالغ إلى حصتين يوميا من هذه المجموعة ، وتعادل الحصة الواحدة 60-90 غراما من اللحوم المطبوخة مثل لحم الدجاج أو السمك أو تعادل بيضتين أو كوب من البقوليات المطبوخة أو 04 ملاعق كبيرة من الزبدة الفستق. وبما أن البيض واللحوم الحمراء الدسمة تحتوي على نسبة عالية من الكوليسترول فإنه يفضل عدم تناول هذه الأغذية يوميا واستبدالها بأغذية أخرى مثل الدجاج أو السمك .

ج- مجموعة الخضروات والفواكه: تعتبر هذه المجموعة مصدرا هاما لتزويد الجسم بالألياف الغذائية والفيتامينات والعناصر المعدنية وخاصة فيتامين أ و ج ، وتشمل هذه المجموعة الخضروات والفواكه بأشكالها المتعددة الطازجة والمجمدة والمجففة وعصائر الفواكه . ويوصي أخصائيو التغذية بتناول ما مقداره 04 حصص يوميا من هذه المجموعة على أن تكون إحدى هذه الحصص من المصادر الجيدة لفيتامين ج مثل عصير البرتقال ، بالإضافة إلى ذلك يجب أن تكون هناك حصة أخرى غنية بفيتامين أ ويفضل تناولها كل يومين على الأقل وتشمل هذه السنة الخضروات مثل الجزر وبعض اصناف الفواكه مثل المشمش ، وتعادل الحصة الواحدة من هذه المجموعة نصف كوب من الخضروات أو عصير الفاكهة أو حبة متوسطة من التفاح أو الموز أو البطاطا .

د-مجموعة الخبز والحبوب: تزود الجسم بالنشويات والبروتين والألياف والفيتامين والحديد والزنك وبتكلفة بسيطة نسبياً، وعادة يوجد الحديد والزنك في الحبوب الكاملة. وتشمل هذه المجموعة الخبز والحبوب والأرز والعجائن، ويوصى بتناول 04 حصص فأكثر من هذه المجموعة يومياً ، وتعادل الحصة الواحدة قطعة خبز تزن 25 غرام (ربع خبزة) أو كوب من الحبوب المطبوخة.. وللحصول على الطاقة اللازمة للجسم لابد من إضافة السكر والدهون للطعام اليومي المتكون من المجموعات الأربعة. ومع التطور السريع لعلم التغذية ،وجهت عدة انتقادات لهذا النظام الغذائي إذ بإمكان الفرد تناول الحصص من هذه المجموعات دون الحصول على الكمية الكافية من الفيتامينات والمعادن وخاصة الحديد ، بالإضافة إلى أن تطبيق هذا النظام الغذائي يمكنه أن يؤدي إلى زيادة استهلاك الدهون والكوليسترول والملح وانخفاض استهلاك الألياف إذا تم الاعتماد على اللحوم عالية الدهن أو البيض أو عصير الفاكهة أو الخبز الأبيض وهذا ما يناقض التوصيات الحديثة بالتقليل من تناول الملح والسكر والدهون والكوليسترول وزيادة إستهلاك الخضروات والفواكه والحبوب.ولذا تم استحدث ما يسمى بنظام الهرم الغذائي¹ للمساعدة في التخطيط الغذائي المتوازن ، وتعتمد فكرة هرم الدليل الغذائي على زيادة عدد الحصص المتناولة من مجموعة الخبز والحبوب من أربعة حصص إلى 06-11حصة يومياً بالإضافة إلى فصل مجموعة الخضروات والفواكه إلى مجموعتين منفصلتين،لذا يصل عدد الحصص التي ينصح بتناولها من مجموعة الخضروات: 03-05 حصص،بينما تصل في الفاكهة إلى 02-03 حصص يومياً وذلك لتزويد الجسم بالطاقة اللازمة له عن طريق النشويات المتوفرة في المجموعات الثلاثة السابقة الذكر وذلك للتقليل من تناول الدهون والتركيز علي الألياف والتقليل من الملح والكوليسترول.ومما سبق ذكره فإن دليل الهرم الغذائي يستطيع توفير التغذية المتوازنة لأفراد المجتمع الأصحاء بالإضافة إلى دوره الوقائي للعديد من الأمراض والتي تنشأ من عدم توفير الأغذية المتوازنة ، إذ تركز فكرة الهرم على زيادة استهلاك زيادة استهلاك الألياف والتقليل من استهلاك الدهون والسكر وتجدر الإشارة إلى أن الهرم الغذائي وضع كدليل غذائي للمجتمع الذي يعاني من الأمراض المزمنة المرتبطة بالتقنية ، أما المجتمعات العربية التي يكثُر فيها الفقر ونقص الغذاء فلا يصلح تطبيق الهرم الغذائي فيها ، لأن ذلك لا يفيد في علاج نقص التغذية خاصة في حالة النقص في السعرات الحرارية.

¹ المرجع السابق ، ص 59-60

المبحث الثالث: الهدى النبوي الصحي والعلم الحديث: أتناول في هذا المبحث الهدى النبوي

في ضوء العلم الحديث وعلاقة الحديث النبوي بالعلم التجريبي الحديث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الهدى النبوي الوقائي الصحي في ضوء العلم الحديث: حفظ الصحة يمثل الجزء الأول من دستور الصحة الإسلامي، وقد حوت السنة النبوية قواعد الطب الوقائي، بل وسبقت الحضارة الغربية التي عنت بصحة الجسم فقط، وفيما يلي أتناول الهدى الوقائي الصحي النبوي مع العلم الحديث في العناصر التالية:

1- بين الهدى النبوي الوقائي الصحي والعلم الحديث: إن معظم النصوص النبوية الصحية يدخل ضمن الطب الوقائي بمفهومه العلمي الحديث، ذلك الفرع من العلوم الطبية الذي يهتم بالوقاية من الأمراض قبل حدوثها، وهذا يدل على دور التشريعات النبوية فيما يتعلق بحفظ صحة الإنسان وتحسينه من الأمراض، وتحقيق سلامته الجسدية¹، وفي الحديث النبوي الصحيح (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...) ². ولذلك فإن معظم التوجيهات النبوية إرشادات صحية أكثر منها طب، فهي توجيهات وقائية احتياطية لمنع وقوع المرض، فالوقاية خير من العلاج، ولو تأملنا ما ورد عن النبي ﷺ في سنته الشريفة من أحاديث تتعلق بنظافة البدن، ونظافة الثوب، ونظافة المسكن، والرياضة، والحركة، فإن تلك الأعمال تجعل الإنسان يقى نفسه من المشاكل الصحية ومعظم الأمراض المعدية التي تنتقل عن طريق التلوث غالباً، ولهذا جاء الحديث النبوي: (لا يوردن ممرض على مصح³). ولذلك حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الوقاية في هذه الأمور كلها⁴.

¹ د. كمال المويل، الإعجاز الطبي في السنة النبوية، ص 5، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط 2، 2005م

² صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج 8، ح 2664، ص 56

³ صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا هامة، ج 7، ح 5771، ص 138

⁴ الطب النبوي - الوقائي والعلاجي - في ضوء الطب الحديث، خنيس مفيدة، د. حسام الدين مخلوف، ص 476،

Proceeding of 3rd INHAD International Muzakarah & Mu'tamar on Hadith (IMAM 2018). 27
، Selangor Organized by Hadith Research Institute (INHAD) ، Kajang، December 2018. KUIS
MALAYSIA. eISBN 978-967-44741-6-4 ، International Islamic University College Selangor

إن كل النصوص النبوية الصحية تؤكد أن العلم علمان: علم معروف، وعلم سيعرف ، والعلم الذي سيعرف هو في عداد الغيب النسبي، أي بالنسبة للناس في زمن محدد هو غيب ، ولكنه يتكشف للناس في زمن آخر فيتحول من الغيب النسبي إلى عالم المشاهدة، ومن العلم الذي سيعرف إلى العلم المعروف، وإن من واجب المسلمين البحث في معاني النصوص ودراستها في ضوء الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان، لأن بعض هذه النصوص لم يقع تأويله في الأزمنة السابقة ، وهذا هو الإعجاز المتجدد الذي تتسم به الرسالة النبوية¹.

2- تفوق الهدي النبوي الوقائي الصحي على العلم الحديث: إن الاهتمام بالطب الوقائي يقلص من انتشار الأمراض وبالتالي يقلص اللجوء إلى الطب العلاجي الحديث. ومن المعلوم أن العلاج بالأدوية الكيماوية في الطب الغربي تلخصه نظرية تالكوت بارسنز التي تركز على الطب العلاجي وتحمل الطب الوقائي²، ولو أن المجتمع الغربي امثل للمقولة الماثورة الوقاية خير من العلاج لأنقاذ حياة الملايين من الأفراد الذين يموتون بسبب مخالفتهم هذه القاعدة الصحية ، فلا عجب أن تكون الإرشادات النبوية الصحية الوقائية أثبت العلم سبقها ، وقدمت للبشرية أيسر وأنجح السبل في القضاء على الأمراض، وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها. كذلك فإن التشريعات النبوية الطبية قد تركت الأمور الاختصاصية في الطب لأهل العلم بذلك إنطلاقاً من مبدأ معروف وهو: (استعينوا على الصناعات بأهلها)³ ، ولذلك نجد الرسول الكريم ﷺ يقدم النصائح للمريض ويأمره بدعوة الطبيب ودليل هذا أن رسول الله ﷺ لما عاد سعداً ﷺ وهو مريض قال له: (إنك رجل مفؤود، فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل يتطبب)⁴ ، إن فالسبق في التشريعات والإرشادات النبوية الصحية هو أنها شرعت في فترة زمنية لم يكن في كامل الجزيرة العربية لم يكن هناك سوى طبيب واحد هو الحارث بن كلدة من ثقيف، وهو الطبيب الذي دعا إليه الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يتطبب عنده طلباً للعلاج لأنه من أهل الاختصاص والخبرة في الطب⁵.

¹ د. كمال المويل ، الإعجاز الطبي في السنة النبوية ، ص 10

² د. عبد الجواد الصاوي ، إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي ص 126-127، دار جيا ، السعودية ، ط 1 ، 2012م

³ حنيش مفيدة د. حسام الدين مخلوف ، الطب النبوي -الوقائي والعلاجي- في ضوء الطب الحديث ، ص 476

⁴ سبق تخريجه

⁵ د. كمال المويل ، الإعجاز الطبي في السنة النبوية ، ص 6

المطلب الثاني: الهدى النبوي العلاجي الصحي في ضوء العلم الحديث: أتطرق لدراسة هذا المطلب من خلال ما يلي:

1- إعجاز الهدى النبوي الصحي في العلم الحديث: إن مفهوم الهدى النبوي الصحي مفهوم شامل يبعث على الدهشة ويدعو إلى الإعجاب؛ لأننا حينما نقيس الهدى النبوي الصحي بالمقاييس العلمية الحديثة في أسسه العامة نجد أنفسنا أمام إعجاز قاهر لكل نوازع الشك والتردد. فالهدى النبوي الصحي يتمثل في كل ما له علاقة بصحة الإنسان؛ كالتغذية والنظافة والانحرافات العضوية والنفسية، وبعض طرق العلاج وكافة النواحي البيئية والاجتماعية والشخصية، وغيرها مما يتعلق بالصحة العامة¹، (ويتفق هذا المفهوم مع التعريف الحديث الذي وضعته منظمة الصحة العالمية أن صحة البدن في صورتها المثالية المكتملة أن تشتمل على سلامة النواحي البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وفي هذا الإطار يتحدد مفهوم الصحة لدى تلك المنظمة الكبرى التي يديرها ويشرف عليها نخبة من كبار أطباء العالم، وأمهر الباحثين والخبراء في مجال الصحة وفي هذا إعجاز للهدى النبوي الصحي الذي جاء به النبي ﷺ وإذا ما نظرنا إلى الدراسات العلمية الحديثة نجد أن الهدى النبوي الصحي، إنما هو حقيقة واقعية فريدة؛ إذ إنه أخبر عن أشياء في زمنه لم يكتشفها العلم الحديث إلا في العصر الحاضر بعد تقدم العلوم، واختراع الأجهزة الطبية المتقدمة إذ ثبت بالدليل والبرهان أن النبي ﷺ قد أخبر بحقائق طبية لم يستطع العلم الحديث أن يكتشفها إلا في الآونة الأخيرة بعد تقدم الأجهزة الطبية، في حين أن سبق النبي ﷺ في الإخبار بها يعد إعجازا باهرا².

¹ الإعجاز العلمي في السنة النبوية ورد الشبهات - <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04>

ومن ذلك مثلاً إخباره ﷺ عما يحمله التراب من حمايةً ضد الجراثيم والميكروبات، حيث يكتشف العلماء أخيراً أن التراب قاتل للجراثيم ومبيد لها وأنه يستحيل أن تعيش الجراثيم في التراب، بل بدأ العلماء يستخلصون العقاقير الطبية من التراب، كما اكتشفوا أن مستخلصات التراب هي أنجح في علاج أمراض الإلتهاب الرئوي و التيفود و الكوليرا، وقال الدكتور "وطسمان" الروسي الأصل: إن التراب هو أعظم مطهر من الجراثيم¹، ومن هنا نفهم مغزى حديث الرسول ﷺ (إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات، وعفروه الثامنة في التراب)². وإن ما ثبت من معالجة النبي ﷺ لنفسه ببعض الأدوية كالحجامة لهو أكبر دليل على اعجاز هديه النبوي الصحي؛ إذ أثبتت الدراسات الطبية الحديثة دور الحجامة والحبة السوداء وعسل النحل والسواك وغير ذلك من وسائل علاجية نبوية فعاليتها في الوقاية والحماية وعلاج كثير من الأمراض³.

2-توافق العلم الحديث مع الهدى النبوي الصحي: إنَّ القول بتوافق الهدى النبوي الصحي مع العلم الحديث لا يسلم به إلا بعد ثبوت تحقيق مناطه، والذي يتمثل بحقيقتين هما⁴:

أولاً: ثبوت اكتشاف هذه الحقيقة من قبل العلماء المتخصصين في مجالها وإستمرارها. ثانياً: الدلالة الواضحة على تلك الحقيقة في نص من نصوص القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وذلك دون تكلف أو تعسف في الاستدلال، علماً بأن الرابط الذي يعطي هذا المناط قيمته هو عدم إمكانية إحاطة البشر بتلك الحقيقة وقت التنزيل، ولذلك فإن خطوات إثبات شاهد من شواهد الإعجاز العلمي في نص الحديث الشريف تصبح خمسا، وهي⁵:

¹ د. سعد الدين السيد صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، ص206، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993 م

² صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، ج 1، ح 280، 162

³ الإعجاز العلمي في السنة النبوية ورد الشبهات، <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-06-0001>

⁴ المرجع السابق

⁵ د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح ود. عبد الجواد الصاوي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص19-21-بتصرف-دار جيا،

السعودية، 2008م

- 1- إثبات وجود دلالة واضحة في النص من قبل المتخصصين تشير إلى الحقيقة العلمية المكتشفة .
 - 2- ثبوت تلك الحقيقة علميا بعد توفر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.
 - 3- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة العلمية زمن النبي ﷺ
 - 4- تحقق المطابقة بين دلالة النص من سنة النبي ﷺ وتلك الحقيقة العلمية.
 - 5- النص الذي يستنبط منه الإعجاز العلمي من السنة المطهرة يجب أن يكون صحيحا أو حسنا ؛ حيث لا تعتمد في هذا المنهج الأحاديث الواهية أو الموضوعية .
- (إن الإرشادات الصحية النبوية الواردة في السنة النبوية لا تشير إلى أن النبي ﷺ إمتحن مهنة الطب بالمفهوم الحديث، ولم تكن مهنة الطب منوطة بالأنبياء، وكذلك ليس المقصود أن السنة النبوية عندما تؤكد على أهمية علاج ما أو دواء معين أنه يلزم استخدامه والتداوي به دون غيره من الأدوية الحديثة، وإنما المقصود بيان نفعه وأهميته بجوار ما توصل إليه الطب الحديث من أدوية أخرى. إن دراسة المهدي النبوية الصحي ليست دعوة إلى ترك الطب الحديث، وإنما القصد منها أن نتبع نصائح النبي ﷺ إلى جوار البحث عما يكتشفه الأطباء من علاج حديث قائم على التجربة والمتابعة، وتدعو الأطباء أيضا إلى النظر إلى الأحاديث الطبية وإجراء التجارب على هذه الوسائل التي أرشد إليها النبي ﷺ؛ ليحددوا بالضبط القدر المطلوب من العلاج والمرض الذي يعالج بها، بالإضافة إلى البحث الدقيق عن صحة الأحاديث التي تتعلق بالطب؛ حتى يغلق الباب على الأعداء والمتكسبين بهذا الطب ، ويخضع الموضوع لمؤسسات علمية محكمة؛ لئلا نفتح الباب للغش والتدليس على المسلمين)¹.

¹ الاعجاز العلمي في السنة النبوية ورد الشبهات ، <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-06-0001>

إن الاكتشافات العصرية الحديثة شاهدة على صحة أحاديث النبي ﷺ ، وأن الهدى النبوي الصحي العلاجي حقائق علمية تجلت بوضوح بعد الاكتشافات الحديثة ؛ حيث أثبتت التجارب العديدة التي أجريت على الوسائل العلاجية التي أخبر بها النبي ﷺ صحة هذه الوسائل، بل أصبحت شاهد صدق نبوة النبي ﷺ. فإننا إذا ما نظرنا إلى إخبار النبي ﷺ عن الحجامة مثلا في قوله ﷺ: (نَعَمْ الْعَبْدُ الْحَجَّامُ يُخْفُ الظَّهْرَ وَيَجْلُو الْبَصَرَ¹) ، ففي شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب، وعندما تفشل جميع الوسائل العلاجية نجد أن للحجامة دورا مهما يعلمه الأطباء في عصرنا. وكذلك ثبت بالأبحاث العلمية والدراسات الإكلينيكية أن للحبة السوداء دورا كبيرا في القضاء على البكتيريا الممرضة للإنسان والمسببة للتسمم الغذائي. واثبت العلم الحديث أن السواك قادر على قتل الجراثيم بالفم ويمنع تكون مادة الجير على جدار الأسنان، كما أنه يعطر الفم وينشط الدورة الدموية للثة، وهو مطهرٌ قوي ومفيد لمرضى السكر؛ لأنه يمنع نزيف اللثة ، ولذا يمكن القول أن الهدى النبوي الصحي العلاجي مفهوم شامل يدعو إلى الإعجاب؛ لأنه يتوافق مع المقاييس العلمية الحديثة في أسسها العامة.

¹ المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الطب ، إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة ، ج 4 ، ح 7578 ، ص 212 ، حسنه الترمذی

المطلب الثالث: الأحاديث النبوية الصحية والعلم التجريبي الحديث: أنكر بعض الناس مجموعة من الأحاديث بدعوى معارضة العلم التجريبي الحديث؛ فلم يقبلوا هذه الأحاديث حال تعارضها مع العلم ، وفي هذ المطلب هذه القضية من خلال بيان معنى العلم التجريبي الحديث ، ثم بيان الموقف إذا حصل تعارض بين الحديث النبوي والعلم التجريبي الحديث؛ وذلك من أجل الوقوف على حلول علمية ضمن قواعد ثابتة للحيلولة دون رد الأحاديث الصحيحة بسبب عدم فهم الحديث، أو عدم محاولة التوفيق بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة

1- مفهوم العلم التجريبي الحديث وصلته بعالم المشاهدة: يعرف العلم التجريبي الحديث بأنه: (بناء لمعارف منظمة تختص بعناصر الكون وعوامله وطاقاته ومؤثراته¹) ، فالمقصود من العلم التجريبي الحديث ما يختص بالعلوم والظواهر الطبيعية والعلوم التطبيقية، والفيزياء والكيمياء والجغرافيا وغيرها من العلوم. والعلم التجريبي يشتمل على حقائق علمية وعلى نظريات وعلى قوانين علمية، فالقانون العلمي: (الفرض الذي ثبتت صحته بالتجربة تحت ظروف معينة)². وتعرف الحقيقة العلمية: (الأمر الجزأ الناتج عن العلم التجريبي أو الخبرة، لا يتضمن الثبوت ولا التعميم، لأن صحته في ظروف معينة وأزمنة معينة)³. أما النظرية العلمية: (مجموعة من التصورات الذهنية الفرضية التي تتكامل في نظام معين يوضح العلاقة بين مجموعة كبيرة من المفاهيم والمبادئ والقوانين والقواعد العامة)⁴ وفي العلم التجريبي الحقيقة أقوى من القانون، لأن الحقيقة إكتشاف لشيء واقع من صنع الله وثبت بالتجربة صحته، أما القانون فالتدخل البشري واضح فيه ، وترتب هذه المصطلحات في العلم التجريبي تنازليا (الحقيقة - القانون - النظرية العلمية - الفرضية العلمية - الأطروحة)⁵.

¹ أحمد الصيدي، تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية، ص 36 ، مطابع المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، د.ط، 1991م

² المصدر نفسه، ص 64

³ المصدر نفسه، ص 64

⁴ احمد النجدي وراشد علي وعبد الهادي منى ، المدخل في تدريس العلوم، ص 50 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م

⁵ Dr. Thamer HATAMLEH ، نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي ص 167 ، EKEV AKADEMİ DERGİSİ Yıl: 18 Sayı: 60 (Yaz 2014)

وهذه النظريات قابلة للتغيير والتبديل، على حسب ما يستجد من اختبارات لهذه النظرية وتطبيقاتها على الواقع التجريبي. فالعلوم التجريبية لا تدخل فيما وراء الطبيعة والمادة، ولذلك يقول صاحب كتاب الدين في عصر العلم: (إن علماء العلوم التجريبية يعترفون في صراحة لا لبس فيها بأن دائرة أبحاثهم إنما هي المادة التي يمكن إحساسها، وإنهم يعتمدون في ذلك على التجربة، وعلى الملاحظة، وإنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم، وذلك بتتبع جزئيات محسوسة بالملاحظة أو بإجراء التجارب عليها، فالمنهج الذي تتبعه العلوم التجريبية، إنما هو منهج لمعرفة كيفية المادة وعليه فإنه إذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم، ومتى ما قال قائل: إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية، فإنه يكفيننا أن نسحب منه هذه الكلمة لنسحب ثقتنا به)¹. والحديث النبوي يتحدث عن عالم الغيب وعن عالم الشهادة، والعلوم التجريبية تدخل في عالم الشهادة. وقد قرر أهل العلم أن مجال الدين الحقائق الروحية، ويمكن أن يخرج للحقائق المشاهدة ويحصل تعارض بين العلم التجريبي الحديث وبين الحديث النبوي، عندها يجب اتباع قواعد يسير عليها الباحث لبيان وجه الحق من حيث العلم الثابت الصحيح والحديث الثابت الصحيح وقواعد للترجيح بينهما، وهذا مع التأكيد أن المسألة استثنائية وعرضية².

2- العمل عند تعارض العلم التجريبي الحديث مع الحديث النبوي: إذا وقع التعارض بين الحديث النبوي وبين العلم التجريبي الحديث فينبغي معالجة التعارض من خلال مايلي³:
أولاً: يجب التأكد من وجود التعارض فعلاً، فيمكن أن يكون هناك تعارض بناء على فهم خاطئ إما للعلم التجريبي الحديث وما يندرج تحته، وإما لفهم الحديث النبوي.
ثانياً: عند التأكد من التعارض وعدم الفهم الخاطئ للحديث أو للعلم ننظر لترجيح الأقوى على الأضعف وفي هذا المقام قال ابن القيم: (شرط العمل بالظنيات الترجيح عند التعارض فإن وقع التساوي ففيه قولان: التخيير والتوقف⁴) وهذا إن لم نقدر على التوفيق ابتداءً.

¹ د. يوسف القرضاوي، الدين في عصر العلم، ص 31-32، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1 أولى، 1992م

² المرجع السابق، نفس الصفحة-بتصرف-

³ Dr. Thamer HATAMLEH، نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي ص 168، EKEV AKADEMİ DERGİSİ Yıl: 18 Sayı: 60 (Yaz 2014)

⁴ محمد أبي بكر بن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج 4 ص 485، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996م

ثالثاً: إذا تساوى الطرفان في القوة ننظر إلى مستويات المعلومات المقدمة، ففي العلم التجريبي الحديث نرتب تنازلياً (الحقيقة - القانون - النظرية العلمية - الفرضية العلمية - الاطروحة) ، وفي الحديث النبوي (المتواتر - المشهور - الغريب) أو (المتواتر، الآحاد)، وفي الآحاد ترتيب الأحاديث من حيث القبول ودرجته (من الصحيح لذاته إلى الحسن لغيره)¹، فإذا تساوى ولم نستطع التوفيق أو التقديم ننظر في شرح الحديث ومعناه للتأكد من عدم تقديم تفسير لما يتناسب مع معطيات العلوم التجريبية، لا سيما إذا كانت معطيات العلوم التجريبية قطعية وفي حدود العالم المشاهد، مثلاً: تعارض قانون علمي مع حديث، أو حقيقة علمية ثابتة مع حديث حسن أو ضعيف. والناظر إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة يجدها تبالغ في المعنى، وتتقول على الدين ما ليس منه، كحديث وجود أنبياء كأنبياء الله نوح وإبراهيم عليهم السلام على كواكب أخرى ، كما رواه الحاكم² ، وأحاديث فضائل الخضار والفواكه وغيرها. وأخيراً: نرجح المعلومة الراجحة من حيث قوتها، فإنه من المقرر تقديم الأقوى على الأضعف، ففي الحديث يحتمل أن يكون التعارض ناتجاً من أخطاء بعض الثقات أو الرواة، فالحديث الشاذ هو رواية الثقة مخالفاً لمن هو أوثق منه³ ، فمع أنه راو ثقة فقد روى ما يخالف غيره ممن هو أقوى، فقدمنا الأقوى في ميدانه، وهكذا في سائر العلوم. أما في العلوم التجريبية فقد يكون الخطأ ناتجاً من سوء فهم أو تطبيق نتائج العلم، فالحقيقة ربما تتغير وكذا النظرية، بناء على المستجدات والتجارب العلمية⁴.

¹ من المعلوم لدى أهل الحديث أن الحديث النبوي ينقسم أقساماً على ما استقر عليه في علم المصطلح: (المتواتر - المشهور - العزيز - الغريب)، وهناك تقسيم من حيث الصحة والقبول: (الصحيح لذاته، الصحيح لغيره، الحسن لذاته، والحسن لغيره) ، أنظر كتاب: د. محمد الزحيلي ، تعريف عام بالعلوم الشرعية ، ص: 79-80، دار الكوثر للنشر والتوزيع ، الجزائر

² الحديث عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: (الله الذي سبع سماوات ومن الأرض مثلهن) قال: (سبع أرضين في كل أرض نبي كنبئكم وأدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى) قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحليم، ج 2، ص 535 حديث 3822، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م

³ مثاله: الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي وغيرهما أن النبي ﷺ قال: (إذا وقعت الفأرة في السمن، فإن كان جامداً فألقوها وما حولها، وإن كان مائعاً فلا تقربوها) ، فهذا الحديث شاذ سنداً ومتناً ، أنظر: السلسلة الضعيفة، للألباني، ج 4، ص 31.

⁴ Dr. Thamer HATAMLEH ، نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي ص 170 -بتصرف- ، EKEV ، AKADEMİ DERGİSİ Yıl: 18 Sayı: 60 (Yaz 2014)

3- نماذج لأحاديث أنتقدت بالعلم التجريبي الحديث: حديث تغير اللحم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَرِ¹ اللَّحْمَ وَلَوْلَا حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ² أَنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ²). وظاهر هذا الحديث يتعارض مع الحقائق العلمية من حيث قابلية اللحم للتغير والفساد، فالحقيقية العلمية تثبت أن طبيعة اللحم من حيث التحرية والإثبات تتغير وهي من مسلمات العلم والواقع، فكيف أن اللحم لم يكن يفسد، وفسد على يد أناس معينين؟ وربما يكون ظاهر الحديث يتعارض مع العلم (علم التشريح والأحياء). ولكن عند شرح الحديث وأقوال أهل العلم نجد أن الحديث لا يتعارض مع العلم التجريبي³. فقد ذكر شراح الحديث كابن حجر والنووي في شرحهم الحديث⁴: أن بني إسرائيل هم أول من فسد اللحم على أيديهم وعرفوا ذلك، فالناس قبل بل إسرائيل لم يكونوا يدخرون اللحم، فلم يفسد بين أيديهم، أو ربما كانوا يدخرونه ولكن بطريقة علمية معينة تحفظه كتنشيفه وهو ما يعرف بالتشريق، أو بحفظه بالملح، ولكن بني إسرائيل عندما كان يأتيهم السلوى (وهو طائر السمان) كل يوم فيأكلونه لحما طريا، فلما شحوا به وادخروه، عوقبوا بفساده وتنته، ولعلمهم كانوا أول من سن هذه السنة السيئة، ولأنهم كانوا في الصحراء وفي حرها فلم يستطيعوا حفظه بشكل صحيح، فالكلام على ما يظهر هو في عمل بني إسرائيل في اللحم، لا في طبيعة اللحم من حيث هو لحم، وأنه لولاهم لما ادخر، ولو لم يدخر بطريقتهم الخاطئة وأكلوه يوميا لم يفسد⁵..

أما القول أنه ليس من طبيعة اللحم الفساد والتغير قبل بني إسرائيل فهذا لا يؤيده الشرع الحنيف ولا يقوله هذا الحديث النبوي، بل الأمر كما بينه شراح الحديث كما سبق ذكره.

¹ يَخْتَرُ بِفَتْحٍ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ الْخَاءِ وَكَسْرِ النُّونِ وَبِفَتْحِهَا أَيْضًا بَعْدَهَا زَائِي أَي يُنْتِجُ ، وَالْحَنْزُ التَّعْيِيرُ وَالنُّنُ ، قِيلَ : أَصْلُهُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ادَّخَرُوا لَحْمَ السَّلْوَى وَكَانُوا نُهْوًا عَنْ ذَلِكَ فَعُوقِبُوا بِذَلِكَ، حَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ وَذَكَرَهُ عَيْبَةُ عَنْ فَتَاةٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ لَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَنُوا ادِّخَارَ اللَّحْمِ حَتَّى أَنْتَنَ لَمَا ادَّخَرَ فَلَمْ يُنْتِجْ ، أَنْظَرُ: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص 423

² صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها، ج 4، ح 3399، ص 154

³ Dr. Thamer HATAMLEH ، نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي ص 173-بتصرف- ، EKEV

⁴ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 2، ص 514 أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1739هـ / عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العليل، ج 67، ص 176، دار الكتب العلمية-بيروت، د. /المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، ي بن شرف النووي، ج 5، ص 611، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط الثالثة، 1796هـ/مشكلات الأحاديث النبوية عبد الله بن علي النجدي القصيمي ، ص 67-60 بتصرف، ، دار القلم، بيروت، ط أولى، 1405هـ، 1935م

⁵ أبو محمد محمود بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج 15، ص 211 ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

وفي الختام يقال للعلماء¹: انظروا بتجرد إلى هذه الحقيقة العلمية في قوله ﷺ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرِجُوا مِنْهَا²).

ولضمان تنفيذ هذه الوصية النبوية العظيمة فقد ضرب رسول الله ﷺ سوراً منيعاً حول مكان الوباء، فوعد الصابر والمحتسب بالبقاء في مكان المرض بأجر الشهداء، وحذر الفار منه بالويل والثبور، فقال رسول الله ﷺ: (الْقَارُ مِنْهُ كَالْقَارِ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَمَنْ صَبَرَ فِيهِ كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ³)، وقد كان المسلمون هم الوحيدون بين البشر الذين لا يفرون من مكان الوباء منفذين أمر نبيهم ﷺ ولا يدركون لذلك حكمة ، فلما تقدمت العلوم وأكتشفت الكائنات الدقيقة وعرفت طرق تكاثرها وانتشارها وتسببها في الأمراض والأوبئة تبين أن الأصحاء الذين لا تبدو عليهم أعراض المرض في مكان الوباء هم حاملون لميكروب المرض وهم يشكلون مصدر الخطر الحقيقي في نقل الوباء إلى أماكن أخرى إذا انتقلوا إليها، وبسبب اكتشاف هذه الحقيقة نشأ نظام الحجر الصحي المعروف عالمياً الآن والذي يمنع فيه جميع سكان المدينة التي ظهر فيها الوباء من الخروج منها كما يمنع دخولها لأي قادم إليها فمن أطلع محمداً ﷺ على هذه الحقيقة ؟ أيمكن أن يتكلم بشر عن هذه الحقائق الدقيقة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان؟ اللهم إلا أن يكون كلامه وحياً يأتيه من عليم خبير ، حتى يرينا الله سبحانه آياته ، فنعرفها أنها من عنده ، فنحمده على ما من علينا من تشريع وتكليف معجز ، قال الله تعالى: (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ريك بغافل عما تعملون) (النمل:93).

وهكذا أثبت العلم الحديث سبق القرآن الكريم والسنة النبوية وإعجازهما ، في إشارتهما للكائنات الدقيقة ، ومسببات الأمراض ، وقد قدم الإسلام للبشرية أيسر وأنجح السبل للقضاء على الأمراض ، ومسبباتها ، وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها وأضرارها ، ورأى العلماء بأعينهم صدق وحي الله لرسوله ﷺ تحقيقاً لقوله تعالى: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) (سبأ:6)

¹ شحاتة صقر ، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة ، ص 135-136 ، دار الخلفاء الراشدين ، دار الفتح الإسلامي الاسكندرية ، مصر

² صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون ، ج 7 ، ح 5728 ، ص 130

³ مسند أحمد بن حنبل ، مسند جابر بن عبد الله ﷺ، ج6، ح 15021 ، ص 3122 ، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ح 1638

الخاتمة

الخاتمة والتوصيات:

الحمد لله الذي وفق ويسر لإنجاز هذا العمل وتمامه، والإنهاء من فصول هذه الرسالة ، التي تمحور البحث فيها حول حفظ الصحة في الهدي النبوي والعلم الحديث ، وكل ما يتعلق بحفظ صحة للفرد والمجتمع المسلم في الأحاديث النبوية الصحيحة ، وما اكتشفه العلم الحديث من طرق وقائية ووسائل علاجية لحفظ الصحة ومكافحة المرض لضمان صحة الإنسان وسلامته ، فأود في ختام هذا البحث أن أخص أهم النتائج التي توصلت إليها وأبرزها فيما يلي:

1- إن السنة النبوية هي المرجع الثاني للتشريع الإسلامي لجميع المسلمين في كل نواحي الحياة ، وقد جاءت بمفهوم شامل لموضوع حفظ الصحة موافقا للعقل السليم والعلم الثابت الصحيح، وإن الهدي النبوي الصحي الوقائي والعلاجي، دستور صحي شامل للمسلم من خلال تعاليم النبي ﷺ في الوقاية والعلاج والعناية بالغذاء والدواء ، وقد حث النبي المصطفى ﷺ أمته للعمل والالتزام بها، راحة للنفس والعقل ، وحفظا لصحة الإنسان جسداً وروحاً ، وصحة البيئة والحياة . وإن تعاليم النبي ﷺ الصحية لا تخلو من الإعجاز العلمي والطبي القائم على مدى أربعة عشر قرناً ، لتبنيه المعاندين والمشككين إلى صدق نبوة محمد ﷺ ، وعظمة الدين الإسلامي ، وأنه الحق من عند الله رب العالمين.

2- إن النبي ﷺ بهديه الصحي ، نقل الطب من الشعوذة والأسطورة والسحر إلى العلم والتجربة، مما أسهم في تقدم الطب خطوات واسعة ، فقد أرسى النبي ﷺ بأقواله وأفعاله قواعد الصحة السليمة والركائز الأساسية التي قام عليها الطب في الحضارة الإسلامية، وكان لها الأثر الكبير في عناية الخلفاء الراشدين بالصحة والمحافظة على المسلمين زمن الخلافة الراشدة ، مما ساهم في ازدهار الطب الإسلامي في العصر الأموي والعباسي، وبعدهما ، من خلال الترجمة وبناء البيمارستانات (المستشفيات) ، ونبوغ الأطباء المسلمين الذين يدين لهم الطب الحديث لمؤلفاتهم وإنجازاتهم.

3- عنيت السنة النبوية بصحة ونظافة الفرد والمجتمع والبيئة ، ومن ذلك نظافة البدن والأيدي والأسنان والأظفار والشعر ، ونظافة الملابس ونظافة الطعام والشراب، ونظافة الشوارع والبيوت والمدن، ونظافة المياه كالأنهار والآبار. واهتمت السنة النبوية بسلامة الغذاء كأساس للصحة الغذائية، حيث منعت الأغذية والأشربة الخبيثة الضارة ، كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والمخدرات، وأباحت الأطعمة الطيبة الصحية وما له قيمة غذائية، إلى جانب الاهتمام بنوعية الغذاء ، ونظام الغذاء: كالاتزان والتوازن، وعدم الإسراف، والتنوع في الغذاء، وتنظيم وجباته ، تفاديا للتخمة وتوفير الأمن الغذائي، من خلال تحقيق الكفاية الغذائية للفرد والمجتمع. وإن السنة النبوية لها سبق

في التشريعات الغذائية الصحية، فان أغلب الأمراض والأسقام التي يعاني منها الإنسان في هذا العصر سببها سوء التغذية والسمنة ، والبعد عن منهج الله وهدى النبي ﷺ ، ومن المعلوم عند أهل الطب أن غذاء النبي ﷺ هو أمثل غذاء صحي، وجدير بمراكز الدراسات والبحث العلمي في مجال الصحة والتغذية إجراء مزيدا من البحث للإفادة من هدى النبي ﷺ في تناول الطعام والغذاء الصحي.

4- اهتمت السنة النبوية بالصحة الجنسية ، كتحريم الزنا واللواط والشذوذ ، ومنع إتيان النساء في المحيض وفي الدبر، وتحريم التبرج والاختلاط ، حفظا للصحة ومنعا للمرض . ولم تغفل السنة النبوية جانب الصحة العقلية والنفسية لمنع أسباب التوتر العصبي والنفسي ، فحرمت اليأس والانتحار ودعت إلى الإيمان بالله وبقضائه وقدره، وحثت على التداوي وطلب العلاج ، وشرعت السنة النبوية الرياضة والحركة ، ونهت المسلم عن الخمول والكسل . ووضعت السنة النبوية قواعد لمنع الأمراض المعدية ، وتشمل الحجر الصحي، وعزل المريض وعدم الدخول على الوباء، وعدم الفرار منه، والاستعانة بالطب والدواء ، والتطعيم في الوقاية والعلاج.

5- إن من أهم القواعد الواجب مراعاتها عند دراسة أحاديث الهدى النبوي الصحي هي استحضار الأصول والجذور التاريخية للطب في الجزيرة العربية ، واستحضار خصوصية بيئة النبي ﷺ في توجيهاته الصحية، والإلتزام بالحقائق العلمية الثابتة عند مقارنة الأحاديث النبوية الصحية إثباتاً أو رداً ، أو ترجيحاً ، ومراعاة الصيغ التي وردت بها الأحاديث النبوية الصحية وموضوعها عند الاستدلال والمقارنة مع اكتشافات العلم الحديث ، مع ضرورة تناول أحاديث الهدى النبوي الصحي ، في ضوء الدراسات العلمية اليقينية قبل الاحتجاج ، واحترام الإختصاص العلمي والطبي، يدل على ذلك تعاطي النبي ﷺ للعلاج في حياته بما يصفه له الأطباء، ومن باب أولى أن يخضع غيره لرأي أهل الإختصاص، قبل الاحتجاج بتلك النصوص والعمل بمقتضاها. مع التأكيد أن العديد من إرشادات النبي ﷺ الصحية توافقت مع أهم الاكتشافات الطبية المعاصرة ، ووردت إشارات علمية معجزة في الأحاديث النبوية الصحية يمكن أن تكون مفتاحا لكشوفات علمية مخبرية، تبرز مدى الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، وتفيد الإنسانية في مجال الطب. وذلك يؤكد أن ما جاءت به السنة النبوية من حقائق صحية وقائية وعلاجية ، لم يدرك البشر أسرار بعضها إلا بعد التقدم العلمي الكبير الذي حصل في هذا العصر ، وهذا يؤكد معجزة النبي ﷺ ، وصلاحيته شريعة الإسلام للإنسان في كل زمان ومكان ، وأنها من عند الله الخالق الذي خلق الإنسان ، وهو أعلم بما يضره وما ينفعه ، وما يصلحه ويسعده في الحياة وبعد الممات.

6- إن العلم الحديث يتوافق مع حقائق السنة النبوية في مجال حفظ الصحة ، والطب والعلاج والتداوي ، لأن العلم ليس خصمًا للإيمان ولا ضدًا له ، بل هو دليل يهدي إليه ، وقد وجدنا كثيرًا من العلماء الراسخين المنصفين هداهم علمهم إلى الإيمان بوجود -وراء هذا الكون- قوة عليا تدبره وتنظمه ، وترعى كل شيء فيه بميزان وحساب ومقدار، وأحد معاني الإيمان العلم ، ولذلك لن نجد مؤمنًا إلا وهو عالم أو متعلم ، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب ، والعقل السليم والعلم الصحيح تقومان حقيقتهما على استلزام الدليل للمدلول ، بحيث إذا وجد الدليل وجد المدلول ، وإذا انتفى المدلول انتفى معه الدليل ، وليس هناك دليلًا أقوى من آيات الله في كونه ، وفي هدي نبيه محمد ﷺ ، فهديه ﷺ دليل على صدق نبوته ورسالته ، ودليل على وحدانية الله عز وجل ، وصدق الله القائل: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) (الأنعام: 19)

وفي خاتمة هذا البحث أود أن أوصي بما يلي :

- 1- أن يعنى طلبة العلم الشرعي بالدراسات الموضوعية في السنة النبوية من أجل معرفة الأسرار والفوائد التي يحتويها الهدي النبوي في إصلاح الفرد والمجتمع ، وأن يكون طلبة العلم وأساتذته القدوة الحسنة للمجتمع في الإمثال والإقتداء بالتوجيهات النبوية في المجال الصحي الواردة في السنة النبوية .
- 2- أن تبذل الجهود وتتكثف الدراسات الأكاديمية لمعرفة التوجيهات النبوية في مجال الهدي النبوي الصحي المعجز ، لضمان صحة الفرد والمجتمع المسلم ، وتحصين البيئة الإسلامية من غوائل وأخطار الأمراض والأوبئة المعدية التي تهدد الكثير من المجتمعات في العصر الحديث .
- 3- أن تقوم الجامعات والمؤسسات التعليمية بدعم المناهج والبرامج العلمية والدراسية التي تبرز الهدي النبوي الصحي في الوقاية والعلاج من خلال مقاييس مستقلة أو من خلال مادة التربية الإسلامية .
- 4- أن تقوم المؤسسات الصحية الرسمية بطباعة نشرات ودوريات تعرف بالإرشادات النبوية الصحية خصوصاً الوقائية ، ودعوة الأفراد للإلتزام بها وتطبيقها في حياتهم اليومية ، كأداب إسلامية.
- 5- عقد ملتقيات وأيام دراسية تبين معالم الهدي النبوي الصحي وتبرز سبقه وتميزه في هذا المجال . وأخيراً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به القراء وجميع المسلمين.

فهارس البحث

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

| الرقم | الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|-------|--|----------|-----------|-------------------|
| 1. | ويسألونك عن المحيض قل هو أذى | البقرة | 222 | 132 |
| 2. | وأشهدوا إذا تبايعتم | | 282 | 35 |
| 3. | قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله | آل عمران | 31 | 166 |
| 4. | يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله | النساء | 59 | 166 |
| 5. | من يطع الرسول فقد أطاع الله | | 80 | 24 |
| 6. | اليوم أكملت لكم دينكم | المائدة | 3 | 178 |
| 7. | لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم | المائدة | 101 | 35 |
| 8. | قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا | الأنعام | 145 | 35 |
| 9. | واتبعوه لعلكم تهتدون | الأعراف | 158 | 33-24-14 |
| 10. | فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون | النحل | 43 | 197-190 |
| 11. | وأوحى ربك إلى النحل | النحل | 69 | 138 |
| 12. | وَهَزَّبِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ | مريم | 25 | 144 |
| 13. | وجعلنا من الماء كل شيء حي | الأنبياء | 30 | 146 |
| 14. | يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية | النور | 35 | 145 |
| 15. | فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ | | 63 | 166 |
| 16. | وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها | النمل | 93 | 262 |
| 17. | وما كنت تتلو من قبله من كتاب | العنكبوت | 48 | 173 |
| 18. | وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله | | 36 | 166 |
| 19. | لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة | | 38 | 24 |
| 20. | ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك | سبأ | 6 | 262 |
| 21. | وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي | النجم | 4 | -165-30-24 173 |
| 22. | وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه | الحشر | 7 | 166-165-24 |
| 23. | يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم | الإنفطار | 9 | 99 |

| الصفحة | الراوي | طرف الحديث أو الأثر | الرقم |
|--------|--------------|---|-------|
| 3 | البخاري | لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ | .1 |
| 3 | البخاري | أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِضَبِّ مَشْوِيٍّ | .2 |
| 4 | الحاكم | إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ | .3 |
| 4 | مالك | لا ضرر ولا ضرار | .4 |
| 4 | الحاكم | خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ | .5 |
| 5 | البخاري | إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ | .6 |
| 5 | مسلم | قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي | .7 |
| 6 | البخاري | لا يوردن ممرض على مصح | .8 |
| 11 | مسلم | لَا تُنْكَحِ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا | .9 |
| 11 | البخاري | يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ | .10 |
| 11 | ابن حبان | لَا تُحْرَمُ الْمَصَّةُ | .11 |
| 11 | الترمذي | الدية على العاقلة | .12 |
| 12 | البخاري | لَا يُحْتَلَى خَالَهَا | .13 |
| 12 | ابن حبان | وَلَوْ أُتِيَ اسْتَقْبَلْتُ | .14 |
| 12 | أحمد بن حنبل | أَلَا إِنَِّّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ | .15 |
| 15 | البخاري | مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا | .16 |
| 15 | أحمد بن حنبل | مَنْ زَرَعَ فِي أَرْضٍ قَوْمٍ بَعِيرٍ إِذْ هُمْ | .17 |
| 15 | البخاري | خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدِكَ بِالْمَعْرُوفِ | .18 |
| 15 | البخاري | مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ | .19 |
| 15 | أبوداود | مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ | .20 |
| 16 | مسلم | إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ | .21 |
| 16 | مسلم | إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ | .22 |
| 17 | أحمد بن حنبل | خَيْرُ الْحَيْلِ الْأَدْهَمُ | .23 |
| 17 | الطبراني | كُنْتُ جَارُهُ | .24 |

| | | | |
|----|--------------|---|-----|
| 17 | البیهقي | مَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا رَأَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ | .25 |
| 17 | البخاري | مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ | .26 |
| 17 | أحمد بن حنبل | الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْعَائِبُ | .27 |
| 18 | الحاكم | كُلُوا الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ | .28 |
| 18 | أحمد بن حنبل | كلوا لحوم الأضاحي | .29 |
| 18 | مسلم | أنتم أعلم بأمور دنياكم | .30 |
| 21 | البخاري | يَا عَبَّاسُ لَا تَعْجَبْ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ | .31 |
| 22 | البخاري | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ | .32 |
| 22 | البخاري | لَيْسَ التَّخْصِيبُ بِشَيْءٍ | .33 |
| 22 | مسلم | مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ الْحَوَائِطِ | .34 |
| 22 | مسلم | مَا أَظُنُّ هَذَا يُغْنِي شَيْئاً وَلَوْ تَرَكُوهُ لَصَلَحَ | .35 |
| 22 | الترمذي | ألا لا وصية لوارث | .36 |
| 23 | البخاري | لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ | .37 |
| 24 | البخاري | اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ حَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ | .38 |
| 24 | البیهقي | أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي نَعْلَيْهِ | .39 |
| 25 | أحمد بن حنبل | ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه | .40 |
| 25 | الدارمي | أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّمَ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ | .41 |
| 26 | البخاري | صلوا كما رأيتموني كما أصلي | .42 |
| 26 | مسلم | لتأخذوا مناسككم | .43 |
| 27 | ابن حبان | أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ | .44 |
| 27 | ابن حبان | كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ | .45 |
| 30 | أبو داود | أكتب فوالذي نفسي بيده | .46 |
| 32 | مسلم | من أحدث في أمرنا هذا | .47 |
| 32 | البخاري | خذي ما يكفيك | .48 |
| 33 | مسلم | أنتم أعلم بأمور دنياكم | .49 |

| | | | |
|----|--------------|--|-----|
| 65 | مسلم | قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ | .50 |
| 34 | ابن حجر | ليس هو بسنة | .51 |
| 34 | مسلم | أولئك العصاة | .52 |
| 34 | البخاري | لا أدري أنه عن رسول الله ﷺ | .53 |
| 35 | البخاري | أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أَكَلْتَ الْحُمُرُ | .54 |
| 35 | البخاري | يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ حُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ | .55 |
| 36 | البخاري | إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم | .56 |
| 37 | مسلم | كنت أَلعب مع الصبيان | .57 |
| 37 | البخاري | عقري حلقي | .58 |
| 37 | أحمد بن حنبل | ثكلتك أمك يا معاذ | .59 |
| 37 | البخاري | فاظفر بذات الدين تربت يداك | .60 |
| 37 | مسلم | كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةً | .61 |
| 51 | أبو داود | إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ | .62 |
| 51 | مسلم | لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ | .63 |
| 51 | أحمد بن حنبل | يا أُمَّتَاهُ ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكَ | .64 |
| 52 | مسلم | بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ طَيْبًا | .65 |
| 52 | مسلم | رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ | .66 |
| 52 | البخاري | لَمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَأَدْمِيَ وَجْهُهُ | .67 |
| 52 | أبو داود | يُذَكِّرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ عَادَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ | .68 |
| 52 | البيهقي | وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ | .69 |
| 52 | البخاري | إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا | .70 |
| 52 | الترمذي | إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل | .71 |
| 53 | أبو داود | لَمَّا أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الْحَنْدَقِ | .72 |
| 54 | الواقدي | وكن والدا لمن معك ، وأرفق بهم في السير | .73 |
| 54 | البلاذري | عضدوا الغلفان بسيوفكم | .74 |

| | | | |
|----|------------|--|-----|
| 55 | الطبري | وائذن لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحن بمتكاره | .75 |
| 55 | السيوطي | أن عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> كان يتعهد عجزاً كبيرة | .76 |
| 56 | الأصبهاني | إياكم والبطنة في الطعام والشراب | .77 |
| 56 | مالك | إياكم واللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر | .78 |
| 56 | ابن كثير | اتقي الله وأحسني إلى صبيك | .79 |
| 57 | ابن سلام | إِنِّي امْرَأَةٌ مِسْكِينَةٌ وَلِي بَنُونَ | .80 |
| 57 | المروزي | كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ إِذْ جَاءَهُ صَفْوَانُ | .81 |
| 58 | ابن شبة | سَافَرَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَزْمَلُوا | .82 |
| 58 | البخاري | إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ | .83 |
| 58 | البلاذري | أن الخليفة عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> عند مقدمه الجابية | .84 |
| 58 | مالك | مَرَّ بِامْرَأَةٍ مَجْدُومَةٍ | .85 |
| 58 | البلاذري | أَقْبَلَ قَوْمٌ عُرَاةً مِنَ الشَّامِ | .86 |
| 60 | البلاذري | وَاعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَبْعَثُ عَمَّالِي | .87 |
| 60 | مالك | لَا تُكَلِّفُوا الْأُمَّةَ غَيْرَ ذَاتِ الصَّنْعَةِ الْكُتَّابِ | .88 |
| 61 | البلاذري | أَنَّ عُثْمَانَ كَانَ قَدْ شَدَّ أَسْنَانَهُ بِالذَّهَبِ | .89 |
| 61 | ابن الأثير | وَكَانَ يَخْتِمُ عَلَى الْجِرَابِ الَّذِي فِيهِ دَقِيقُ الشَّعِيرِ | .90 |
| 61 | ابن قتيبة | ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة | .91 |
| 61 | ابن قتيبة | إذا أكلتم الرمان | .92 |
| 61 | الصنعاني | لَا تَنْفُخُوا اللَّحْمَ | .93 |
| 62 | الترمذي | أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي | .94 |
| 62 | عبد الرزاق | خَطَبَ عَلِيٌّ النَّاسَ فَقَالَ | .95 |
| 63 | ابن سلام | جَاءَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ إِلَى عَلِيٍّ | .96 |
| 63 | النويري | ولا تدع تفقد لطيف أمورهم | .97 |
| 63 | عبد الرزاق | أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَتَاعِ وَالْكُنْفِ | .98 |
| 64 | ابن شبة | أُتِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ أَوْ الرِّبْدَةِ | .99 |

| | | | |
|----|--------------|---|------|
| 65 | الطبري | كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ يَسْتَعِينُهُمْ | .100 |
| 65 | ابن شبة | لَمَّا دَفَّتِ الْعَرَبُ إِلَى عُمَرَ <small>رضي الله عنه</small> | .101 |
| 65 | ابن شبة | لَبِيتُ لَبِيتُ لَبِيتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ | .102 |
| 66 | ابن شبة | أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ عِيرًا | .103 |
| 66 | ابن شبة | يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْخَلْقَ لَا يَسْعُهُمْ | .104 |
| 66 | النويري | وقد نجح عمرو بن العاص | .105 |
| 66 | ابن شبة | فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ هَؤُلَاءِ | .106 |
| 67 | ابن خزيمة | ثُمَّ دَعَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ | .107 |
| 67 | الطبري | لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَامَ الرَّمَادَةِ | .108 |
| 68 | ابن سعد | لَمَّا كَانَ عَامَ الرَّمَادَةِ قَدِمَ عَلَيَّ عُمَرُ قَوْمِي | .109 |
| 68 | البلاذري | اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ | .110 |
| 68 | البلاذري | اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ هَلَكَةً | .111 |
| 68 | ابن سعد | أَيُّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِحُجْبِ مَقْتُوتٍ بِسَمْنٍ | .112 |
| 69 | ابن زنجويه | لَمَّا كَانَ عَامَ الرَّمَادَةِ آخِرَ عَمْرٍ | .113 |
| 70 | مالك | لا ضرر ولا ضرار | .114 |
| 72 | البلاذري | أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك | .115 |
| 73 | البلاذري | أن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها | .116 |
| 73 | البلاذري | أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة | .117 |
| 74 | الزمخشري | أنه كان إذا قدم مكة يطوف | .118 |
| 74 | ابن أبي شيبة | أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ | .119 |
| 74 | الترمذي | كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُجْمَرُ الْمَسْجِدَ | .120 |
| 75 | ابن سلام | تَسَخَّرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْبَاطَ | .121 |
| 75 | ابن أبي شيبة | لَمَّا قَدِمَ الْأَشْعَرِيَّ الْبَصْرَةَ | .122 |
| 75 | اليعقوبي | أما بعد فإن رجالا من أهل الذمة من عملك | .123 |
| 75 | ابن زنجويه | أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى الْعُمَالِ | .124 |

| | | | |
|-----|-------------------|--|------|
| 76 | أبو داود | مَرَضْتُ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي | .125 |
| 76 | أحمد بن حنبل | انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ | .126 |
| 77 | مسلم | أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ | .127 |
| 77 | ابن حجر العسقلاني | فصد العرق وتحسيم الطعنة إن اضطرت | .128 |
| 78 | إبن الأثير | كيف هي وقد وضعت إبناً فسرتة | .129 |
| 79 | ابن حجر العسقلاني | يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا أحرز | .130 |
| 79 | كحالة | إننا نريد أن نخرج معك إلى خير فنداوي الجرحى | .131 |
| 79 | ابن الأثير | قلدها الرسول ﷺ قلادة وضعها بيديه في عنقها | .132 |
| 80 | كحالة | كنا نخرج مع رسول الله ﷺ في غزواته فنسقي القوم | .133 |
| 80 | ابن الجوزي | غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات | .134 |
| 81 | الذهبي | ما رأيت أحدا أعلم بفقته ولا بطب | .135 |
| 81 | السيوطي | يا نبي الله إني كنت أرقى في الجاهلية على النملة | .136 |
| 99 | النسائي | سَلُوا اللَّهَ الْمَعَاةَ | .137 |
| 99 | الحاكم | لَا بَأْسَ بِالْغَنَى لِمَنْ اتَّقَى | .138 |
| 99 | ابن حبان | مَنْ أَصْبَحَ مُعَاتِي فِي بَدَنِهِ | .139 |
| 100 | البخاري | فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا | .140 |
| 100 | البخاري | وَتُحَذُّ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ | .141 |
| 100 | النسائي | سَلُوا اللَّهَ الْمَعَاةَ | .142 |
| 103 | أبو داود | إذا خرج الرجل من بيته فقال | .143 |
| 103 | الترمذي | من وقاه الله ما بين لحية | .144 |
| 103 | البخاري | إذا كان جنح الليل | .145 |
| 108 | مسلم | الطهور شطر الإيمان | .146 |
| 108 | الطبراني | تَسْأَلُنِي عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ | .147 |
| 108 | مسلم | لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ | .148 |
| 109 | البخاري | إذا أتيت مضجعك فتوضأ | .149 |

| | | | |
|-----|----------|--|------|
| 109 | مسلم | إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ | .150 |
| 109 | الترمذي | إذا توضأت فخلل | .151 |
| 109 | مسلم | إذا توضأ أحدكم فليستنشق | .152 |
| 109 | البخاري | السواك مطهرة للفم | .153 |
| 109 | البخاري | لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي | .154 |
| 109 | مسلم | كان إذا دخل بيته | .155 |
| 110 | مسلم | تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا | .156 |
| 110 | البخاري | إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل | .157 |
| 110 | البخاري | حق على كل مسلم أن يغتسل | .158 |
| 111 | أبو داود | من كان له شعر فليكرمه | .159 |
| 111 | مالك | أليس هذا خيرا | .160 |
| 111 | البخاري | خمس من الفطرة | .161 |
| 112 | مسلم | وقت لنا النبي ﷺ في قص الشارب | .162 |
| 114 | مسلم | وقت لنا النبي ﷺ في قص الشارب | .163 |
| 114 | البخاري | إختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين | .164 |
| 115 | البخاري | أوكثوا قريبكم واذكروا اسم الله | .165 |
| 115 | مسلم | غطوا الإناء وأوكثوا السقاء | .166 |
| 115 | البخاري | إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ | .167 |
| 116 | الحاكم | إن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب | .168 |
| 116 | البخاري | نهى النبي ﷺ أن يشرب | .169 |
| 116 | مسلم | نهى رسول الله ﷺ عن إختنات الأسقية | .170 |
| 117 | مسلم | نهى ان يتنفس في الاناء | .171 |
| 117 | مالك | فأبن القدح عن فاك | .172 |
| 117 | الترمذي | مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِ | .173 |
| 117 | البخاري | كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ | .174 |

| | | | |
|-----|----------|--|------|
| 118 | مالك | إِيَّاكُمْ وَاللَّحْمَ | .175 |
| 119 | البخاري | رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ الرُّطْبَ بِالْقِشَاءِ | .176 |
| 120 | الترمذي | بَحَثْنَا رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ | .177 |
| 120 | البخاري | يَا غَلَامَ سَمِ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ | .178 |
| 120 | البخاري | إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليَأْكُلْ بِيَمِينِهِ | .179 |
| 120 | أبو داود | كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اليمَنِ | .180 |
| 121 | البخاري | لَا أَكُلُ مَتَكْنَا | .181 |
| 121 | مسلم | رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ مَقْعِيَا يَأْكُلُ تَمْرًا | .182 |
| 122 | البخاري | أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ | .183 |
| 122 | البخاري | نَهَى عَنِ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ | .184 |
| 122 | البخاري | كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ | .185 |
| 123 | مسلم | نَهَى أَنْ يَبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ | .186 |
| 123 | ابن ماجه | لَا يَبُولُنْ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ النَّاقِعِ | .187 |
| 123 | البخاري | لَا يَبُولُنْ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ | .188 |
| 124 | البخاري | دَعَا وَهَرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ | .189 |
| 124 | البخاري | الْبَزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ | .190 |
| 124 | الترمذي | إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ | .191 |
| 125 | ابن حبان | وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ | .192 |
| 125 | ابن حبان | الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ | .193 |
| 125 | ابن حبان | إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ | .194 |
| 125 | ابن حبان | مَنْ غَسَلَ مِيْتًا | .195 |
| 125 | النسائي | اللَّحْدُ لَنَا | .196 |
| 126 | مسلم | مَنْ اتَّخَذَ كَلْبًا | .197 |
| 126 | مسلم | طُهُورُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ | .198 |
| 126 | مسلم | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهَا | .199 |

| | | | |
|-----|------------------|--|------|
| 126 | مسلم | مَنْ قَتَلَ وَرَعًا | .200 |
| 127 | البخاري | لاعدوى ولاطيرة | .201 |
| 127 | مسلم | إنا قد بايعناك فارجع | .202 |
| 127 | البخاري | لا يوردن ممرض على مصح | .203 |
| 127 | البخاري | لَا تُورِدُوا الْمُمْرَضَ عَلَى الْمُصِحِّحِ | .204 |
| 127 | مسلم | لا عدوى ولا صفر | .205 |
| 128 | البخاري | لاعدوى ولاطيرة | .206 |
| 129 | البخاري | إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ | .207 |
| 129 | أحمد بن حنبل | لَا تَفْنَى أُمَّتِي إِلَّا بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ | .208 |
| 130 | البخاري | يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ | .209 |
| 130 | الحاكم | يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ | .210 |
| 130 | مسلم | إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ | .211 |
| 130 | أحمد بن حنبل | مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ | .212 |
| 131 | أبو يعلى الموصلي | إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيُصِدِّقْهَا | .213 |
| 131 | ابن القيم | كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلَاعِبُ أَهْلَهُ | .214 |
| 131 | الحاكم | لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ | .215 |
| 131 | أحمد بن حنبل | مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ | .216 |
| 131 | أحمد بن حنبل | مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا | .217 |
| 132 | مالك | لِتَشُدَّ عَلَيْهَا إِزَارَهَا | .218 |
| 133 | مالك | لا ضرر ولا ضرار | .219 |
| 133 | البخاري | لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ | .220 |
| 133 | أبو داود | إِنَّ الْعَضْبَ مِنَ الشَّيْطَانِ | .221 |
| 133 | البخاري | اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ | .222 |
| 134 | أبو داود | دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ | .223 |
| 134 | الحاكم | الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ | .224 |

| | | | |
|-----|----------|--|------|
| 137 | الترمذي | قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى | .225 |
| 137 | البخاري | ما أنزل الله من داء | .226 |
| 137 | مسلم | لكل داء دواء | .227 |
| 137 | الترمذي | سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ | .228 |
| 138 | البخاري | إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ | .229 |
| 138 | البخاري | الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ | .230 |
| 138 | البخاري | اسْتَقِهِ عَسَلًا | .231 |
| 141 | البخاري | شرب لبننا ثم دعا بماء | .232 |
| 141 | البخاري | فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ | .233 |
| 141 | ابن ماجة | أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بِلَحْمٍ | .234 |
| 142 | ابن ماجة | أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ | .235 |
| 142 | مسلم | رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ الْقَثَاءَ | .236 |
| 143 | البخاري | هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّعْيَ | .237 |
| 143 | البخاري | التَّلْبِينَةُ بِحَمَّةٍ لِقُودِ الْمَرِيضِ | .238 |
| 144 | مسلم | يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله | .239 |
| 144 | أبو داود | كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفِطِرُ عَلَى زُطَبَاتٍ | .240 |
| 145 | الترمذي | كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ | .241 |
| 145 | مسلم | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ | .242 |
| 146 | ابن ماجة | ماء زمزم لما شرب له | .243 |
| 148 | الحاكم | أَفَلَا انْتَقَيْتَ لَنَا مِنْ زُطْبِهِ | .244 |
| 148 | البخاري | مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّعْيَ | .245 |
| 149 | البخاري | فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ | .246 |
| 149 | الحاكم | عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسُّنُوتِ | .247 |
| 150 | البخاري | إِنَّ أَمَثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ | .248 |
| 150 | البخاري | عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ | .249 |

| | | | |
|-----|--------------|--|------|
| 150 | البخاري | الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ | .250 |
| 151 | أحمد بن حنبل | كَانَ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ | .251 |
| 151 | ابن حبان | إِنَّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمْ الْإِثْمِدَ | .252 |
| 151 | البخاري | قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَيْسَ فِي أَصْحَابِهِ أَشْمَطُ | .253 |
| 152 | أحمد بن حنبل | إِنَّ اللَّهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ | .254 |
| 152 | الحاكم | دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقَةٌ | .255 |
| 153 | البخاري | الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِذُوهَا بِالْمَاءِ | .256 |
| 154 | الحاكم | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعَطَّ | .257 |
| 154 | البخاري | لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ | .258 |
| 155 | البخاري | لَمَّا كَسِرَتْ عَلَيَّ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَةُ | .259 |
| 155 | الحاكم | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : عِنْدَكَ ذَرِيرَةٌ | .260 |
| 156 | البخاري | اِخْتَجَمَ وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ وَاسْتَعَطَّ | .261 |
| 156 | البخاري | الشفاء في ثلاثة | .262 |
| 156 | مسلم | بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ طَيْبِيًّا | .263 |
| 156 | مسلم | رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ | .264 |
| 156 | ابن حبان | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مِنَ الشَّوْكَةِ | .265 |
| 158 | ابن ماجة | شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ | .266 |
| 158 | الترمذي | فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رُفِي نَسْتَرَقِيهَا | .267 |
| 159 | مسلم | فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءٌ بَرًّا بِإِذْنِ اللَّهِ | .268 |
| 159 | مسلم | إِعْرَضُوا عَلَيَّ رِقَاكُمْ | .269 |
| 160 | أبو داود | إِنَّ الرِّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شَرِكٌ | .270 |
| 160 | أبو داود | أَلَا تَعْلَمِينَ حَفْصَةَ رَقِيَةِ النَّمْلَةِ | .271 |
| 160 | أحمد بن حنبل | عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا بِهِ جَرَحٌ | .272 |
| 161 | أبو داود | مَرَضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ | .273 |
| 166 | الحاكم | إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا | .274 |

| | | | |
|-----|--------------|--|------|
| 167 | الحاكم | كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ | .275 |
| 167 | البخاري | مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً | .276 |
| 167 | إبن أبي شيبة | أبردوها بالماء؛ فإنها من فيح جهنم | .277 |
| 168 | الترمذي | يا عباد الله تداووا | .278 |
| 168 | مسلم | لكل داء دواء | .279 |
| 168 | البخاري | في الحبة السوداء شفاء | .280 |
| 169 | إبن حبان | ما أنزل الله داء | .281 |
| 169 | البخاري | عليكم بهذا العود الهندي | .282 |
| 169 | الحاكم | شفاء عرق النساء | .283 |
| 174 | مسلم | إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه | .284 |
| 175 | البنزار | إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ حَقٌّ | .285 |
| 179 | مسلم | مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ | .286 |
| 179 | مسلم | أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْقِحُونَ | .287 |
| 179 | البخاري | إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ | .288 |
| 181 | مسلم | كنا نرقي في الجاهلية | .289 |
| 181 | أبو داود | أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ | .290 |
| 182 | البخاري | الطَّاعُونَ رِجْسٌ | .291 |
| 182 | البخاري | لا عدوى ولا طيرة | .292 |
| 183 | البخاري | عليكم بهذا العود الهندي | .293 |
| 183 | البخاري | الْكَمَاءُ مِنَ الْمَمِّ | .294 |
| 184 | مسلم | إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ | .295 |
| 184 | الترمذي | يا عباد الله تداووا | .296 |
| 185 | أبو داود | أرني هذا الذي بظهرك | .297 |
| 185 | البخاري | كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الْجُرْحَى | .298 |
| 187 | مسلم | أنتم أعلم بأمر دنياكم | .299 |
| 188 | أحمد بن حنبل | أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِيَ ابْنِي فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ | .300 |

| | | | |
|-----|--------------|---|------|
| 189 | مالك | أَنَّ رَجُلًا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَصَابَهُ جُرْحٌ | .301 |
| 189 | أحمد بن حنبل | كان عروة يقول لعائشة | .302 |
| 190 | أحمد بن حنبل | قَالَ عُمَرُ أَرْسَلُوا إِلَيَّ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيَّ جُرْحِي هَذَا | .303 |
| 252 | مسلم | المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف | .304 |
| 252 | البخاري | لا يوردن ممرض على مصح | .305 |
| 253 | أبو داود | إنك رجل مفؤود | .306 |
| 255 | مسلم | إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات | .307 |
| 257 | الحاكم | نَعَمْ الْعَبْدُ الْحَجَّامُ يُحْفُ الظَّهْرَ وَيَجْلُو الْبَصَرَ | .308 |
| 261 | البخاري | لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَنِرِ اللَّحْمُ | .309 |
| 262 | البخاري | إذا سمعتم بالطاعون | .310 |
| 262 | أحمد بن حنبل | الفار منه كالفار يوم الزحف | .311 |

| رقم الصفحة | العلم المترجم له | الرقم |
|------------|--------------------------|-------|
| 11 | إبن قتيبة | 1 |
| 13 | القراقي | 2 |
| 15 | ابن القيم الجوزية | 3 |
| 16 | الدهلوي | 4 |
| 18 | رشيد رضا | 5 |
| 20 | محمود شلتوت | 6 |
| 21 | الطاهر بن عاشور | 7 |
| 23 | عبد المنعم النمر | 8 |
| 42 | حمورابي | 9 |
| 44 | شارك | 10 |
| 46 | أبقراط | 11 |
| 48 | الأفسيسي | 12 |
| 48 | جالينوس | 13 |
| 48 | بولص الأجانطي | 14 |
| 54 | هند بنت عتبة | 15 |
| 55 | عياض بن غنم | 16 |
| 65 | يزيد بن أبي سفيان | 16 |
| 75 | عبد الله بن عامر بن كريز | 17 |
| 89 | جبرائيل بن بختيشوع | 18 |
| 89 | بختيشوع بن جبرائيل | 19 |
| 89 | يوحنا بن ماسويه | 20 |
| 90 | ابن ربن الطبري | 21 |
| 90 | يعقوب بن إسحاق الكندي | 22 |
| 91 | حنين بن إسحاق العبادي | 23 |
| 91 | إسحاق بن عمران | 24 |

| | | |
|-----|-------------------------|----|
| 91 | قسطا بن لوقا | 25 |
| 91 | ثابت بن قرّة | 26 |
| 93 | أبو زيد البلخي | 27 |
| 93 | أبو بكر الرازي | 28 |
| 94 | ابن سعيد التميمي | 29 |
| 94 | أحمد بن أبي الأشعث | 30 |
| 94 | علي بن العباس | 31 |
| 94 | ابن الجزار | 32 |
| 95 | أبو سهل الجرجاني | 33 |
| 95 | ابن سينا | 34 |
| 95 | أبو الفرج بن الطيب | 35 |
| 95 | ابن بطلان البغدادي | 36 |
| 96 | عبيد الله بن جبرائيل | 37 |
| 96 | ابن رضوان المصري | 38 |
| 96 | ابن جزلة البغدادي | 39 |
| 96 | ابن العين زربي | 40 |
| 97 | ابن زهر | 41 |
| 97 | ابن المطران | 42 |
| 97 | ابن جميع المصري | 43 |
| 97 | ابن رشد | 44 |
| 97 | ابن هبل البغدادي | 45 |
| 97 | عبد اللطيف البغدادي | 46 |
| 97 | رشيد الدين أبو خُلَيْقة | 47 |
| 187 | عمر عبد الرحمن الحمادي | 48 |

فهرس المصادر والمراجع

-المصحف الشريف

1-الكتب:

- 1- الإحكام في أصول الأحكام ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ) ، تحقيق عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان
- 2- الأحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) ، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق الجديدة، بيروت
- 3- الإحكام في الفرق بين الفتاوى والأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام القرافي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، طبعة حلب سنة 1967
- 4- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت 684) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، المكتب الإسلامي، -بيروت، ط1 ، 1967 م
- 5- إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .
- 6- إختلاف الحديث، الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط1 1405 هـ - 1985 م بتحقيق عامر أحمد حيدر.
- 7- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ،أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، ط 7 ، 1323 هـ .
- 8- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط2 ، 2000م
- 9- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1999م
- 10- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1999م

- 11- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1985 ،
- 12- أسرار العلاج بزيت الزيتون دكتورة وفاء عبد العزيز ، دار الهدى عين مليلة الجزائر .
- 13- الإسلام عقيدة وشريعة ، شلتوت محمود ، ط17 القاهرة : دار الشروق . 1997م
- 14- أصول السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ) ، دار المعرفة ، لبنان
- 15- أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي ، د.أيمن محمود السعيد ، كتاب الإعجاز في القرآن والسنة، العدد (5) ، جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة: القاهرة ، ط1 ، 2001م
- 16- الإعجاز الطبي في السنة النبوية ، د.كمال المويل ، دار ابن كثير ، دمشق- بيروت ، ط2 ، 2005م
- 17- الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم) ، عبد الصمد، محمد كامل :الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى، 1990 .
- 18- الإعجاز العلمي في الإسلام ، محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ط07 ، 2007 .
- 19- الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، د. صالح أحمد بن رضا ، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط01 ، 2001
- 20- إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي ، د.عبد الجواد الصاوي ، ط1 ، 2012م ، دار جياذ للطبع والتوزيع ، السعودية
- 21- إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة ، د.عبد الجواد الصاوي ، دار جياذ ، السعودية ، ط1 ، 2012م
- 22- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15: 2002 م
- 23- أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام ، الدكتور محمد العروسي عبد القادر، دار المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية ط2 ، 1991،

- 24- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، المحقق الدكتور يحي إسماعيل ، دار الوفاء ، مصر ، ط1 1998م
- 25- الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها ، د.محمد علي البار ، دار المنارة ، جدة ، ط2، 1986
- 26- أمراض الفقر، د. فيليب عطية، عالم المعرفة 161، الكويت 1992.
- 27- الإنسان والصحة والبيئة، منشورات منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، عمان،الاردن ، 2004
- 28- الإيمان والحياة ، د يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط6 ، 1997 ،
- 29- البحث العلمي الطبي وضوابطه الشرعية ، ممتاز بن عبد القادر بن حيزة ، ط1 ، 2005م
- 30- بدائع الفوائد،محمد أبي بكر بن القيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996م
- 31- البرهان في أصول الفقه ، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة ، عبد الملك بن عبد الله الجويني، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 ، 1997 م
- 32- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ) ، تحقيق: د محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1988م
- 33- تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) ، المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراف ، ط2، 1999م
- 34- التربية الوقائية في الاسلام ، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان-، ط07 ، 1997م
- 35- التسويق الدوائي،رشاد محمد الساعد،محمود جاسم الصميدعي، دار المناهج للنشر والتوزيع،عمان،الأردن ، ط1 ، 2006م

- 36- تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية، أحمد الصيدي، مطابع المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، د.ط، 1991م
- 37- تعريف عام بالعلوم الشرعية ، د.محمد الزحيلي ، دار الكوثر للنشر والتوزيع ، الجزائر
- 38- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمته من صحيحه، وشاذه من محفوظه ، الألباني ، ، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 2003
- 39- التغذية العلاجية في الطب النبوي ، السعيد الناصري ، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 2019م
- 40- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت
- 41- تفوق الطب الوقائي في الإسلام، د.عبد الحميد القضاة ، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ، عمان ، الأردن ، ط1، 1987
- 42- التمهيدي لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، عام النشر: 1387 هـ
- 43- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ، تحقيق ، محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى، 2001م
- 44- التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - 1988م.
- 45- الثقافة الصحية ، د حسان شمسي باشا ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 2011م
- 46- الثقافة الصحية ، د احمد محمد بدح ، د أيمن سليمان مزاهرة ، زين حسن بدران ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن ، 2018م
- 47- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى ، 1969-1972

- 48- جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي ، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998م
- 49- الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط2، 1964 م
- 50- جماع العلم ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (المتوفى: 204هـ) ، دار الآثار ، ط1-2002م.
- 51- حجة الله البالغة ، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (المتوفى: 1176هـ) ، تحقيق السيد سابق، دار الجليل، بيروت - لبنان، ط1 ، 2005م
- 52- الحقائق الطبية في الاسلام ، د.عبد الرزاق الكيلاني ، دار القلم ، دمشق ، ط1 1996
- 53- د حسان شمسي باشا ، الثقافة الصحية ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 2011م
- 54- د.البنا ،عائدة عبد العظيم ،الإسلام والتربية الصحية، مكتب التربية العربي لدول الخليج ،الرياض، ط1 ، 1983م
- 55- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1405هـ
- 56- الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، د رياض رمضان العلمي ، عالم المعرفة ، رقم 121 ، الكويت. يناير 1988
- 57- دور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته ، نشر منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، 1992.
- 58- الدين في عصر العلم، د.يوسف القرضاوي ، ص دار الفرقان، الأردن، ط1 ، 1992م
- 59- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، تحقيق ، خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1998م

- 60- الرسالة ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد
المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) ، المحقق: أحمد شاعر ، مكتبه
الخلي، مصر الطبعة: الأولى، 1940م
- 61- روائع الطب الاسلامي ، د.نزار الدقر ، دار المعاجم دمشق سورية ط02 2004م.
- 62- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ، محمد حبيب الله بن عبد الله بن احمد
الشنقيطي ، دار احياء الكتب العربية
- 63- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية،
بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية
الكويت، ط14 - 1986 م
- 64- زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، يحي حمزة كوشك ، دار العلم، المملكة العربية السعودية
ط01 1983
- 65- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، ناصر الدين الألباني ، دار
المعارف ، الرياض ، السعودية ، ط1 ، 1992م
- 66- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر
الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) ، مكتبة المعارف
للنشر والتوزيع، الرياض ، ط1 ، 200
- 67- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة، مصر،
ط2، 1998 ،
- 68- السنة و التشريع، الدكتور عبد المنعم النمر ، دار الكتب الإسلامية والكتاب المصري
والكتاب اللبناني
- 69- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، الناشر:
دار الفكر، ط5 ، 1985م
- 70- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي . بيروت
- لبنان
- 71- السنن الكبرى للبيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة
المعارف العمانية بجيدر آباد الدكن - الهند الطبعة: الأولى: 1355 هـ

- 72- السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشليبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، 1955 م
- 73- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ) ، دار الفكر 1988
- 74- الصحة العامة، عيسى غانم، دار اليانوري العلمية، عمان، الأردن، ط1997
- 75- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 2 ، 1993م
- 76- صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، دار الميمان ، الرياض - السعودية ، الطبعة: الأولى - 2009م
- 77- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، الناشر، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط1، 1422هـ
- 78- صحيح الجامع الصغير وزياداته ، الألباني ، المكتب الإسلامي
- 79- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، الناشر ، دار الجيل - بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ)
- 80- الطب النبوي ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق أحمد رفعت البدرأوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1990م
- 81- الطب النبوي الوقائي الجزء الأول ، د.علي محمد البار ، د.حسان شمسي باشا ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط 1 ، 1439هـ
- 82- الطب النبوي بين العلم والإعجاز، باشا، حسان شمسي، الدار الشامية، دمشق: ط1 2004، .
- 83- الطب النبوي بين الفقيه والطبيب ، عمر عبد الرحمن الحمادي ، دار مدارك ، دولة الإمارات ، ط1، 2014
- 84- الطب النبوي في ضوء العلم الحديث ، د. غياث حسن الأحمد ، دار المعاجم دمشق ط1 1995.

- 85- الطب النبوي والعلم الحديث ، د. محمود ناظم النسيمي ، مؤسسة الرسالة، ط4،
1996م
- 86- الطب النبوي وحي أم تجربة ، سليم بن عيد الهلالي ، دار الإمام أحمد ، القاهرة ، مصر
، ط1 ، 2010م
- 87- الطب النبوي، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ، تحقيق: السيد الجميلي، ط1، بيروت: دار
الكتاب العربي، 1990م
- 88- الطب الوقائي في الإسلام، د.أحمد شوق الفنجري، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3
، 1991م.
- 89- الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة، د. عبد الباسط محمد السيد ، شركة مكتبة
ألفا ، ط03، 2005م..
- 90- الطب والإسلام ، د.حامد الغوايبي ، القاهرة ، 196.
- 91- عبد الله إبراهيم موسى ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995م
- 92- عصر العقل، ستيوارت هامبشير، ترجمة د. ناظم طحان، دار الحوار، اللاذقية 1986.
- 93- علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف، ، مكتبة الدعوة شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة
لدار القلم) ، ط8 دار القلم
- 94- علم الأدوية والعلاج ، د.علي إسماعيل عبيد السناني ، دار الضياء للطباعة والنشر ،
العراق ، 2012م
- 95- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بدر الدين العيني(المتوفى:
855هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت
- 96- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط
الثانية، 1968م .
- 97- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
- 98- الغذاء والانسان ، د.عبد الرحمن عبيد مصيقر ، د.محمد زين علي ، مطبوعات جمعية
التغذية العربية ، ط1 ، 1999 ، دولة الامارات العربية المتحدة.
- 99- الغذاء ومكوناته ، د.سعد أحمد حلابو ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ،
2008

- 100- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)،
اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 2005م.
- 101- الفروسية ، ابن فيم الجوزية ، تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان ، دار
الأندلس ، السعودية ، ط 1، 1993
- 102- الفروق في أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن
عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراي (المتوفى: 684هـ) ، دار عالم الكتب ، بدون طبعة وبدون
تاريخ
- 103- الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية ، د. محمد مصطفى شلبي ، الدار الجامعية ، بيروت
، لبنان ، ط 1، 1982م
- 104- الفلسفة ، مدخل حديث ، عزمي طه، دار المناهج ، عمان . ط 1، 2003م،
- 105- فلسفة الطب ، د. أحمد محمود صبحي ، د. محمود فهمي زيدان ، دار النهضة العربية ،
بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993م
- 106- في علم الاجتماع الطبي - ثقافة الصحة والمرض ، نجلاء عاطف خليل ، مكتبة الأنجلو
مصرية ، القاهرة ، 2006م
- 107- في فلسفة الطب، د. أحمد محمود صبحي ، د. محمود فهمي زيدان، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، 1993م
- 108- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط 1-
1994م.
- 109- القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي (المتوفى 817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث
في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط 8، 2005
- 110- القانون في الطب ، ابن سينا أبو علي الحسين ابن علي ، دار نوبليس - بيروت لبنان
ط 01، 2006م
- 111- قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة، د. حسان شمسي باشا دار القلم دمشق
- بيروت ط 02 1993

- 112- كامل الصناعة في الطب ، الجوّسي علي بن العباس،المطبعة الكبرى بالديار المصرية
1294 هـ
- 113- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري
الحنفي (المتوفى: 730هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت ،لبنان ، بدون طبعة وبدون تاريخ
- 114- كيف نتعامل مع السنة النبوية، د.يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة، مصر ،
ط1، 2013م
- 115- لسان العرب، ابن منظور ، تحقيق:عبد الله الكبير،ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي،.
دار المعارف، القاهرة
- 116- لمحات من الطب الإسلامي ، د.حياة علي محمد خفاجي ، رابطة العالم الإسلامي ،
العدد 142 ، 1414هـ
- 117- مبادئ الصحة العامة ، المؤسسة العامة للتعليم الفني و التدريب المهني ، السعودية
- 118- مبادئ في الصحة العامة، حكمت فريجات، دار المستقبل، ط1 1990م .
- 119- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيتمي ، تحقيق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي،
القاهرة ، 1994م
- 120- مختصرُ استدراك الحافظ الذهبي على مُستدرك أبي عبد الله الحاكم ابن الملتن سراج الدين
أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) ، ، تحقيق سَعْد بن عَبْد الله
بن عَبْد العزيز آل حميد ، دَارُ العاصِمَة، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1411هـ
- 121- المدخل الاسلامي للطب، د. الصياد إبراهيم عبد الحميد، مجمع البحوث الاسلامية ،
القاهرة، 1988م .
- 122- المدخل في تدريس العلوم، احمد النجدي وراشد علي وعبد الهادي منى ، دار الفكر
العربي، القاهرة، 1999م
- 123- مدخل لدراسة الطب التجريبي، كلود برنار، ترجمة عمر الشارني، دار بوسلامة للطباعة
والنشر ، تونس 1982.
- 124- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين
الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، دار الفكر، بيروت - لبنان ، ط1 ، 2002م

- 125-المستدرک علی الصحیحین، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاکم النیسابوری، دار المعرفة - بیروت - لبنان
- 126-مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، جمعية المکنز الإسلامی، دار المنهاج، الطبعة: الأولى - 2010م
- 127-مسند البزار، أبو بکر أحمد بن عمرو البزار، مكتبة العلوم والحکم، المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن - بیروت، ط 1، 1988-2009م
- 128- مسند الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی، دار المغنی، الرياض، السعودية ط 1، 2000م
- 129- مشکاة المصابیح، الألبانی، المكتب الإسلامی، بیروت ط 3، 1985
- 130- مشکلات الأحادیث النبویة، عبد الله بن علی النجدی القصیمی، دار القلم، بیروت، ط 1، 1985م
- 131-مصطلح الحدیث للمرحلة الثانوية للمعاهد العلمیة، یوسف القرضاوی وآخرون، صنعاء، اليمن، 1988.
- 132-مصنف ابن أبي شیبة، أبو بکر بن أبي شیبة، دار القبلة، جدة، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، ط 1، 2006م
- 133- معالم السنن، أبو سلیمان حمد بن محمد البستی المعروف بالخطابی (ت: 388هـ)، المطبعة العلمیة، حلب، ط 1، 1932م
- 134- المعجزة والإعجاز فی القرآن الکریم، د. سعد الدین السید صالح، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1993م
- 135- المعجم الأوسط، الطبرانی، سلیمان بن أحمد. تحقیق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهیم الحسینی، القاهرة: دار الحرمین، 1415هـ.
- 136-المعجم الفلسفی، جمیل صلیبا، دار الكتاب اللبنانی، بیروت، 1982م.
- 137-المعجم الکبیر للطبرانی، سلیمان بن أحمد الطبرانی، مكتبة ابن تیمیة - القاهرة
- 138- المعجم المفهرس لألفاظ الحدیث النبوی، د.ا.ی. ونسنک، مكتبة بریل مدينة لیدن 1926م

- 139- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة ، مصر
- 140- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن أحمد الراغب الأصفهاني، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، لبنان،
- 141- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: 291هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (ط 1979م)
- 142- المغني، لابن قدامة، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية بمصر.
- 143- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت
- 144- مقاصد الشريعة الإسلامية ، ابن عاشور، محمد الطاهر، تحقيق الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة . طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر 2004م
- 145- مقاييس اللغة ، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق عبد السلام محمد هارون. اتحاد الكتاب العرب ط 2 ، 2002 م
- 146- مقدمة في الصحة والتغذية ، جامعة طيبة عمادة التعليم عن بعد GS135، 2003 ، السعودية
- 147- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط 2 ، 1392هـ
- 148- المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، الدار العربية ، د.أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، القاهرة، ط 1، 1991
- 149- الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط 1 ، 1997م
- 150- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، خادم السنة الحاج احمد، دار ابن حجر ، دمشق ، ط 2 ، 2003
- 151- موسوعة الطب النبوي ، قره بولوط ، علي رضا ، منشورات مكتبة أنقرة ، 1994.
- 152- موسوعة الطب النبوي، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني ، تحقيق د.مصطفى خضر دونمز التركي، أطروحة الدكتوراه، جامعة أوداغ ببورسه ، تركيا، 2005 ،

- 153- الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة ، شحاتة صقر ، دار الخلفاء الراشدين ، دار الفتح الإسلامي الاسكندرية ، مصر
- 154- الموسوعة الميسره في الاديان و المذاهب و الاحزاب ، مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط3 ، 1418هـ
- 155- موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات ، ط1 ، 2004م
- 156- النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبد في أصول الفقه) ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) ، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1405هـ
- 157- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (606هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1979م،
- 158- هل هناك طب نبوي ، البار، الدكتور محمد علي، الدار السعودية ، ط1، 1988
- 159- وفي الصلاة صحة ووقاية ، د.فارس علوان ، دار السلام للطباعة ، مصر، ط1، 1989م
- 160- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان (607هـ-681هـ) تحقيق د.إحسان عباس ،دار صادر بيروت
- 161- الوقاية في الطب وحفظ الصحة لابن سينا ، د.أحمد عروة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1986م.

2-المجلات والدوريات العلمية

- 1- الآثار الجانبية للأدوية، محمد حسين دعنا ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية
- 2- أحاديث الطب النبوي ومنزلتها في الحجية ، كبير غوجي ، مجلة الإسلام في آسيا ، المجلد 8 ، العدد 2، ديسمبر ، 2011م ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا
- 3- الآداب النبوية في الأكل والشرب وأثرها في حفظ الصحة ، بشير عبد الرحمن ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 2، المجلد 29 ، أبريل 2014 ، الجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام آباد، باكستان

- 4- إستشارات طبية في ضوء الاسلام ، د. إبراهيم الراوي ، مجلة حضارة الاسلام ، عدد 04 ، عام 1966
- 5- الإسلام والوقاية من بعض أمراض السرطان الخولي ، حلمي حبيب ، المجلة العربية ، يناير 1985
- 6- الأثنوبولوجيا الطبية و دورها في قضايا الصحة و المرض ، بن عروس حياة ، العدد 13 ، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ، الجزائر ، 2013
- 7- الإنسان والصحة والبيئة، منشورات منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق
- 8- بحث قدم للمؤتمر الطبي الأول بالأزهر، د. محمد عبد العزيز ، مجلة الوعي الإسلامي أبريل 1986
- 9- تصرفات الرسول ﷺ بالإمامة وصلتها بالتشريع الإسلامي، د. أحمد يوسف، مجلة بحوث السنة، العدد الثامن، 1995، جامعة قطر،
- 10- التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة ، مجلة الإسلام في آسيا ، محمد الباقر حاج يعقوب ، العدد الخاص الرابع ، ديسمبر 2011 ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
- 11- التغذية والطب الوقائي ، محمد عيد محمود ، دراسة في الأحاديث الشريفة ، مجلة الأحمدية ، العدد 22، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، 2006
- 12- الحجامة في السنة النبوية ، آمال محمد حسن المصري ، ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، 2013 .
- 13- د.صالح حسن علي خليل ، رحلة الدواء من المصدر الى المريض ،مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991 ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1405هـ
- 14- الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم ، د رياض رمضان العلمي ، عالم المعرفة ، رقم 121 ، الكويت. يناير 1988
- 15- دور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته ، نشر منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، 1992.

- 16- رحلة الدواء من المصدر الى المريض ، د.صالح حسن علي خليل ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد 17 ، 1991، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية
- 17- سلسلة الهدى الصحي، فقه الصحة ، د.محمد هيثم الخياط ، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط ، 1996م ، المكتبة الطبية القومية، مصر ، 1998 م
- 18- السنة التشريعية وغير التشريعية، د. محمد سليم العوا ، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي، سنة 1974
- 19- صحة البيئة في ميزان الإسلام، -د محمد هيثم الخياط، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، 2011،
- 20- الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع مقارنة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، مختار رحاب ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 15، جامعة المسيلة-الجزائر-، 2015م
- 21- صحة وسلامة الطعام ، منظمة الصحة العالمية ، المكتب الاقليمي لشرق المتوسط ، عمان ، الاردن ، 2004 ،
- 22- صفحات من تاريخ التراث الطبي الإسلامية، د. عبد الكريم شحادة ، أكاديمية انترنشنال 2005، بيروت ، لبنان
- 23- الطب الشعبي بدلا من الطب الحديث يحي دلاوي بجريدة الجمهورية العدد 456 1994م
- 24- الطب الشعبي والطب العلمي ، د.عبد الفتاح محمد المشهداني ، مركز دراسات الموصل ، العراق ، العدد 34
- 25- الطب النبوي ، السلامي، محمد المختار :أبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي، الكويت
- 26- الطب النبوي وقواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، قاسم عمر حاج احمد ، مجلة التجديد ، المجلد التاسع ، العدد 38 ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، 2015
- 27- الطب الوقائي ، تاريخ ومفاهيم ومستقبل ، مجلة الصحة والحياة ، العدد الأول ، تموز 2007

- 28- الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة ، د.موسى إسماعيل البسيط ،مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد السادس ، تشرين أول 2005
- 29- لمحات من الطب الإسلامي ، د.حياة علي محمد خفاجي ، رابطة العالم الإسلامي ، العدد 142 ، 1414هـ
- 30- مبادئ الصحة العامة ، المؤسسة العامة للتعليم الفني و التدريب المهني ، السعودية
- 31- مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية ، الدكتور محمد سليمان الأشقر، أبحاث المؤتمر الرابع للطب الإسلامي - الكويت 1989م
- 32- مقدمة في الصحة والتغذية ، جامعة طيبة عمادة التعليم عن بعد GS135، 2003 ، السعودية
- 33- الهدي الصحي ، صحة البيئة في ميزان الإسلام ، الدكتور محمد هيثم الخياط
- 34- هل أحاديث الطب النبوي وحي؟ ، الإعجاز العلمي في الحديث النبوي أ. د. شرف محمود القضاة كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، مجلة مؤتة، جامعة مؤتة، 2002م.

| الصفحة | الموضوع |
|--|---|
| | العنوان |
| | الإهداء |
| | شكر وتقدير |
| أ- ر | مقدمة |
| الفصل الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة وموقف العلماء من حجية السنة النبوية | |
| 2 | المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة |
| 2 | المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح |
| 5 | المطلب الثاني: تعريف المهدي النبوي في اللغة والاصطلاح |
| 6 | المطلب الثالث: تعريف الصحة في اللغة والاصطلاح |
| 8 | المطلب الرابع: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح |
| 11 | المبحث الثاني: موقف العلماء من تقسيم الاحتجاج بالسنة النبوية |
| 11 | المطلب الأول: مذاهب العلماء في حجية وتقسيم السنة النبوية |
| 24 | المطلب الثاني: ما صدر عن النبي ﷺ بوصفه نبيا ورسولا |
| 31 | المطلب الثالث: ما صدر عن النبي ﷺ بصفته البشرية وخبرته الإنسانية |
| الفصل الثاني: حفظ الصحة في التاريخ الإنساني والإسلامي | |
| 41 | المبحث الأول: حفظ الصحة في الحضارات القديمة |
| 41 | المطلب الأول: حفظ الصحة عند قدماء المصريين والبابليين |
| 44 | المطلب الثاني: حفظ الصحة عند الهنود والصينيين |
| 46 | المطلب الثالث: حفظ الصحة عند اليونانيين والرومان |
| 49 | المبحث الثاني: حفظ الصحة عند العرب قبل الإسلام |
| 49 | المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الجاهلي |
| 50 | المطلب الثاني: أطباء العصر الجاهلي |
| 51 | المبحث الثالث: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين |
| 51 | المطلب الأول: حفظ الصحة في عصر النبي ﷺ |

| | |
|--|--|
| 54 | المطلب الثاني: حفظ الصحة في عصر الخلفاء الراشدين |
| 64 | المطلب الثالث: نماذج من العناية الصحية في عصر الخلفاء الراشدين |
| 76 | المطلب الرابع: أطباء وطبيبات عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين |
| 84 | المبحث الرابع: حفظ الصحة في العصر الأموي والعباسي |
| 84 | المطلب الأول: حفظ الصحة في العصر الأموي |
| 88 | المطلب الثاني: حفظ الصحة في العصر العباسي الأول |
| 92 | المطلب الثالث: حفظ الصحة في العصر العباسي الثاني |
| الفصل الثالث: حفظ الصحة في الهدي النبوي | |
| 99 | المبحث الأول: حفظ الصحة في الهدي النبوي الوقائي ومظاهره في السنة النبوية |
| 99 | المطلب الأول: حفظ الصحة في الهدي الوقائي النبوي |
| 108 | المطلب الثاني: مظاهر حفظ الصحة في الهدي الوقائي النبوي |
| 135 | المبحث الثاني: حفظ الصحة في الهدي العلاجي النبوي |
| 135 | المطلب الأول: مفهوم الهدي العلاجي النبوي ومشروعيته في السنة النبوية |
| 138 | المطلب الثاني: الغذاء والدواء في الهدي النبوي |
| 158 | المطلب الثالث: قواعد الهدي العلاجي النبوي |
| 162 | المبحث الثالث: مذاهب العلماء ومواقف العلماء من حجية أحاديث الطب النبوي |
| 162 | المطلب الأول: مذهب القائلين بحجية أحاديث الطب النبوي |
| 176 | المطلب الثاني: مذهب القائلين بعدم حجية أحاديث الطب النبوي |
| 191 | المطلب الثالث: قواعد أساسية في التعامل مع الأحاديث الطبية النبوية |
| الفصل الرابع: حفظ الصحة في العلم الحديث | |
| 199 | المبحث الأول: حفظ الصحة في العلم الوقائي الحديث |
| 199 | المطلب الأول: مفهوم حفظ الصحة في العلم الحديث |
| 202 | المطلب الثاني: حفظ الصحة والعلم الوقائي الحديث |
| 204 | المطلب الثالث: مستويات وإجراءات الصحة للوقاية من الأمراض في العلم الحديث |
| 209 | المبحث الثاني: حفظ الصحة في العلم العلاجي الحديث |

| | |
|----------------|---|
| 209 | المطلب الأول: العلم العلاجي الحديث |
| 217 | المطلب الثاني: المرض في العلم الحديث |
| 224 | المطلب الثالث: الدواء في العلم الحديث |
| 242 | المطلب الرابع: الغذاء والعلم الحديث |
| 252 | المبحث الثالث: الهدي النبوي الصحي والعلم الحديث |
| 252 | المطلب الأول: الهدي النبوي الوقائي الصحي في ضوء العلم الحديث |
| 254 | المطلب الثاني: الهدي النبوي العلاجي الصحي في ضوء العلم الحديث |
| 258 | المطلب الثالث: الأحاديث النبوية الصحية والعلم التجريبي الحديث |
| 356-354 | الخاتمة |
| الفهارس | |
| 359-358 | فهرس الآيات القرآنية |
| 373-360 | فهرس الأحاديث النبوية والآثار |
| 375-374 | فهرس الأعلام المترجم لهم |
| 390-376 | فهرس المصادر والمراجع |
| 393-391 | فهرس الموضوعات |
| 396-395 | ملخص البحث باللغتين العربية والإنجليزية |

ملخص البحث

باللغة العربية

ملخص البحث: تناولت الأطروحة أربعة موضوعات رئيسية:

أولاً: موضوع السنة النبوية، من حيث مفهومها، وحجيتها ، وموقف العلماء من تقسيم حجيتها ، ومذاهبهم في تقسيم السنة النبوية إلى: سنة تشريعية ، وغير تشريعية، وما يترتب على التقسيم- عند القائلين به- من أثر شرعي بالنسبة للأقوال والأفعال ، الصادرة عن النبي ﷺ من حيث حجيتها، وحكمها الشرعي، مما صدر عنه ﷺ - بوصفه- نبيا ورسولا ، ويعتبر وحيا وتشريعا ، وما صدر عنه ﷺ بمقتضى الخبرة البشرية والإنسانية ، ولا يأخذ صفة الوحي ، ولا يدخل في باب الأحكام و التشريع.

ثانياً: موضوع حفظ الصحة في التراث الإنساني والإسلامي، وتاريخ الطب عند الأمم القديمة ، من الهنود والصينيين ، واليونانيين والرومان ، وصولا إلى العرب في العصر الجاهلي ، وأبرز الأطباء المعروفين في التاريخ القديم للبشرية. وتناول البحث نشأة الطب الإسلامي منذ مجيء الإسلام ، وبعثة النبي ﷺ والعناية والرعاية الصحية للفرد والمجتمع المسلم في زمن الخلافة الراشدة ، وما شهدته الطب الإسلامي من نهضة وريادة في العصر الأموي والعباسي ، ونبوغ الأطباء المسلمين ، وغيرهم ممن حفظ لنا التاريخ الإسلامي أسماءهم ومصنفاتهم ، وما تلا ذلك من رقي وازدهار للطب الإسلامي في العصور اللاحقة ، وكان الأساس لنهضة الطب في العصر الحديث.

ثالثاً: موضوع حفظ الصحة في الهدى النبوي ، حيث تناول البحث التوجيهات النبوية الصحية في الوقاية والمرض والعلاج ، وهديه ﷺ في الغذاء والدواء ، ووصاياه في الحمية الغذائية ، وقواعد التعامل مع المرضى والأطباء. ثم تطرق البحث للحديث عن مسألة رئيسية في الأطروحة ، تتعلق بحجية الأحاديث النبوية الطبية ، ومذاهب العلماء فيها ، بين قائل بأنها وحي ، وآخر نافيا عنها صفة الوحي والتشريع ، وانتهى القول في المسألة بذكر أهم القواعد الأساسية -الواجب التزامها عند العلماء- للتعامل مع الأحاديث النبوية الطبية.

رابعاً: موضوع حفظ الصحة في العلم الحديث، حيث تناول البحث المفهوم العلمي الحديث للصحة، ومفهوم الطب في العلم الحديث، وتعريف الصحة الوقائية، والمستويات والإجراءات المطلوب توفرها لتحقيق الوقاية من الأمراض، وضمان السلامة من الأوبئة المعدية، للفرد والبيئة والمجتمع. وتطرق البحث لدراسة ثلاثة عناصر أساسية، ورئيسية، تتعلق بحفظ الصحة في العلم الحديث، وهي: المرض، الدواء، والغذاء. وانتهى البحث ببيان مسألة -أيضاً- مهمة وضرورية في الأطروحة وهي: الهدى النبوي الصحي في ضوء العلم الحديث، وضوابط المقارنة بين الأحاديث النبوية الطبية، ونظريات العلم التجريبي الحديث، ومجالات التوافق والاختلاف بينهما، وبيان الإعجاز للسنة النبوية في المجال الصحي، مما يؤكد أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنما بوحى من عند الله عز وجل.

وبذلك فإن البحث قد تناول بالدراسة مفهوم وأسس وطرق حفظ الصحة في الهدى النبوي، والعلم الحديث، وحدود العلاقة بينهما، مع بيان اختصاص النبي ﷺ بالنبوة والرسالة والإعجاز الطبي في أحاديثه النبوية الصحيحة، والتأكيد على قضية أساسية، وإشكالية رئيسية في الأطروحة، وهي: أن النبي ﷺ لم يتمص شخصية الطبيب -بالمفهوم الاصطلاحي الحديث- ليصف للمرضى الأدوية، وإنما نصح ﷺ المرضى من أصحابه بزيارة من عرف بالطب في زمانه ﷺ، وحث المسلمين لاحترام أهل الاختصاص من الأطباء وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: الهدى النبوي - الطب النبوي - الصحة - العلم الحديث

ملخص البحث

باللغة الإنجليزية

Abstract

The thesis dealt with four main topics; the first one concerning the Prophet's Sunnah, in terms of its concept, its authenticity, also the position of the scholars on its authority, and their doctrines, in dividing the Prophet's Sunnah into a legislative, non-legislative year, and the legal effect of division upon those who say it with a legal impact on the sayings and actions of the Prophet Muhammed In terms of its authenticity, and its legal ruling, of what was issued by him as a prophet and a messenger, and is considered revelation and legislation, and what was issued by him in accordance with human and human experience, and does not take the character of revelation, and does not come under the provisions of provisions and legislation Secondly, The topic of health preservation in the human and Islamic heritage, and the history of medicine in ancient nations, from the Indians and the Chinese, the Greeks and the Romans, up to the Arabs in the pre-Islamic era, and the most prominent doctors known in the ancient history of humanity. The research dealt with the emergence of Islamic medicine since the advent of Islam, and the mission of the Prophet Muhammed And care and health care for the individual and the Muslim community in the era of the adult caliphate, and the rise and leadership witnessed in Islamic medicine in the Umayyad and Abbasid era, and the brilliance of Muslim doctors, and others whose Islamic history preserved their names and works, and the ensuing prosperity and prosperity of Islamic medicine in a Subsequent

eras, and was the foundation for the renaissance of medicine in the modern era.

Third, The topic of maintaining health in the Prophet's guidance, where the research dealt with the prophetic health directives in prevention, disease and treatment, and its gift in food and medicine, and its recommendations in the diet, and the rules for dealing with patients and doctors. Then the research touched on a major issue in the thesis, related to authoritative and source Medical prophetic hadiths, and the doctrines of scholars in it, between one who says that it is a revelation, and another denying it the character of revelation and legislation, and ended by saying the matter by mentioning the most important basic rules which must be adhered to by scientists – to deal with the prophetic medical hadiths

Fourth, The topic of health preservation in modern science, where the research dealt with the modern scientific concept of health, the concept of medicine in modern science, the definition of preventive health, and the levels and procedures required to achieve disease prevention, and ensure safety from infectious epidemics, for the individual, environment and society. The research dealt with the study of three basic and main elements related to health preservation in modern science, namely: disease, medicine, and food. The research ended with an important and necessary question in the thesis, namely: The prophetic guidance in the light of modern science, and the controls for comparing the hadiths of the Prophet Medical,

theories of modern experimental science, areas of compatibility and difference between them, and the statement of miracles of the Prophet's Sunnah in the health field, which confirms that the Prophet Muhammed does not speak of passion, but is inspired by God Almighty. Thus, the study examined the concept, foundations, and methods of preserving health in the Prophet's guidance, modern science, and the limits of the relationship between them, with a statement of the Prophet's jurisdiction with prophethood, message, and medical miracles in his authentic prophetic sayings, emphasizing a fundamental issue, and a major problem in the thesis, namely: that the Prophet The physician's personality in the modern idiomatic sense did not reincarnate to prescribe medications to patients, but rather advised patients of his companions to visit those who knew medicine in his time and urged Muslims to respect the specialists from the doctors and others.

Key words: prophetic guidance, prophetic medicine, health, modern science